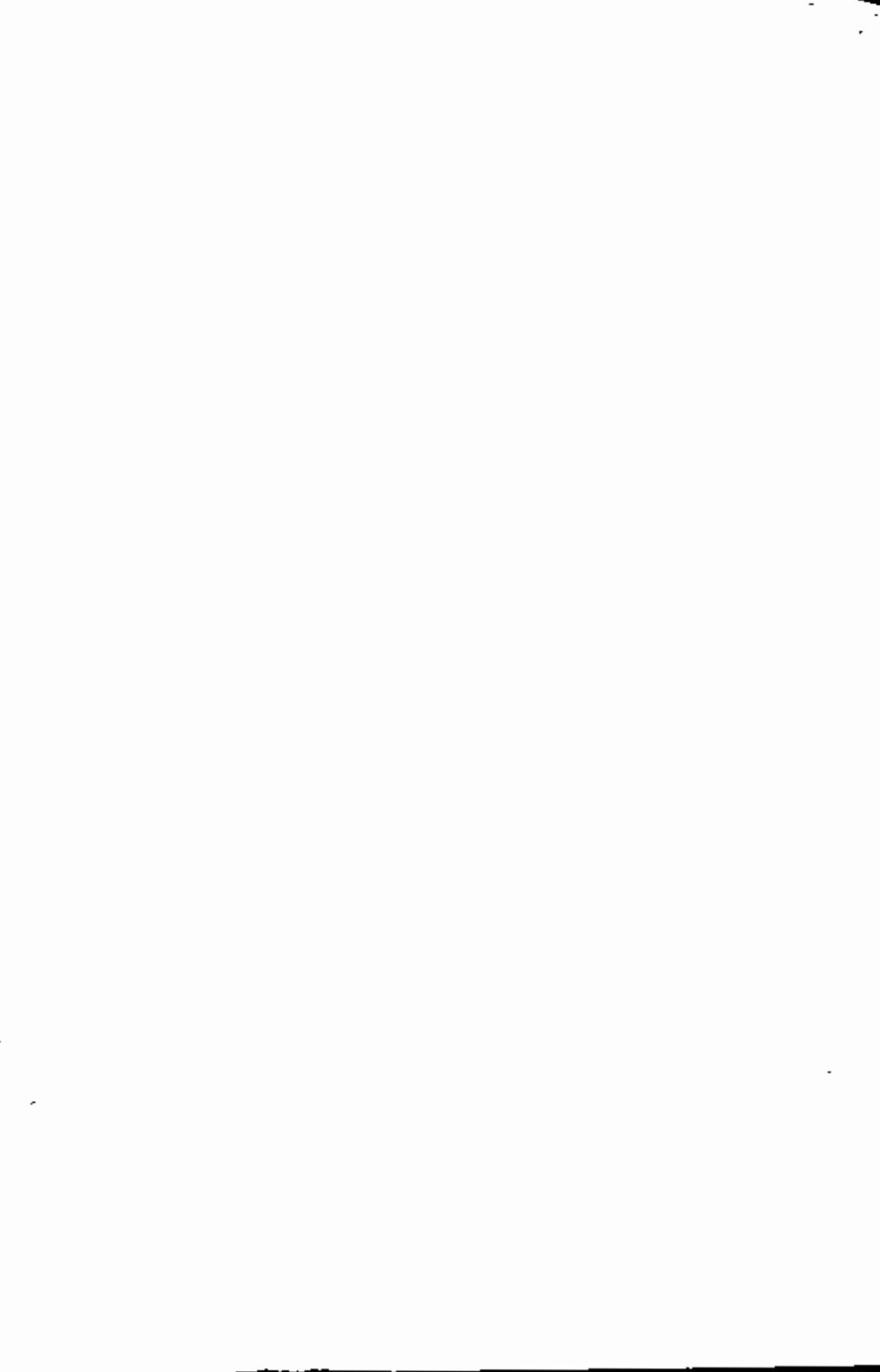


Ghada Mohamed Rachad

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة

كلية الآداب



مجلة كلية الآداب

الجزء الأول

المجلد الثامن والثلاثون

١٩٩٠

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالشاطبي
وترجمه المكاتب الخاصة بالناحية العلمية الى
كلية الآداب

الشتون الفنية - وحدة الأوفست

كلية الآداب



مجلة سنوية محكمة تصدر أو أكتوبر
هيئة التحرير

ونيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد خميس الزوكه

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبده علي ابراهيم الراجحي

الأستاذ الدكتور نادية يشاي

الأستاذ الدكتور نادية محمود عبدالله

الأستاذ الدكتور محمد مرسى الشيخ

الأستاذ الدكتور فتحي محمد أحمد ابر عيانه

الأستاذ الدكتور علي عبد المعطي

الأستاذ الدكتور محمد أحمد بيومي

الأستاذ الدكتور عزيزة سعيد محمود

الأستاذ الأستاذ محمد عبده محجوب

سكرتارية التحرير والتحكيم

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الخالق

السيد / شمس الدين ابراهيم الكنانى

المشرف على المكتبات

توجه المراسلات والأبحاث إلى

الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث - كلية الآداب - الشاطبي -

ع. ٢٠٤

هاتف ٤٩٢٥٧٣٧ - ٤٩٢٥٧٣٥

تلکس 54467 UNIVY LN

فهرس الجزء الأول

رقم الصفحة	القسم	اسم الدكتور	عنوان البحث
٢	اللغة العربية	محمود عبدالله جبر	النون بين علم التجويد وعلم التشكيل
٢٧	اللغة العربية	محمود فراج عبد الحافظ	الفكر الصرقي عند الفارابي
٦٩	التاريخ	السيد عبد العزيز سالم	العلاء بن مغيث الجزائري الناظر على دولة بني أمية في الأندلس
٧٩	التاريخ	أحمد أمين سليم	المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الاسكندرية
١١٩	التاريخ	حسن عبد الوهاب حسين	المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية
١٤٧	التاريخ	سحر السيد عبد العزيز	القبائل اليمينية في الاسكندرية والبحيرة
١٩٢	التاريخ	محمود ابراهيم حسين	الابنية الصحراوية في يادية الشام
٢٢٢	التاريخ	محمد علي سعدالله	الاقواس التسعة من خلال مقابر الاسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة
٢٥٢	التاريخ	حسن محمد عطية	المراسلات المتبادلة بين بابوات روما وسلاطين مصر من بني ايوب
٣٢٥	الجغرافيا	أحمد أحمد مصطفى	التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية في انشاء الخريطة الكنتورية بالحاسب الالى
٢٤٥	الجغرافيا	أحمد أحمد مصطفى	نظم البيانات الجغرافية المكانية باستخدام الحاسب الالى

فهرس الجزء الثاني

رقم الصفحة	القسم	اسم الدكتور	عنوان البحث	رقم مسلسل
٤٦٥	الجغرافيا	محمد الفتحي بكير	التحليل الجغرافي لشبكة الطرق في منطقة الرياض	١٢
٤٧٢	الجغرافيا	عيسى علي ابراهيم	قرية السباعه دراسة في جغرافية التعمية الريفيه	١٣
٥٦٥	الجغرافيا	محمد ابراهيم رمضان	المراكز الصناعيه في مصر	١٤
٥٤٣	علم النفس	أحمد محمد عبد الخالق مايسة أحمد النبال	الوساوس القهريه وعلاقتها بكل من التلق والخاوف والإكتئاب	١٥
٥٧٧	علم النفس	عبد الفتاح محمد بويدار	منهج دراسة الحالة في علم النفس والعلوم المتصلة به	١٦
٦١٩	الانثروبولوجيا	فاروق أحمد مصطفى	الحكايات الشعبية	١٧
٦٩١	الآثار والدراسات اليونانية والرومانية	نادية أبو بكر	وثائق لتبني من مصر.. العصر البطلمي والروماني	١٨
٧٢٦	الآثار والدراسات اليونانية والرومانية	سهير زكي بسيوني	ثيوفراستوس ونباتات شبه الجزيرة العربية	١٩



قسم
اللغة العربية

النوؤ
بين علم التجويد
وعلم التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)

دكتور
محمد عبد الله جبر

علم الأصوات اللغوية هو العلم الذي يدرس انصوت الانسان في نشاطه اللغوي^(١) ، فيحلل السلسلة الكلامية الى العناصر التي يمكن تجزئها . ثم يقدم وصفاً للطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر ، والخصائص المميزة لكل عنصر ، ويصنف العناصر جميعاً على أسس معينة^(٢) ، وتصنف الأصوات إلى : مهموسة ومجهورة ، وتدرس الأصوات بحسب طريقة النطق ، ثم بحسب موضع النطق ، وتبين الخصائص التي تلحق الصوت نتيجة لاتصاله بغيره في الكلمة وفي الكلام^(٣) .

وهذا التعبير اللغوي الذي شاع استعماله حديثاً « علم الأصوات اللغوية » يضم مجالين من الدرس هما : إنتاج الأصوات المنطوقة Phonetics ، والتشكيل الصوتي Phonology فالأول يتناول وصف الخطوات والأوضاع التي تتخذها أعضاء النطق لدى الإنسان لإنتاج كل صوت لغوي . والآخر يتناول وصف كيفية اتلاف كل مجموعة من أصوات اللغة وما يطرأ على بعضها من تعديل في كيفية صدوره وما يصحب ذلك من مميزات إضافية .

وهذا العلم يدرس أصوات اللغات جميعاً ، ويقدم وصف ما في كل لغة من أصوات خاصة بها ، ويفصل في ذكر الخصائص المشار إليها آنفاً .

وعلم التجويد يلتقى في مجموعه مع علم الأصوات اللغوية ، ولكنه يختص بدراسة أصوات اللغة العربية متحقة في تلاوة القرآن ، ذلك لأن التجويد بمفهومه الذي يتبادر عند إطلاقه ينصب على الأداء القرآني . والقرآن عربي اللغة ، فأصوات العربية في تلاوة القرآن هي موضوع الدرس في علم التجويد .

والتجويد في الاصطلاح إعطاء الحروف (= الأصوات) حقها من الصفات اللازمة لها ، ومستحقها من الأحكام التي تنشأ عن تلك الصفات ، فإن للحرف (= الصوت) حالتين : حالة الانفراد ، وحالة التركيب : وله في

(١) (٣٦٢،١) د محمود السمران : علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - دار المعارف - الإسكندرية ١٩٦٢

ص ١٧٠، ١٠٦، ٩١

كل منها أحكام ، فأول أحكامه منفرداً : تحديد عمره ، ثم تحقيق الصفات اللازمة له كالهمس والجهر .. وعندما يتركب مع غيره نشأ أحكام الترتيق والتضخيم ، والإظهار والإدغام ...

والغاية من علم التجويد إتقان قراءة القرآن بالنطق بحروفه (= أصواته) مشكلة الأحكام والصفات وعميقة المخارج ... وحينئذ يكون الفاعى قد قرأ القرآن على الطريقة النبوية واللهجة العربية المعصمى التى أنزل بها^(٤) .

وعلم التجويد يدرس مخارج الحروف (= مواضع نطق الأصوات العربية) ثم صفات الحروف (= خصائص الأصوات العربية) ، ثم أحكام بعض الحروف (= خصائص بعض الأصوات) كالراء واللام والهمزة ، وأطوال كل صوت من أصوات المد بحسب السياق الذى يقع فيه ، ثم يدرس كذلك أحكام النون الساكنة والتنوين ، وأحكام الميم الساكنة . وهذه الجوانب المذكورة آخرأ ، أعنى أحكام المد وأحكام النون والميم الساكنتين ، أهم ما يعنى به علم التجويد مما يدخل ضمن التشكيل الصوتى Phonology .

ولاشك فى أن جهود علماء التجويد تمثل الحرص المخلص على حفظ الصورة المتحققة لتلاوة القرآن ، ولاشك أن الدافع الدينى هو أساس هذا الالتزام الدقيق طوال القرون التى بدأت بتزول الوحى .

وعلم التجويد يعتمد على ما تقدمه علماء العربية القدامى من دراسة لأصوات اللغة العربية ، ويطبق نتائج تلك الدراسة على الأداء القرآنى ، فيضيف إلى ما فى المادة النظرية المشوثة فى كتب النحو والصرف - من مثل الكتاب لسيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جنى - الجانب العمل الذى يتمثل فى تلقين الأستاذ لتلامذته كيفية التلاوة ، ويأنه لها بياناً عالياً ، ولقت اتباهم إلى طريقة نطق الأصوات ، ثم استماعه إلى كل واحد منهم وهو يحاكى أداءه ، وتصحيحه لما قد يكون لى هذا الأداء من نقص فى الدقة والإتقان ، وهذا ما يعرف بالتلقى والعرض على الشيخ .

(٤) الشيخ أبو عاصم عبد العزيز عبد المتاح القارى فى علم التجويد دار المدينة ١٤٠٤ هـ

وقد درج المختصون هذا الفن على ذلك حتى يومنا هذا وحظي علم التجويد من كثير من العلماء بمؤنعات تعرض لشدائده ، تعاقبت أحكامها بحسب الغرض منها ، وبحسب من توجه إليه ، فكانت سهل الخش والشرح ، وكان منها المنظوم وغير المنظوم ، ومنها ما هو مخصص للضعاف وما هو لغيرهم ، غير أن المادة في معظمها وفي أغلب الأحوال ظلت ثابتة دون إضافات إلا ما قد يجد المؤلف أنه في حاجة إلى شيء من زيادة التوضيح ونظراً إلى أن المادة الصوتية التي قدمها علماء العربية قد توقفت عند حدٍّ معين فإن كتابات علماء التجويد قد انحصرت في حدود تلك المادة .

وقد شعر بعض العلماء المشتغلين بهذا الفن في أيامنا هذه بأن « الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسات الدقيقة ، والجهود المخلصة ، والإمكانيات والوسائل الحديثة لتستخدم في هذه الدراسات »^(١٠) . بل لقد قيل في شأن علم التجويد إن « المعاصرين كثيراً ما يتحفظون فيه ، وكذا أهل الأداء ، ومن انتسب إليهم ، فإن العناية اليوم بالتحقيق ضعيفة خاصة في هذا الميدان حتى صار من الصعب الوثوق بمجرد بقر حكاماً حتى يثبت مرجعه واتصال منه »^(١١) .

ولقد أشرت آنفاً إلى أن أهم الظاهرات الصوتية التي تحظى بعناية فائقة في علم التجويد ما أطلق عليه في كتاب هذا العلم « أحكام النون الساكنة والتنوين » و« أحكام الميم الساكنة » ، وأظنني لا أعمد عن الصواب إذا قلت إن علم التجويد يقوم على درس صوتي عام ودرس خاص لصوت النون والميم وتنوعاتها Allophones في السياقات الصوتية المختلفة ، ثم تفصيل لمقادير المد لأصوات العلة الطوال في سياقات مختلفة كذلك

ولقد دفعني إلى أن أتناول بالبحث موضوع النون بين علم التجويد وعلم التشكيل الصوتي Phonology ملاحظته في الأعرام الخمسة الأخيرة من اختلاف أداء قراء القرآن لهذا الصوت في بعض تشكيلاته ، وبصفة خاصة ما أسماه علماء التجويد بالقلب وبالإنحاء ، ثم مائته من خلال مناقشة بعض دارسي التجويد بمعانيه من أنهم يفهمون الإنحاء فهماً لفظياً يبعد به عن معناه العيني ، وما

عانيته من غموض تعريفه الاصطلاحي في الكتب المتوارثة من حيث المادة والعرض والصيغة ، بالإضافة إلى النقص البالغ في تناول هذا الموضوع ، وملاحظته من وجود اختلاف بين أداء القراء الحاليين وأداء القراء الكبار منذ خمس وعشرين سنة فما فوقها ؛ بل إن الاختلاف ملحوظ بين أداء القارئ الواحد في نحو تلك الفترة التي أشرت إليها وأدائه في الوقت الحالي ، وبين أدائه فيما يُعرف « بالترتيل » وأدائه فيما يُعرف « بالتجويد » فيما يخص ذلك الصوت اللغوي^(٦) .

الوصف الصوتي للنون :

حدد سيويه موضع نطق النون في حديثه عن مخارج الحروف قال : « ومن طرف اللسان بينه وبين ما توتئ الثنايا مُخرج النون »^(٧) . وذكر أهم خصائص النون في موضع آخر . قال : « ومنها - أي الحروف - حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت عُثَّة من الأنف ؛ فإِذَا تخرج من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يُعْرِ معه الصوت ، وهو النون ، وكذلك الميم »^(٨) وأشار في موضع آخر إلى وجود الفتنة مع النون والميم^(٩) .

ومجد مثل هذا لدى الرضوي ولكن بصورة أوضح ، قال : « والحق أن

(٦) يمكن ملاحظة ذلك بمقارنة تسجيلات القراء محمد رفعت - عبد العظيم باهر - عبد الفتاح الشعشاعي - منصور الشامي الدمهورى - محمد فريد استانبولى - علي حريم - عبد الرحمن الفروى - كامل يوسف النجدي ، وكل هؤلاء من كبار القراء المصريين وقد تولوا صد أعمام عديدة ، بتسجيلات بعض القراء الحاليين من مثل : أحمد حنيج - عبد العاطى ناصف الشحات محمد نور . ومقارنة التسجيلات التي ترفع يد مائل ظهور الصحف موشى ما بعد ظهوره لكل من : محمود خليل المصري ، ومحمد صادق الشاوي ومقارنة التسجيلات المخرّجة بالترتيل للقارئ محمود علي البنا .

(٧) سيويه ، الكتاب ١٠٥/٢ ط بولاق

(٨) السابق : ١٠٦/٢

(٩) السابق ١٠٥/٢

يقان : إن لتون مخرجين : أحدهما في الفم ، والآخر في الخيشوم ؛ إذ لا بُدَّ فيها من الغنة»^(١٠) .

هذا الوصف الذي قرره لغويو العربية القدامى تحده هو نفسه عند علماء التجويد ، فهم يحددون موضع نطق التون بأنه « طرف اللسان مع التصاقه بأصول الثنايا العليا»^(١١) ويضيفون إلى ذلك « صفة » راجعة إلى مخرج آخر للتون وتشاركها فيها الميم ، هذه الصفة هي « الغنة » ومخرجها الخيشوم ، وهي صفة لازمة للتون وللهمزة ، تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخففتين أو مدغمتين»^(١٢) .

ولا يعد هذا الوصف عما نجده في كتب الدرس الصوتي الحديث من وصف التون ؛ فالتون : صامت مجهور ثنوي أنفي Voiced alveolar nasal consonant^(١٣) وهذا يمثل الوصف العام لتون الرئيس .

تنوعات التون Allophones

أما وصف تنوعات صوت التون في السياقات المختلفة أي الصور التي يتشكل بها حين يجاور أصواتاً لغوية بأعيانها فإننا نجد شيئاً من ذلك لدى علماء اللغة العربية - وخصوصاً في كتب الصرف - إذ ترد إشارة إلى « الحروف التي هي فروع وأصلها من التسعة والعشرين حرفاً التي هي أصوات العربية ، وهذه الحروف الفروع كثيرة يؤخذ بها وتُشعَّشَن في قراءة القرآن والأشعار » ويُذكر من بينها « التون الخفية وهي التي تليها أصوات الفم»^(١٤) .

(١٠) الرضي : شرح الشافية تحقيق نور الحسن وزميله - التجارية ١٩٣٩ ج ٣/ص ٢٧٢ .

(١١) عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري : قواعد التجويد ص ٣٣ .

(١٢) ملاحى القلبي : النسخ المتكررة شرح المقدمة الجزرية ط الخليلي ١٩٤٨ ص ٤٤ .

(١٣) مالميرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين مكتبة الشب القاهرة ١٩٨٦ ص

١٢٣ ، د. أحمد محار مصر : دراسة الصوت اللغوي الطبعة الأولى ١٩٧٦ ص ٢٧٠ Daniel

Jones An outline of English Phonetics, Cambridge University Press. 1980, p.169.

(١٤) سيوه ١٠٤١/٢ ، الرضي شرح الشافية ٢٥٤/٣

وتزد إشارة أخرى إلى إبدال النون أو قلبها ميماً « والنيم تكون بدلاً من النون في غير وشاء إذ سُكِّبَتْ وبعدها باء »^(١٥).

وتذكر صورة ثالثة هي حجة الإدغام إذا تلاها صوت من الأصوات الأتية :
الراء ، واللام ، والواو ، والياء ويكون إدغام النون في هذه الأصوات بعثة أو بغير عثة^(١٦).

وتدغم في النيم بعد أن تقبب النون ميماً ، وتدغم النون مثلها ، ولا تفك الغنة حينئذ بالطبع . وإن وحدت بضع كلمات لم تُدغم فيها النون في الواو أو الياء أو الميم من أجل أمن اللبس كما في : صَيَّوَان ، بَيَّان ، رُئِمَاء^(١٧).

والصورة الرابعة في واقع الأمر تمثل الصورة الأساسية لقوانين النون « وتكون مع الممزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والحاء بينة ، موضعها من الفم »^(١٨).

هذه التووعات الأربعة Allophones التي يتحقق فيها صوت النون تبعاً للسياقات المختلفة التي يرد فيها تناولها علماء التجريد بالشرح واليسط ، وأفردوا لها في كتبهم باباً خاصاً هو أحكام النون الساكنة والتنوين ، ويوضح فيما كتبوا أنهم عالجوا المادة الصوتية المتحققة في الواقع العمل علاجاً لغوياً مماثلاً لما قدمه الفريسيون الأوائل ، وربما كان مرد هذا التماثل إلى أن المشهورين من القراء كانوا علماء بالعربية ، وأن اللغويين الأوائل كانوا على معرفة جيدة بالأداء القرآني ؛ فمن الفريق الأول : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي ، ومن الفريق الآخر : أبو الأسود الدؤلي ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح ابن جني .

لذلك وجدنا كتابات علماء التجريد تناولت تلك التفصيحات الأربعة التي تمثل تنوعات صوت النون بما يشبه شيئاً قوياً تناول كتب علماء العربية للقطايرة نفسها واستخدم فيها معظم المصطلحات التي وردت لدى علماء العربية :

(١٥) سبويه : ١٣١٤/٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ ، شرح اشعافية للرضي ٢١٥/٣ ، ٢١٦ .

(١٦) سبويه ٤١١/٢ .

(١٧) سبويه : ٤١٥/٢ ، بَيَّان ، صَيَّوَان ، من ١٥١ ، رُئِمَاء ، إلخ .

(١٨) سبويه : ٤١٥/٢ .

الإدغام ، والقلب ، والإخفاء . ولعل مصطلح الإظهار وحده من استعمال علماء التجويد خاصة ليحل محل مصطلح « الياء » لدى نجدته عند سيويه^(١٩) ، ولعله قد رُوِيَ فيه أن يكون مقابلاً للإخفاء .

النون الساكنة والتوين عند علماء التجويد

كتب التجويد - عل وجه الإجمال - لا تقدم تعريفاً واضحاً لكل مصطلح من المصطلحات الأربعة المذكورة آنفاً: الإظهار - الإدغام - القلب - الإخفاء ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المؤلفين قد اعتمدوا على أن قراء كتبهم يتركون المقصود بتلك المصطلحات الفنية بصورة ما .

١ - الإظهار :

الإظهار عند علماء التجويد : « إخراج الحرف من مخرجه بغير عُنَّة (٢) ، أى النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها وبحرف الإظهار من مخرجه (٣) مع الفصل بينهما وإيضاح كل منهما مع الاحتراس من العُنَّة في النون (٤) »^(٢٠) . فتجب العُنَّة في هذا التعريف أمر مستغرب ، ولكن يمكن تفسيره بأن المقصود بالعُنَّة التي يُحترس منها هنا إنما هو إطالة زمن الرنين الأنفي المصاحب لنطق النون^(٢١) .

وقد اخترت هذا التعريف من بين تعريفات كتب التجويد لما فيه من زيادة وتفصيل بالنص على « النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها (= طرف اللسان مع أصول الشايبا العليا) وبحرف الإظهار (= الصوت التالى للنون وهو من أصوات الحلق الستة) مع الفصل بينهما » (وهذا هو الجديد في تعريف الإظهار لدى كتب التجويد) .

(١٩) سيويه : ٤١٥/٢ .

(٢٠) عبد العزيز عبد الفتاح القارى . قواعد التجويد ص ٦٠ .

(٢١) د. إبراهيم أنيس : الأصوات النغمية مكتبة الأنجلو ط ١٩٨٧ ص ٧٣ .

٢ - الإدغام :

والإدغام عندهم هو « إدخال حرف الأول في حرف ثاني حيث يصير حرفاً واحداً مشدداً »^(٢٢) . أو هو « نطق بالحرفين كأنك واحد مشدداً »^(٢٣) .
 والتعريفان في رأيي يقتصران على اللفظة ؛ فالإدغام ليس إدخال صوت في صوت ، وليس نطق صوتين ، وإنما هو إطالة الزمن الذي يستغرقه نطق صوت بعينه مصحوباً بالفتحة أو غير مصحوب بها وهو في معظم الأحوال الصوت التالي للنون فهو الراء أو اللام بغير الفتحة ، والواو أو الياء مع الفتحة ، ثم هو الميم ولانفارتها الفتحة طبعاً ، أما نطق نونين متواليين فهو كذلك امتداد زمني أو مضاعفة ، وهذا الأخير يمكن أن أخصه بالتضعيف Geminatio دون الإدغام Incorporation ، إذ الإدغام في رأيي يتميز أن موضع النطق فيه إنما هو موضع نطق الصوت التالي للنون ، والتضعيف إنما هو نطق النون من موضعه في زمن أطول^(٢٤) ، ويندرج هذا تحت ماسماه علماء التجويد إدغام المتبائلين^(٢٥) .

وقد ميز علماء التجويد صورتين من الإدغام :

أ - إدغام كامل بغير فتحة ؛ وهذا يتحقق إذا ولّى النون صوت الراء أو صوت اللام ، وهذا يعني نطق كل صوت منهما من موضعه في زمن أطول من زمن نطقه في غير حالة الإدغام ، دون أن يصحب نطقه زين أنفي ، أي أن سقف الحنك اللين يكون مرتفعاً فلا يمر الهواء داخل تجويف الأنف = الخيشوم .

ب - إدغام ناقص أي مصحوب بفتحة ، وهذا يتحقق إذا تلا النون صوت الواو أو الياء (في غير الكلمات المستثناة) ، وفي هذه الحالة ينطق الواو أو الياء وقد انخفض سقف الحنك اللين بحيث يسمح بمرور جانب من تيار

(٢٢) عبد العزيز الفارسي : قواعد التجويد ص ٦١ .

(٢٣) د. حل محمد توفيق نحاس : الوجوه في أحكام بلاغة كتاب العربية مكتبة الآداب ص ١٢ .

(٢٤) د. إبراهيم أنيس : الأصوات الشعرية ص ٦٢ .

(٢٥) عبد العزيز الفارسي : قواعد التجويد ص ٦٢ .

الهواء في تجويف الأنف فيسمع الرنين الأنفي مصاحباً لصدور صوت الواو أو الياء^(٢٦) . وقد عبر د. إبراهيم أنيس عن ذلك بأن الصوت الصادر حينئذ هو « باء أنفية ، أو واو أنفية »^(٢٧) ، ورمز لها د. محمود السمران بهذين الرمزين $\bar{w} \bar{y}$.^(٢٨)

وأدرج علماء التجويد تحت الإدغام الناقص حالة ورود صوت الميم تالياً لصوت النون ، ولا بد من إيضاح حدوث أمرين :
الأول : هو عدم نطق صوت النون من موضعه المعتاد .
الثاني : هو عمل الشفتين المتوط بهما صوت الميم ، بأن يحدث إغلاق تام للشفتين مع هبوط سقف الحنك اللين ومرور تيار الهواء في تجويف الأنف ، وهنا يكون صوت الميم ، ويُلاحظ مع هذا إطالة زمن النطق .
فكأن الأمر تَضَمُّنٌ قلباً للنون إلى ميم أو بدلاً ، ثم تضعيفاً للميم .
ولا ينفك الرنين الصادر من التجويف الأنفي من هذا الصوت .

والملاحظ أنه لم يرد في العربية في كلمة واحدة نون ساكنة بعدها لام أو راء . وأنه إذا ورد في كلمة واحدة نون ساكنة بعدها واو أو ياء لم تطبق قاعدة الإدغام . وفي بعض الكلمات التي التقى فيها نون ساكنة بعدها ميم طبقت قاعدة الإدغام كما في صيغة « انفعل » من م ح و ، ومن م ي ر ، وأظهرت النون فيما سواها ، كإني : عنوان ، ألوال ، ألوار ، ألور ، يتوال ، صنوان ، قنوان ، دُنيا ، بُيان ، أمار ، أماط ، زُئماء ، زُئم .

٣ - القلب

القلب عند علماء التجويد مصطلح خاص بحالة واحدة ، ويطلقون عليه في بعض الأحيان الإقلاب . ويتأوله علماء الصرف ضمن الإبدال . وهذه الحالة

(٢٦) ابن القاصح شرح القاري فندى ط مصطفى نهى ١٣٢١ هـ القاهرة ص ٩٨

(٢٧) د. إبراهيم أنيس الأصوات للعبود ص ٧٢

(٢٨) د. محمود السمران رسالة دكتوراه بالألة الكتابة ص ٨٢ Critical Study فتمت لل معهد

الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بونبة ١٩٥١

تمثل في أن على النون باء ، فقلب النون حيث « ميم » خالصة من غير إدغام ، ولا بد من إظهار العُنة مع ذلك ، فيصير في الحقيقة إخفاء للميم المقلوبة «^(٢٩)» . وهذا يتضمن عدة خطوات :

الأولى : عدم نطق النون من موضعها .

الثانية : إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً مع هبوط سقف الحنك اللين ، ومرور نيل الهواء من تحريف الأنف ، وهذا يتبع الميم بما يميزها من عُنة .

الثالثة : استمرار إغلاق الشفتين مع ارتفاع سقف الحنك اللين ، وهذا استعداد لإنتاج صوت الباء فور إزالة إغلاق الشفتين واندفاع تيار الهواء من تحريف القم إلى الخارج .

والخطوتان الثانية والثالثة تمثلان اتصالاً مستمراً لإنتاج صوتي الميم والباء وهذا يشمل القلب والإخفاء ، والمقصود بالإخفاء عدم الفصل بين مرحلتين إنتاج الميم والباء بإغلاق الشفتين ، فهاتان المرحلتان يتصل فيهما إغلاق الشفتين تماماً ، وهذا ما لوجه به والد ابن الباذش فهم الإخفاء فهو يراه « انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً »^(٣٠) بل لقد سمى بعض القراء هذا الأداء إظهاراً^(٣١) وهو اختلاف في العبارة ليس غير . قال ابن الباذش : « وقال لي أبو الحسن ابن شَرِيح فيه بالأظهار ولفظ لي به فأطبق شفته على الحرفين إطباقاً واحداً »^(٣٢) . وأشار إلى إجماع القراء على « إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء ... قلباً صحيحاً »^(٣٣) ولكننا نجد من يخلو من إطباق الشفتين عند النطق بالميم حال إخفائها^(٣٤) .

(٢٩) السقائى : بحث النفع بهامش : ابن القاسم : سراج القارى من ٢٩ .

(٣٠) ابن الباذش : الإقاع في القراءات السبع تحقيق عبد العهد لطاشر ط جامعة أم القرى مكة ١٤٠٣ هـ - ١ ص ١٨١ .

(٣١) ملا على القارى : المنح الفكرية ص ٤٤ .

(٣٢) ابن الباذش : الإقاع ج ١ ص ١٨٠ .

(٣٣) ابن الباذش : الإقاع ج ١ ص ٢٥٦ .

(٣٤) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف نزل القرآن - دار ابن زيدون بيروت - ١٩٨٦ م ص ٦٣ - ٦٤ .

هذا هو المصطلح الذي عجزت عبارات علماء التجويد عجزاً تاماً عن إيضاح المقصود منه ، تعريفه الذي يتردد في معظم كتبهم أنه : « حال بين الإظهار والإدغام »^(٣٦) ، أو هو « النطق بالنون والتنوين بصفة بين الإظهار والإدغام ، بلا تشديد ، مع بقاء الغنة »^(٣٧) ، أو هو « إخفاء الحرف الأول في الحرف الثاني مع بقاء صفة الغنة »^(٣٨) .

وقالوا إن الإخفاء إنما يقع للنون والتنوين قبل حمسة عشر حرفاً (= صوتاً) هي أصوات الفم واللسان^(٣٨) : ت ، ث ، ج ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ي ، ك ، ثم صوت تشترك فيه الشفة السفلى مع الشاها العليا وهو الفاء .

وقد حاول مؤلف معاصر إيضاح أداء الإخفاء بقوله : « خلطنا بعض النون (٢) في الحرف الذي بعدها ، وأبقينا بعضها ظاهراً في النطق (٢) وحرصنا على إظهار صفتها التي هي الغنة ، ولذلك فإنك إذا نطقت بالنون الخفأة فإنك تنطق بها من الخيشوم ، فلا يرتفع اللسان بمخرجها ، ولا يلتصق بأصول الشاها »^(٣٩) .

وكل هذه التعريفات في واقع الأمر لا تجدي في تحديد معنى الإخفاء تحديداً علمياً ، فالصفة أو الحال التي بين الإظهار والإدغام ، وخلط بعض النون بما بعدها ونطق بعضها الآخر ، هذه البعضية وتلك اليينية مما يوصف بأنه غير دقيق ، وليس له معيار ولا ضابط .

بل إن الإخفاء الذي يشيرون إليه فيما يخص النون والتنوين في هذه الحالة

(٣٥) ابن الجوزي : النشر ٢٧:٢ تجويد - القاهرة - السقايش : حيث نفع بهمش سراج القاري

ص ٢٢ ، ابن قاصح - سراج القاري ص ٩٩ .

(٣٦) د. حل محمد توفيق نحاس - الوعر ص ١٤ .

(٣٧) الصبيح عبد العزيز القادي - قواعد التجويد ص ٦٤ .

(٣٨) سبويه ١:٤١/١ ، ١:٣٠ ، ١:٣٠ - نوح الشافعي ٢٥٩/٣

(٣٩) عبد العزيز القادي - قواعد التجويد ص ٦٥ .

الرابعة يبدو وكأنه إخفاء غير اندي يتحدثون عنه حين يذكرون إخفاء الميم المتقلبة عنهما في الحالة الثالثة (انقلب) وإخفاء الميم غير المتقلبة عنهما قبل الياء .

خلاصة ما عرضته هنا أن تعريفات تلك الأحوال عند علماء التجويد - وكذلك عند علماء الصرف - تعريفات غامضة . وأرى أن فهم مقصودهم إنما يكون بالتمام فيما يقدمه علم التشكيل الصوتي Phonology من وصف الصور المتوعة التي تكون عليها الأصوات اللغوية .

النون في علم التشكيل الصوتي Phonology

يتناول علم التشكيل الصوتي وصف النظام الذي تتحقق عليه أشكال الأصوات اللغوية عندما تتجمع في صورة مجموعة كلامية ، وهذا النظام يمثل ارتباطات من نوع معين بين الأصوات Allophones المتخارجة في الوجود في الموقع الواحد إذا كانت تنتمي إلى صوت واحد Phoneme ، وغير المتخارجة إذا كانت تنتمي إلى صوتين أو أصوات مختلفة^(١٠) .

والمقصود بالأصوات المتخارجة أنه إذا وجد في لغة واحدة صوتان متقاربان فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية ولا يتحققان مطلقاً في إطار صوت واحد فإنهما يُعدَّان تنوعين تركيبين لوحدة أصواتية واحدة^(١١) . وهذا ما يُعبَّر عنه بمصطلح Allophone ، وهذا ما يهيم في هذا البحث ، ففي العربية « نونات » تتحقق بأشكال متقاربة ولكنها مختلفة، ولا يَجَلُّ شكل منها محل شكل آخر في إطار صوتي واحد ، ولو حدث هذا لفسراً - كأن تُنطق النون الساكنة قبل الياء مظهرة ولا تُقلب ميماً - لم يتغير المعنى وإن حُكِم على هذا الأداء بأنه مجازب للصواب ، وكل هذه النونات ما هي إلا تنوعات أو أعضاء في عائلة صوت النون^(١٢) .

(١٠) د. حلم حسان : مناهج البحث في اللغة بشرة دار الثقافة - القاهرة - ١٩٧٩ ، ص ٦٥ .

(١١) برنيل مليرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين ص ٢٢٩ - ٢٤٠ .

بهذا التصور يمكن فهم اخالات الأربع من رصدها علماء العربية بعامة وعلماء الصرف بخاصة وسجلها علماء التجويد وأطلقوا عليها اسم أحكام النون الساكنة والتنوين ويمكن أن تنضم إليها حائنة من حالات الهم الساكنة .

والفكرة الأساسية التي يمكن في ضوءها فهم الأحكام السابقة هي ما يسمى ظاهرة المماثلة Assimilation ، وقد عرّفها بعض علماء اللغة من الأوربيين المحدثين بأنها « التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى »^(٢٢) ، وعرّفها آخرون بأنها « تحول القنيمات المتخالفة الى مماثلة ؛ إما تماثلاً جزئياً ، وإما تماثلاً كلياً »^(٢٣) .

وهذه الظاهرة تفسر ثلاث حالات هي : الإدغام - والإخفاء - والقلب أما الإظهار فلا يحتاج في تفسيره إلى هذه الظاهرة ؛ فإن اجتماع النون الساكنة أو التنوين وأصوات الحلق لا يؤدي بالضرورة إلى حدوث ظاهرة المماثلة .

وظاهرة المماثلة أحكام عامة يمكن أن تنطبق على أية لغة على وجه الأرض^(٢٤) ، والذي يهم من هذه الأحكام أن المماثلة قد تكون من حيث موضع النطق ، وقد تكون من حيث طريقة النطق^(٢٥) ، وقد تكون من الجهتين معاً :

فالإدغام التام مع صوتي الراء واللام مماثلة من الجهتين ؛ ففيه يحدث تغير في موضع النطق بأن ينتقل موضع النطق للصوت المضاعف إلى موضع نطق الراء أو اللام ، فهذه مماثلة من حيث موضع النطق ، وفيه تحتفى الصفة المميزة لصوت النون وهي الغنة ، فهذه مماثلة من حيث طريقة النطق .

والإدغام الناقص مع صوتي الواو والياء هو مماثلة من حيث موضع النطق ، ففيه تبقى الغنة وينتقل موضع نطق النون الى موضع نطق كل من هذين الصوتين .

(٢٢) Brosnahan, L.F. & Malmberg, B.: Introduction to Phonetics, Cambridge, 1970 p.132

قلاي : د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت النحوي ص ٢٢٤ .

(٢٣) قلاي : د. أحمد مختار عمر : السابق ص ٢٢٤ Nida, E.A.: Morphology, p. 23

(٢٤) د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت النحوي ٢٢٥ الحاشية ١ .

(٢٥) السابق ٢٢٥ .

وإدغام مع الميم مماثلة من حيث موضع النطق ، ومثله القلب قبل الباء ؛
 ففيهما ينتقل موضع نطق النون إلى الشفتين بإغلاهما مع بقاء الغنة ؛ فتصير
 النون مماثلة للميم ويمتد زمن النطق بالميم فيصير ذلك إدغاماً ، أو تحضى الغنة بعد
 نطق الميم ليبدأ نطق الباء فيصير ذلك قلباً . وقد أطلق على تواصل عمده نطق
 الميم ثم الباء دون إزالة إغلاق الشفتين بين الصوتين اسم « الإخفاء الشفوي
 للميم » قبل الباء ؛ وهذه التسمية ههنا في واقع الأمر نحصيل حاصل أو هي
 زيادة في الحرص على دقة الوصف .

أما الإخفاء الذي يُطلق عليه اسم « الإخفاء الحقيقي » فهو مماثلة من حيث
 موضع النطق ؛ فإن الغنة باقية ، ولكن ينتقل موضع نطق النون إلى موضع
 نطق الصوت التالي لها .

وقد أشار علماء التجويد إلى أن للإخفاء مراتب ، وأن إخفاء النون الساكنة
 والتوهم على قدر قرب مخرجهما من مخرج الصوت التالي لهما^(١٦) .

فأبعد مراتب الإخفاء مع القاف والكاف ، وأقربها مع الطاء والذال والراء ،
 وماعدا ذلك ففي مرتبة متوسطة مع ملاحظة أن الإخفاء مع بعض أصوات
 تلك المرتبة يكون أقرب منه مع غيرها^(١٧) .

وواضح من الإشارتين الأخيرتين أن موضع نطق النون المخففة ينتقل إلى
 موضع نطق الصوت الذي يليها ، بل إن الأمر يتجاوز الانتقال في موضع النطق
 إلى أن يصلر صوت النون المخففة وقد اكتسب صفات الصوت التالي
 وخصائصه ؛ فإذا تلاه صوت من الأصوات المفخمة صار صوت النون المخففة
 مفخماً ، وهذه الأصوات هي : ص - ض - ط - ظ - ق^(١٨) ، ولا يدخل
 الخاء والغين لأن النون معهما حكمه الإظهار .

وهذا الذي أذهب إليه إنما هو مثال لتحقيق إحدى قواعد علم الفونولوجيا ،
 وهي التي تتضمن أن السواكن الغناء تتخذ موضع النطق الخاص بالسواكن

(١٦) السقاوي : غيث النعم جاش : مراج القارى المندى لأبي الفاضل من ٢٣

(١٧) الشيخ جبر سلومة : رسالة سعد وسعد في أحكام التجويد من ١٥ - الإسكندرية دون تاريخ

(١٨) د. علي محمد توفيق المحاسن الوهم من ١٥

تتى نليها ، وهذا نوع من المعاملة ، وقد سميت هذه القاعدة « قاعدة نطق الساكن الأخر من موضع نطق الساكن التالي »^(٥٠) وهى فى العربية تطبق على نطق النون الساكنة وحدها ، مع استثناء الحلات لطفى يكون فيها الصوت التالى للنون صوتاً حلقياً^(٥١) . ومع تطبيق القاعدة على معظم مواقع النون سواء أكانت فى داخل الكلمة أم فى نهايتها أم فى صورة نون ، وإخراج الألفاظ المذكورة آنفاً من مثل : الدنيا - البنيان - الأنوار - الصوان .

ول الحق أن علماء العربية القدماء وعلماء التجويد كانوا يصلحون عن رعى وإدراك لصورة من فهم هذه القاعدة فى تلويهم لأحكام النون الساكنة والتونين ، ولكن جاءت تعريفاتهم اللفظية قاصرة عن أن تفى بإيضاح ملوقر فى معرفتهم وطبقوه أداء وتلقياً وتدريباً لتلامذتهم .

ونج من قصور التعريف اللفظى أن فهم بعض المتأخرين وبعض المعاصرين الإخفاء فهماً مخالفاً لما يعنيه المصطلح ، وقد اتضح هذا فى موقنين :
الأول : مانه اليه الشيخ البنا الديقاطى صاحب كتاب « إتخاف فضلاء الشر فى قراءات الأربعة عشر » وهو من علماء القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة (توفى عام ١١١٧ هـ) من وجوب احتراز القلوبى « من إصاق اللسان فوق الثنايا عند إخفاء النون ؛ فهو خطأ ، وطريق الخلاص منه نجان اللسان قليلاً عند ذلك »^(٥٢) دون تعيين الأصوات التى يلزم معها هذا .

الثانى : ماذهب اليه بعض مدرسى التجويد المعاصرين من التحدير من إغلاق الشفتين عند النطق بالميم قبل الباء سواء أكانت الميم مفتحة عن النون أم لم تكن كذلك^(٥٣) .

(٥٠) "Within a word, a nasal consonant assumes the same place of articulation as a following consonant."

Fromkin, V.&Rodman, R. An Introduction to Louguage, 2nd.ed Holt, Rinehart,&Winston, 1978, p.119.

(٥١) الديقاطى : إلتخاف ص ٢٠ .

(٥٢) السابق ص ٢١ .

(٥٣) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف نزل القرآن ص ٦٣ - ٦٤ ، حشى شيخ عثمان : من التلاوة ص ١٠٥ ، الدكتور هل محمد توفيق السحاس : الوجوه ص ٣٠ .

وقد جاء هذا فيما أرى - من فهم لفظي للإخفاء وتعريفه ، فقد ضلَّ هؤلاء جميعاً أن الإخفاء يعنى إبطال عمل أعضاء الصوت التي تشارك في إصدار صوت النون أو الميم أعنى اللسان والشفهتين .

وأرى أن ما ينتج بهذه الصورة يكون أقرب إلى أصوات العلة الغنَّاء nasalized vowels منه إلى الساكن الأخرى nasal consonant إذ إن تمرُّى الهواء من الأنف والقم يكونان بغير عائق أو تضيق في موقع معين في نحويف القم أو الشفتين ، وهذا هو عين ما حوَّله منه الشيخ البنا اللمياطى نفسه حيث قال : « يجب على القارى أن يحرز من المدِّ عند إخفاء النون في نحو : كنتم ... وكثيراً ما يتساهل في ذلك من يبالغ في الغنة فيتولد منها واو وياء فيصير اللفظ كونتم ... وهو خطأ قبيح ونحريف » (٥٣) .

والذى يصحح فهمهم ذلك ويرد التحديرين المذكورين قبل إلى الصواب هو فهم ظاهرة المماثلة التي تتحقق عند نطق أصوات الغنة غير المتلوة بحركة (أى : الساكنة) فقاعدة المماثلة - كما قدمت - تقوم على أن موضع نطق الصوت الأخرى ينتقل إلى موضع الصوت الساكن التالى له . وتشمل هذه المماثلة ماسمَّاه علماء التجويد إخفاءً وإدغاماً وقلباً .

وعلى هذا أرى أن يُقيد الاحتراز الذى نه عليه الشيخ اللمياطى بأن الحالات التي يتجاف فيها طرف اللسان عن أن يتصل بموضع نطق النون من اللثة وائتابها العليا لا تشمل الحالات التي يكون فيها الصوت التالى للنون أحد أربعة أصوات : التاء والذال ، ونظيريهما المطبقين الطاء والضاد (في صورتها المعاصرة) إذ لا يحد عن اتصال طرف اللسان بموضع نطق كل واحد من هذه الأصوات الأربعة حال إخفاء النون . وقد سبقت الإشارة إلى أن النون الخففة تكتسب الإطباق بتأثير الأصوات المطبقة التالية ، وبدون اتصال طرف اللسان بموضع نطق الطاء أو الضاد يتعسر - بل يتعذر - إنتاج صوت النون الخففة متلوة على الفور بأحدهما ، إلا إذا تكلف القارى وأجهد عضلات الفك السفلى

(٥٣) البنا اللمياطى : الإخفاء ص ٢١

واللسان أيهما إجهاد ، وليس كذلك الهدف فتوحى من مماثلة ، ولا من علم التجويد نفسه . وأزعم أن ما يسمع من الغراء المحلّية ليس هو الإخفاء المقصود .

وأرى كذلك أن ما ذهب إليه الشيخ عامر عثمان والدكتور محمد علي توفيق النحاس وغيرهما من عدم إغلاق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء لا يتبع عنه قلب النون ميماً ، ولا تحقق الميم ، ولا كونها مخفاة ، أى أن إبقاء الشفتين متباعدتين بغوت كل ذلك فلا يكون ما نصّ عليه علماء العربية وعلماء التجويد مما عُرف باسم القلب أو الإبدال .

بقي أن أعرض لجهود من أمكنى الاطلاع على أعمالهم من الأساتذة المعاصرين الذين درسوا وتحصصوا في جوانب من علم اللغة وأفادوا من المعطيات الحديثة لفروع علم اللغة الحديث ، وبخاصة علم الأصوات اللغوية ، فقدموا شيئاً من ملاحظاتهم تتعلق بالظاهرة التي تناولتها هنا .

١ - منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « الأصوات اللغوية »^(٥١) ، وأرى أنه قد فصل القول في هذا الموضوع وكاد ينص على أن الإخفاء والقلب يمثلان صورتين من صور المماثلة ، فقد أشار إلى أن الإخفاء هو إطالة غنة النون مع « ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها »^(٥٢) ، وإلى أن القلب هو « انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء » ، « فاستبدل بالنون صوت نظير لها في المخرج الجديد ... هو الميم »^(٥٣) . وأما حديثه عن الإدغام فإنه لا يتضح منه أنه يراه مماثلة ، ولقد كان تفسيره له حرياً بأن يؤدي إلى تلك النتيجة ، لكنه لم يفعل^(٥٤) .

٢ - والدراسة التالية لملاحظات الدكتور إبراهيم أنيس هي الدراسة القيمة التي كتبها الدكتور محمود السمران في بحثه الذي نال به درجة الدكتوراه من

(٥١) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط ٢ ، مطبعة جامعة مصر ، ١٩٥٠ .

(٥٢) السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥٣) السابق ، ص ١٢١ .

(٥٤) السابق ، ص ٦٨ .

جامعة لندن عام ١٩٥١ وفيها بصرح أن الإخفاء إنما هو انتقال موضع نطق النون إلى موضع نطق انفوس التالي ، واستعمل لهذه الظاهرة كلمة "homorganic" ، وقدم اثني عشر رمزاً كتابياً لتمثيل فونيمات النون المخففة بحسب موقعيتها^(٥٨) ، وانتهى كذلك إلى أن القلب يمكن أن يدخل تحت الإخفاء لصور النون في صورة الميم عندما تليها ثباء ، وأشار إلى أن بعض علماء التجويد قد استعملوا كلمة « الإخفاء » للتعبير عن « القلب أيضاً »^(٥٩) لكنه لم يشر إلى أن ذلك كله صور من الممانعة ، بل إنه في تناوله لإدغام النون استخدم كلمة "incorporation" وكلمة "doubling"^(٦٠) .

٣ - وتناول الأستاذ الدكتور تمام حسان تنوعات نطق صوت النون تناولاً متفرقاً في كتابه « مناهج البحث في اللغة » (طبعته الأولى في عام ١٩٥٥) ، دون أن يربط بتفصيل وإيضاح بين التناول الصوقي الحديث وماقدمه علماء اللغة وعلماء التجويد في التراث العربي ، بل لقد كان في تقسيمه لمواقع النون بعض خلاف لما في كتبهم ؛ فقد قدم الوصف الأصواتي (الفونولوجي) لسبعة من تنوعات النون Allophones تتوزعها ظاهرة الإخفاء ، ووقع في تناوله للظاهرة بعض خلط بين الإخفاء والإدغام بغنة ، وفي التمثيل لذلك ، وفي ضم بعض الأصوات إلى بعض حيث كان الأفضل تناول كل طائفة على حدة ؛ إذ إنه ضم الياء إلى الشين والجيم^(٦١) ، في حين أن للنون قبل الياء تشكلاً صوتياً غير ماها مع الشين والجيم . وسوى بين صورتي النون والميم إذا تلتها الفاء وقال إن الصوت الناتج في الحائتين « يسميه القراء إدغاماً

(٥٨) Mahanoud El-Sazran: A Critical Study of the Phonetic Observations of the Arab Grammarians. p67,84.

رسالة دكتوراه غير منشورة - قدمت إلى معهد الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٥١ . وهي مطبوعة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية برقم ٧٩س .

(٥٩) السابق ص ٦٧ .

(٦٠) السابق ص ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ .

(٦١) د. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة : ط ٢ دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٩ ص

بغية»^(٦٢)، والأمر ليس كذلك، فهي بوجوه يظهر فيها قبل الفاء،
وحدروا من إخفائها، ويسمونها مصق لتون قبل الفاء إخفاءً.

٤ وتناول هذه الظاهرة كذلك الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر بإنجاز
شديد وفي عجلة أفقدت مداوله شيئاً من الدقة؛ فقد تناول أحكام المون
الساکنة تحت عنوان «المسألة الكاملة (الإدغام)» : «Complete
Assimilation»^(٦٣) وحدد التون بكونها متطرفة (ومثلها التوين)^(٦٤).
ولاشك في أنه على صواب حين جعل العنوان يتضمن كلمة «المائلة» ،
ولكن تقيدها «بالكاملة» وتفسيرها «بالإدغام» لا ينطبق إلا على بعض
أحكامها، وكذلك تقيده التون الساکنة بكونها «متطرفة» في غير ضرورة
فإن الأحكام أو الدراسة تتناول التون الساکنة متطرفة وغير متطرفة. وفي
عرضه لظاهرة الإخفاء (وهو في سطرين) عبّر عن ذلك بأن التون «تطول»
وتميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها»^(٦٥) وهذه عبارة الدكتور ابراهيم أنيس
مع فارق الزمن وهو قريب من ٢٨ عاماً، وماتزال في حاجة إلى تدقيق.

أما الوصف الذي قدمه الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين للأصوات
العربية فهو عرض موفق جمع فيه بين الوصف الفونولوجي الحديث والتفصيل
الذي قدمه علماء التجويد، وخاصة في تعريف الإخفاء وتفسيره، ففيه
وضوح علمي وتحديد وبيان لكيفية أداء التون الخفية، فالإخفاء هو نطق التون
«أنفية مع وضع اللسان موضع الحرف التالي لها بشكل مترامن»^(٦٦)، ولولا
أنه خصص «اللسان» لكان التعريف تام الدقة والكمال؛ وقد كان يحسن أن
يقول: «مع اتخاذ أعضاء النطق الوضع الملائم لإصدار الصوت التالي» ، فإن
الفاء وحدها من بين الأصوات التي تُخفي قبلها التون لا يشترك اللسان في

(٦٢) السابق : ص ١٣٣ .

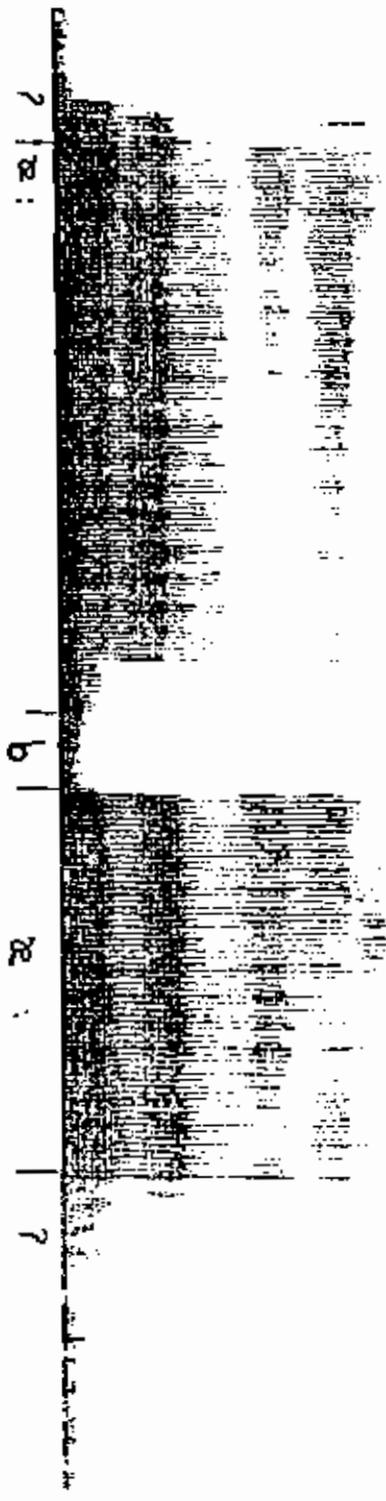
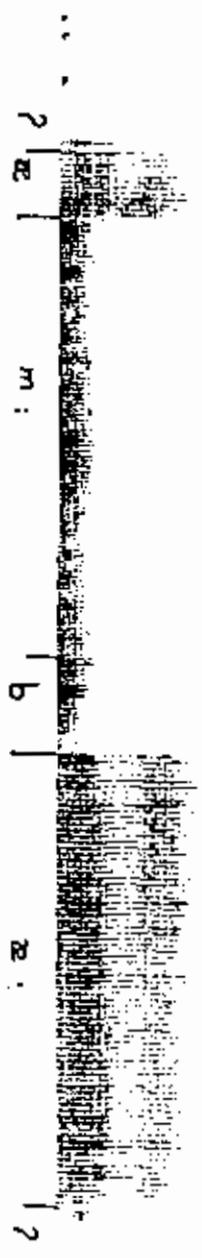
(٦٣) د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي للغة الأولى نوريح عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٦
ص ٣٣٢ .

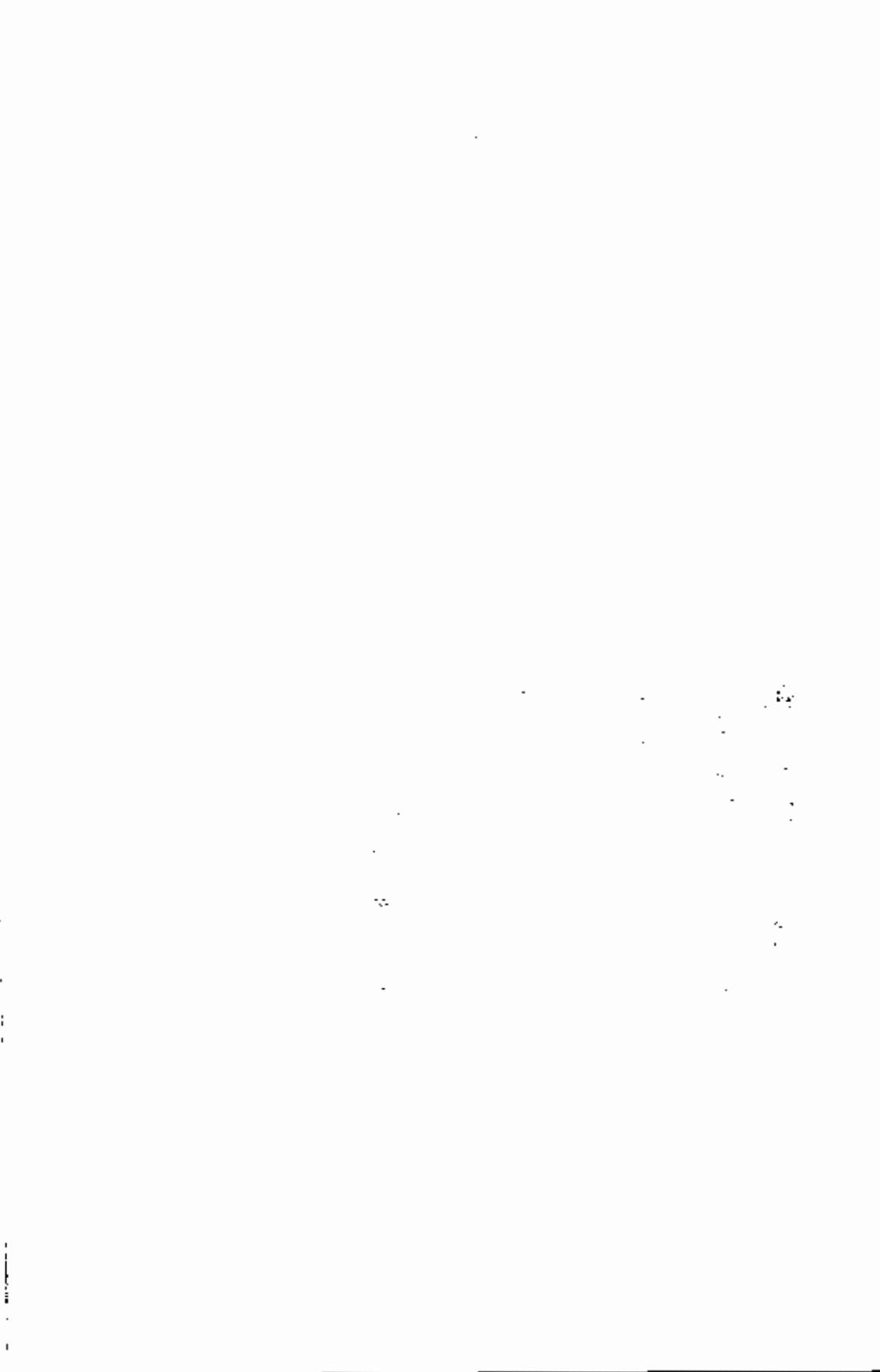
(٦٤) السابق : ص ٢٣٤ .

إصدارها . أما ما شرح به كيف يكون الإقلاب ففي جانب منه توقّف ، فإنه قال : « تحفى النون مع الشق بما يقرب الميم . (!) أو مع الشق بها ميماً ، ومع غة مصاحبة »^(٦٥) . والتعبير « بما يقرب الميم » - على عمده وضوحه - متأثر بتحديد بعض معلمى التجويد من أن يطلق القارئ شفويه عند القلب^(٦٦) ، وصوت الميم لا ينتج بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً محكماً .

(٦٥) د. عبد الصبور شامون (مترجم) : علم الأصوات تأليف : برتل مالبرج الفصل الخامس بوصف الأصوات العربية ص ١٢٤ - نشر مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٦ .

(٦٦) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف ينطق القرآن ، ص ٦٣ - ٦٤ .
والدكتور علي محمد نوفل النحاس : أوجز ص ١٣ ،
وحسنى شيخ عثمان : حل التلاوة ص ١٠٥ .





كان ما انتهت إليه فيما سبق نتيجة لبحث النظرى فى عنق التجويد والتشكيل الصوتى ، على أن معطيات كلا العنمين فى صورتها النظرية مستمدة من الملاحظات الغالبة على الأداء العملى . وقد أضفت إلى ذلك تجربة عملية استخدمت فيها جهاز السونوغراف Sonograph سعياً إلى الكشف عن الصورة المشاهدة الناتجة من أداء النون الساكنة المنقوذة بالياء (ظاهرة القلب) بشكلين مختلفين ، أحدهما : تُغلق فيه الشفتان إغلاقاً تاماً لظن الميم وتظلان كذلك إلى أن يتم نطق الباء بانفراجهما دفعة ، والآخر : لا تُغلق فيه الشفتان فى أوّل الأمر ؛ بل تصدر الغنة من خلال التجويف الأنفى والشفتان غير مغلفتين ، ولكلّهما تُغلقان لانتاج الباء ثم تنفجان .

وقد كانت الصورتان مختلفتين للكلمة واحدة هي « آباء » ؛ إذ أظهرت صورة الأداء الأول تمثيلاً لصوت صامت Consonant (وهو هنا الميم) يسبقه مايمثل فتحة الهزة ، ويلوه انقطاع يمثل وقفة الصوت الصامت الاحتباسى Stop (وهو هنا الباء) فى حين أظهرت صورة الأداء الآخر تمثيلاً بطابق ماينتج من أداء صوت صامت vowel (وهو هنا يمثل أداء الغنة والشفتان غير مغلفتين) لى اتصال بغير تميّز بما يمثل فتحة الهزة ثم يلوه الانقطاع الذى يمثل وقفة الباء كما فى صورة الأداء الأول .

وبذلك صارت الغنة بمثابة لحرف المدّ (الألف) . والصورتان فى نهاية البحث .

وإذ أثبتت التجربة العملية وجود خلاف فى غطى الأداء لظاهرة القلب ؛ أذهب إلى أن الأداء الأول - بإغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً فى أثناء نطق الغنة ثم الباء - هو الأداء الصحيح ؛ فذلك ما انتهت إليه آنفاً ، وأن الأداء الآخر خطأ وأنه هو الذى عناه المدققون من علماء التجويد حين حدّروا من

«المالعة في إخفاء الحروف بحيث يشبه نداء»^{٦٧} ، وعُدوا ذلك من «ابتداء القراء» .

ومن التهجتي النظرية والعملية أطمئن إلى الحكم بأن الأداء الذي شاع في خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ينطق الميم الساكنة قبل الباء بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً يجب أن يتحلى عنه القراء ، وأن يلتزموا بالأداء الأقدم بناءً على ماقدمت من أسباب .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٦٧) الشيخ علي محمد الصباح : مندعات القراء في قراءة القرآن الكريم ، منه «كثير تفاوت» عدد ربيع الأول ١٣٦٨ هـ .

(٦٨) نقله عن د. لييب السعيد : المجمع الصوتي لقرآن ط ٩ ، دار المعارف ١٩٧٨ ، ص ٢٧٤) ومن قبل حُسْر الباء الدسماطي من المالعة في اللغة حتى يتوكد منها عدم إزهاه ، وعنده حصاً والمهرباً ، الإنجاز : ص ٢١ .

والقلب يتم معه إخفاء أي : العصال ينطق بصوت آخر حصل منه ك المقام ، فإن الصوت الخلفي تتخذ منه أعضاء النطق الوضع الذي ينتج الصوت التالي .

الفكر الصوتي عند الفارابي (ت ٣٣٩ هـ)

دكتور / محمود فراج عبد الحافظ
ماجستير وكتوراه في العلوم اللغوية
وشهادات إجازة التجويد وعالية القراءات وتخصص القراءات
مدرس العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية.

مدخل البحث

الصوت قضية من القضايا التي شغلت طوائف عدة من الدارسين ، فرسه الفيزيائيون واللغويون والأدباء وأهل الألحان ، وكان لكل فريق غايته ، ولكل طائفة منهجها الذي يحقق لها ما ترجوه ، وما تأمل من نتائج .

ودراسة اللغويين العرب للأصوات تجلت فيما قدمه الخليل بن أحمد وتلميذه الفدسيه ، لكن البحث الصوتي لم يتوقف عندهما ، بل نما وتطور على أيدي الباحثين في مختلف العلوم والفنون ، ومن هؤلاء الفارابي الذي وجه الدراسة الصوتية نحو فهم الألحان ، حيث تمثل الدراسة الصوتية القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها .

ولقد اطلعت على كتاب الفارابي (الموسيقى الكبير) ونظرت فيه ، هادفاً إلى جمع ما به في ثنايا كتابه من ملاحظات وأفكار صوتية ، يمكن ضمها إلى مارصنة اللغويين من ملاحظاتهم الصوتية حتى يكتمل التصور العربي للمسألة الصوتية ، وهو جانب مهم من جوانب الدراسة اللغوية .

والفارابي (فيلسوف الإسلام والمعلم الثاني) من أعلام القرن الرابع الهجري وكتابه سفر ضخيم يزيد على ألف صفحة ، وتتميز لفته بالسهولة ، والعلوية ، وهذا مما ساعدني ، وهون على الجهد في جمع مادة هذا البحث ، والصبر على مطالعة هذا الكم الهائل من الصفحات .

ولما انتهيت من جمع المادة ، تبين لي أن هذه المادة ، تمثل أفكاراً متنوعة في كثير من جوانب الدرس الصوتي ، فسهل على تقسيمها ، حسب تعارف الدارسون عليه في دراسة الأصوات ، إلى الموضوعات التالية :

- مفهوم الصوت اللغوي .
- في علم الأصوات النطق .
- في علم الأصوات الفيزيائي .
- في علم الأصوات السمعي .

ولقد اقتضى هذا البحث عرض أفكار الفارابي الصوتية على ما ذكره اللغويون القدماء ، وعلى ما يذكره الدارسون المحدثون في علم الأصوات الحديث ، ومناقشة آراء الفارابي من خلال ذلك كله ، ومحاولة معرفة مدى تميز فكرة الفارابي أو تطابقها مع التراث اللغوي ، أو تطابقها مع الترس الحديث ، ثم محاولة تتبع الجديد في فكر الفارابي في الترس الصوتي .

مفهوم الصوت اللغوي :

لا ينبغي عن بال أحد أن الصوت يمثل الكون من حولنا ، فيصدر عن الإنسان أو الحيوان ، أو الطيعة عامة ، والصوت الذي يخضع للدراسة اللغوية له خصائص حتى يخضع للبحث والتحليل ، وتحديد مفهوم الصوت اللغوي من أوليات مسائل علم اللغة ، ويحدد الباحثون في هذا العلم مفهوم الصوت موضع الدراسة وتخصيصه ، فيفرون بين الأصوات الإنسانية والضوضاء ، وأصوات الحيوانات ، وقد استقر في علم الأصوات Phonetics أن المقصود من هذا العلم هو دراسة أصوات اللغة الإنسانية المنطوقة التي تكون ضمن رسالة مخاطب واتصال بين بني البشر^(١) أي دراسة الأصوات الإنسانية التي لها وظيفة اجتماعية في الاتصال . وبناء على ذلك تسجد التأوهات والأصوات التي لا معنى لها الصادرة من الإنسان ، التي لا تدخل لها في عملية الاتصال ، وليس لها وظيفة ، فالجانب الوظيفي للأصوات هو الذي يخضع للبحث والدراسة .

وإذا تأملنا ما ذكره الفارابي في هذا الصدد ، وجدناه يحدد الأصوات التي تخضع للدراسة بأنها مادلت على المعاني ، فيقول : « جماعة نعم يمكن أن تقترن بها الحروف التي تتركب منها ألفاظ دالة على معاني ، وهذه هي الأصوات الإنسانية التي تستعمل في الدلالة على المعاني المعقولة وبها تقع المخاطبات^(٢) » فخصائص الأصوات الإنسانية التي تخضع للدراسة هي أنها ذات دلالات أو دالة على المعاني ، ويتم بها الاتصال والمخاطب بين الناس ، ولا يخفى اتفاق الدراسة الحديثة مع ما ذكره الفارابي من نصه على وظيفة اللغة في عملية الاتصال والمخاطب .

J.D.O' Connor, Phonetics, p. 9. Penguin book. Eng land, 1976.

(١)

(٢) الفارابي . الموسى الكبير ، ص ٤٧ ، تحقيق وشرح فطاس عبد الملك حشبة . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة

كما به الفارابي على التفرقة بين الأصوات الإنسانية وأصوات الحيوانات ، في أن الأولى هي التي تخضع للدراسة ، وأن الثانية لا تصيب لها في علم الأصوات بلغون الفارابي : « فإن الإنسان وسائر الحيوان المصوتة لها بالطباع في كل حال من أحوالها اللذيذة ، أو المؤذبة نغم تستعملها ، وهذه سوى الأصوات التي يستعملها الحيوان علامات يؤذن بها بعضها بعضاً بأمر من الأمور ، وأكثر هذه هي ل الإنسان ، وهي الأصوات التي يركب الإنسان منها الألفاظ ، وهذه خاصة بالإنسان » (١) . فعل الرغم من نص الفارابي على وظيفة اللغة والأصوات ، وهي التخاطب والاتصال فقد أشار إلى أن أصوات الحيوانات ، وإن كان من وظيفتها الاتصال ، فإنها ليست محل دراسة ، لقلتها شرطاً مهماً من شروط الدراسة الصوتية أشار إليه الفارابي ، وهو تركيب الألفاظ من الأصوات ، وهي عملية خاصة بالإنسان ، فاللغة الإنسانية والأصوات الإنسانية التي تؤدي إلى تكوين الألفاظ ذوات المعاني هي التي محل الدراسة والتحليل .

كما أشار الفارابي بوضوح إلى جانب مهم من جوانب الأصوات اللغوية ، وهو استبعاد ما يصدر عن الإنسان من أصوات غير لفظية أو لا تؤدي إلى تكوين الألفاظ ذوات المعاني كالتوجعجات والتأوهات ، وأصوات الطرب ، فهذا عنده بمنزلة أصوات الحيوانات ، يخرج من الدراسة اللغوية ، يقول : « والأصوات والنغم التي يوصلها الإنسان علامات في الدلالة على الأمور ، أما تلك فهي بمنزلة الأصوات والنغم التي تسمع من الحيوان والإنسان عند طربها ، فإن في طباع الحيوانات والإنسان ، إذا طربت أن تصوت نحواً من التصويت ، وكذلك إذا لحقها حروف صوتت صنفاً آخر من التصويت ، والإنسان إذا لحقه أسف أو رحمة ، أو غضب ، أو غير ذلك من الانفعالات صوت أنحاء من الأصوات مختلفة » (٢) .

على أن ذلك لا يعني عنده إهمال الانفعالات الإنسانية ، والإنسان كائن حي يحتره من الانفعالات التي تثير وتظهر في أدائه اللغوي ومن ثم بتشكيل التعبير

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٣ - ٦٤

اللغوي بما يتناسب مع انفعالات النفس ، وتسمى هذه اللغة : اللغة الانفعالية .

وقد سمي الفارابي (اللغة الانفعالية) بأنها شيء آخر يخرج عن ذلك القول ومثل لذلك بعض الأدوات اللغوية مثل : ألا الاستفتاحية وما جاسه مما جرت به عادة أهل ذلك اللسان أن يجعلوه ل افتتاح المحاطبات ، (١) . كما أشار إلى دور هاء السكت ، في التعبير عن انفعالات النفس ، (٢) .

علم الأصوات العطفى Articulatory Phonetics

أولاً : الجهاز الصوتي :

بول هنا العلم أهمية كبيرة لدراسة الجهاز الصوتي وخارج الأصوات وصفاتها ، وفي تحديد الجهاز الصوتي يشر المحدثون إلى امتداده من الشفتين إلى الرئتين والحجاب الحاجز ، وأن معظم الأصوات اللغوية تنتج عن التنفس الخارج من الرئتين (٣) باعتبار الرئتين المنفاخ الذي يدفع الهواء إلى الخارج (٤) .

ويشير د. كما بشر إلى أهمية الرئتين في عملية النطق فيقول : فالرئتان لا تنقل أهميتهما عن أهمية أى عضو من أعضاء النطق ، بل إنها أهم منها جميعاً ، فيغير الرئتين لانتم عملية التنفس ، ومن ثم لانتم عملية النطق بل لان تكون الحياة ذاتها (٥) فالكلام نتاج العملية الفسيولوجية اللازمة وهي التنفس ، فتنتج معظم أصوات الكلام بتأثير الزفير ، حيث تتردد الرئتان الهواء عبر الفم أو الأنف .

وعند الفارابي نجد المفهوم نفسه ، فللرئتين دور كبير في عملية النطق ، وقد أوصل الفارابي الجهاز الصوتي إلى ما يجاوز الصدر من الأضلاع . الخواصر ، ونص على تفاوت أجزاء الجهاز الصوتي ل أهميته ودوره ، فيقول :

(١) نفسه ، ص ١١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦٦ — ١١٦٧ .

(٣) Berül Malmberg, Phonetics, p. 21, New York, 1963, J.D.O'connor, Phonetics, p. 22.

(٤) جان كالفينو . هروس ل علم أصوات العربية ، ص ١٩ ، ترجمة صالح القرماذى ، تونس ١٩٦٦ .
شندوس . اللغة ، ص ٤٤ ، تريب عبد الحميد القواعل ، وعند القصاص . الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ط لجنة اليان العربى ١٣٧٠ هـ . ١٩٥٠ .

(٥) د. كان محمد بشر . الأصوات . ص ٧٣ . ط ٧ دار المعارف ١٩٨٠ هـ .

وكل واحدة من هذه الأحوان التي هي أسباب للحدة والثقل ، إنما تحصل في أعضاء الصوت بمعونة أعضاء من أعضاء الصدر ، وبمعونة كثير من أجزاء الأعضاء التي تجاور الصدر من تحت ، مثل الأضلاع والخواص وبمعونة أجزاء من أجزاء الأعضاء التي تجاور الحلق والتهوات والأنف من أعلى جسم الإنسان (١) .

وما أشبه ما ذكره الفارابي بما يذكره المحدثون من تقسيم أجزاء الجهاز الصوتي ، وأعضاء النطق إلى التقسيم الثلاثي الآتي :

— المزمار Glottis .

— ما تحت المزمار Subglottal ويشمل ذلك الرتتين وعضلات الصدر وأضلاع القفص الصدري والحجاب الحاجز .

— ما فوق المزمار Supraglottal ويشمل ذلك ليلعوم وأجزاء الفم والتجويف الأنفي (٢) .

ويستطرد الفارابي مبيهاً تفلوت أجزاء الجهاز الصوتي في أهميته ودوره في عملية النطق فيقول : « لبعض هذه أكثر معرفة وبعضها أقل ، وبعضها معرته ضرورية ، وبعضها معرته ليست ضرورية ، لكن يكون بها التفهم والأصوات الإنسانية أسمى وأجود ، وبعض هذه إنما معرته أن يسهل به على الإنسان فعل بعض هذه » (٣) ولم يفت الفارابي بيان كيفية حدوث التصويت للإنسان ، وقد أشار إلى ذلك بأنه يحدث بسلك الهواء الحلقى ، وقرعه مقعرات أجزاء الحلق وأجزاء سائر الأعضاء ، التي يمسك فيها مثل أجزاء الفم ، وأجزاء الأنف (٤) .

ويدرك الفارابي مصدر الهواء الذي يخرج من الرتتين ، ويشير إلى أنه الهواء الذي « يجلبه الإنسان إلى رتيه وداخل صدره من خارج ليروح به عن القلب ثم يدفعه منها إذا سخن إلى خارج » (٥) مشيراً بذلك إلى عملية الشهيق التي

(١) الفارابي ، الموسى الكبر ، ص ١٠٦٨ .

(٢) Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics pp. 3 - 9. U.S.A. 1977 .

Bertil Malmberg, Phonetics, p. 21.

(٣) الفارابي ، الموسى الكبر ، ص ١٠٦٨ .

(٤) نفسه ، ص ١٠٦٦ .

(٥) نفسه ، الصفحة

بلجأ إليها الإنسان ، ويتم فيها داخل الرئتين تبادل الغازات بين الدم ، وهواء الشهيق ، ثم يعقب ذلك الزفير حيث يخرج بخار الماء وثاني أكسيد الكربون . وما ذكره الفارابي فيما سبق في التصويت للإنسان من قرع الهواء مقعرات أجزاء الحلق ، يشير إلى ما يعرف في اللرس الصرق بمخارج الأصوات ، التي يسميها مقعرات ، وهذا القرع شرط لإحداث التصويت ، فلو مر الهواء دون قرع أو اصطدام بمخرج لم يحدث التصويت .

ويتردد هذا المفهوم بين المحدثين ، « وأنه يمكن أن يمر الهواء إلى الرئتين وخارجاً منها دون أن يحدث صوت بالمرّة ، ويحدث الصوت بالتدخل في مسار الهواء بطرق متعددة تتمكن بها من الحصول على أصوات مسموعة » (١) . وإذا لم يتحرك الهواء لم يحدث الصوت » (٢) .

أما الفارابي فقد سبق أن أشار إلى ذلك في قوله : « فإذا دفع الإنسان هواء التنفس إلى خارج جملة واحدة ، وترفق لم يحدث صوت محسوس ، وإذا حصر الإنسان هواء الرئتين وما حوالبها من أسفل الحلق ، وسرب أجزاءه إلى خارج شيئاً شيئاً على اتصال ، وزحم به مقعر الحلق ، وصدّم أجزاءه حدثت حينئذ نغم » (٣) .

فهذا النص من الفارابي يشير إلى أن التصويت لا بد فيه من أمرين :

أولهما : تسريب الهواء شيئاً شيئاً .

ثانيهما : إعاقه سرعان الهواء ، ويفهم ذلك من قوله « وزحم به مقعر الحلق وصدّم أجزاءه » ، وهذا يعنيه ما يجده عند المحدثين ، ويتردد بينهم بقول شاذه : « إن الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النفس الخارج من الرئة يمرض له في المنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض ضيق طريقه أو يقطعها فلا يحدث صوت إلا بعوامل : أحدهما النفس ، وثانيهما : العارض » (٤) .

J. D. O' Connor, Phonetics, p. 25. (١)

J. C. Wells, Greta colson, practical phonetics, p. 1, London 1978. (٢)

(٣) الفارابي ، الموسهل الكبر ، ص ١٠٦٦ .

(٤) شاذه . علم الأصوات عند سبويه وعدداً . ص ٦ ، صحيفة الجامعة المصرية . السنة الثانية ،

كما يشير الفارابي في هذا النص إلى اتجاه مسار الهواء وهو « إلى الخارج »
وهذا يعني عند دراسة الصوت الناتج عن اعتراض مسار الهواء الخارج ، وليس
الهواء الداخل ، لأنه من المعلوم لدى الدارسين المحدثين أن الهواء يسرى في
الكلام المعتاد من الداخل إلى الخارج ، ويسمى الطرد الرئوي Pulmonic
Egressive ومن ثم تم دراسة الصوت اللغوي الناتج ، أما الهواء الداخل في
الشهيق فيسمى السحب الرئوي Pulmonic Engressive ونادراً ما يحدث منه
أصوات ، وفي كلتا الحالتين يكون سريان الهواء بتأثير الرئتين ، ولهذا تم دراسة
الصوت الناتج عن الطرد الرئوي ، الذي أشار إليه الفارابي في نصه بقوله (إلى
خارج) .

والمزاغة لمقعر الحلق ، والاصطدام بأجزائه ، تدخل في مسار الهواء وتغيير
للعמוד الهوائي مما يؤدي إلى حدوث الصوت وتنوعه ، وهو بعينه ما يحدث في
الألة الموسيقية من تغيير لعمود الهواء بوضع الأصابع على فتحات المزمار أو
الضغط على أوتار العود .

وقد ألمح المحدثون إلى زيادة ابن جني اللغوي المشهور في إدراكه التشابه بين
الجهاز الصوتي الإنساني والآلة (٢) .

ومن الأفضل العودة إلى نص ابن جني مباشرة ، لاستيضاح الأمر ،
ومناقشة ما فيه . يقول ابن جني : ولأجل ما ذكرناه من اختلاف الأجراس في
حروف المعجم باختلاف مقاطعتها ، التي هي أسباب تباين أصداقها ، ماشبه
بعضهم الحلق والقم بالنأي ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس بغير صفة
لذاذا وضع الزامر أنامله على حروف النأي المنسوفة وراوح بين أنامله ، اختلفت
الأصوات ، وسمع لكل حرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكل ذلك إذا قطع
الصوت في الحلق والقم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب امتناعها هذه

J. C. Wells, Greta Colson. Practical phonetics, p. 2. R.H. Robins, General Linguistics (١)
pp. 67, 71

(٢) انظر ابن جني سر صناعة الإعراب ٩١١ - ١٠ ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الوتراف ،
وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط ١ مصطفى الخليفي ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ، ص ٢٠ . كان بشر
الأصوات ، ص ٨٠ - ٨١ ، هجزي فقيش ، التفكير الصوتي عند العرب ص ٦٤ هامش (٢) ، ص ٥٠ .
د أحمد محمد عبد البحت الشنوي عند العرب ، ص ٨ ، ط ١٩٧٦ م

الأصوات مختلفة ، ونظير ذلك وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسهه أدى صوتاً آخر ، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أذاه وهو مضغوط محصور أملس مهترأ ، ^(١) .
 بقلر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته ، فالوتر في هذا التمثيل كالخلق ، والخنفقة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الخلق وجرىبان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجرىبان الصوت في الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع ، كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا ، وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب ، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق .
 ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعنى علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم ، ^(٢) . وقد نقلنا هذا النص برغم طوله لأهميته ، حيث تلوح عليه أمارات ودلائل على أن هذه الفكرة التي أشاد بها المحدثون ليست لابن جنى وإنما نقلها عن غيره دون تحديد منه حيث قال بعضهم .

والذي نرجحه في هذا المقام أن ابن جنى نقل مفهوم المشابهة بين الجهاز الصوقي للإنسان والآلة ، عن الفارابي ولنا على ذلك الأدلة التالية :

١ — ذكْرُهُ « ما شبه بعضهم الخلق والنم بالنى » ول في هذا دليل على أنه ناقل لاصدع .

٢ — ذكْرُ ابن جنى للنم والعود ووصفه شيئاً من استعمالها وهو ما يختص به أهل الموسيقى وهو ما تجده عند الفارابي حيث تكلم عن الناي والعود حيث يقول « وأجزاء مقرر الخلق التي تقرب من القوة الدافعة للهواء إلى خارج ، تقوم في الخلق مقام الدساتين ^(٣) التي تبعد من اليد القارعة

(١) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ١ - ٩ - ١٠ .

(٢) جمع دستان وهو العلامة التي تستعمل عند العود وماجانسه من الآلات لتعيين أماكن النغم والغرب بسموها « العقب » . انظر مقال الموسيقى الكبير هاشم ص ٥٢ .

لأوتار العيذان والطنابير ، أو مقام ثقب المزامر التي تقرب من فم النافع وأجزاءه التي تبعد عنها تقوم مقام الدساتين التي تقرب من اليد القارعة لأوتار العيذان والطنابير ، أو مقام ثقب المزامر التي تبعد عن فم الزامر^(١) وله عبارة صريحة جداً تبين مدى التشابه بين الجهاز الصوتي للإنسان والآلة ، وهي قوله « فإن الحلوى كأنها مزامر طبيعية ، والمزامر كأنها حلوى صناعية »^(٢) .

٣ — ذكر ابن جنى العوامل التي تؤثر في اختلاف النغم في العود ، وذكر أنها قوة الوتر ، وصلابته ، وضعف الوتر ورخاوته وهو ما أشار إليه الفارابي بتوسيع^(٣) .

٤ — نص ابن جنى على أن مذكره من وصف جهاز الصوت بالآلة له تعنى ومشاركة بالموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم ، وكتاب الفارابي مخصص لدراسة الموسيقى ، والفارابي كما هو معلوم أسبق من ابن جنى بحوالى ستين عاماً .

٥ — ملاحظة أسلوبية في قول ابن جنى (التي هي أسباب تبين أصدائها) وتقاربا مع عبارة الفارابي (التي هي أسباب للحدة والنقل) في النص الذي نقلناه آنفاً^(٤) .

من كل ما سبق يتضح مدى أسبقية الفارابي لابن جنى لهذه المشابهة بين الجهاز الصوتي للإنسان والآلة ، وهذا ما فات المحدثين حيث نسبوا هذه الحقيقة لابن جنى ، ولم يشرروا إلى مذكره الفارابي السابق عليه .

والتصويت بعامة ينتج عن القرع ، وقد يقرع الإنسان يده ، أو بشيء في يده ، وفي التصويت بالفم يكون القارع هو العضو الذي يدفع بالهواء من داخل الصدر إلى خارج الفم ، وهذا العضو يقرع بالهواء الذي يدفعه وفي ذلك يقول الفارابي « والعضو القارع إما يد الإنسان ، وإما العضو الذي يدفع هواء

(١) الفارابي . الموسيقى الكبير . ص ١٠٦٧ .

(٢) نفسه . ص ١٠٦٦ .

(٣) نفسه . ص ٢١٧ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٧٤ .

(٤) نفسه . ص ١٠٦٨ .

التنفس من داخل الصدر إلى خارج الفم ، واليد إما أن تفرع بنفسها أو بحجم آخر ، وأما الذي يدفع هواء التنفس فهو إما يفرع بالهواء الذي يدفعه (١١) .

وإلى جانب هذه النصوص الكثيرة التي يشبه فيها الفارابي الجهاز الصوتي الإنسان بالآلة ، نص الفارابي على تفوق الجهاز الإنساني عن الآلة ، وعلى كماله ونقصاتها ، « وليس ها هنا ما هو أكمل من الخلق ، فإنها تجمع جل فنون الأصوات ، وماتر ما توجد فيه النغم من آلات تنقص عنها نقصاناً كثيراً (١٢) .

لانياً : في الصوامت والصوائت :

يقسم علماء الأصوات ما يصدر عن الجهاز الصوتي الإنساني من أصوات إلى أصوات صامتة (Consonants) وأصوات صائتة أو مصوتة (Vowels) ويقصدون بالأول الأصوات الناتجة عن اعتراض مسار الهواء كالباء والميم واللام وغير ذلك حيث يقوم حاجز ل جهاز تصويت ، ثم يجتاز الهواء والنفس ذلك الحاجز ، والنوع الثاني يقصدون به الحركات بأنواعها القصيرة منها والطويلة حيث لا يقوم حاجز ل جهاز التصويت فيجرى النفس حراً طليفاً (١٣) ذلك لأن الحركات لا يصحبها إغلاق أو احتكاك أو التصاق للسان أو الشفتين ، وليس ثمة انحباس للتيار الهوائي المستمر (١٤) .

وقد عبر القدماء من علماء العربية عن نوع الأون بالحروف أو الأصوات الساكنة ، وعن النوع الثاني بالحركات (١٥) .

ومن علماء العربية القدامى من استعمل مصطلحات نلاحظ فيها إدراكهم لخواص الحركات ومنها قوة الرضوح السمعى (Sonority) ، وقد أشار إلى ذلك د. كمال بشر (١٦) ، وذكر ابن جنى الذي كان يسمى الحركات الطويلة

(١) نفسه . ص ٥٢ .

(٢) نرفع السائل ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) جان كاتنبر . دروس ل علم أصوات العربية ص ٢٠ - ٢١ ، ص ١٤٣ . ترجمة صالح الغرمادي تونس ١٩٦٦ م .

(٤) R. H. Robins, General Linguistics, An introductory, Survey p. 70, 3rd edition, London, 1980.

(٥) سبويه . الكتاب ٤/٢ ، ٤٠٧ . ط بولاق ١٣١٨ هـ .

(٦) د . كمال بشر . الأصوات ، ص ٧٣ (حاشية)

بالمصوتات أو بحروف المصوتة^(١١) وقد ذكر ابن جني مصطلحي صامت ومصوت^(١٢).

كما ذكر د. بشر أن شمس لدين أحمد المعروف بالسكنو وهو من علماء القرن التاسع الهجري استعمل مصطلح (صامت) ويقصد به الحرف الساكن (Consonant) ولا شك أن د. بشر يرى في مصطلح ابن جني، وكذلك في مصطلح صاحب شرح المرح توفيقاً جيداً. وسبقاً صريحاً في فهم القدماء لخواص الأصوات حسب المنهج الصوتي الحديث، لكننا بالعودة إلى الفارابي، والبحث فيما قدم من فكر صوتي، وجدنا أنه قد بص على مصطلح (مُصَوِّت) ومصطلح (مُصَوِّتات) أكثر من مرة في كتابه، وكان الفارابي يقصد من هذين المصطلحين الحركات، وما أحسن تحديده لهذه القضية حيث يقول:

« والحروف منها مصوِّت ومنها غير مصوِّت^(١٣)، وقسم الفارابي بعد ذلك، الأصوات الصائتة أو المصوتة إلى قصيرة وطويلة فقال: « والمصوتات منها قصيرة، ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسمى العرب الحركات^(١٤) ».

فليس لابن جني إذن سبق في هذا المصطلح إذ سبقه إليه الفارابي، الذي كان له سبق على جني حوالي ستين عاماً، وهذا مما يجعلنا نحسب أن ابن جني أخذ عن الفارابي واطلع على كتبه.

أما الصوامت فيسمىها الفارابي « بغير المصوتات » على حين يسميها صاحب شرح مراح الأرواح « الصوامت » وهذا المصطلح الذي ذكره صاحب شرح المراح ونقله د. بشر في كتابه لا يعد سقاً له، وإنما سبقه إليه من قبله ابن سينا (٣٧٥ - ٣٢٨ هـ) الذي ذكره في رسالته « أسباب حدوث الحروف » إذ ذكر مصطلح (صامت) عند كلامه عن الواو والياء اللينتين فسمى الواو الصائتة والياء الصائتة، وفرق بينهما وبين « المصوتة والياء المصوتة^(١٥) ».

(١١) ابن جني - المعامل ١٢٤/٣ - ١٢٥.

(١٢) ابن جني - سر صناعة الإعراب، ١١١.

(١٣) الفارابي - الموسيقى الكبر، ١٠٧٢.

(١٤) نفسه والمصنف.

(١٥) ابن سينا - أسباب حدوث الحروف من ١٣ - ١٤ - شرحها الأ - الهمجي لومس شهرنوس

مجموعة ط بيروت.

على أنه مجرد الإشارة إلى أن مصطلح (مصوت) قد ورد عند الفراء ، ولكن بمفهوم آخر غير مفهوم الفارابي ، فقد ذكر السيرافي « أن الفراء سمي بعض الحروف مصوتاً ، وذكر من المصوت الصاد والضاد ، وسمى بعضها أخرس ، وذكر منها التاء والتاء ، وأظنه أراد بالمصوت ما جرى فيه من الصوت نحو الصاد والضاد والراء والظاء والذال والتاء ونحو ذلك ، وأراد بالأخرس الحروف الشديدة التي يلزم اللسان فيه مكانها... هي الهائية الأخرس الشديدة التي يجمعها قولك أجذك قطبت » (١)

وواضح من النص أن الفراء سمي الصوت الرخو (مصوتاً) وسمى الصوت الشديد (الأخرس) وبهذا يتبين اختلاف موقف الفارابي عن موقف الفراء .

وللفارابي نجات طيبة عن الصوامت أو كما يسميها « غير المصوتات » تنبؤ عن حسن فهم ، وعمق وعي لخصائصها ، فهو يقسمها بالنسبة للنغم وامتداد الصوت ، إلى « ممتدة » و « غير ممتدة » فيقول « والحروف المصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم ، ومنها ما لا يمتد بامتدادها ، والممتدة مع النغم هي مثل اللام والميم والنون والهمزة والعين والراء ، وما أشبه ذلك ، وغير الممتدة مثل « التاء » و « الدال » و « الكاف » وما جانس ذلك . والحروف الممتدة بامتداد النغم منها ما يشع مسموع النغم إذا اقترنت بها ، مثل « العين » و « الحاء » و « الظاء » ، وما أشبه ذلك ، ومنها ما لا يشع وهي هذه الثلاثة « اللام » و « الميم » و « النون » ، فاللام من بينها تمتد وإن لم يسلك الهواء في مقعر الأنف . و « الميم » ، و « النون » لا يمتدان إلا أن يسلك الهواء في الأنف .

وجل النغم الإنسانية فإنما تسمع مقترنة ببعض المصوتات أو بعض ما هو ممتد من غير المصوتات ، ولترفض من الممتدة التي هي غير مصوتة . ما يشع مسموع النغم ، ولا تستعملها مقرونة بنغمة أصلاً ، ولتأخذ منها « اللام » و « الميم » ، « النون فقط » (٢)

(١) أبو سعيد السيرافي مادكرة الكوفيين من الإغمام بتحقيق صبيح حمود الشال . مجلة المورد . جند ١٢ ، عدد ٢ ، وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٢ م

(٢) الفارابي الموسيقى الكبير . ص ١٠٧٢ - ص ١٠٧٣ .

و هذا النص من أهم ما وقفنا عليه من آراء الفارابي المهمة التي تتفق اتفاقاً عجباً مع أقوال المحدثين في علم اللغة الحديث ، ولنا على هذا النص الملاحظات التالية :

١ - أشار الفارابي إلى مصطلحي « ممتدة » ، و « غير ممتدة » ولعله يقصد بهما مايقابل مصطلح « احتكاكية » Fricatives في الدرس الصوتي الحديث ، وهذه المجموعة الصوتية تتميز عن مجموعة أخرى « وقفية » Stops أو انفجارية Plosives ، بالأصو - لاحتكاكية مثل الفاء والطاء والسين ، وغيرها .

ونجد عند سيويه مصطلح « الشدة » وعكسه « الرخاوة » ويقصد بالأول ما يمكن أن يلتقى مع مصطلح « وقفي أو انفجاري » ويقصد بالثاني مايلتقى مع مصطلح « احتكاكي » وظاهرة امتداد الصوت أشار إليها سيويه في مثل قوله عن الشدة : « وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر » (١) .

ول علم اللغة الحديث يستخدم مصطلح يكاد يتطابق مع مصطلح الفارابي بل نترجمه بمصطلحه وهو Continuant ويقابل (ممتد) (٢) . أما اللام فهو صوت جانبي ، ويسمى عند علماء العربية بالحرف المنحرف (٣) .

وأما الميم والنون فهما الصوتان الأعنان Nasals ، وفي رأي أن مدلول مصطلح الفارابي « ممتدة » و « غير ممتدة » أشمل وأوسع من مدلول « احتكاكي » و « انفجاري » فالمتد عنده يشمل الاحتكاكي والمنحرف والأغن .

٢ - وضع الفارابي ضمن الأصوات الممتدة الهمةزة ، وهي عند علماء العربية ضمن الأصوات الشديدة « أجلك قطبت » التي تقابل الأصوات

(١) سيويه ، الكتاب ٢/ ٤٠٦ .

(٢) برجنتراسر ، التطور لتحرى ، ص ٨ ، وانظر .

R. H. Robins, General Linguistics, p. 108, Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics, p. 155

(٣) سيويه ، الكتاب ٢/ ٤٠٦ .

الانفجارية أو الوقفات ، فوضعها ضمن الأصوات الممتدة عند الفاروق غريب ، ويؤول العجب عندما نعلم أن الفاروق يقصد بامتداد الهزمة ، هو مجيئها في بداية النغم ، مقترنة به ممتدة معه ، ومن ثم تأتي متحركة وليست ساكنة ، فهو يقول عن اقتران الأصوات بالنغم « والتي تفرق بدايتها فهي الهزمة » (١).

٣ — يتفق الفاروق مع علماء العربية ، في عد التاء والمدان والكاف ضمن الأصوات الشديدة أو الانفجارية ، كما يتفق معهم في عد الزاي والعين ضمن الأصوات الاحتكاكية ، بيد أن علماء العربية يضرعون العين ضمن المجموعة المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، يقول سيويه « وأما العين فيين الرخوة والشديدة » (٢) وهذه المجموعة هي « لن عمر » .

٤ — يعد الفاروق اللام والميم والتون ضمن الأصوات الممتدة ، وهذه الأصوات في الواقع لها قلم من الاحتكاك ، أو الإعاقلة لمسار الهواء عند إصدارها فاللام عند أدائه ينحرف الهواء إلى جانبي الفم مع امتداد الصوت أو احتكاكه . أما الميم والتون فيحدث عند أدائها أن يُفتح الحنك الرخو Soft Palate ويمر الهواء حينئذ من التجويف الأنفي Nasal Cavity ، بالإضافة إلى مساره في الفم ومرور الهواء من التجويف الأنفي عند أدائهما يعطى الغنة المميزة لهما ، مما يؤدي إلى امتداد الصوت بالإضافة إلى ضيق مجرى الفم عند أداء التون ، وانطباق الشفتين عند أداء الميم ، ويتفق ذلك مع تصور علماء العربية للأصوات ، ويتفق أيضاً مع التصور الحديث في علم الأصوات حيث يُشار إلى ازدواجية مسار الهواء في حالة نطق التون ويسمونها في علم اللغة Nasalization أو Nasality التي يمكن أن يطلق عليها التأنيف أو Nasal Articulation أي المخرج الأنفي (٣).

٥ — قسم الفاروق الأصوات الممتدة أو الاحتكاكية قسمين

(١) الفاروق . التوسن الكو . ص ١١٦٥

(٢) سيويه . الكتاب ١ . ص ٤٠٦

R. H. Robins, General Linguistics, p. 69.

(٣)

لنغم ومن ذلك العين والحاء والظاء فهذه الأصوات عندما تسمع اغ ،
 نخ ، اظ تعطى في النغم بشاعة ونفوراً ، والقسم الثاني لا يستشع صوته
 ولا يؤدي سماعه إلى نفور ، وارتضى الفارابي ثلاثة أصوات وهي اللام ،
 والنون والميم ، وعند سماعها أل ، ان ، أم تعطى نغمة مقبولة مختلفة عن
 نغمة القسم الأول .

ولعل في اختصار الفارابي على هذه الأصوات الثلاثة ما يتفق مع ما أشار إليه
 علماء العربية من إدراج اللام والميم والنون في المجموعة الصوتية المتوسطة ،
 وهي وسط بين الانفجارية والاحتكاكية ، وتسمى هذه المجموعة الصوتية
 « الأصوات المائعة أو الياالة أو السائلة في مقابل المصطلح الصوتي
 Liquids^(١) .

وهذه الأصوات عند المحدثين تمثل أكثر الأصوات الصائتة وضوحاً في
 السمع وأقربها إلى طبيعة الأصوات الصائتة ، فقد وضعها المبرج في مجموعة
 صوتية واحدة (م / ن / ل) وجعلها أقرب إلى الصوائت^(٢) ، ويسميا د . أنيس
 (أشباه أصوات الصائت)^(٣) .

ولما كانت هذه الأصوات (ل - م - ن) على هذه الدرجة من التأثير
 السمعي ، أشار الفارابي إلى أنها لم تحمل منها لغة من اللغات ، أو على حد تعبيره
 « لا يعرى منها لسان أصلاً »^(٤) ثم يستطرد الفارابي مبيحاً ما تنتج به هذه
 الأصوات عن غيرها بأنها « لما أتت في السمع ليس لغزها ، فمتى أهدلنا مكانها
 حرفاً آخر أهدلنا مكان الأفضل ما هو دونه »^(٥) .

وأبعد من ذلك ، تحديده الفارابي للمكان الأمثل لهذه الأصوات ، كي تكون
أبيي وأجود وأفعل في التأثير السمعي ، فذكر أن الميم والنون الساكنتين تقترنان
 (١) فخرس . اللغة من ٥٢ - ٥٣ . د . مالمبرج . محاضرات في علم اللغة الحديث من ٣٠ - ٣١ .
 جاك كاتيتور . دروس في علم أصوات العربية من ٣٧ ، وتظهر مجموعة النصوص العلمية ولغوية
 لجمع اللغة مجلد ٣ من ١٤١ .

(٢) B. Malmberg, Phonetics, p. 17.

(٣) د . إبراهيم أنيس . بحث في اشتغال حروف العنة . من ١٠٤ . مجلة كلية الآداب ، مجلد ٢ .

(٤) الفارابي . الموسيقى الكبير ، من ١١١٩ .

(٥) نفس . من ١١٢٠ .

بالنغمة بأسرها أى تمتدان فترة زمنية هي فترة امتداد النغمة^(١) وذكر في موضع آخر استحسان اقتران نهاية النغمات بالنون الساكنة^(٢).

ورأى الفارابي هذا يتفق مع اللوق العرفي ، إذ تأتي القوالب الشعرية من اللام والميم والنون أكثر مما تحمىء من العين والحاء والظاء وقد ذكر د. حسين نصار أن النون أسهل القوالب والميم واللام أحلاها^(٣).

أما الفواصل القرآنية فيكثر فيها اللام والميم والنون كثرة واضحة ، على حين تندر فواصل الحاء والعين والظاء ، وهذا من الحسن اللغوي العرفي ، واللوق الذي يراعى الأداء والوقوع أو التأثير السمعي .

والدليل على ما نقول هو ما قلنا به من إحصاء للفواصل القرآنية ، فقد وجدنا أن الفواصل التي تنتهي بالنون تبلغ (٣١٠٢) ثلاثة آلاف فاصلة ومائة فاصلة وفاصلتين بما في ذلك النون التي تليها الألف المقصورة ، وبذلك تكون فواصل النون حوالي نصف فواصل القرآن كله حيث يبلغ مجموع فواصل القرآن (٣٢٣٦) ثلاثة آلاف ومائتين وست وثلاثين فاصلة حسب رواية حفص عن عاصم (المصحف الكولي) ، وأما فواصل الميم فتبلغ (٧٨٦) سبع مائة وستاً وثمانين فاصلة ، وأما فواصل الراء فتبلغ (٧٥٠) سبع مائة وخمسين فاصلة ، وأما فواصل اللام فتبلغ (٢٤٩) مائتين وتسعا وأربعين فاصلة .

وأما العين فتبلغ (٤٣) ثلاثاً وأربعين فاصلة .

وأما الحاء فتبلغ بضع فواصل .

وأما الظاء فتبلغ تسع عشرة فاصلة .

وللفارابي إشارات لبعض صفات الأصوات ، فقد ذكر مصطلح الغنة ومصطلح الزم وشرح هذين المصطلحين شرحاً ينسب عن دقة في الفهم ، وحسن فهم لأداء الأجزاء المختلفة من الجهاز الصوتي الإنساني ، فيقول عن هذين المصطلحين : وهذان متقاربان ، فالزم هي الحالة الحادثة لها عند سلوك الهواء بأسره في الأنف ، وذلك متى أُطبقت الشفتان ، ونفذ الهواء كله في

(١) نفسه . ص ١١٦٥ .

(٢) نفسه . ص ١١٧٤ .

(٣) د. حسين نصار . المقالة في العروض والأدب . ص ٥٥ - ٥٦ . تعريف بمصر

الأنف ، واللغة مانع عن عند منقوع بعض أجزاء الهواء في الأنف ، وبعض أجزاءه بين الشفتين ، وذلك عندما ينقسم النفس فيسلك بعضه في الأنف وبعضه على ما بين الشفتين .

وفي هذا نص إدراك من الفارابي لأزدواجية مسار الهواء عند أداء الغنة ، وهي الظاهرة الصوتية المصاحبة لأداء النون والميم ، وهذا ما استقر عند النحاة والقراء ، كما بين النص عن فهم الفارابي لنور الحنك الرخو Soft Palat وتحركه عند أداء هذين الصوتين الميم والنون ، فعند أداء النون يتحرك الحنك الرخو لأسفل فيصل تحريف الفم بالتجويف الأنفي فينقسم الهواء الخارج من الرئتين قسمين : قسم يمر في التجويف الأنفي ، وقسم يمر في تجويف الفم ، ومرور الهواء في التجويف الأنفي يحدث الغنة المميزة لهذين الصوتين الميم والنون .

لكن الفارابي لا يكتفي باطلاق وصف واحد على هذين الصوتين ، كما فعل النحاة ، بل يفرق بين الصوتين نتيجة اختلافهما فيما يعرض لهما عند أجزاء أخرى في الجهاز الصوتي .

فأما في النون فيحدث أن تفتح الشفتان ، فيسلك الهواء من مسلكين : الفم والأنف ، ويمتنع مرور الهواء من تحريف الفم مع الميم ، ومن ثم لا يجد الهواء مسلكاً سوى التجويف الأنفي ، فيسلك الهواء كله منه .

ولما كانت الحالتان مختلفتين عند أداء النون حيث ينقسم الهواء ، وعند أداء الميم حيث لا انقسام له ، بل يمر بأكمله من الأنف ، أفرد الفارابي لكل حالة مصطلحاً خاصاً بها ، وهذا ما لا نجد عند أحد سبقه من النحاة أو القراء ، فالصوت الحادث من الأنف عند أداء الميم هو « الزم » ، فمصطلح « الزم » عند الفارابي جديد لم يسبق إليه ، أحدثه ليفرق بين حالتين مختلفتين وإن تشابها في مرور الهواء بالأنف فانقسام الهواء يتم مع .. النون ، وسريانه كاملاً من الأنف يتم مع الميم .

أما الصوائت عند الفارابي ، والتي يسميها المصوتات ، فيقسمها كما أسلفنا إلى قصيرة وطويلة .

(١١) الفارابي - تفسيري الكبير ، ص ١٠٧ .

والمصوتات القصيرة لا تعتمد مع نغم مادامت على فصرها ، وهي حركات الحروف غير الممتدة ، ولكنها إذ اقترنت بالنغم ضالت فلا يعرف بها وبين الطويلة (١) .

والمصوتات الطويلة ، عنده يقسمها أقساماً دقيقة ، فيبين أنها تنقسم إلى أطراف ، ويقصد بها الصوائت الطويلة الصريحة ، وهي ثلاثة صوائت : الألف مسبوقة بالفتح ، والواو مسبوقة بالضم والياء مسبوقة بالكسر .

والتقسيم الثاني : غير الأطراف هو الصوائت المترجئة أو المزوجة حسب تعبيره والمصوتات الطويلة منها أطراف ، ومنها مترجئة عن الأطراف (٢) .

وتتضح دقة الفارابي وحسن فهمه ، من جعله الألف ضمن الحركات أو الصوائت ، مخالفاً بذلك سيويه الذي جعل الألف بعد المهزلة ضمن الصوائت (٣) وجرى العمل بين المحدثين على اعتبار الألف صائناً طويلاً .

كما فرق الفارابي بين الحركة الصريحة ، والحركة المترجئة غير الصريحة . وقد راح الفارابي يبين الفروق بين هذه الصوائت الصريحة ، فذكر أن هذه الأطراف تنقسم إلى طرف عالٍ وهو الألف ، وطرف متوسط وهو الواو وطرف منخفض وهو الياء (٤) .

وهذا من عجيب الانفاقي بين آراء الفارابي ، والدرس الصوق الحديث ، فعند المحدثين تنقسم الصوائت حسب الحركات المعيارية التي وضع أسسها دانيال جونز حيث وزع الصوائت على شكل مربع ، تظهر عليه الصوائت متميزة بالنسبة لأجزاء اللسان ونحوه الفم ، فمنها الأمامية ومنها الخلفية ، ومنها العلوية ومنها السفلية ، وإذا تأملنا الشكل التالي (٥) ووزعنا عليه الصوائت لاحظنا أن :

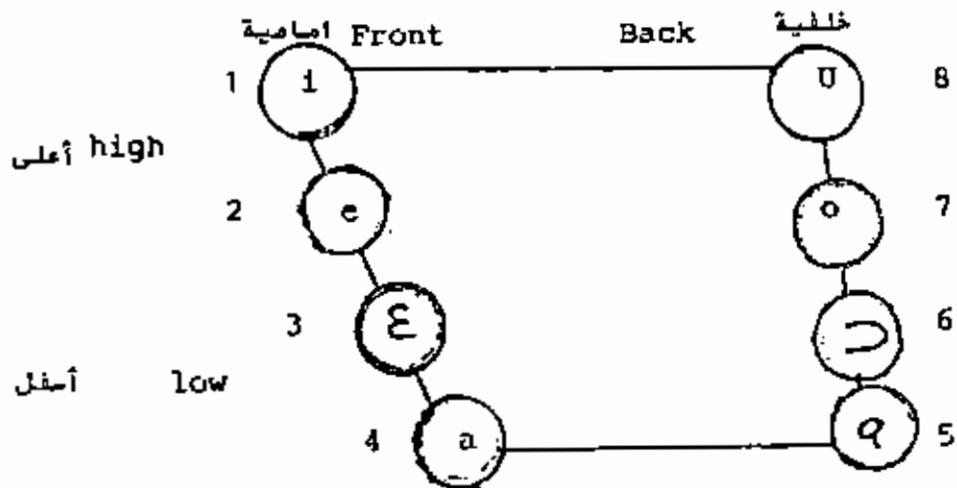
(١) الفارابي . الموسئ الكبير ، ص ١٠٧٤ - ١٠٧٥ .

(٢) غه . ص ١٠٧٣ .

(٣) سيويه . الكتاب ٤ : ١٠١٢ .

(٤) الفارابي . الموسئ الكبير ، ص ١٠٧٣ .

(٥) Phillip Lieberman, Speech and Phonetics, p. 119, J. C. Well, Greta Cokou. (٥)
Practical Phonetics, p. ٢٩





(أ) الحركات النهائية يمكن توضيحها كما يلي

١ - هي الكسرة الصريحة مثل كسرة الميم في من أو كسرة الباء في يبيع .
٢ - يمكن أن تقابل حركة الإمالة الشديدة مثل إمالة ، ألف الضحى نحو الباء .
٣ - يمكن أن تقابل حركة الإمالة المتوسطة مثل تقليل ألف الضحى بين الفتح والإمالة .

٤ - أقرب ما تكون إلى الفتحة المرفقة مثل فتحة الميم في من أو نال .
٥ - أقرب إلى الفتحة المنخفضة مثل فتحة القاف في قد أو فتحة الطاء في طأل .
٦ - يمكن أن تقابل حركة الإمالة المتوسطة للألف نحو الواو ، ويحدث ذلك في تفخيم اللام في الصلوة ، فيؤدي ذلك إلى استدارة الشفتين وارتفاع مؤخر اللسان فتقرب من الواو .

٧ - مثل حركة إمالة الفتحة نحو الضمة في مثل النطق العامي لكلمة تخوف ← تخوف .

٨ - تمثل الضمة الصريحة ويمكن مقابلتها بضممة القاف في يقوم أو ضمة العين في يعوم .

(ب) الحركات على الخط (1 - 4) تمثل الحركات الأمامية وتم بحركة مقدم اللسان .

(ج) الحركات على الخط (5 - 8) تمثل الحركات الخلفية ، وتم بحركة مؤخرة اللسان .

(د) الحركات على الخط (1 - 8) تمثل الحركات العلوية ، وفيها يرتفع اللسان نحو سقف الحنك ، فيضيق مجرى الهواء ولذلك تسمى حركات مضيقة .

(هـ) الحركات على الخط (4 - 5) تمثل الحركات السفلية حيث لا يرتفع اللسان عند أدائها ، بل يستقر اللسان في قاع الفم ، ويتسع مجرى الهواء وتسمى حركات متسعة .

(و) الحركات التي عند الزوايا وهي حركات (1 , 4 , 8) حركات مريجة وماغداها ممتزجة (غير صريحة)

(ر) الحركة (١١) هي الكسرة تقريباً وفيها يرتفع مقدم اللسان فهي حركة ضيقة ، عن حين تكون الحركة (٤) الفتحة وهي حركة متسعة ، ثم تأتي الحركة (٨) ممثلة تقريباً للضممة وهي حركة علوية خلفية فهي مضيقة .

هذا هو تصور النحديين عن الصوائت أو الحركات ، الواو والياء على سطر واحد وهو السطر العلوي ، والفتحة على السطر المقابل ، وهو السطر السفلي . وإذا انتقلنا إلى تصور الفارابي للصوائت الصريحة وجدناه قد وصف الألف بأنها طرف عالٍ ، ووصف الياء على التقبض من ذلك بأنها طرف منخفض ، ووصف الواو بأنها طرف متوسط .

ولعل هذا التقسيم من الفارابي مبني على الخواص السمعية أو التأثير السمي لهذه الصوائت ، ففي حالة الألف يتسع مجرى الهواء مع خروج النفسين . وفي حالة الياء يعلو طرف اللسان فيضيق مجرى الهواء ، فالتأثير السمي للألف أعلى من تأثير الياء بناء على درجة اتساع مجرى الهواء .

أما التوسط عند أداء الواو فيمكن تفسيره بأن مؤخر اللسان يرتفع نحو سقف الحنك ، ولكن بدرجة أقل من درجة ارتفاع مقدم اللسان عند أداء الكسرة أو الياء ، وهذا التصور يمكن قبوله بناء على أن مقدم اللسان حُرُّ في حركته ، وأسهل في ارتفاعه من مؤخر اللسان ، لأن المؤخر مثبت إلى أسفل الفم بروابط تحدد من حركته ، فحركة المؤخر أصعب من حركة المقدم ، وهذا يتفق مع مقولة القدماء « إن الضمة أصعب الحركات » فهذه الصعوبة تأتي من أمرين :

- ١ - حركة عضلة اللسان إلى أعلى نحو سقف الحنك ، وهو جهد عضلي .
- ٢ - حركة الجزء الخلفي للسان وهو الجزء المثبت ، وحركة المثبت أصعب من حركة الطليق .

وبهذا يمكن استنتاج أن الضمة أو الواو في تصور الفارابي لا ترتفع إلى درجة ارتفاع الكسرة أو الياء ، فالواو دون الياء في الارتفاع ، وبناء على ذلك يكون

يجرى الهواء أكثر اتساعاً عنه في الياء ، ومن ثم أطلق الفارابي على الواو صفة التوسط ، أي التوسط في درجة التأثير السمي والوضوح .

ففسح الفارابي يبنى على أساس التأثير السمي للصوائت ، وتقسم المحدثين يبنى على أساس حركة اللسان ، وتصوّران يتفقان في فهم طبيعة الصوائت ، وإن اختلفتا في الزاوية التي ينظر منها كل مها .

وأما الصوائت المترجة فعنده ثلاثة أقسام ، يقول الفارابي : « والممزوجة إما بمزوجة من الألف والياء ، وإما من « ياء وواو » ، وأما من « ألف وواو » (١) . ثم يعود الفارابي في فرع كل قسم إلى ثلاثة فروع ، فيقول : « وكل واحد من هذه الثلاثة المترجة إما مائلة إلى أحد الطرفين ، أو متوسطة غير مائلة ، والمائلة إما إلى هذا وإما إلى ذلك » (٢) .

ونتيجة لهذا التفرع للأقسام الثلاثة ، صارت جملة الأصوات المترجة تسعة (٣) ويكفي الفارابي بهذا التفرع على الرغم من قبول هذه الفروع لانقسامات أخرى ، وذلك لأن مسوعات أقسامها تتقارب تقارباً لا يميز السمع بين فصولها (٤) .

ولذلك يرى الفارابي « أن يقتصر منها على هذه التسعة ، ويجمع إليها الأطراف الثلاثة فنصر أصناف المصوتات الطويلة المنفصلة بفصول ينة في السمع اثني عشر مصوتاً ، ويجمع إلى هذه من غير المصوتات المستدة ، تلك الثلاثة التي لا تبشع مسموع النغم فتكون جميع الحروف التي تتأوق النغم ، وتقترن بها ، ولاتفك منها نغمة إنسانية ، وتتعمل استعمالاً سلساً وتبين بياناً غير مستكره ، ونحس حساً غير متبشع خمسة عشر حرفاً » (٥) .

فجميع الأصوات النغمية عنده ، ثلاثة من الصوائت المستدة ، وهي اللام والميم والنون ، والثلاثة الصوائت الصريجة ، والتسعة المترجة فتكون جعلتها خمسة عشر صوتاً .

(١) الفارابي الموسيقى الكبير ، ص ١٠٧٣ .

(٢) نفسه ، ص ١٠٧٤ .

(٣) الفارابي الموسيقى الكبير ، ص ١٠٧٤ .

(٤) نفسه والصفحة

(٥) نفسه والصفحة .

ويمكن تمثيل المصوتات عند الفارابي على لشكل التالي :

ثالثاً : المقاطع

ويعتقد المحدثون أن العرب لم يتحدثوا عن المقطع ، أو لم يعرفوه ، ومنهم هنري فليش الذي يقول : « والغريب أن هؤلاء الذين كانوا يفكرون في الحروف والحركة في هذا الإطار المقطعي لم يمكنهم أن يستخرجوا فكرة المقطع الذي لم يكن له اسم في مجموعة مصطلحاتهم » (١) .

ومنهم من نسب إلى القدماء إهمال المقاطع الصوتية وأشكالها وأجزائها إهمالاً تاماً (٢) .

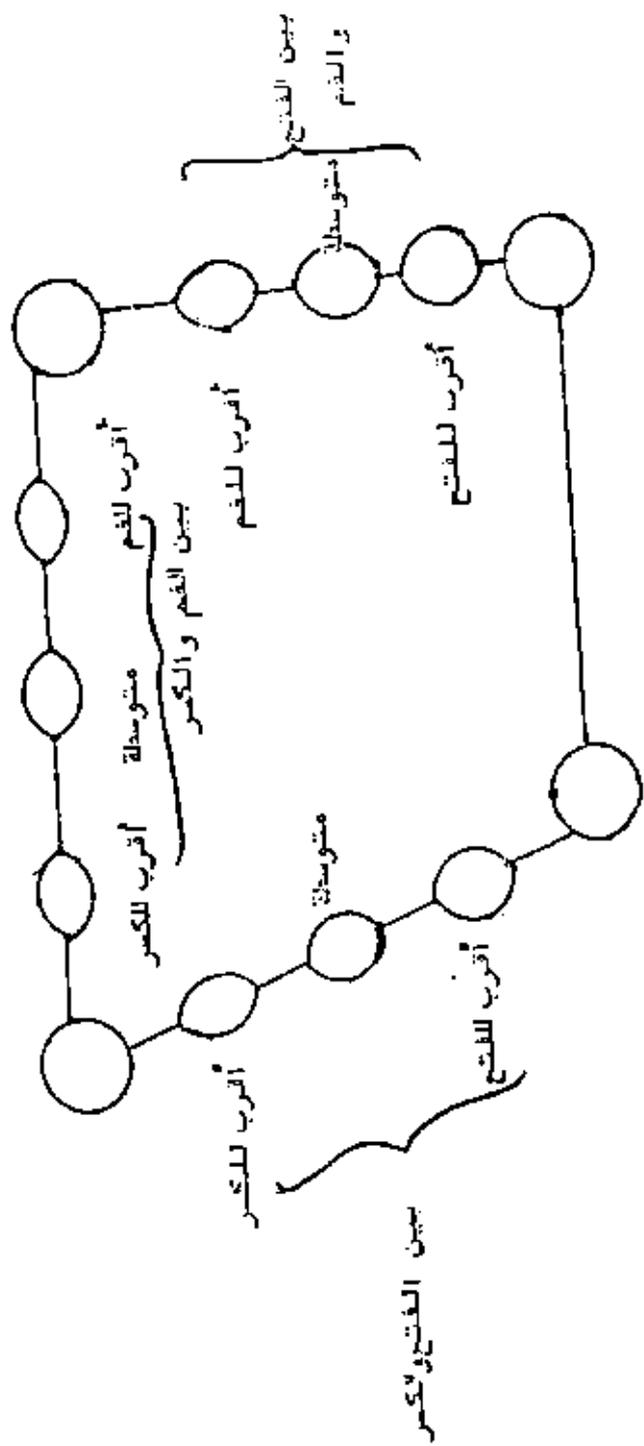
وقد فات هؤلاء الباحثين أن يعودوا إلى ما عرضه الفارابي من تصور لفكرة المقاطع الصوتية ، حيث تحدث عنها بوضوح ، وعرف : « وحدد أقسامها ، إلى مقطع تفسير ومقطع طويل ، وإذا تأملنا عبارته كل حرف غير مصوت أتبع بمصوتات قصير قرن به ، فإنه يسمى « المقطع القصير » والعرب يسمونه « الحرف المتحرك » من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل ، فإننا نسميه « المقطع الطويل » (٣) . وإذا أمعنا فيها النظر ، لآح لنا إدراكه لفكرة المقطع ، كما يتصورها المحدثون ، وقد ظهر في هذا النص احتراز من الفارابي وقبود لتوضيح فكرته ، فأشار إلى ما يقصده من مصطلح المقطع ، وهو ما يقابل الحرف المتحرك عند النحاة العرب وهي عين الفكرة في الدرس الحديث .

كما ظهر في النص استعمال الفارابي للمصطلحات التي نألفها الآن في علم اللغة الحديث ، وثبت ذلك بأن المقطع يتكون من حرف غير مصوت أي صوت صامت يتبعه مصوت قصير أو طويل ، وطول المقطع يتحدد بطول الصائت الذي يتبع الصامت .

(١) هنري فليش : التفكير الصوتي عند العرب ، ص ٨٣ ، ص ٨٥ .

(٢) د أحمد مختار عمر : نهج المعنى عند العرب ص ٨٤ ، ج ٢ ، ١٩٧٦ م .

(٣) الفارابي : الوسعي الكبير ، ص ١٠٧٥ .





وتعل الفارابي أن من ذكر هذا المصطلح ، وتكلم عنه ، بكل هذا التحدد وتفهم الواضح ، والتصور الذي ينطبق مع فهم المحدثين لمكرة المقطع ، حيث تردد هذه الأفكار بعضها بينهم ، وهي مستفيضة في كثير (١).

وقول الفارابي « فإننا نسميه » دليل على سبقه لهذا المصطلح . ويفهم من عبارة الفارابي في العلاقة بين الصامت والصائت ، أن الصائت أو المصوت هو التاني بدليل قوله « أتبع » فالحرف أسبق من الحركة ، والحركة تالية للحرف ، وهو كلام رده ابن جنى ، وناقشه في بعض كتبه (٢) ، وسبقه الفارابي إلى جسم هذه القضية بأن الحركة تالية للحرف أو أن الصائت تان للصامت .

في علم الأصوات الفيزيائي Acoustic Phonetics

يختص هذا العلم بدراسة الصوت اللغوي بعد خروجه من الجهاز الصوتي ثم مساره في الهواء حتى يصل إلى أذن المستمع ، فيدرس هذا العلم التردد الصوتي وطول الموجة الصوتية ، وسعتها ، وسرعة الصوت والرنين ، والصدى الصوتي وعوامل الحدة والتقل في الأصوات ، وغير ذلك مما يختص بالظواهر الفيزيائية للصوت .

وقد كان للفارابي جهود طيبة في هذا المجال ، وأدلى بدلوه في قضايا هذا الجانب المهم من علم الأصوات ، وأشار إليها في ثنايا كتابه .

ولاشك أن كثيراً من هذه المعلومات التي يبحثها الندارسون في هذا المجال مأخوذ عن دراسات الفيزيائيين ، ولم يفت الفارابي التيه على أهمية هذه المعلومات المتعلقة بالأجسام المصوتة ، وأسباب حدوث الصوت ، وعوامل الحدة والتقل ، وأكد الفارابي على أن هذه الأمور يحتاجها أصحاب علم اللغة من أهل كل لسان ، وصناعة البلاغة ، وصناعة الشعر (٣).

(١) جان كاتينو . دروس في علم أصوات العربية ، ص ١٩١ تحقيق صالح القرطادي ، تونس ١٩٦٦ .
د كال بشر . الأصوات ص ١٦٢ . وانظر : Maindrea Phonetics, p. 65

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ، ٢٧٠١

(٣) الفارابي . الموسيقى الكبير ، ص ١٠٠

١ - الأجسام المصوتة :

من أوائل الموضوعات الفيزيائية الصوتية ، موضوع الأجسام المصوتة ، ويقصد بها الأجسام التي تنتقل بواسطتها الأصوات ، أو التي يمكن مرور الأصوات من خلالها ، وهي وسائل ، يتم بها انتقال الصوت من مصدره ، حيث يراد توصيله ، واستماعه .

وقد ثبت أن الأجسام التي تنقل الأصوات قد تكون الأجسام الصلبة أو الأجسام السائلة أو الغازات ، فلا بد للصوت من وسط ينتقل خلاله الصوت ، وتسمى الأجسام المصوتة ، أو الأوساط التي يمر فيها الصوت ، ومعلوم أن الهواء هو الوسط العادي لانتقال الصوت ، ولكن يمكن مرور الصوت خلال الماء والزجاج (١) .

أما عند الفارابي ، فإننا نجد بياناً واضحاً متفصيلاً عن تسميات الأجسام التي ينتقل خلالها الصوت ، وخصائصها ، فقد قسمها إلى مايلي (٢) :

(١) أجسام لا تقاوم : وهي بدورها تنقسم إلى مايلي :

* أجسام لا تقاوم وتنفذ للجسم الزاحم أو المصطدم ، وذلك بالاندفاع إلى عمق نفسه ، أو بمعنى آخر ينضغط في نفسه ، وذلك كالأجسام اللينة ، ويقصد الفارابي بها مثل الصلصال ، والمطاط وما شاكلهما من الأجسام اللدنة .

* أجسام تخترق للجسم المصطدم مثل الأجسام الرطبة ، ويقصد بها السوائل .

* أجسام تنحى إلى الجهة التي إليها كانت حركة الزاحم أو الجسم المصطدم من غير مقاومة أصلاً ، ولعله يقصد بذلك الهواء أو الغازات .

(ب) أجسام تقاوم : وهي الأجسام التي تقاوم الجسم المصطدم أو الزاحم ، فلا تخترق ولا تندفع إلى عمق نفسها ، ولا إلى الجهة التي إليها حركة الزاحم ، وذلك مثل جميع الأجسام الصلبة ، فهذه الأجسام متى قرعت حصل الصوت .

H. D. O'connor, Phonetics. p. 71

(١)

(٢) الفارابي . الموسيقى الكبر . ص ٢١٢ .

فالقسمة عند الفارابي رباعية :

* المواد الصلبة وهي التي يمكن حدوث الصوت معها ، وانتقاله من خلالها .

* المواد بين الصلبة والسائلة ، وهي المواد اللينة أو اللدنة .

* المواد السائلة .

* المواد الغازية .

والثلاثة الأخيرة لاتقاوم ، ولذلك لا يحصل معها الصوت إلا في ظروف خاصة ، فشرط حدوث الصوت عند الفارابي هو المقاومة بين الجسمين المتصادمين .

ونلاحظ في عبارات الفارابي مصطلح « القرع » الذي يعرفه الفارابي قائلا :
« القرع هو مماسة الجسم الصلب جسماً آخر صلباً ومزاحماً له عن حركة »^(١) .

فالقرع عنده اذن مصادمة جسم بجسم آخر ، أي يتجه جسم ما نحو جسم آخر فيصطدم به ، فتحدث مقاومة بينها فيحصل صوت بينهما ، نتيجة هذا الاصطدام أو القرع .

وهناك مصطلح آخر لم يرد عند الفارابي ، لكنه ورد عند ابن سينا ، فأشار إليه في رسالته « أسباب حدوث الحروف » وهذا المصطلح هو « القلع » وهي عملية مقابلة أو عكسية لما يحدث ل القرع ، يقول ابن سينا في تعريف القلع :
« تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر تبعيداً ينقلع عن مماسته انقلاصاً عنيفاً لسرعة حركة التبعيد »^(٢) . فالقلع عكس القرع ، فيما يحدث في القرع تقرب الجسمين المتصادمين يحدث تبعيد الجسمين ل حالة القلع .

ويلتقى مصطلح القلع عند ابن سينا مع ما يعرف في الدراسات الفيزيائية بمصطلح (التخلخل) Rarefaction حيث يندفع الهواء لملأ الفراغ الناشء عن

(١) الفارابي . الموسئى الكبير . ص ٢١٢
(٢) ابن سينا . أسباب حدوث الحروف ، ص ٣ . نشرها الأب نبوعى لومس شيخرفس مجموعة ط . . .

تبعيد الجسمين . يقول ابن سينا ، وأما في القضع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقطوع منها دفعة بعنف وشدة (١) .

وإذا كان القرع في الاتجاه الموجب نحو الجسم الآخر ، فإن القلع عملية عكسية ، تكون في الاتجاه السالب بعيداً عن الجسم المتناس مع الجسم المتعاقد .

٢ - تصور تصويت القرع :

يقدر الفارابي أن التصويت الناتج عن القرع يتم بأن أجزاء الهواء الذي بين الجسمين المتصادمين ، منها ما قد يتخرق للجسم المصطدم ، ويبقى من الهواء أجزاء لا تتخرق ، لكن تندفع بين يديه ، فيضطره اتقارع إلى أن ينضغط بينه وبين الجسم المقروع ، فيقلب من بينهما ثانياً ، كما يعرض للخزرة إذا ضغطت بين أصبعين أن تغلت من بينهما (٢) .

فصوت القرع ناتج عن انضغاط هواء بين الجسمين المتصادمين . ويعلل الفارابي لتباين الصوت الناتج عن تصادم الأجسام الصلبة عن الصوت الناتج عن تصادم الأجسام اللينة ، فيبين أن أجزاء الهواء في الحالة الأولى تكون متصلة الأجزاء ، وأشد اجتماعاً عنها في الحالة الثانية فيقول : « ومتى نبا الهواء من بين القارع والمقروع مجتمعاً متصل الأجزاء ، حدث حشد صوت ، وكلما كان الهواء الثاني من بينهما أشد اجتماعاً فحدث الصوت فيه أمكن ، وأجود ، وذلك مثل ما ينجو متى قرعت الأجسام الصلبة المتراصة الأجزاء مثل النحاس والحديد ، ومتى كان المقروع خشناً أو متنجس الأجزاء كان ذلك فيه أقل إمكاناً ، وأقل ذلك إمكاناً الصوف والاسفنج » (٣) .

وهل الرغم من ذكر الفارابي آنفاً أن الصوت لا يصدر عن الهواء أو السائل لأنها تتخرق ، فقد عده وقرر بعد ذلك أن الهواء قد يصدر عنه صوت وذلك إذا فرغ بالسياح لمقاومة الجزء من الهواء الذي يفرع ، للوسط ولا يتخرق له ، بل يبقى مجتمع الأجزاء متصلاً ، فيقوم ذلك مقام النحاس ، وما أشبهه .

(١) نفسه والصفحة

(٢) الفارابي . الموسيقى الكبر . ص ٢١٣

(٣) نفسه والصفحة .

وكذلك ذكر الفارابي أنه قد يسمع للماء صوت متى قلوب القارع ، فإذا
انحرق ، ولم يقاوم لم يكن له صوت أصلاً^(١١) .

وخرير الماء ، ماعز إلا صوت ناتج عن مقاومة الماء لجسم مصطدم به وهو
القارع .

٣ - الرنين :

تعرض الفارابي للحديث عن (النغمة) وعرفها بأنها صوت لا يث زماناً
واحداً محسوساً إذا قدر في الجسم الذي فيه يوجد^(١٢) .

وقد بين الفارابي الأجسام التي تصدر عنها النغمة وهي :

* الأجسام المهتزة مثل الأوتار ، حيث تبقى فيها الحركة بعد مفارقة المحرك ،
وبلعل الفارابي لحثوث النغمة في هذه الأوتار ، أن الحركة الباقية في الوتر ،
ينفض بها الوتر ، الهواء عن نفسه ، فتحدث في الهواء قرععات متصلة ،
فتدوم مادامت تلك الحركة فيه باقية إلى أن يسكن ، فينقطع الصوت حينئذ
ويقصد الفارابي أن الصوت سوف يتضاءل نتيجة لنقص طاقة الحركة في
الجسم المتحرك أو المهتز بمرور الوقت ، إلى أن تصل الطاقة للصفر ، فيتوقف
الجسم عن الحركة ومن لم يتوقف الصوت .

* الهواء الذي يهرب شيئاً شيئاً يدفع شديداً في جسم مجوف مقروع فيقرع
الهواء جوانب باطن الجسم أو يقرع الهواء نفسه بعضه بعضاً على اتصال
زماناً ما فتحدث النغمة كما في المزمار وأشباهاها . أي أن أجزاء الهواء تصطدم
بجوانب اسطوانة المزمار من الداخل فيحدث الصوت ، وكذلك تصطدم
أجزاء الهواء بعضها ببعض .

* تدحرج الهواء المقروع على جسم أملس ، ولعله يقصد رنين المعادن
والأخشاب كما يحدث مع الشوكة الرنانة .

(١١) نفسه ، ص ٢١٤ .

(١٢) الفارابي . الموسيقى الكبير ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

* أن يصدح الهواء بعد مفارقتة للجسم المقروء ، جسماً آخر فينبو عنه أيضاً ، ثم يعود فيصدح جسماً آخر ، ولا يزال هذا التداول حتى تسكن حركة الهواء ، وهذا ما يعرف في الترامسات الفيزيائية بالصدى الصوتي . والنغمة التي تناوذا الفاراني ، وقصد إليها ، هو ما يعرف بالرنين عند الفيزيائيين .

٤ — الحدة والقل في الأصوات :

تأول الفاراني مع شيء من التوسع ، وإفاضة اليان ، ظاهرة الحدة والقل ، فذكر أن حدة الصوت تكون متى كان الهواء الثاني شديد الاجتماع ^(١) ، ويقصد بذلك زيادة التردد الصوتي ، ومن المعلوم في الفيزياء أن سرعة الصوت = التردد \times طول الموجة . فيكون التردد متناسباً عكسياً مع طول الموجة ، فمع زيادة التردد الذي هو عدد الموجات في وحدة الزمن يقل طول الموجة وهذا معنى كلام الفاراني (أن يكون الهواء شديد الاجتماع) .

وذكر الفاراني أن ثقل الصوت يكون إذا كان الهواء الثاني في الحال اللين ^(٢) ويقصد أن يكون الهواء أقل اجتماعاً ، ذا تردد منخفض ويكون طول موجته طويلاً ، فارتفاع التردد يؤدى إلى حدة الصوت ، عل حين يؤدى انخفاض التردد إلى ثقل الصوت .

كما ذكر الفاراني أن العوامل التي تؤدي إلى حدة الصوت هي التي تؤدي إلى شدة اجتماع الهواء والعكس صحيح . وعن عوامل حدة الأصوات ذكر الفاراني ^(٣) :

* سرعة الصوت :

ذكر الفاراني أن سرعة حركة الهواء وسرعة نبوه تؤدي إلى حدة الصوت ، وأن الهواء بسرعة حركته ، سابق بشدته فيصل إلى السمع مجتمعاً .

ولاشك أن ذلك يتفق مع ما ذكره الفيزيائيون في القانون الصوتي المشهور الذي أشرنا إليه سابقاً ، ومنه نعلم أن سرعة الصوت تناسب تناسباً طردياً مع

(١) الفاراني . الموسيقى الكبير . ص ٢١٦

(٢) نفسه والصفحة

(٣) نفسه ص ٢١٧ — ٢٢٢ وانظر أيضاً ص ٢٦٤

التردد الصوتي ، فكلما زادت سرعة الصوت زاد التردد ، وكان الصوت حاداً
وكما قلت سرعة الصوت ، قل تردده ، وكان الصوت أنقل .

* زخم القارع :

فمتى كان زخم القارع أشد كان الصوت أحد ، من قبل أنه يفعل في الهواء
الناب اجتماعاً أشد ، ومتى كان زخمة أقل كان الصوت أنقل .

* صلادة وملاسة الجسم المقروع :

متى كان الجسم المقروع أكثر صلادة وملاسة وصلابة كان الصوت أحد ،
من قبل أن الهواء متى ناب عن جسم بهذه الحال ، كان اجتماعه أشد . وهنا يشير
الفارابي إلى العلاقة بين التردد الصوتي الناتج عن جسم ما ، وكثافة مادة هذا
الجسم ، والعلاقة بينهما عكسية (١) .

* القوة الدافعة للهواء :

فمتى كان الهواء المدفوع أكثر ، وكانت قوة الذي دفعه أضعف ، كان
الهواء أبطأ حركة ، ويكون من الاجتماع بالحال اللين ، فيكون الصوت أنقل ،
ومتى كان الهواء قليلاً ، والقوة الدافعة أقوى ، كانت حركة الهواء أسرع ،
وكان أشد اجتماعاً ، فكان الصوت أحد . وهنا يشير الفارابي إلى طاقة الحركة
للهماء المدفوع فكلما زادت طاقة حركة الهواء ، زاد تردده ، وصار الصوت
أحد والعكس صحيح .

* الطول والقصر :

يرى الفارابي أن من أين الأشياء التي يوقف بها على مقادير النغم بعضها من
بعض ، وإذا اتفق وتران في كل الصفات ، واختلفا في الطول كان الأطول
يعطى التردد الأقل ، والأقصر هو الذي يعطى التردد الأعلى ، فيتناسب التردد
عكسياً مع طول الوتر .

(١) يناسب التردد تناسباً عكسياً مع الحد التريبي لكثافة المادة . الفارابي الموسيقي الكبير ،

* سعة ثقب الزمار :

فإذا اتفق ممران في الخصائص كلها ، واختلفا في سعة الثقب ، كان الثقب الأضيق ، هو الذى يعطى النغمة الأحد أو التردد الأعلى والعكس صحيح .

ويطبق الفارابى نظريته تلك عن عوامل الحدة والنقل في الآلات ، فبرى^(١) أن حدة النغم وثقلها تحدتان في الآلات :

— إما يقرب الهواء السالك من القوة التى دفعته ، فنغذته في الجيوب ، أو يبعده عنها .

— وإما لضيق التجويف الذى هو مجاز الهواء ولسعة .

— وإما لضيق متخلصات الهواء من تحريفات هذه الآلات إلى خارج ، ولسعتها .

— وإما لملاسة التجويف أو المتخلصات ، وخشونتها .

— وإما لضعف القوة التى نفذ بها الهواء في التجويف ، أو في المتخلصات وإما لزيادة في القوة .

وأشار الفارابى^(٢) إلى أنه ربما زاد سبب الحدة زيادة ما ، ولكن لا يكسب ذلك حدة ، ويزيد سبب الثقل زيادة ما ، فلا يكسب ثقلاً ، فزيادة التردد غير تابعة لزيادة أسبابها على الإطلاق ، ولكن إذا قل التردد ، عزم أنه لزيادة سبب الثقل ، فزيادة التردد وقتته يوجب أن يكون قبلها ضرورة زيادة في السبب وليس كل زيادة في السبب ينتجها زيادة في التردد .

والفارابى يرى أن أسهل ما يمكن أن يوقف به على مقادير تفاضل الحدة والنقل (أو التردد) هو طول الأوتار وقصرها ، وعنده أن الثقل يتبع الطول ، والحدة تتبع القصر ، متى كانت الأطوال غير مختلفة في سائر أسباب الحدة في النقل^(٣) .

(١) الفارابى . الموسئى الكبير . من ١٧٢ — ١٧٣ .

(٢) الفارابى . الموسئى الكبير . من ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) نفسه ، من ١٧١ .

ومن هنا يتبين لنا أن التردد يتناسب تناسباً عكسياً مع طول الوتر المهتز كما هو الحال عند الفيزيائيين ، ويتضح من النص فهم الفارابي للنهج العلمي المتبع في قياس تأثير عامل من العوامل المؤثرة في شيء ما ، فتجب مراعاة تثبيت بقية العوامل ، فإذا كان التردد يتوقف على عدة عوامل منها طول الوتر وأردنا معرفة علاقة التردد بطول الوتر ، أتينا بوترين مختلفان في الطول ، ويتفقان في كل العوامل المتبقية ، التي يتوقف عليها التردد ، وهذا ملاحظ في قول الفارابي : « متى كانت الأطوال غير مختلفة في سائر أسباب الحدة والنقل » ويقصد الفارابي مساحة مقطع الوتر وكثافة الوتر ، وقوة شده .

ودراسة أسباب تفاوت الترددات في الآلات مفيدة في دراسة الترددات الصوتية الناتجة عن الجهاز الصوتي الإنساني ، وقد قرر الفارابي أن : « أسباب الحدة والنقل في النغمة الإنسانية هي بأعيانها أسباب الحدة والنقل في النغمة المسموعة عن المزمار » (١) .

* علم الأصوات السمي Auditory Phonetics

للفارابي بعض الآراء الجيدة فيما يتعلق بأثر الأصوات في السمع ، ومن المعلوم أن علم الأصوات السمي يختص بدراسة الصوت عندما يؤثر في الأذن ويصل عن طريق أعصاب السمع ، إلى مراكز السمع في المخ .

والأذن البشرية لها قدرة محدودة على التقاط الأصوات ، وليست للأذن البشرية قدرة مطلقة على التقاط كل الترددات الصوتية ، فلها حد أدنى من التردد ولها حد أقصى .

وإلى ذلك أشار الفارابي ، فذكر أن « في طبقات الحدة ، طبقات ليست طبيعية للسمع ، وكذلك في النقل وطبقاته ، ونجد فيها طبقات للحس فالنغمة التي هي في طبقات من الحدة والنقل طبيعية للإنسان هي بين أول طبقة من الحدة غير طبيعية ، وبين أول طبقة من النقل غير طبيعية » (٢) .

(١) الفارابي التوسيمي الكبير . ص ١٠٦ .

(٢) نفسه ، ص ١١٢ - ١١٣ .

والترددات الطبيعية للأذن البشرية ، قاسها العلماء الفيزيائيون في العصر الحديث ، وقدروها بين ٢٠ — ٢٠,٠٠٠ ذبذبة/ ثانية ، وهذا يسمى بالمدى الموسوع ، أما الموجات التي يقل ترددها عن ٢٠ ذبذبة/ثانية (أو سينكل/ ثانية) فتسمى موجات تحت الصوتية (Subsonic) Infrasonic waves والموجات التي يزيد ترددها عن ٢٠,٠٠٠ ذبذبة/ ثانية تسمى موجات فوق الصوتية Ultrasonic waves (١١) .

والترددات الصوتية لانهية لها ، ولكن الطبقات الصوتية الموسوعة بالأذن البشرية محدودة ، يقول الفارابي في هذا الصدد : « فين أن النغمة المختلفة الطبقات ، أما في أنفسها ، فإنها يمكن أن تتزيد تزيهاً بلا نهاية ، وأما بحسب قياسها إلى سمع الإنسان فهي متناهية » (١٢) أي لها تردد محدود بالنسبة للقدرة السمعية للأذن البشرية .

وأشار الفارابي (١٣) إلى عملية حصول السمع في الأذن ، فذكر أن الهواء الذي ينبو من الجسم المقروع هو الذي يحمله الصوت فيحرك بمثله جزء الهواء الذي يليه فينتقل إليه الصوت ، ويقصد الفارابي انتقال الموجات الصوتية . ويستطرد الفارابي مبيهاً أن الثاني يحرك ثالثاً يليه فيقبل ما قبله الثاني من الموجات الصوتية ، والثالث رابعاً يليه ، وهكذا حتى تصل الموجات الصوتية إلى الهواء الموجود في الصماخين . ومن ثم فإن هواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع ، فيتأدى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان ، وهذا التصور من الفارابي لعملية السمع ، هو عين ما تقولته الدراسات الحديثة (١٤) .

وواضح أن الفارابي يقصد « بالقوة التي بها يسمع » أعصاب السمع التي تصلها الموجات الصوتية عن طريق اهتزاز طبلة الأذن التي يقصدها بقوله « للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع » .

(١١) د. إبراهيم البراهيم شريف ، عناصر المادة والصوت . ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، وانظر : Jacob & Lieberman, Speech Physiology and Acoustics, p. 24, U. S. A. 1977; G. R.

Tones and other, Acoustics, p. 100, London 1967; R. H. Robins, General Linguistics, p.

٩١.

(١٢) الفارابي ، الموسيقى الكبير . ص ١١٣ .

(١٣) ص ٢١١ .

J. D. O' Connor, Phonetics, p. 96.

(١٤)

ومعلوم أن طبلة الأذن Ear Drum تهتز لاهتزازات هواء الصماخ فتنتقل الاهتزازات الصوتية من طبقة الأذن ، إلى الأذن الوسطى التي بها العظيحات الثلاث ، وهي مرتكزة على السطح الداخلى لطبلة الأذن ، وتتصل هذه العظيحات من الداخلى بالأذن الداخلية التي ترجد بها أعصاب السمع ، وتنقل الاهتزازات المتعلقة بالرسالة الصوتية عبر أعصاب السمع إلى المخ ، حيث توجد مراكز السمع العليا ، فيدرك الإنسان الصوت ويسمعه .

ومن هنا يتبين مدى إدراك الفارائى بدقة لمراحل مسار الرسالة الصوتية أو الاهتزازات من فم المتكلم ، حتى تصل إلى أذن المستمع ثم إدراك الإنسان عن طريق الجهاز العصى السمعى لدى المستمع ، وهذا عين التصور الحديث فى علم اللغة والتشريح ووظائف الأعضاء .

الخلاصة

لاشك بعد هذا التطواف في عقل وفكر الفارابي في المجال الصوتي ، في برور عدة حقائق جلية واضحة ، شاهدة على مدى تقدم العرب في مجال البحث الصوتي ، وأولى هذه الحقائق أن الفارابي مصدر مهم من مصادر المعرفة اللغوية وخاصة في المستوى الصوتي ، حيث قدم دراسة وفكرة في غاية الوضوح والعسق ، لم تفقد قيمتها وأهميتها برغم ما مر عليها من قرون طويلة .

تميز فكر الفارابي الصوتي بالشمول ، إذ كان يترك بتصور واضح المراحل المختلفة التي يمر بها الصوت ، من لحظة إنتاجه حتى لحظة إدراكه ، وهنا يمزج الفارابي بين التصور النظري للفكر الصوتي ، والملاحظة العملية ، وكانت مصادر الفارابي في استيعابه لهذا الفكر متنوعة ، فقد نص على أن ذلك يؤخذ من علم اللغة والشعر وعلم الطبيعة ، وكان الفارابي فيما يعرض من فكر صوتي مبدعاً ، ولم يك مجرد ناقل أو مررد لأقوال من سبقه .

وآراء الفارابي التي بحثناها تتوافق مع ما وصل إليه علم اللغة في العصر الحديث ، بل تكاد تتطابق معه ، وفي الوقت نفسه ، كان الفارابي مجدداً لأراء اللغويين القدماء ، وله ملاحظات جديدة لم ترد عند سيبويه أو النحاة من بعده فالصوت اللغوي يجب أن يكون بشرياً يؤدي إلى تكوين ألفاظ لها معنى ، وعند كلامه على الجهاز الصوتي لم يقصره على الفم والأنف ، بل أوصله إلى الصدر وماحوله من أضلاع وخواصر ، وما فيه من رتتين ، وتشبيهه الجهاز الصوتي الإنساني بالآلة فكرة جديدة له لم يسبق إليها ، وما ذكره ابن جنى في هذه المسألة نقله من الفارابي ، ولم يأت ابن جنى في ذلك بمجهد .

كما جاء عند الفارابي مصطلح (مصوت) ويقصد به الصائت أو الحركة ، وهو أول من أشار إلى ذلك من القدماء ، وما ذكره ابن جنى عن المصوتات نقله عن الفارابي دون إشارة ، كما لاح لنا نص الفارابي وإشارته إلى مجيء الحركة بعد الحرف ، أو الصائت بعد الصامت ، ومن المعلوم أن ابن جنى ناقش هذه القضية بعد الفارابي ولم يشر إليه .

وتقسيم الفارابي للأصوات إلى مصوت ، وغير مصوت سبق فريده منه في علم الأصوات عند العرب ، إذ تعد الفكرة من أسس علم الأصوات الحديث ، وكان الفارابي مبدعاً عندما فطن إليها ، كما ذكر الفارابي ملاحظات قيمة عن الصوامت ، وذكره لمصطلح (ممتدة) يتطابق مع التصور الحديث .

وللفارابي مصطلحات صوتية جديدة مثل مصطلح (الزم) الذي لم يسبق إليه ليفرق بين صوتي الميم والنون ، كما أن تصور الفارابي عن الصوائت (الحركات) تصور دقيق يتفق في مجمله مع البحث الحديث .

وقد فطن الفارابي لفكرة المقاطع ، وهو أمر لم نجده عند أحد من المتقدمين وقد قسمها إلى طويلة وقصيرة ، والفارابي بذلك ينفي اتهام المحدثين للقدماء بعدم معرفتهم بالمقاطع .

ول الجانب الفيزيائي للصوت تجل فكر الفارابي في التمييز بين الأجسام المصوتة وغير المصوتة ، وأن الأجسام تتفاوت فيما بينها في نقل الصوت ، مع دقة فهم لنظرية انتقال الموجات الصوتية عبر الأجسام ، كما أدرك الفارابي العوامل التي تؤثر في اختلاف التردد الصوتي ، وقام بقياس تأثير كل عامل منها .

ول الجانب السمعي كان الفارابي مدركاً لكيفية حصول عملية السمع في الأذن وكذلك للمدى الذي تستطيع الأذن البشرية إدراكه من الترددات المختلفة للصوت ، كما كان الفارابي على وعي بأن الأذن البشرية تستقبل الصوت ثم يصل إلى المخ عبر أعصاب السمع ، فيترك الإنسان الصوت .

إن هذه الأفكار التي طالعناها عند الفارابي ، هي الأفكار السائدة الآن عند الدارسين في علم اللغة ، وعلم الفيزياء ، وهي تمثل حجر الزاوية في الدرس الصوتي الحديث ، ومن ثم ينبغي دراسة اللغة في مستوياتها المختلفة ليس عند اللغويين فحسب ، بل عند كل من له صلة بجانب من جوانبها كالقراء ، والأدباء والبلاغيين والمتكلمين والفلاسفة ، ومن ثم تتضح لنا رؤية لغوية عربية شاملة تهيء متطلبات الدرس اللغوي الحديث ، وما هوذا الفارابي مثال صادق على ما نقول .

والله الموفق إلى أهدى سبيل ،،،

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب العربية :

- إبراهيم إبراهيم شريف (دكتور) :
خواص المادة والصوت ط ٤ . دار المعارف ١٩٧٥ م .
- إبراهيم أنيس (دكتور) :
بحث في اشتقاق حروف العلة . مجلة كلية الآداب — جامعة
الاسكندرية مجلد ٢ .
- أحمد مختار عمر (دكتور) :
البحث اللغوي عند العرب . ط ٢ ١٩٧٦ م .
- برجشتراسر :
التطور النحوي . ط السماح — ١٩٢٩ م .
- جان كاثينو :
دروس في علم أصوات العربية . ترجمة د. صالح المرادي . تونس
١٩٦٦ م .
- ابن جنى :
الخصائص تحقيق الشيخ محمد علي النجار . م . دار الكتب —
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- ابن جنى :
سر صناعة الإعراب . ط تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزفزاف ،
وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط ١ . — مصطفى الحلبي
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- حسن نصار (دكتور) :
القافية في العروض والأدب . دار المعارف د . ت .

- سيويه :
الكتاب ، ط بولاق ١٣١٨ هـ
- السيرال (أبو سعيد) :
مأذكرة الكوفيين من الإدغام . تحقيق صيغ حمود الشاق ، مجلة المورد
مجلد ١٢ ، عدد ٢ ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٢ م .
- ابن سينا :
أسباب حدوث الحروف . نشرها الأب اليسوعي لويس شيخو ضمن
مجموعة . ط بيروت . د . ت ،
- أ. شاذة :
علم الأصوات عند سيويه وعندنا . صحيفة الجامعة المصرية . السنة
الثانية ١٩٢١ م .
- عابدين (عبد المجيد / دكتور) :
محاضرات ل علم اللغة الحديث — الإسكندرية ١٩٨٦ .
- الفارابي :
الموسيقى الكبير تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكاتب
العربي للطباعة والنشر القاهرة .
- فلوريس :
اللغة ، بحر — عبد الحميد الدواخل ، ومحمد القصاص . الناشر مكتبة
الأنجلو المصرية ، ط . لجنة البيان العربي ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .
- كمال بشر (دكتور) :
علم اللغة العام ، الأصوات . ط ٧ — دار المعارف — ١٩٨٠ م .
- مجمع اللغة العربية .
مجموعة المصطلحات العلمية والفنية للمجمع اللغوي دورة المؤتمر ٢٧ ،
القاهرة مجلد ٣ — ١٩٦٢ م

— هنرى فليش :

التفكير الصوتى عند العرب ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين . مجلة مجمع
اللغة العربية ، الجزء ٢٣ .

لانياً : الكتب الأجنبية :

- Bertil Malmberg, Phonetics, New York, 1963.
- G. R. Jones and others, Acoustics, London, 1967.
- J. D. O Connor, Phonetics, Penguin book, England, 1976.
- Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics, U.S.A,
1977.
- R. H. Robins, General Linguistics. An introductory Survey, London,
1960.
- J. C. Wells, Greta Colson, Pactical Phonetics, London, 1978.

قسم التاريخ

1950

1951

العلاء بن مخيث الجذامي الثائر علي دولة بني
أمية في الأندلس
هل هو يمني من جنده مصر؟

الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

في سنة ١٤٦ هـ (٧٦٣ م) أعلن العلاء بن مغيث الجذامي^(١) الثورة على الدولة الأموية في باجة ، ودعا إلى طاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ورفع اللواء الأسود . ونبعه خلق كثير من البغائية الذين انقلبوا على الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية ، مؤسس دولة بني أمية في الأندلس . ويبدو أن العلاء اختار الوقت المناسب للقضاء على دولة عبد الرحمن الأموي الفتية ، فقد كانت الثورات الفهرية تحتاح الأندلس منذ أن هرب عبد الرحمن بالإمارة في قرطبة ففي ظليلة ثار عليه هشام بن عروة الفهري وناوؤه ، وأنضم إليه عدد كبير من العرب ، وذلك بعد أن تخلص عبد الرحمن من خصمه يوسف الفهري والصميل . فلما علم عبد الرحمن بثورة العلاء وانضمام الثوار إليه ، خرج من قرطبة متجهاً إلى الغرب لمواجهة ، وعند قرمونة أقبلت إليه حشود هائلة من الثوار بقيادة العلاء ، فتحصن عبد الرحمن داخل أسوارها ، مع مواليه وثقات رجاله ، وأحكم العلاء عليه الحصار ما يقرب من شهرين حتى ساءت حالته ، ونفذت مؤوته ، وفي نفس الوقت اتخذ العلاء أكثر أنصاره لطول أمد الحصار ، فاختلت محلته ، وبلغ عبد الرحمن ذلك ، فوجدها فرصة مواتية للانقضاض عليه بقواته ، وكانوا نحو سبعمائة ، وأمر بتار فأوقدت عند باب إشبيلية من أبواب تلك المدينة ، ثم أمر بأغمد سيف رجاله فطرح في النار ، وقال لأصحابه : « اخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه

(١) بنو جمهور من المؤرخين العرب إلى حزام من كهلان ، ومنهم ابن القوطية (تاريخ اسنح الأندلس ، نشره دون خليان ريبا ، مدريد ، ١٩٢٦ ص ٣٢) وابن عثاري المراكشي (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، نشره ليفي برونسسال وكولان ، ج ٢ ، ليدن ١٩٤٨ ص ٥١) وابن الخطيب ، (كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق ليفي برونسسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٨) ، في حين بنو السمرقون لل مصعب بن حمير ، ومنهم ابن خلدون ، (كتاب العبر ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٦) والحسبي في (الوهن المطار في حير الأقطار ، تحقيق د. إحسان عاصم ، ص ٧٥) والقرني في (فتح الطب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٣١١) . وتعمل إلى ترجيح السبب الجذامي ، فقد كانت حزام من أقدم عرب مصر ، فدمروا مع عمرو بن العاص ، وكانت حزام عشيرة الهوي (عبد الله خورشيد الهوي ، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٠) اشتركوا في الثورة على عثمان بن عفان ، وقاموا الأمويين في نهاية دولتهم وأهلوا الدعوة العباسية ، وكانوا يشكلون ككرة عدية في القسطنطينية ، وكان منهم بالإسكندرية جماعة دور . عند وفاة وشجاعة وإقدام (التبريزي ، البيان والإعراب عما يارضي مصر من الأعراب ، تحقيق د. عبد الجليل عابدين ، القاهرة ١٩٦١ ص ٢٧) ، في حين أن مصعب وهي من حمير كانت قبيلة لعمرو وثقيلة الأهمية بمصر ، ولم يكن عددهم كبير في حوادث مصر والمغرب .

بالرجوع^(٢٧) ، فخرجوا إلى عدد لا يحصى ، فرزقهم الله النصراً^(٢٨) ، وأيد جيش العلاء ومزقت حشوده ، وبلغ عدد القتلى من رجاله نحو سبعة آلاف^(٢٩) ، وقيل ستة آلاف^(٣٠) ، وقتل العلاء ، فبسط فسطاطاً ، وأمر عبد الرحمن ، مبالغة منه في السخرية من أبي جعفر المنصور أن يبعث برأس العلاء إليه ، فأمر بجز رأسه ، وحشاه ملحاً وصبراً ، ولفه في لواء أبي جعفر ، ووضع الرأس في سقطة وبعث به مع رجل من أهل قرظية في جملة الحجاج ، وأمره عبد الرحمن بأن يضع السقطة أمام سرادق المنصور في مكة ، إذ كان يخرج في ذلك العام ، ففعل القرظي ما أمره به عبد الرحمن ، فلما نظر إليه المنصور ارتعاب وقال : « إنا لله ، عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان »^(٣١) .

هذا عرض موجز لثورة العلاء بن مغيث الجذامي كما وردت في المصادر العربية ، والسؤال المطروح على بساط البحث : من هو العلاء بن مغيث الجذامي أو اليحصي صاحب الثورة على عبد الرحمن بن معاوية الأموي ؟ ولماذا وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليه ليقود الثورة ويفجرها في باجة ويبعث إليه بسجل الولاية واللواء ؟

وللاجابة على هذين السؤالين لابد من الرجوع إلى الروايات الواردة في المصادر العربية ومقابلتها فيما بينها بهدف التوصل إلى بصيص من الضوء يعيننا على الإجابة عليهما .

١ - يتفرد المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس بقوله
 « في سنة ١٤٤ هـ أقبل العلاء بن مغيث الجذامي من إفريقية فدخل الأندلس ، ودعا بها لبني العباس ، وملك باجة وقرمونة . وفي سنة ١٤٦ هـ ملك العلاء بن مغيث بلاد شرق الأندلس ولبس السواد

(٢٧) ابن عذاري ، نيبات بقرم ، ج ٢ ص ٥١ .

(٢٨) ابن الخطيب ، كتاب أعيان الأعلام ، ص ٨ .

(٢٩) القرظي ، فتح الطيب ، ج ١ ص ٣١١ ونظر المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٥ .

(٣٠) ابن عذاري ، التكملة السابق ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٣١) ابن القرظية ، التكملة السابق ، ص ٣٤ - ابن عذاري ، نيبات ، ج ٢ ص ٥٢ .

وخطيب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، مبهة بجمانية بأسرها فسار إلى
إشيلية ، فقتل هو وسبعة آلاف من أتباعه^(٧٧)

وستنتج من هذا النص : أن العلاء بن مغيث كان من جند العباسيين
بإفريقية وأنه دخل الأندلس قادماً من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ فملك
باجة وقرمونة من بلاد غرب الأندلس . والمعروف أن باجة من الكور
المتحدة ، نزلها جند مصر ، وكان عبد الرحمن بن معاوية قد أسقط
جندهم وأهلهم ذكرهم^(٧٨) . وربما كان ذلك من الأسباب التي حملت
أهل باجة على السخط على عبد الرحمن الأموي والانضمام إلى العلاء
الذي كان على حدقول باقوت « على رأس جند باجة »^(٧٩) .

٢ — يذكر ابن عذارى أن العلاء بن مغيث الجذامي ثار سنة ١٤٦ هـ بباجة ،
« ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ، ونشر الأعلام السود ، فأتبعه
الأجناد ، وتطلعه العباد ، إلى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم ، وخلافته
أن تنصرم ، فخرج إليه من قرطبة ، وصار بقرمونة ، فتحصن بها مع
مواليه »^(٨٠) .

٣ — يذكر ابن عذارى في موضع آخر نقلاً عن السالمى في أدرر القلائد . أن
أبا جعفر المنصور « كان أرسل إلى العلاء بن مغيث بولاية الأندلس .
فنشر الأعلام السود ، وقام بالدعوة العباسية بالأندلس ، فالتحق إليه
الناس »^(٨١) .

٤ — وفي موضع آخر يحدد ابن عذارى ، نقلاً عن صاحب كتاب بهجة
النفس ، الموضوع الذي بدأ فيه العلاء بإعلان الثورة على الأمير الأموي ،
فيقول : « وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له ألقنت من عمل

(٧٧) مجهول . ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق نوبس موليا ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ١١٥ .

(٨٠) باقوت . معجم البلدان ، مادة باجة .

(٨١) نفس المنصر .

(٨٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٥١ .

(٨٣) ابن عذارى ، نفس المنصر ، ص ٥٢ .

باجة^(١٢) ، فأظهر سجل المنصور ولوائه ، وجمع إلى نفسه من أحابه ، ونهض إلى باجة فأخذها ، وتغلب بها على جميع العرب ، ونجح يريد الأمر عبد الرحمن^(١٣) .

٥ — يذكر المقرئ بقلأ عن ابن خلدون أن العلاء بن معيث ، سار سنة ١٤٦ هـ من إفريقية إلى الأندلس ، ونزل باجة الأندلس داعياً لأبي جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلق ، فسار عبد الرحمن ، ولقيه بتواحي إشبيلية . فقاتله أياماً ، ثم انهزم العلاء^(١٤) .

٦ — يذكر المقرئ في موضع آخر أن العلاء ثار بباجة ، وكان قد وصل من إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس ، فدخل في ناس قليلين ، فأرسي بباجة باجة ، أودعا ومن أهلها حولهم ، فاستجاب له خلق كثير^(١٥) .

ونخرج من الروايات السابقة بالحقائق الآتية :

١ — أن العلاء بن معيث الجذامي كان من رؤوس العرب البجائية بباجة ، بحيث وقع عليه اختيار أبي جعفر المنصور دون غيره من زعماء البجائية للمهمة الصعبة التي أسندت إليه ، وهي رفع اللواء الأسود ، وولاية الأندلس من قلبه . فإن القوطية يؤكد أنه كان من سكان باجة في الغرب ، وكانت له فيها رئاسة^(١٦) .

٢ — نستنتج من رواية الجغرافي مجهول الاسم صاحب كتاب « ذكر بلاد الأندلس » أن العلاء خرج من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ ، ودخل باجة

(١٢) هو الحصن المعروف اليوم باسم Fuente de Cantos ، ويحدد فيلت إرنانديز موقعه على بعد ٦٠ كم . م . حول إشبيلية في طريق إمدادة إشبيلية (Felix Hernandez, La Kura de Merida) en el siglo x, al-Andalus, Vol. XXV, Fasc. 2, 1960, P. 361.

وانظر رسالة الدكتوراه التي تقدمت بها د . سحر السيد عبد العزيز سالم وعنوانها : مظاهر الحضارة في إشبيلية الإسلامية (٢٦١ — ٦٢٧ هـ) . جامعة الأسكندرية ١٩٥٧ ص ٢٠٧ .

(١٣) ابن عسكري ، البيهق ، ج ٢ ص ٥٢

(١٤) المقرئ ، فتح الطب ، ج ١ ص ٣١١ .

(١٥) المقرئ ، المرجع السابق ، ج ٤ ص ٣٥

(١٦) ابن القوطية ، نهضة السابق ، ص ٢٢

بالذات من مدن الأندلس فملكها^(١٧) . وتساءل عن السبب الذي دعاه إلى اختيار باجة منزلاً له ، وبالربط بين النص الذي أورده الجغرافى مجهول الاسم ، ويشير إلى خروج العلاء من إفريقية سنة ١٤٤ هـ وبين استيلاء الجيش العباسى بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعى على إفريقية فى نفس السنة^(١٨) ، يمكننا أن نستنتج أن العلاء بن مغيث كان من بين أجناد الجيش المذكور، وأنه شارك فى حملة ابن الأشعث الخزاعى اليمنى الأصل على إفريقية ، وأنه اضطر إلى الخروج إلى الأندلس فى نفس السنة إما لتنفيذ المهمة التى أسندت إليه أو لاستغلال الأوضاع السيئة فى الأندلس ضد عبد الرحمن الداخل لصالحه هو ، أو لمناهضة المضربة وكانوا يؤلفون معظم الجيش العباسى فى إفريقية لقائدهم اليمنى عماد بن الأشعث الخزاعى .

٣ — إذا ربطنا بين رواية ابن القوطية التى يذكر فيها أن العلاء بن مغيث كان من سكان باجة فى الغرب وكانت له فيها رياسة^(١٩) ، وبين رواية المؤلف مجهول الاسم التى تشير إلى أنه ملك باجة وقرمونة فى سنة ١٤٤ هـ ، نستنتج أن العلاء اختار باجة ، مقر جند مصر ، منزلاً لسبب ما ، ويشير هذا الاختيار إلى أنه كان يستهدف الاعتراء بسكانها ، بحيث يمكنه من السيطرة عليها ، وهذا الحدث فى حد ذاته يدعونا إلى الاعتقاد بأنه كان من جند مصر الذين وفدوا إلى إفريقية فى حملة ابن الأشعث الخزاعى وأنه آثر أن ينزل بين قرمه من جند مصر فى باجة ، فرجدهم ساحطين على الأمير الأموى الذى كان قد أسقط جندهم ، وأخمل ذكرهم ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

٤ — وربما تأثر العلاء بذلك ، فعزم على الاطاحة بعيد الرحمن ، فأقدم على الاستيلاء على باجة وما حولها ، وترغم الثورة على الأمير الأموى ، ودعا لأبى جعفر المنصور ، الأمر الذى دعا المنصور إلى أن يعث إليه بسجل

(١٧) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لوس مولينا ، ص ١١٥

(١٨) ابن عسارى ، ج ١ ص ٨٣ وما بعدها

(١٩) ابن القوطية ، ص ٣٢

ولواء ويوصيه بقوله : « إن كان فيك عمل لمناهضة عبد الرحمن وإلا فأبعث إليك من عينك » (٢٠) .

٥ — وأعتقد أن العلاء رأى قبل أن يرفع اللواء الأسود أن يضم إليه أنصارا آخرين من قومه بشرق الأندلس ، وأغنى بهم جند مصر الذين أقرن أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي بعضهم في تدمير (٢١) التي سماها مصر (٢٢) ، وذلك استناداً إلى قول المؤلف مجهول الإسم أنه « ملك بلاد شرق الأندلس سنة ١٤٦ هـ وليس السواد وخطب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، والبيانية بأسرها ، فسار إلى أشيلية » (٢٣) . فلما وصل إلى قرمونة ألقى عبد الرحمن بن معاوية قد تحصن فيها ، فحاصره إلى أن وقع من الحوادث ما وقع ، وانتهى الأمر بمصرعه .

وإستنتاجاً من الحقائق السابقة غمض الحوادث على النحو التالي :

١ — أن العلاء بن مغيرة كان من بين جند مصر الذين شاركوا في حملة محمد بن الأشعث الخزاعي (٢٤) على إفريقية سنة ١٤٤ هـ .

٢ — أنه انفصل عن الحملة عندما بدأ المضربة في إفريقية ، وكانوا يشكلون السواد الأعظم من العرب يزعمون ابن الأشعث وبنائوه ، وأثر أن يعبر البحر إلى باجة المركز الرئيسي لجند مصر في الأندلس ، وربما فعل ذلك تفيئاً لاتفاق مسبق تم بينه وبين أبي جعفر المنصور أو من ينوب عنه في إفريقية وهو ابن الأشعث الخزاعي ، أو رغبة منه في الاعتزاز بقومه الجنية الذين كانوا يتقمون على عبد الرحمن بن معاوية ويضربون الكيد له ، تمهيداً للدعوة لنفسه ، والاطاحة بالدولة الأموية ، وإدخال الأندلس في

(٢٠) ابن القوطية ، ص ٢٢ .

(٢١) ابن عفران ، ج ٢ ص ٢٢ — السيد عبد العزيز صام ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٢ .

(٢٢) المقرئ ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٢٣) مجهول ، ص ١١٥ .

(٢٤) من الملاحظ أن ابن الأشعث ينسب إلى خزاعة التي ترفع بن كهلان وهي نفس الخزاعة التي تنسب إليه جندهم . وقد اشتركت الخزاعة في فتح مصر إذ ستمت كفة ثباتها أثناء حصار في الشريعة على هناك .

فدك الدولة لعباسية . وأميل إلى استبعاد الافتراض الأول والأخذ
بالتاني .

٣ - ثم يتردد العلاء عند وصوله إلى باجة في استشارة جند مصر من الحماية فيها
واستباض عزائمهم وشحذ همهم لثورة على الحكومة المركزية في
قرطبة، واستغل انصراف الأمر عبد الرحمن بن معاوية في إخماد ثورة
هشام بن عروة الغهري في طليطلة واستولى على باجة ونواحيها في غرب
الأندلس .

٤ - لما تم له ذلك انتقل إلى تدمير بشرق الأندلس حيث كانت تترن طائفة
كبيرة العدد من جند مصر من التنية الذين ينسب إليهم . ولما تحقق له
انصواؤهم إلى دعوته أقدم على رفع اللواء الأسود شعار العباسيين ، ودعا
لأبي جعفر المنصور ، وزحف نحو قرطبة ، فأدرك عبد الرحمن بن معاوية
قرب قرمونة، فبادر عبد الرحمن بالتحصن داخل سورها ، فحاصرته
قوات العلاء زهاء شهرين، ثم كان ما كان من هزيمة العلاء ومصرعه .

ومن خلال الربط بين الحوادث يمكننا توضيح طبيعة العلاقة بين العلاء
وأهل باجة ، والمغزى من الثورة التي قام بها العلاء على عبد الرحمن بن معاوية
في باجة ، وتفسير السب الذي دعاه لأعلانها في تلك المدينة وما ترتب على
ذلك من نتائج .

السيد عبد العزيز سالم

المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الأسكندرية

الدكتور

أحمد أمين سليم

* أسناد التاريخ القديم المساعد بفسم التاريخ — كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

عرف انصريون مكان حفظ لقائف الردى حت سمي pr-md3t وكذلك

pr n ss (٢) وهى تفيد معنى دار الكتب ، أو دار لقائفات الكتب ، وقد تعنى أحياناً « دار الوثائق » ، وذلك إذا كانت المواد المحفوظة فى الأرشيف ذات اهتمام خاص ، وذلك مثل أرشيف تل العمارنة ، وأرشيف مكتبة الشئون الخارجية فى عصر الرعامسة (٤).

عرف الكتاب باسم :

md3.t (٥) وهى تفيد معنى الكتاب الملفوف أو نسخة الردى أو الوثائق ،

Wb (Wörterbuch der Aegyptischen Sprache. Herausgegeben Von Adolf Eman und Herman Grapow) Band I, Berlin (1961) S 515 . Band II Berlin (1971) S 187, 8
Meeks, D., Annee Lexicographique, Tome I . Pary (1980). P 131

Lepsius, C. R. Denkmaler aus Aegypten und Aethiopen. III. Berlin. (٢)
 1854:167

Wb., III., S. 479. (٣)

L4 (Lexikon Der Ägyptologie, Herausgegeben von Wolfgang Heck und Eberhard Otto, Band I, 1975). S. 783. (1)

ومجموع الإشارة لى أن كلمة أرشيف مشتقة من الكلمة اليونانية *Arché* التى تفيد معنى الوظيفة الحكومية ، ومن ثم فقد أطلقت على مجموع الوثائق والأوراق التى تتجمع لدى المرفق أثناء عمله ، وهى فى اللاتينية *Archivum* ومنها انتقلت إلى اللغات الحديثة ، ول العصر الحديث تعددت تسمياته ، فبعض البعض أنه يطلق على الوثائق القديمة ، وبعض البعض أنها الوثائق التى همب العولة ، أو أنها كل الوثائق المكتوبة الناتجة من نشاط أجماعى أو فردى والتى هم تنظيمها وحفظها لإتاحتها لمنظمة واحدة لسهل الرجوع إليها . وتشير الأدلة الأثرية لى وجود أرشيف منظمة فى العالم القديم مثل أرشيف تل العمارنة فى مصر ، أو شبر نيك آشور . يابيل فى نينوى بالعراق وأرشيف ملوى بمرور

Wb . II. S 180

(٥)

وهي تشير إلى طبيعة الكتب في مصر القديمة ، بل والعالم القديم آنذاك ، إذ كانت معظم الكتب على شكل لفائف يصنع أكثرها من البردي .

ويرجع الفضل إلى انصريين في اختراع ورق البردي الذي ظل مستخدماً في مصر منذ بداية التاريخ المصري القديم وحتى القرن الحادى عشر الميلادى ، رغم اختراع الورق في القرن الثانى الميلادى ، وذلك نظراً لما يتميز به البردي من متانة وخفة ، وسهولة طيه وحفظه وامكانية الكتابة عليه بسهولة^(١) (شكل ١) .

ويستدل من الأدلة الأثرية التى عثر عليها وجود صناعة لفافات البردي منذ بداية عصر الأسرة الأولى الفرعونية ، إذ عثر في المقبرة التى تنسب إلى حماكا  أحد كبار رجال الدولة في عهد الملك دن^(٢) على لفافتين من البردي في صندوق صغير ، ورغم عدم وجود كتابة عليهما إلا أنه من المرجح أنهما صنعا لهذا الغرض^(٣) .

وبجانب البردي الذى كان يعتبر مادة الكتابة الثمينة في ذلك الوقت ، فقد استخدم المصريون الألواح الخشبية في الكتابة ، وكانت هذه الألواح تطل ببطقة رقيقة من الجص وتصفل بعناية حتى تصبح ملساء بحيث يمكن بسهولة محو المسطور المكتوبة عند الرغبة في ذلك^(٤) ، وفي أحيان كثيرة كان يتم الكتابة على الألواح الخشبية بواسطة النقش البارز أو العائر ، واستخدام المصريون كذلك شطف الحجر الأبيض وكسرات الفخار والعاج والأبنوس وغيرها بما يمكنهم الكتابة عليه .

(١) Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens", dans *Naissance de L'écriture, Cuneiformes et hieroglyphes*, Paris, 1982, PP. 351, 355-6.

(٢) Petrie, W.M.F., *The Royal Tombs of The First Dynasty. Part I*, London, 1900, pls. XV, 16, XX, XXV, 53.

(٣) Emery, W.B., and Saad, Z.Y., *The Tomb of Hemaka*, Cairo, 1938, P. 14.
Emery, W.B., and Saad, Z.Y., *Archaic Egypt*, Edinburgh, 1963, P. 235.

(٤) Garstang, J., *The burial customs of Ancient Egypt as illustrated by tombs of the Middle Kingdom*, London, 1907, P.77.

وفيما يتصل بأدوات الكتابة ، فقد تكونت لوحة الكتابة من أداة واحدة من خشب أو العاج أو النقاشاني أو الصلصال ، وهي تتركب من جزئين ، لأول منهما عبارة عن قذحين صغيرين يوضع في أحدهما اللون الأسود ، وفي الآخر اللون الأحمر ، والنقش الآخر عبارة عن صندوق مستطيل لحفظ الأقلام (شكل ٢) ، وفي بعض الأحيان كانت اللوحة تستخدم للألوان توجد مصلة^(١) .

وتوضع الأدلة النصية شغف المصريين بالكتب واهتمامهم بها ، ومنها ما جاء في نصائح الحكيم « خيتي بن دوانوف » لابنه « يسي » وهو يدخله المدرسة إذ قال له :

« ضع قلبك وراء الكتب ... ، لأنه ما من شيء يعلو على الكتب » .

« ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، وليتني أستطيع أن أريك جمالها ، إنها أعظم من أي شيء آخر »^(٢) .

وجاء في التعاليم الموجهة إلى مري - كا - رع عن الرجل الحكيم أنه :

« إن الحق (ماعة) يأتي إليه مختمراً حسماً كان عليه الأجداد ، فعليك إذن أن تقلد أجدادك ، وتأمل ! إن كلماتهم مدونة في المخطوطات فافتحها لتقرأها ، وقلد معرفتهم ، وبتلك الطريقة يصح صاحب الصنعة عل علم »^(٣) .

ويستدل كذلك بما ورد في قصة خوفو والسحرة اهتمام العلماء المصريين بالكتب واصطحابهم لها معهم أينما ذهبوا ، ففي الجزء الخاص بالأمر حرددف نجد قد أخير والده الملك خوفو بأنه يوجد رجل يدعى « ددي » يعيش في

Benazeth, D., Op.Cit., PP. 345-346. (١)

Lichtheim. M., Ancient Egyptian Literature, I, London, 1975, pp. 184. (٢)

185.

Golenischeff, W., Les Papyrus Hiéroglyphiques nos. 1113, 1116 A et 1116b de l'Ermitage Impériale St - Petersburg. (St Petersburg), 1913. (٣)

مدينة « جديسفرو » — بالقرب من ميلوم الحالية — وأنه أوتى من العلم الكثير ، وعتدئد كلفه والده بأن يذهب إليه ويحضره بنفسه ، وعندما ذهب إليه وطلب منه الحضور إلى القصر الملكي ، قال له « ددى » جهز سفينة لي لتحضر تلاميذى وكتى معاً (١) .

وجاء في نصائح « أن » لابته « خنس حناب » ما يشير إلى تقدير المصرى للكتب وأهميتها وسحر مكانها ، فقد جاء فيها :

« إذا كنت ماهراً في الكتابة ، فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله ، إذن خصص نفسك للكتب وضعها في قلبك ، وبذلك يكون كل ما تقوله مختاراً ، إن كل وظيفة يعين فيها الكاتب تتطلب منه أن يشتير فيها الكتب حتى يلازمه النجاح » (٢) .

كما ورد في إحدى البرديات وصف لما ينتظر التوفى السعيد في العالم الآخر ، من أنه سوف يحصل على الملابس وقوتك بحوار المكتبة (٣)

ويتصل بذلك أيضاً الحظ على القراءة والكتابة ، وما ورد في ذلك في عصر
 mnht h w . k m - h3w pr - md3t

الرعامة (٤) .

و

« إقض النهار (في) الكتابة بأصابعك على أن تقرأ بالليل » .

ونظراً لطبيعة الكتب التي كان معظمها على هيئة لفافات البردى وبعضها مسجل على لوحات فخارية ، فقد كان يتم حفظ ملفات الكتب في صناديق وخزانات ، وهناك العديد من الأدلة التي تشير إلى ذلك ، ومنها :

Erman, A., *The Literature of the Ancient Egyptians*, translated into English by A.M. Blackman, London, 1927, P. 42, (١).
 Lichtheim, M., *Op. cit.*, I, P. 218 (٢)
 Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, II, 1976 p. 138 ff (٣)
 Gardiner, A.H., "The House of Life", in *J.E.A.*, 24 (1937), P. 169. (٤)
 Gardiner, A.H., *Late Egyptian Miscellanies*, B Ae VII, Bruxelles, 1937, P. 100.

ومنها أيضاً في عهد الدولة القديمة ، أن أحد كبار رجال الدولة ويدعى
 نيسسكاف منح قد نغد لقب « المشرف على المكتبة » ^١ *imy-pr-md3t* ^٢ *imy-pr-s3* أي أن هذا النص
 قد جمع بين سيمي مكتبة *pr-md3t* وكذلك *pr-s3* (شكل ٥) .

وفي بردية ترجع إلى عصر الرعامسة ^(٣) وصف الإله حور بأنه : « الخالق في
 المكتبة » ^٤ *snyt m pr-md3t*

وورد في أحد نصوص رعمسيس الثاني المسجلة في معبد أيديوم وتصل
 بمعرفته بالإله حسي « سأعرفك أمام فناء قاعة المخطوطات التي أسست في دار
 الكتب » ^(٥)

iw. i(h r) th. k hnty h3 n s3w nty mn3 m pr-md3t...

وربما ارتبط بهذه المكتبات كذلك ما سمي في الدولة القديمة « برجات رخ
 سو » ، وهو اسم غامض الكتابة ^(٦) .

ولقد ظهر على لوحة مقبرة أحد الأمراء في عصر الدولة القديمة (١٢٠١
 جيره) ويدعى وب - ام - نفرت التسمية *pr-md3t th nsu*
 ومن بين الألقاب التي حملها هذا الأمير لقب « الكاتب
 الملكي » ^(٧) (شكل ٦) .

ويرى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح أنه ربما ارتبط بهذه الدور كذلك
 ما سمي في الدولة الحديثة باسم « مقر المخطوطات » و « ديوان الكتب » ^(٨) .

(١) Lepsius, C.R., *Denkmaler aus Aegypten und Aethiopen*, II, Berlin, 1850, Abb 50 B.

(٢) Gardiner, A.H., in *J.E.A.*, 24, P. 164.

(٣) Lepsius, C.R., *Op.Cit.*, III, Abb 175, a7.

(٤) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٦، ص ١١٢.

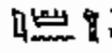
(٥) Lutz, H.F., *Egyptian tomb steles and offering stones of the Museums of Anthropology and Ethology of the University of California, Leipzig, 1927, Pl. 1.*

(٦) Reisner, G. A. *A History of the Giza Necropolis I*, 1942, pl. 1.

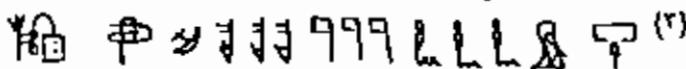
(٧) عبد العزيز صالح المرجع السابق، ص ٣٦٦، ص ٤١٢.

ومن المكتبات التي كانت ملحقة بالقصور كدكت ، مكتبة الملك امنحتب
الثالث التي عمر فيها على بطاقات الكتب والتي أشرنا إليها من قبل

وفيما يتصل بالمكتبات الملحقة بدور الحياة ، فهناك ما يشير إلى أن دور
الحياة كانت تحفظ في قاعاتها بعض ما يكتب فيها ، إذ ألفت الكتب في دور
الحياة وصنعت ورنيت وبوت فكان منها الكتب الدينية والقانونية والطبية
والسحرية والفلكية ، في رحابها كان يلتقى طلاب العلم والمعرفة . ومن
المرجح أن تلك الدور كانت دوراً للذخائر تضم كثيراً من نفائس الكور في
العلم والمعرفة والدين والقانون والطب والفلك وعلوم الرياضة^(١) ، حتى لقد
رأى بعض الباحثين في دور الحياة أنها كانت بمثابة مكتبات^(٢) .

ومن الأدلة التي تشير إلى وجود مكتبات في دور الحياة ، ما ورد في المقبرة
رقم ٣ في طيبة والتي تخص آمون واح سو  والتي يرجح أنها
ترجع إلى عهد الفرعون رععميس الثاني ، فلقد جاء في أحد النصوص التي
تشير إلى صاحب المقبرة ما يلي :

الكاتب الذي يكتب حوليات الآلهة في بيت الحياة .



ss sphr gnwt ntrw m pr - cnh

وفي أحد النصوص الخاصة بالملك رععميس الثاني في أيدوس ، يظهر
الملك وهو يبحث في حوليات الإله نحتن الموجودة في بيت الحياة ، ويذكر

(١) انظر على سبيل المثال .

Derehain, P., "La Papyrus Salt 825 (B.M. 10.051) et la Cosmologie
Egyptienne", in B.L.F.A.O, tome LVIII (1959), PP. 73-80.

Maspero, G., Les Contes Populaires de L'Égypte Ancienne, Paris (٢)
1911, P. 125.

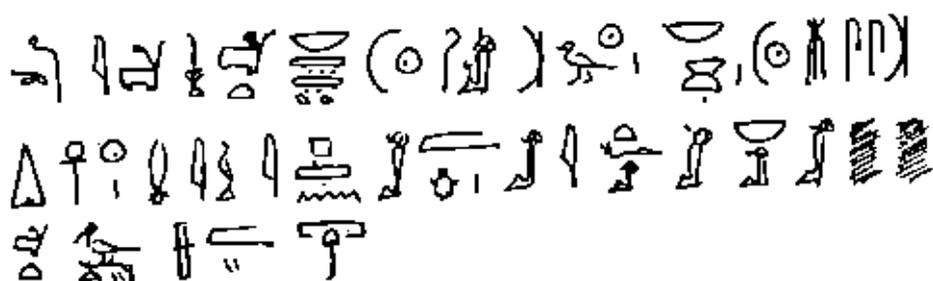
Gardiner, A.H., Op.Lit., P 161

(٣)

الملك أنه لم يترك أحداً منهم ، فلقد بحث عن جميع الآلهة والإلهات الكثرى
والصغرى ... (١١) .

وتوجد لوحة من عهد الملك رعمسيس الرابع في المتحف المصرى بالقاهرة
وهي تتصل بقيام الفرعون بالبحث عن حويات الإلهة تحوت الموجودة في دار
الحياة ، وقد جاء فيها (١٢) :

" ... تلاوة بواسطة ملك مصر سيد الأرضين (حقا ماعزة رع) ابن
رع سيد التيجان مُعطى الحياة مثل رع لقد فترق واندى وسيدي ... الإله
تحوت في دار الحياة ... " .



*dd in nsw - bity nb tswy hkt m3ct r^c s3 r^c nb hctw mss(w)r^c
dt-cnht n3 r^c tw tp. n. f in th.t ti. f nb. i int dhwty tny
pr - cnht*

كما يفهم من نص منقوش على صخور وادي العمامات ويرجع إلى عصر
الملك رعمسيس الرابع أنه قد بحث في كتب الإلهة تحوت ، رب التواريخ
والعلم والنواقيت ، وقد أرشده بحثه الهام عن إله المعرفة إلى المكان الصحيح

Ibid., P. 162.

(١١)

Konistortsev, M., "Stela de Ramess IV", in B.I. E.A.O., tome XIV (١٩٤٧), pp. 155-173, Pls. II-IV.

(١٢)

الذى يمكنه عن أن يقطع أثراً عظيماً ، فكلف رجال البعثة بقطع هذا الأثر العظيم اللازم لمقصد الملكى ، وقد جاء النص على النحو الآتى (١) :

« تأمل هذا الملك لطيب صاحب الرأى مثل نحوت ، وقد نبغ في الحوليات (أى في فحوصها) مثل من رآها من كتاب دار الحياة وقلبه المقدس يعمل أشياء ممتازة لسيد الآلهة ، وقد أدرك قلبه في أشياء سارة مثل حور وهى التى كررها له رع في قلبه ليجد المكان الصحيح لوضع هذا الأثر فيه إلى الأبد فيما بعد ... »

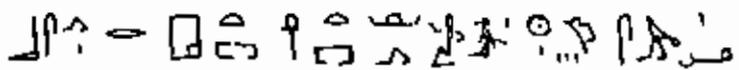
وقد كلف الملك أصدقاءه المقربين لجلاله والرؤساء والأمراء العظام للوجه البحرى أجمعين ، وكذلك الكتاب وعلماء دار الحياة ليقوموا هذا الأثر الخاص بيت الأبدية في هذا الجبل المكون من حجر الجرانيت أمام أرض الإله .

(١) Kitchen, K.A., *Ramesseid Inscriptions Historical and Biographical*, Oxford, 1980, VI, I, pp. 9-11.

40-94 - 7. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

1st wl 1r ntr pu nfr sw 1kr s3rt ml Dhwtj
 sw ck m gnwt mltt 1r m33 1r.n.f SŠywt Pr-(cnh)
 h3ty-1b.F ntryt 1r sp-su 3hw 1n nb ntrw k3
 1n 1b.f sp-su m3c rwd w3hw ml Hr whm n hm
 hr.P n 1b.F gm.F hw maw Pu w3h n dt m
 ht. rd1.n.F m hr n Smrw ckyw hr hm.F
 wrw h3tyw-c wrw mŠew Šmew ml kdw.Sn SŠw
 rhyt ht nw Pr-(cnh) r 1t maw Pu n St nhh
 m dy Pu 1n bhj m h3w t3-ntr.

ومما جاء في مرسوم لوحة نجاعة في جزيرة سهيل والذي سجل في عهد بطليموس الخامس والذي يرى فيه بعض المؤرخين أصلاً قديماً^(١) ، وترجع الأحداث الواردة فيه إلى عهد الملك حسر من الأسرة الثالثة الفرعونية ، ما يشير أيضاً إلى وجود مكتبات في دور الحياة ، ومما جاء فيه : « سادخل إلى دار الحياة وسأفتح قفراة رع (أو أرواح رع) وسأسير على هديها » .

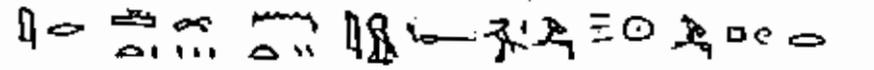


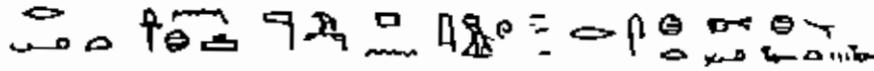
 = $\overline{bs} \ r \ hwt - cnhl \ pd \ b3w - r^c \ skm - c \ r. sn$

ويرى J. Wilson^(٢) أن أرواح رع كانت الكتب نفسها ، وقريب من هذا ما ذهب إليه A.H. Gardiner^(٣) من أنها تعنى البرديات .

ويستدل بما ورد في بردية Salt 825 ويتصل بتخطيط دار الحياة في أيدوس على وجود مكتبة فيها ، إذ جاء^(٤) :

« ان الكتب التي فيها هي أرواح رع حيث تجعل الإله يعيش بها ليتقلب على أعدائه » .





$ir \ md3.wt \ nty \ im.f \ b3w \ r^c \ pw \ rdi \ cnh \ ntr \ pn \ im \ r \ shr$
 $hstyw.f$

(١) Sethe, K., "Die Schenkung des Zwölfneulenlandes an den Chnum von Elephantine durch König Doser", *Untersuchungen Zur Geschichte Und Altertumsstudien de Egypten* Leipzig, 1902, S-16 ff.

(٢) Wilson, J.A., "The Tradition of Seven Lean Years in Egypt", in *ANET*, Princeton, 1969, P 31

(٣) Gardiner, A.H., *Op.Cit.*, P. 166

(٤) Derchain, P., *Op.Cit.*, PP. 73-80,
Gardiner, A.H., *Op.Cit.*, PP 167-168.

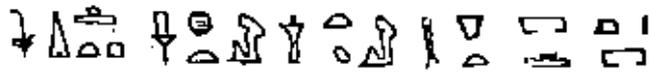
ثانياً : المكتبات الدينية :

٩٤

تتضمن المكتبات الدينية دور الكتب الإلهية *pr md3t ntr* وهي التي تشير إليها في النصوص دون الإشارة إلى اتصالها بمجد معين ، وكذلك دور الكتب الملحقة بالمعابد . ورغم أن الصفة الغالبة على هذه المكتبات هي الصفة الدينية إلا أنها تضمنت كذلك العديد من المعارف والعلوم في الفلك والفنون والطب وغيرها .

وفيما يتصل بتطور الكتب الإلهية *pr md3t ntr* توجد العديد من الإشارات إليها ، ومنها ما ورد في عصر الدولة القديمة ، إذ أشار أحد رجال الدولة في عهد الملك خوفو على جدران مقبرته في الجيزة وهو « من حبر » Mn - hbw إلى القابه ، حيث يلاحظ تكرار اللقب « المشرف على مكتبة الإله » *shd pr-md3t* أربع مرات ، وقد وردت الكتابة على النحو الآتي (١) (شكل ٧) . جاء في السطر الأول الملون فوق صورته :

𓆎 𓆏 𓆐 𓆑 𓆒 𓆓 𓆔 𓆕 𓆖 𓆗 𓆘 𓆙 𓆚 𓆛 𓆜 𓆝 𓆞 𓆟 𓆠 𓆡 𓆢 𓆣 𓆤 𓆥 𓆦 𓆧 𓆨 𓆩 𓆪 𓆫 𓆬 𓆭 𓆮 𓆯 𓆰 𓆱 𓆲 𓆳 𓆴 𓆵 𓆶 𓆷 𓆸 𓆹 𓆺 𓆻 𓆼 𓆽 𓆾 𓆿 𓇀 𓇁 𓇂 𓇃 𓇄 𓇅 𓇆 𓇇 𓇈 𓇉 𓇊 𓇋 𓇌 𓇍 𓇎 𓇏 𓇐 𓇑 𓇒 𓇓 𓇔 𓇕 𓇖 𓇗 𓇘 𓇙 𓇚 𓇛 𓇜 𓇝 𓇞 𓇟 𓇠 𓇡 𓇢 𓇣 𓇤 𓇥 𓇦 𓇧 𓇨 𓇩 𓇪 𓇫 𓇬 𓇭 𓇮 𓇯 𓇰 𓇱 𓇲 𓇳 𓇴 𓇵 𓇶 𓇷 𓇸 𓇹 𓇺 𓇻 𓇼 𓇽 𓇾 𓇿 𓈀 𓈁 𓈂 𓈃 𓈄 𓈅 𓈆 𓈇 𓈈 𓈉 𓈊 𓈋 𓈌 𓈍 𓈎 𓈏 𓈐 𓈑 𓈒 𓈓 𓈔 𓈕 𓈖 𓈗 𓈘 𓈙 𓈚 𓈛 𓈜 𓈝 𓈞 𓈟 𓈠 𓈡 𓈢 𓈣 𓈤 𓈥 𓈦 𓈧 𓈨 𓈩 𓈪 𓈫 𓈬 𓈭 𓈮 𓈯 𓈰 𓈱 𓈲 𓈳 𓈴 𓈵 𓈶 𓈷 𓈸 𓈹 𓈺 𓈻 𓈼 𓈽 𓈾 𓈿 𓉀 𓉁 𓉂 𓉃 𓉄 𓉅 𓉆 𓉇 𓉈 𓉉 𓉊 𓉋 𓉌 𓉍 𓉎 𓉏 𓉐 𓉑 𓉒 𓉓 𓉔 𓉕 𓉖 𓉗 𓉘 𓉙 𓉚 𓉛 𓉜 𓉝 𓉞 𓉟 𓉠 𓉡 𓉢 𓉣 𓉤 𓉥 𓉦 𓉧 𓉨 𓉩 𓉪 𓉫 𓉬 𓉭 𓉮 𓉯 𓉰 𓉱 𓉲 𓉳 𓉴 𓉵 𓉶 𓉷 𓉸 𓉹 𓉺 𓉻 𓉼 𓉽 𓉾 𓉿 𓊀 𓊁 𓊂 𓊃 𓊄 𓊅 𓊆 𓊇 𓊈 𓊉 𓊊 𓊋 𓊌 𓊍 𓊎 𓊏 𓊐 𓊑 𓊒 𓊓 𓊔 𓊕 𓊖 𓊗 𓊘 𓊙 𓊚 𓊛 𓊜 𓊝 𓊞 𓊟 𓊠 𓊡 𓊢 𓊣 𓊤 𓊥 𓊦 𓊧 𓊨 𓊩 𓊪 𓊫 𓊬 𓊭 𓊮 𓊯 𓊰 𓊱 𓊲 𓊳 𓊴 𓊵 𓊶 𓊷 𓊸 𓊹 𓊺 𓊻 𓊼 𓊽 𓊾 𓊿 𓋀 𓋁 𓋂 𓋃 𓋄 𓋅 𓋆 𓋇 𓋈 𓋉 𓋊 𓋋 𓋌 𓋍 𓋎 𓋏 𓋐 𓋑 𓋒 𓋓 𓋔 𓋕 𓋖 𓋗 𓋘 𓋙 𓋚 𓋛 𓋜 𓋝 𓋞 𓋟 𓋠 𓋡 𓋢 𓋣 𓋤 𓋥 𓋦 𓋧 𓋨 𓋩 𓋪 𓋫 𓋬 𓋭 𓋮 𓋯 𓋰 𓋱 𓋲 𓋳 𓋴 𓋵 𓋶 𓋷 𓋸 𓋹 𓋺 𓋻 𓋼 𓋽 𓋾 𓋿 𓌀 𓌁 𓌂 𓌃 𓌄 𓌅 𓌆 𓌇 𓌈 𓌉 𓌊 𓌋 𓌌 𓌍 𓌎 𓌏 𓌐 𓌑 𓌒 𓌓 𓌔 𓌕 𓌖 𓌗 𓌘 𓌙 𓌚 𓌛 𓌜 𓌝 𓌞 𓌟 𓌠 𓌡 𓌢 𓌣 𓌤 𓌥 𓌦 𓌧 𓌨 𓌩 𓌪 𓌫 𓌬 𓌭 𓌮 𓌯 𓌰 𓌱 𓌲 𓌳 𓌴 𓌵 𓌶 𓌷 𓌸 𓌹 𓌺 𓌻 𓌼 𓌽 𓌾 𓌿 𓍀 𓍁 𓍂 𓍃 𓍄 𓍅 𓍆 𓍇 𓍈 𓍉 𓍊 𓍋 𓍌 𓍍 𓍎 𓍏 𓍐 𓍑 𓍒 𓍓 𓍔 𓍕 𓍖 𓍗 𓍘 𓍙 𓍚 𓍛 𓍜 𓍝 𓍞 𓍟 𓍠 𓍡 𓍢 𓍣 𓍤 𓍥 𓍦 𓍧 𓍨 𓍩 𓍪 𓍫 𓍬 𓍭 𓍮 𓍯 𓍰 𓍱 𓍲 𓍳 𓍴 𓍵 𓍶 𓍷 𓍸 𓍹 𓍺 𓍻 𓍼 𓍽 𓍾 𓍿 𓎀 𓎁 𓎂 𓎃 𓎄 𓎅 𓎆 𓎇 𓎈 𓎉 𓎊 𓎋 𓎌 𓎍 𓎎 𓎏 𓎐 𓎑 𓎒 𓎓 𓎔 𓎕 𓎖 𓎗 𓎘 𓎙 𓎚 𓎛 𓎜 𓎝 𓎞 𓎟 𓎠 𓎡 𓎢 𓎣 𓎤 𓎥 𓎦 𓎧 𓎨 𓎩 𓎪 𓎫 𓎬 𓎭 𓎮 𓎯 𓎰 𓎱 𓎲 𓎳 𓎴 𓎵 𓎶 𓎷 𓎸 𓎹 𓎺 𓎻 𓎼 𓎽 𓎾 𓎿 𓏀 𓏁 𓏂 𓏃 𓏄 𓏅 𓏆 𓏇 𓏈 𓏉 𓏊 𓏋 𓏌 𓏍 𓏎 𓏏 𓏐 𓏑 𓏒 𓏓 𓏔 𓏕 𓏖 𓏗 𓏘 𓏙 𓏚 𓏛 𓏜 𓏝 𓏞 𓏟 𓏠 𓏡 𓏢 𓏣 𓏤 𓏥 𓏦 𓏧 𓏨 𓏩 𓏪 𓏫 𓏬 𓏭 𓏮 𓏯 𓏰 𓏱 𓏲 𓏳 𓏴 𓏵 𓏶 𓏷 𓏸 𓏹 𓏺 𓏻 𓏼 𓏽 𓏾 𓏿 𓐀 𓐁 𓐂 𓐃 𓐄 𓐅 𓐆 𓐇 𓐈 𓐉 𓐊 𓐋 𓐌 𓐍 𓐎 𓐏 𓐐 𓐑 𓐒 𓐓 𓐔 𓐕 𓐖 𓐗 𓐘 𓐙 𓐚 𓐛 𓐜 𓐝 𓐞 𓐟 𓐠 𓐡 𓐢 𓐣 𓐤 𓐥 𓐦 𓐧 𓐨 𓐩 𓐪 𓐫 𓐬 𓐭 𓐮 𓐯 𓐰 𓐱 𓐲 𓐳 𓐴 𓐵 𓐶 𓐷 𓐸 𓐹 𓐺 𓐻 𓐼 𓐽 𓐾 𓐿 𓑀 𓑁 𓑂 𓑃 𓑄 𓑅 𓑆 𓑇 𓑈 𓑉 𓑊 𓑋 𓑌 𓑍 𓑎 𓑏 𓑐 𓑑 𓑒 𓑓 𓑔 𓑕 𓑖 𓑗 𓑘 𓑙 𓑚 𓑛 𓑜 𓑝 𓑞 𓑟 𓑠 𓑡 𓑢 𓑣 𓑤 𓑥 𓑦 𓑧 𓑨 𓑩 𓑪 𓑫 𓑬 𓑭 𓑮 𓑯 𓑰 𓑱 𓑲 𓑳 𓑴 𓑵 𓑶 𓑷 𓑸 𓑹 𓑺 𓑻 𓑼 𓑽 𓑾 𓑿 𓒀 𓒁 𓒂 𓒃 𓒄 𓒅 𓒆 𓒇 𓒈 𓒉 𓒊 𓒋 𓒌 𓒍 𓒎 𓒏 𓒐 𓒑 𓒒 𓒓 𓒔 𓒕 𓒖 𓒗 𓒘 𓒙 𓒚 𓒛 𓒜 𓒝 𓒞 𓒟 𓒠 𓒡 𓒢 𓒣 𓒤 𓒥 𓒦 𓒧 𓒨 𓒩 𓒪 𓒫 𓒬 𓒭 𓒮 𓒯 𓒰 𓒱 𓒲 𓒳 𓒴 𓒵 𓒶 𓒷 𓒸 𓒹 𓒺 𓒻 𓒼 𓒽 𓒾 𓒿 𓓀 𓓁 𓓂 𓓃 𓓄 𓓅 𓓆 𓓇 𓓈 𓓉 𓓊 𓓋 𓓌 𓓍 𓓎 𓓏 𓓐 𓓑 𓓒 𓓓 𓓔 𓓕 𓓖 𓓗 𓓘 𓓙 𓓚 𓓛 𓓜 𓓝 𓓞 𓓟 𓓠 𓓡 𓓢 𓓣 𓓤 𓓥 𓓦 𓓧 𓓨 𓓩 𓓪 𓓫 𓓬 𓓭 𓓮 𓓯 𓓰 𓓱 𓓲 𓓳 𓓴 𓓵 𓓶 𓓷 𓓸 𓓹 𓓺 𓓻 𓓼 𓓽 𓓾 𓓿 𓔀 𓔁 𓔂 𓔃 𓔄 𓔅 𓔆 𓔇 𓔈 𓔉 𓔊 𓔋 𓔌 𓔍 𓔎 𓔏 𓔐 𓔑 𓔒 𓔓 𓔔 𓔕 𓔖 𓔗 𓔘 𓔙 𓔚 𓔛 𓔜 𓔝 𓔞 𓔟 𓔠 𓔡 𓔢 𓔣 𓔤 𓔥 𓔦 𓔧 𓔨 𓔩 𓔪 𓔫 𓔬 𓔭 𓔮 𓔯 𓔰 𓔱 𓔲 𓔳 𓔴 𓔵 𓔶 𓔷 𓔸 𓔹 𓔺 𓔻 𓔼 𓔽 𓔾 𓔿 𓕀 𓕁 𓕂 𓕃 𓕄 𓕅 𓕆 𓕇 𓕈 𓕉 𓕊 𓕋 𓕌 𓕍 𓕎 𓕏 𓕐 𓕑 𓕒 𓕓 𓕔 𓕕 𓕖 𓕗 𓕘 𓕙 𓕚 𓕛 𓕜 𓕝 𓕞 𓕟 𓕠 𓕡 𓕢 𓕣 𓕤 𓕥 𓕦 𓕧 𓕨 𓕩 𓕪 𓕫 𓕬 𓕭 𓕮 𓕯 𓕰 𓕱 𓕲 𓕳 𓕴 𓕵 𓕶 𓕷 𓕸 𓕹 𓕺 𓕻 𓕼 𓕽 𓕾 𓕿 𓖀 𓖁 𓖂 𓖃 𓖄 𓖅 𓖆 𓖇 𓖈 𓖉 𓖊 𓖋 𓖌 𓖍 𓖎 𓖏 𓖐 𓖑 𓖒 𓖓 𓖔 𓖕 𓖖 𓖗 𓖘 𓖙 𓖚 𓖛 𓖜 𓖝 𓖞 𓖟 𓖠 𓖡 𓖢 𓖣 𓖤 𓖥 𓖦 𓖧 𓖨 𓖩 𓖪 𓖫 𓖬 𓖭 𓖮 𓖯 𓖰 𓖱 𓖲 𓖳 𓖴 𓖵 𓖶 𓖷 𓖸 𓖹 𓖺 𓖻 𓖼 𓖽 𓖾 𓖿 𓗀 𓗁 𓗂 𓗃 𓗄 𓗅 𓗆 𓗇 𓗈 𓗉 𓗊 𓗋 𓗌 𓗍 𓗎 𓗏 𓗐 𓗑 𓗒 𓗓 𓗔 𓗕 𓗖 𓗗 𓗘 𓗙 𓗚 𓗛 𓗜 𓗝 𓗞 𓗟 𓗠 𓗡 𓗢 𓗣 𓗤 𓗥 𓗦 𓗧 𓗨 𓗩 𓗪 𓗫 𓗬 𓗭 𓗮 𓗯 𓗰 𓗱 𓗲 𓗳 𓗴 𓗵 𓗶 𓗷 𓗸 𓗹 𓗺 𓗻 𓗼 𓗽 𓗾 𓗿 𓘀 𓘁 𓘂 𓘃 𓘄 𓘅 𓘆 𓘇 𓘈 𓘉 𓘊 𓘋 𓘌 𓘍 𓘎 𓘏 𓘐 𓘑 𓘒 𓘓 𓘔 𓘕 𓘖 𓘗 𓘘 𓘙 𓘚 𓘛 𓘜 𓘝 𓘞 𓘟 𓘠 𓘡 𓘢 𓘣 𓘤 𓘥 𓘦 𓘧 𓘨 𓘩 𓘪 𓘫 𓘬 𓘭 𓘮 𓘯 𓘰 𓘱 𓘲 𓘳 𓘴 𓘵 𓘶 𓘷 𓘸 𓘹 𓘺 𓘻 𓘼 𓘽 𓘾 𓘿 𓙀 𓙁 𓙂 𓙃 𓙄 𓙅 𓙆 𓙇 𓙈 𓙉 𓙊 𓙋 𓙌 𓙍 𓙎 𓙏 𓙐 𓙑 𓙒 𓙓 𓙔 𓙕 𓙖 𓙗 𓙘 𓙙 𓙚 𓙛 𓙜 𓙝 𓙞 𓙟 𓙠 𓙡 𓙢 𓙣 𓙤 𓙥 𓙦 𓙧 𓙨 𓙩 𓙪 𓙫 𓙬 𓙭 𓙮 𓙯 𓙰 𓙱 𓙲 𓙳 𓙴 𓙵 𓙶 𓙷 𓙸 𓙹 𓙺 𓙻 𓙼 𓙽 𓙾 𓙿 𓚀 𓚁 𓚂 𓚃 𓚄 𓚅 𓚆 𓚇 𓚈 𓚉 𓚊 𓚋 𓚌 𓚍 𓚎 𓚏 𓚐 𓚑 𓚒 𓚓 𓚔 𓚕 𓚖 𓚗 𓚘 𓚙 𓚚 𓚛 𓚜 𓚝 𓚞 𓚟 𓚠 𓚡 𓚢 𓚣 𓚤 𓚥 𓚦 𓚧 𓚨 𓚩 𓚪 𓚫 𓚬 𓚭 𓚮 𓚯 𓚰 𓚱 𓚲 𓚳 𓚴 𓚵 𓚶 𓚷 𓚸 𓚹 𓚺 𓚻 𓚼 𓚽 𓚾 𓚿 𓛀 𓛁 𓛂 𓛃 𓛄 𓛅 𓛆 𓛇 𓛈 𓛉 𓛊 𓛋 𓛌 𓛍 𓛎 𓛏 𓛐 𓛑 𓛒 𓛓 𓛔 𓛕 𓛖 𓛗 𓛘 𓛙 𓛚 𓛛 𓛜 𓛝 𓛞 𓛟 𓛠 𓛡 𓛢 𓛣 𓛤 𓛥 𓛦 𓛧 𓛨 𓛩 𓛪 𓛫 𓛬 𓛭 𓛮 𓛯 𓛰 𓛱 𓛲 𓛳 𓛴 𓛵 𓛶 𓛷 𓛸 𓛹 𓛺 𓛻 𓛼 𓛽 𓛾 𓛿 𓜀 𓜁 𓜂 𓜃 𓜄 𓜅 𓜆 𓜇 𓜈 𓜉 𓜊 𓜋 𓜌 𓜍 𓜎 𓜏 𓜐 𓜑 𓜒 𓜓 𓜔 𓜕 𓜖 𓜗 𓜘 𓜙 𓜚 𓜛 𓜜 𓜝 𓜞 𓜟 𓜠 𓜡 𓜢 𓜣 𓜤 𓜥 𓜦 𓜧 𓜨 𓜩 𓜪 𓜫 𓜬 𓜭 𓜮 𓜯 𓜰 𓜱 𓜲 𓜳 𓜴 𓜵 𓜶 𓜷 𓜸 𓜹 𓜺 𓜻 𓜼 𓜽 𓜾 𓜿 𓝀 𓝁 𓝂 𓝃 𓝄 𓝅 𓝆 𓝇 𓝈 𓝉 𓝊 𓝋 𓝌 𓝍 𓝎 𓝏 𓝐 𓝑 𓝒 𓝓 𓝔 𓝕 𓝖 𓝗 𓝘 𓝙 𓝚 𓝛 𓝜 𓝝 𓝞 𓝟 𓝠 𓝡 𓝢 𓝣 𓝤 𓝥 𓝦 𓝧 𓝨 𓝩 𓝪 𓝫 𓝬 𓝭 𓝮 𓝯 𓝰 𓝱 𓝲 𓝳 𓝴 𓝵 𓝶 𓝷 𓝸 𓝹 𓝺 𓝻 𓝼 𓝽 𓝾 𓝿 𓞀 𓞁 𓞂 𓞃 𓞄 𓞅 𓞆 𓞇 𓞈 𓞉 𓞊 𓞋 𓞌 𓞍 𓞎 𓞏 𓞐 𓞑 𓞒 𓞓 𓞔 𓞕 𓞖 𓞗 𓞘 𓞙 𓞚 𓞛 𓞜 𓞝 𓞞 𓞟 𓞠 𓞡 𓞢 𓞣 𓞤 𓞥 𓞦 𓞧 𓞨 𓞩 𓞪 𓞫 𓞬 𓞭 𓞮 𓞯 𓞰 𓞱 𓞲 𓞳 𓞴 𓞵 𓞶 𓞷 𓞸 𓞹 𓞺 𓞻 𓞼 𓞽 𓞾 𓞿 𓟀 𓟁 𓟂 𓟃 𓟄 𓟅 𓟆 𓟇 𓟈 𓟉 𓟊 𓟋 𓟌 𓟍 𓟎 𓟏 𓟐 𓟑 𓟒 𓟓 𓟔 𓟕 𓟖 𓟗 𓟘 𓟙 𓟚 𓟛 𓟜 𓟝 𓟞 𓟟 𓟠 𓟡 𓟢 𓟣 𓟤 𓟥 𓟦 𓟧 𓟨 𓟩 𓟪 𓟫 𓟬 𓟭 𓟮 𓟯 𓟰 𓟱 𓟲 𓟳 𓟴 𓟵 𓟶 𓟷 𓟸 𓟹 𓟺 𓟻 𓟼 𓟽 𓟾 𓟿 𓠀 𓠁 𓠂 𓠃 𓠄 𓠅 𓠆 𓠇 𓠈 𓠉 𓠊 𓠋 𓠌 𓠍 𓠎 𓠏 𓠐 𓠑 𓠒 𓠓 𓠔 𓠕 𓠖 𓠗 𓠘 𓠙 𓠚 𓠛 𓠜 𓠝 𓠞 𓠟 𓠠 𓠡 𓠢 𓠣 𓠤 𓠥 𓠦 𓠧 𓠨 𓠩 𓠪 𓠫 𓠬 𓠭 𓠮 𓠯 𓠰 𓠱 𓠲 𓠳 𓠴 𓠵 𓠶 𓠷 𓠸 𓠹 𓠺 𓠻 𓠼 𓠽 𓠾 𓠿 𓡀 𓡁 𓡂 𓡃 𓡄 𓡅 𓡆 𓡇 𓡈 𓡉 𓡊 𓡋 𓡌 𓡍 𓡎 𓡏 𓡐 𓡑 𓡒 𓡓 𓡔 𓡕 𓡖 𓡗 𓡘 𓡙 𓡚 𓡛 𓡜 𓡝 𓡞 𓡟 𓡠 𓡡 𓡢 𓡣 𓡤 𓡥 𓡦 𓡧 𓡨 𓡩 𓡪 𓡫 𓡬 𓡭 𓡮 𓡯 𓡰 𓡱 𓡲 𓡳 𓡴 𓡵 𓡶 𓡷 𓡸 𓡹 𓡺 𓡻 𓡼 𓡽 𓡾 𓡿 𓢀 𓢁 𓢂 𓢃 𓢄 𓢅 𓢆 𓢇 𓢈 𓢉 𓢊 𓢋 𓢌 𓢍 𓢎 𓢏 𓢐 𓢑 𓢒 𓢓 𓢔 𓢕 𓢖 𓢗 𓢘 𓢙 𓢚 𓢛 𓢜 𓢝 𓢞 𓢟 𓢠 𓢡 𓢢 𓢣 𓢤 𓢥 𓢦 𓢧 𓢨 𓢩 𓢪 𓢫 𓢬 𓢭 𓢮 𓢯 𓢰 𓢱 𓢲 𓢳 𓢴 𓢵 𓢶 𓢷 𓢸 𓢹 𓢺 𓢻 𓢼 𓢽 𓢾 𓢿 𓣀 𓣁 𓣂 𓣃 𓣄 𓣅 𓣆 𓣇 𓣈 𓣉 𓣊 𓣋 𓣌 𓣍 𓣎 𓣏 𓣐 𓣑 𓣒 𓣓 𓣔 𓣕 𓣖 𓣗 𓣘 𓣙 𓣚 𓣛 𓣜 𓣝 𓣞 𓣟 𓣠 𓣡 𓣢 𓣣 𓣤 𓣥 𓣦 𓣧 𓣨 𓣩 𓣪 𓣫 𓣬 𓣭 𓣮 𓣯 𓣰 𓣱 𓣲 𓣳 𓣴 𓣵 𓣶 𓣷 𓣸 𓣹 𓣺 𓣻 𓣼 𓣽 𓣾 𓣿 𓤀 𓤁 𓤂 𓤃 𓤄 𓤅 𓤆 𓤇 𓤈 𓤉 𓤊 𓤋 𓤌 𓤍 𓤎 𓤏 𓤐 𓤑 𓤒 𓤓 𓤔 𓤕 𓤖 𓤗 𓤘 𓤙 𓤚 𓤛 𓤜 𓤝 𓤞 𓤟 𓤠 𓤡 𓤢 𓤣 𓤤 𓤥 𓤦 𓤧 𓤨 𓤩 𓤪 𓤫 𓤬 𓤭 𓤮 𓤯 𓤰 𓤱 𓤲 𓤳 𓤴 𓤵 𓤶 𓤷 𓤸 𓤹 𓤺 𓤻 𓤼 𓤽 𓤾 𓤿 𓥀 𓥁 𓥂 𓥃 𓥄 𓥅 𓥆 𓥇 𓥈 𓥉 𓥊 𓥋 𓥌 𓥍 𓥎 𓥏 𓥐 𓥑 𓥒 𓥓 𓥔 𓥕 𓥖 𓥗 𓥘 𓥙 𓥚 𓥛 𓥜 𓥝 𓥞 𓥟 𓥠 𓥡 𓥢 𓥣 𓥤 𓥥 𓥦 𓥧 𓥨 𓥩 𓥪 𓥫 𓥬 𓥭 𓥮 𓥯 𓥰 𓥱 𓥲 𓥳 𓥴 𓥵 𓥶 𓥷 𓥸 𓥹 𓥺 𓥻 𓥼 𓥽 𓥾 𓥿 𓦀 𓦁 𓦂 𓦃 𓦄 𓦅 𓦆 𓦇 𓦈 𓦉 𓦊 𓦋 𓦌 𓦍 𓦎 𓦏 𓦐 𓦑 𓦒 𓦓 𓦔 𓦕 𓦖 𓦗 𓦘 𓦙 𓦚 𓦛 𓦜 𓦝 𓦞 𓦟 𓦠 𓦡 𓦢 𓦣 𓦤 𓦥 𓦦 𓦧 𓦨 𓦩 𓦪 𓦫 𓦬 𓦭 𓦮 𓦯 𓦰 𓦱 𓦲 𓦳 𓦴 𓦵 𓦶 𓦷 𓦸 𓦹 𓦺 𓦻 𓦼 𓦽 𓦾 𓦿 𓧀 𓧁 𓧂 𓧃 𓧄 𓧅 𓧆 𓧇 𓧈 𓧉 𓧊 𓧋 𓧌 𓧍 𓧎 𓧏 𓧐 𓧑 𓧒 𓧓 𓧔 𓧕 𓧖 𓧗 𓧘 𓧙 𓧚 𓧛 𓧜 𓧝 𓧞 𓧟 𓧠 𓧡 𓧢 𓧣 𓧤 𓧥 𓧦 𓧧 𓧨 𓧩 𓧪 𓧫 𓧬 𓧭 𓧮 𓧯 𓧰 𓧱 𓧲 𓧳 𓧴 𓧵 𓧶 𓧷 𓧸 𓧹 𓧺 𓧻 𓧼 𓧽 𓧾 𓧿 𓨀 𓨁 𓨂 𓨃 𓨄 𓨅 𓨆 𓨇 𓨈 𓨉 𓨊 𓨋 𓨌 𓨍 𓨎 𓨏 𓨐 𓨑 𓨒 𓨓 𓨔 𓨕 𓨖 𓨗 𓨘 𓨙 𓨚 𓨛 𓨜 𓨝 𓨞 𓨟 𓨠 𓨡 𓨢 𓨣 𓨤 𓨥 𓨦 𓨧 𓨨 𓨩 𓨪 𓨫 𓨬 𓨭 𓨮 𓨯 𓨰 𓨱 𓨲 𓨳 𓨴 𓨵 𓨶 𓨷 𓨸 𓨹 𓨺 𓨻 𓨼 𓨽 𓨾 𓨿 𓩀 𓩁 𓩂 𓩃 𓩄 𓩅 𓩆 𓩇 𓩈 𓩉 𓩊 𓩋 𓩌 𓩍 𓩎 𓩏 𓩐 𓩑 𓩒 𓩓 𓩔 𓩕 𓩖 𓩗 𓩘 𓩙 𓩚 𓩛 𓩜 𓩝 𓩞 𓩟 𓩠 𓩡 𓩢 𓩣 𓩤 𓩥 𓩦 𓩧 𓩨 𓩩 𓩪 𓩫 𓩬 𓩭 𓩮 𓩯 𓩰 𓩱 𓩲 𓩳 𓩴 𓩵 𓩶 𓩷 𓩸 𓩹 𓩺 𓩻 𓩼 𓩽 𓩾 𓩿 𓪀 𓪁 𓪂 𓪃 𓪄 𓪅 𓪆 𓪇 𓪈 𓪉 𓪊 𓪋 𓪌 𓪍 𓪎 𓪏 𓪐 𓪑 𓪒 𓪓 𓪔 𓪕 𓪖 𓪗 𓪘 𓪙 𓪚 𓪛 𓪜 𓪝 𓪞 𓪟 𓪠 𓪡 𓪢 𓪣 𓪤 𓪥 𓪦 𓪧 𓪨 𓪩 𓪪 𓪫 𓪬 𓪭 𓪮 𓪯 𓪰 𓪱 𓪲 𓪳 𓪴 𓪵 𓪶 𓪷 𓪸 𓪹 𓪺 𓪻 𓪼 𓪽 𓪾 𓪿 𓫀 𓫁 𓫂 𓫃 𓫄 𓫅 𓫆 𓫇 𓫈 𓫉 𓫊 𓫋 𓫌 𓫍 𓫎 𓫏 𓫐 𓫑 𓫒 𓫓 𓫔 𓫕 𓫖 𓫗 𓫘 𓫙 𓫚 𓫛 𓫜 𓫝 𓫞 𓫟 𓫠 𓫡 𓫢 𓫣 𓫤 𓫥 𓫦 𓫧 𓫨 𓫩



http://nlw.shimt - B3stt.htm pr - md3t

الذى يترجم :

« هيد بعظيها الملاذ. والإلهان سخمت وباستت سيادة دار الكتب ». ويشير ذلك إلى وجود مكتبة دينية في منطقة تل بسطه ، وأن الإلهة باستت كانت تعتبر هي الإلهة الحامية لها .

كما أطلق على الإلهة سخاتة « سيادة الكتابة وربة بيت الكتب » (١) ، وأطلق على الإلهة تحوت « ذو المكانة في دار الكتب » (٢) ، وجاء في رسالة الكاتب حورى بن أون نفر من عصر الدولة الحديثة وهو يصف نفسه بأنه « خير بالكتب المقدسة ، وليس هناك ما تخفى عليه معرفته ، وهو بطل مغوار خبير في فن سخات وخدام لرب الأشمونين (تحوت) في دار الكتب » (٣) .

أما عن دور الكتب الملحقة بالمعابد ، فتوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى وجودها ، كما لا تقتصر الأدلة كذلك على تنوع المعارف والعلوم في الكتب التي احتوتها ، ومنها البرديات الطبية ، ويلاحظ في البرديات الطبية أنها ترجع كتابتها إلى أصل قديم يرجع إلى أسرات مصر الأولى ، كما أنها تتصل كذلك بأهله المعابد ، ومن هذه البرديات ، بردية اهرس الطبية التي تؤكد على أنها تعتمد على الكتابات الموجودة تحت قدم أنوبيس في ليتوبوليس (٤) ، أما وقت كتابتها فإنها ترجعه إلى أحد ملوك الأسرة الأولى وهو « دن » (يوسافيس) ، رغم أن النسخة الموجودة ترجع إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة (٥) .

Lepsius, C. R., *Denkmaler aus Ägypten und Aethiopen*, 111, Ab. 167. (١)

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٠.

Gardiner, A.H., *Egyptian Hieratic texts, Series I, Part I, 1911*. (٣)

(٤) اطلق عليها المصريون Hm ، لم اطلق عليها Shimt ، وهي حالياً تُوسم .

Ebbell, B., *The Papyrus Ebers, Copenhagen and London, 1937*. (٥)

وتشير بردية برلين الطبية إلى أنها قد وجدت بين وثائق قديمة كانت محفوظة في صندوق نحت قدم الإله أنوبيس في ليتبوليس ، وذلك في عهد الملك دن (يوسافيس) وأنها قد أحضرت إلى جلالة الملك سند (أحد ملوك الأسرة الثانية) وذلك لقوة تأثيرها^(١).

ومن مكبات المعابد الهامة ، مكتبة معبد الإله أتوم في عين شمس^(٢) ويتصل بها نص^(٣) يرجع إلى الفرعون نفر حتب ، الذي يرجح أنه الفرعون نفر حتب الأول ، الملك الثاني والعشرين في عصر الأسرة الثالثة عشرة^(٤).

ويذكر الملك في هذا النص ، أنه بحث في المخطوطات القديمة في مكتبة هليوبوليس ليتحقق من الهيئة الخاصة بالإله أوزير حتى يمكن عمل تمثال له وفقاً لما كان عليه عند بداية العالم .

يبدأ النص^(٥) بذكر العام الذي سجل فيه ، وهو العام الثاني من حكم الملك ، ثم يذكر ألقابه على النحو الآتي :

𓆎𓆏𓆑𓆒𓆓𓆔𓆕𓆖𓆗𓆘𓆙𓆚𓆛𓆜𓆝𓆞𓆟𓆠𓆡𓆢𓆣𓆤𓆥𓆦𓆧𓆨𓆩𓆪𓆫𓆬𓆭𓆮𓆯𓆰𓆱𓆲𓆳𓆴𓆵𓆶𓆷𓆸𓆹𓆺𓆻𓆼𓆽𓆾𓆿𓇀𓇁𓇂𓇃𓇄𓇅𓇆𓇇𓇈𓇉𓇊𓇋𓇌𓇍𓇎𓇏𓇐𓇑𓇒𓇓𓇔𓇕𓇖𓇗𓇘𓇙𓇚𓇛𓇜𓇝𓇞𓇟𓇠𓇡𓇢𓇣𓇤𓇥𓇦𓇧𓇨𓇩𓇪𓇫𓇬𓇭𓇮𓇯𓇰𓇱𓇲𓇳𓇴𓇵𓇶𓇷𓇸𓇹𓇺𓇻𓇼𓇽𓇾𓇿𓈀𓈁𓈂𓈃𓈄𓈅𓈆𓈇𓈈𓈉𓈊𓈋𓈌𓈍𓈎𓈏𓈐𓈑𓈒𓈓𓈔𓈕𓈖𓈗𓈘𓈙𓈚𓈛𓈜𓈝𓈞𓈟𓈠𓈡𓈢𓈣𓈤𓈥𓈦𓈧𓈨𓈩𓈪𓈫𓈬𓈭𓈮𓈯𓈰𓈱𓈲𓈳𓈴𓈵𓈶𓈷𓈸𓈹𓈺𓈻𓈼𓈽𓈾𓈿𓉀𓉁𓉂𓉃𓉄𓉅𓉆𓉇𓉈𓉉𓉊𓉋𓉌𓉍𓉎𓉏𓉐𓉑𓉒𓉓𓉔𓉕𓉖𓉗𓉘𓉙𓉚𓉛𓉜𓉝𓉞𓉟𓉠𓉡𓉢𓉣𓉤𓉥𓉦𓉧𓉨𓉩𓉪𓉫𓉬𓉭𓉮𓉯𓉰𓉱𓉲𓉳𓉴𓉵𓉶𓉷𓉸𓉹𓉺𓉻𓉼𓉽𓉾𓉿𓊀𓊁𓊂𓊃𓊄𓊅𓊆𓊇𓊈𓊉𓊊𓊋𓊌𓊍𓊎𓊏𓊐𓊑𓊒𓊓𓊔𓊕𓊖𓊗𓊘𓊙𓊚𓊛𓊜𓊝𓊞𓊟𓊠𓊡𓊢𓊣𓊤𓊥𓊦𓊧𓊨𓊩𓊪𓊫𓊬𓊭𓊮𓊯𓊰𓊱𓊲𓊳𓊴𓊵𓊶𓊷𓊸𓊹𓊺𓊻𓊼𓊽𓊾𓊿𓋀𓋁𓋂𓋃𓋄𓋅𓋆𓋇𓋈𓋉𓋊𓋋𓋌𓋍𓋎𓋏𓋐𓋑𓋒𓋓𓋔𓋕𓋖𓋗𓋘𓋙𓋚𓋛𓋜𓋝𓋞𓋟𓋠𓋡𓋢𓋣𓋤𓋥𓋦𓋧𓋨𓋩𓋪𓋫𓋬𓋭𓋮𓋯𓋰𓋱𓋲𓋳𓋴𓋵𓋶𓋷𓋸𓋹𓋺𓋻𓋼𓋽𓋾𓋿𓌀𓌁𓌂𓌃𓌄𓌅𓌆𓌇𓌈𓌉𓌊𓌋𓌌𓌍𓌎𓌏𓌐𓌑𓌒𓌓𓌔𓌕𓌖𓌗𓌘𓌙𓌚𓌛𓌜𓌝𓌞𓌟𓌠𓌡𓌢𓌣𓌤𓌥𓌦𓌧𓌨𓌩𓌪𓌫𓌬𓌭𓌮𓌯𓌰𓌱𓌲𓌳𓌴𓌵𓌶𓌷𓌸𓌹𓌺𓌻𓌼𓌽𓌾𓌿𓍀𓍁𓍂𓍃𓍄𓍅𓍆𓍇𓍈𓍉𓍊𓍋𓍌𓍍𓍎𓍏𓍐𓍑𓍒𓍓𓍔𓍕𓍖𓍗𓍘𓍙𓍚𓍛𓍜𓍝𓍞𓍟𓍠𓍡𓍢𓍣𓍤𓍥𓍦𓍧𓍨𓍩𓍪𓍫𓍬𓍭𓍮𓍯𓍰𓍱𓍲𓍳𓍴𓍵𓍶𓍷𓍸𓍹𓍺𓍻𓍼𓍽𓍾𓍿𓎀𓎁𓎂𓎃𓎄𓎅𓎆𓎇𓎈𓎉𓎊𓎋𓎌𓎍𓎎𓎏𓎐𓎑𓎒𓎓𓎔𓎕𓎖𓎗𓎘𓎙𓎚𓎛𓎜𓎝𓎞𓎟𓎠𓎡𓎢𓎣𓎤𓎥𓎦𓎧𓎨𓎩𓎪𓎫𓎬𓎭𓎮𓎯𓎰𓎱𓎲𓎳𓎴𓎵𓎶𓎷𓎸𓎹𓎺𓎻𓎼𓎽𓎾𓎿𓏀𓏁𓏂𓏃𓏄𓏅𓏆𓏇𓏈𓏉𓏊𓏋𓏌𓏍𓏎𓏏𓏐𓏑𓏒𓏓𓏔𓏕𓏖𓏗𓏘𓏙𓏚𓏛𓏜𓏝𓏞𓏟𓏠𓏡𓏢𓏣𓏤𓏥𓏦𓏧𓏨𓏩𓏪𓏫𓏬𓏭𓏮𓏯𓏰𓏱𓏲𓏳𓏴𓏵𓏶𓏷𓏸𓏹𓏺𓏻𓏼𓏽𓏾𓏿𓐀𓐁𓐂𓐃𓐄𓐅𓐆𓐇𓐈𓐉𓐊𓐋𓐌𓐍𓐎𓐏𓐐𓐑𓐒𓐓𓐔𓐕𓐖𓐗𓐘𓐙𓐚𓐛𓐜𓐝𓐞𓐟𓐠𓐡𓐢𓐣𓐤𓐥𓐦𓐧𓐨𓐩𓐪𓐫𓐬𓐭𓐮𓐯𓐰𓐱𓐲𓐳𓐴𓐵𓐶𓐷𓐸𓐹𓐺𓐻𓐼𓐽𓐾𓐿𓑀𓑁𓑂𓑃𓑄𓑅𓑆𓑇𓑈𓑉𓑊𓑋𓑌𓑍𓑎𓑏𓑐𓑑𓑒𓑓𓑔𓑕𓑖𓑗𓑘𓑙𓑚𓑛𓑜𓑝𓑞𓑟𓑠𓑡𓑢𓑣𓑤𓑥𓑦𓑧𓑨𓑩𓑪𓑫𓑬𓑭𓑮𓑯𓑰𓑱𓑲𓑳𓑴𓑵𓑶𓑷𓑸𓑹𓑺𓑻𓑼𓑽𓑾𓑿𓒀𓒁𓒂𓒃𓒄𓒅𓒆𓒇𓒈𓒉𓒊𓒋𓒌𓒍𓒎𓒏𓒐𓒑𓒒𓒓𓒔𓒕𓒖𓒗𓒘𓒙𓒚𓒛𓒜𓒝𓒞𓒟𓒠𓒡𓒢𓒣𓒤𓒥𓒦𓒧𓒨𓒩𓒪𓒫𓒬𓒭𓒮𓒯𓒰𓒱𓒲𓒳𓒴𓒵𓒶𓒷𓒸𓒹𓒺𓒻𓒼𓒽𓒾𓒿𓓀𓓁𓓂𓓃𓓄𓓅𓓆𓓇𓓈𓓉𓓊𓓋𓓌𓓍𓓎𓓏𓓐𓓑𓓒𓓓𓓔𓓕𓓖𓓗𓓘𓓙𓓚𓓛𓓜𓓝𓓞𓓟𓓠𓓡𓓢𓓣𓓤𓓥𓓦𓓧𓓨𓓩𓓪𓓫𓓬𓓭𓓮𓓯𓓰𓓱𓓲𓓳𓓴𓓵𓓶𓓷𓓸𓓹𓓺𓓻𓓼𓓽𓓾𓓿𓔀𓔁𓔂𓔃𓔄𓔅𓔆𓔇𓔈𓔉𓔊𓔋𓔌𓔍𓔎𓔏𓔐𓔑𓔒𓔓𓔔𓔕𓔖𓔗𓔘𓔙𓔚𓔛𓔜𓔝𓔞𓔟𓔠𓔡𓔢𓔣𓔤𓔥𓔦𓔧𓔨𓔩𓔪𓔫𓔬𓔭𓔮𓔯𓔰𓔱𓔲𓔳𓔴𓔵𓔶𓔷𓔸𓔹𓔺𓔻𓔼𓔽𓔾𓔿𓕀𓕁𓕂𓕃𓕄𓕅𓕆𓕇𓕈𓕉𓕊𓕋𓕌𓕍𓕎𓕏𓕐𓕑𓕒𓕓𓕔𓕕𓕖𓕗𓕘𓕙𓕚𓕛𓕜𓕝𓕞𓕟𓕠𓕡𓕢𓕣𓕤𓕥𓕦𓕧𓕨𓕩𓕪𓕫𓕬𓕭𓕮𓕯𓕰𓕱𓕲𓕳𓕴𓕵𓕶𓕷𓕸𓕹𓕺𓕻𓕼𓕽𓕾𓕿𓖀𓖁𓖂𓖃𓖄𓖅𓖆𓖇𓖈𓖉𓖊𓖋𓖌𓖍𓖎𓖏𓖐𓖑𓖒𓖓𓖔𓖕𓖖𓖗𓖘𓖙𓖚𓖛𓖜𓖝𓖞𓖟𓖠𓖡𓖢𓖣𓖤𓖥𓖦𓖧𓖨𓖩𓖪𓖫𓖬𓖭𓖮𓖯𓖰𓖱𓖲𓖳𓖴𓖵𓖶𓖷𓖸𓖹𓖺𓖻𓖼𓖽𓖾𓖿𓗀𓗁𓗂𓗃𓗄𓗅𓗆𓗇𓗈𓗉𓗊𓗋𓗌𓗍𓗎𓗏𓗐𓗑𓗒𓗓𓗔𓗕𓗖𓗗𓗘𓗙𓗚𓗛𓗜𓗝𓗞𓗟𓗠𓗡𓗢𓗣𓗤𓗥𓗦𓗧𓗨𓗩𓗪𓗫𓗬𓗭𓗮𓗯𓗰𓗱𓗲𓗳𓗴𓗵𓗶𓗷𓗸𓗹𓗺𓗻𓗼𓗽𓗾𓗿𓘀𓘁𓘂𓘃𓘄𓘅𓘆𓘇𓘈𓘉𓘊𓘋𓘌𓘍𓘎𓘏𓘐𓘑𓘒𓘓𓘔𓘕𓘖𓘗𓘘𓘙𓘚𓘛𓘜𓘝𓘞𓘟𓘠𓘡𓘢𓘣𓘤𓘥𓘦𓘧𓘨𓘩𓘪𓘫𓘬𓘭𓘮𓘯𓘰𓘱𓘲𓘳𓘴𓘵𓘶𓘷𓘸𓘹𓘺𓘻𓘼𓘽𓘾𓘿𓙀𓙁𓙂𓙃𓙄𓙅𓙆𓙇𓙈𓙉𓙊𓙋𓙌𓙍𓙎𓙏𓙐𓙑𓙒𓙓𓙔𓙕𓙖𓙗𓙘𓙙𓙚𓙛𓙜𓙝𓙞𓙟𓙠𓙡𓙢𓙣𓙤𓙥𓙦𓙧𓙨𓙩𓙪𓙫𓙬𓙭𓙮𓙯𓙰𓙱𓙲𓙳𓙴𓙵𓙶𓙷𓙸𓙹𓙺𓙻𓙼𓙽𓙾𓙿𓚀𓚁𓚂𓚃𓚄𓚅𓚆𓚇𓚈𓚉𓚊𓚋𓚌𓚍𓚎𓚏𓚐𓚑𓚒𓚓𓚔𓚕𓚖𓚗𓚘𓚙𓚚𓚛𓚜𓚝𓚞𓚟𓚠𓚡𓚢𓚣𓚤𓚥𓚦𓚧𓚨𓚩𓚪𓚫𓚬𓚭𓚮𓚯𓚰𓚱𓚲𓚳𓚴𓚵𓚶𓚷𓚸𓚹𓚺𓚻𓚼𓚽𓚾𓚿𓛀𓛁𓛂𓛃𓛄𓛅𓛆𓛇𓛈𓛉𓛊𓛋𓛌𓛍𓛎𓛏𓛐𓛑𓛒𓛓𓛔𓛕𓛖𓛗𓛘𓛙𓛚𓛛𓛜𓛝𓛞𓛟𓛠𓛡𓛢𓛣𓛤𓛥𓛦𓛧𓛨𓛩𓛪𓛫𓛬𓛭𓛮𓛯𓛰𓛱𓛲𓛳𓛴𓛵𓛶𓛷𓛸𓛹𓛺𓛻𓛼𓛽𓛾𓛿𓜀𓜁𓜂𓜃𓜄𓜅𓜆𓜇𓜈𓜉𓜊𓜋𓜌𓜍𓜎𓜏𓜐𓜑𓜒𓜓𓜔𓜕𓜖𓜗𓜘𓜙𓜚𓜛𓜜𓜝𓜞𓜟𓜠𓜡𓜢𓜣𓜤𓜥𓜦𓜧𓜨𓜩𓜪𓜫𓜬𓜭𓜮𓜯𓜰𓜱𓜲𓜳𓜴𓜵𓜶𓜷𓜸𓜹𓜺𓜻𓜼𓜽𓜾𓜿𓝀𓝁𓝂𓝃𓝄𓝅𓝆𓝇𓝈𓝉𓝊𓝋𓝌𓝍𓝎𓝏𓝐𓝑𓝒𓝓𓝔𓝕𓝖𓝗𓝘𓝙𓝚𓝛𓝜𓝝𓝞𓝟𓝠𓝡𓝢𓝣𓝤𓝥𓝦𓝧𓝨𓝩𓝪𓝫𓝬𓝭𓝮𓝯𓝰𓝱𓝲𓝳𓝴𓝵𓝶𓝷𓝸𓝹𓝺𓝻𓝼𓝽𓝾𓝿𓞀𓞁𓞂𓞃𓞄𓞅𓞆𓞇𓞈𓞉𓞊𓞋𓞌𓞍𓞎𓞏𓞐𓞑𓞒𓞓𓞔𓞕𓞖𓞗𓞘𓞙𓞚𓞛𓞜𓞝𓞞𓞟𓞠𓞡𓞢𓞣𓞤𓞥𓞦𓞧𓞨𓞩𓞪𓞫𓞬𓞭𓞮𓞯𓞰𓞱𓞲𓞳𓞴𓞵𓞶𓞷𓞸𓞹𓞺𓞻𓞼𓞽𓞾𓞿𓟀𓟁𓟂𓟃𓟄𓟅𓟆𓟇𓟈𓟉𓟊𓟋𓟌𓟍𓟎𓟏𓟐𓟑𓟒𓟓𓟔𓟕𓟖𓟗𓟘𓟙𓟚𓟛𓟜𓟝𓟞𓟟𓟠𓟡𓟢𓟣𓟤𓟥𓟦𓟧𓟨𓟩𓟪𓟫𓟬𓟭𓟮𓟯𓟰𓟱𓟲𓟳𓟴𓟵𓟶𓟷𓟸𓟹𓟺𓟻𓟼𓟽𓟾𓟿𓠀𓠁𓠂𓠃𓠄𓠅𓠆𓠇𓠈𓠉𓠊𓠋𓠌𓠍𓠎𓠏𓠐𓠑𓠒𓠓𓠔𓠕𓠖𓠗𓠘𓠙𓠚𓠛𓠜𓠝𓠞𓠟𓠠𓠡𓠢𓠣𓠤𓠥𓠦𓠧𓠨𓠩𓠪𓠫𓠬𓠭𓠮𓠯𓠰𓠱𓠲𓠳𓠴𓠵𓠶𓠷𓠸𓠹𓠺𓠻𓠼𓠽𓠾𓠿𓡀𓡁𓡂𓡃𓡄𓡅𓡆𓡇𓡈𓡉𓡊𓡋𓡌𓡍𓡎𓡏𓡐𓡑𓡒𓡓𓡔𓡕𓡖𓡗𓡘𓡙𓡚𓡛𓡜𓡝𓡞𓡟𓡠𓡡𓡢𓡣𓡤𓡥𓡦𓡧𓡨𓡩𓡪𓡫𓡬𓡭𓡮𓡯𓡰𓡱𓡲𓡳𓡴𓡵𓡶𓡷𓡸𓡹𓡺𓡻𓡼𓡽𓡾𓡿𓢀𓢁𓢂𓢃𓢄𓢅𓢆𓢇𓢈𓢉𓢊𓢋𓢌𓢍𓢎𓢏𓢐𓢑𓢒𓢓𓢔𓢕𓢖𓢗𓢘𓢙𓢚𓢛𓢜𓢝𓢞𓢟𓢠𓢡𓢢𓢣𓢤𓢥𓢦𓢧𓢨𓢩𓢪𓢫𓢬𓢭𓢮𓢯𓢰𓢱𓢲𓢳𓢴𓢵𓢶𓢷𓢸𓢹𓢺𓢻𓢼𓢽𓢾𓢿𓣀𓣁𓣂𓣃𓣄𓣅𓣆𓣇𓣈𓣉𓣊𓣋𓣌𓣍𓣎𓣏𓣐𓣑𓣒𓣓𓣔𓣕𓣖𓣗𓣘𓣙𓣚𓣛𓣜𓣝𓣞𓣟𓣠𓣡𓣢𓣣𓣤𓣥𓣦𓣧𓣨𓣩𓣪𓣫𓣬𓣭𓣮𓣯𓣰𓣱𓣲𓣳𓣴𓣵𓣶𓣷𓣸𓣹𓣺𓣻𓣼𓣽𓣾𓣿𓤀𓤁𓤂𓤃𓤄𓤅𓤆𓤇𓤈𓤉𓤊𓤋𓤌𓤍𓤎𓤏𓤐𓤑𓤒𓤓𓤔𓤕𓤖𓤗𓤘𓤙𓤚𓤛𓤜𓤝𓤞𓤟𓤠𓤡𓤢𓤣𓤤𓤥𓤦𓤧𓤨𓤩𓤪𓤫𓤬𓤭𓤮𓤯𓤰𓤱𓤲𓤳𓤴𓤵𓤶𓤷𓤸𓤹𓤺𓤻𓤼𓤽𓤾𓤿𓥀𓥁𓥂𓥃𓥄𓥅𓥆𓥇𓥈𓥉𓥊𓥋𓥌𓥍𓥎𓥏𓥐𓥑𓥒𓥓𓥔𓥕𓥖𓥗𓥘𓥙𓥚𓥛𓥜𓥝𓥞𓥟𓥠𓥡𓥢𓥣𓥤𓥥𓥦𓥧𓥨𓥩𓥪𓥫𓥬𓥭𓥮𓥯𓥰𓥱𓥲𓥳𓥴𓥵𓥶𓥷𓥸𓥹𓥺𓥻𓥼𓥽𓥾𓥿𓦀𓦁𓦂𓦃𓦄𓦅𓦆𓦇𓦈𓦉𓦊𓦋𓦌𓦍𓦎𓦏𓦐𓦑𓦒𓦓𓦔𓦕𓦖𓦗𓦘𓦙𓦚𓦛𓦜𓦝𓦞𓦟𓦠𓦡𓦢𓦣𓦤𓦥𓦦𓦧𓦨𓦩𓦪𓦫𓦬𓦭𓦮𓦯𓦰𓦱𓦲𓦳𓦴𓦵𓦶𓦷𓦸𓦹𓦺𓦻𓦼𓦽𓦾𓦿𓧀𓧁𓧂𓧃𓧄𓧅𓧆𓧇𓧈𓧉𓧊𓧋𓧌𓧍𓧎𓧏𓧐𓧑𓧒𓧓𓧔𓧕𓧖𓧗𓧘𓧙𓧚𓧛𓧜𓧝𓧞𓧟𓧠𓧡𓧢𓧣𓧤𓧥𓧦𓧧𓧨𓧩𓧪𓧫𓧬𓧭𓧮𓧯𓧰𓧱𓧲𓧳𓧴𓧵𓧶𓧷𓧸𓧹𓧺𓧻𓧼𓧽𓧾𓧿𓨀𓨁𓨂𓨃𓨄𓨅𓨆𓨇𓨈𓨉𓨊𓨋𓨌𓨍𓨎𓨏𓨐𓨑𓨒𓨓𓨔𓨕𓨖𓨗𓨘𓨙𓨚𓨛𓨜𓨝𓨞𓨟𓨠𓨡𓨢𓨣𓨤𓨥𓨦𓨧𓨨𓨩𓨪𓨫𓨬𓨭𓨮𓨯𓨰𓨱𓨲𓨳𓨴𓨵𓨶𓨷𓨸𓨹𓨺𓨻𓨼𓨽𓨾𓨿𓩀𓩁𓩂𓩃𓩄𓩅𓩆𓩇𓩈𓩉𓩊𓩋𓩌𓩍𓩎𓩏𓩐𓩑𓩒𓩓𓩔𓩕𓩖𓩗𓩘𓩙𓩚𓩛𓩜𓩝𓩞𓩟𓩠𓩡𓩢𓩣𓩤𓩥𓩦𓩧𓩨𓩩𓩪𓩫𓩬𓩭𓩮𓩯𓩰𓩱𓩲𓩳𓩴𓩵𓩶𓩷𓩸𓩹𓩺𓩻𓩼𓩽𓩾𓩿𓪀𓪁𓪂𓪃𓪄𓪅𓪆𓪇𓪈𓪉𓪊𓪋𓪌𓪍𓪎𓪏𓪐𓪑𓪒𓪓𓪔𓪕𓪖𓪗𓪘𓪙𓪚𓪛𓪜𓪝𓪞𓪟𓪠𓪡𓪢𓪣𓪤𓪥𓪦𓪧𓪨𓪩𓪪𓪫𓪬𓪭𓪮𓪯𓪰𓪱𓪲𓪳𓪴𓪵𓪶𓪷𓪸𓪹𓪺𓪻𓪼𓪽𓪾𓪿𓫀𓫁𓫂𓫃𓫄𓫅𓫆𓫇𓫈𓫉𓫊𓫋𓫌𓫍𓫎𓫏𓫐𓫑𓫒𓫓𓫔𓫕𓫖𓫗𓫘𓫙𓫚𓫛𓫜𓫝𓫞𓫟𓫠𓫡𓫢𓫣𓫤𓫥𓫦𓫧𓫨𓫩𓫪𓫫𓫬𓫭𓫮𓫯𓫰𓫱𓫲𓫳𓫴𓫵𓫶𓫷𓫸𓫹𓫺𓫻𓫼𓫽𓫾𓫿𓬀𓬁𓬂𓬃𓬄𓬅𓬆𓬇𓬈𓬉𓬊𓬋𓬌𓬍𓬎𓬏𓬐𓬑𓬒𓬓𓬔𓬕𓬖𓬗𓬘𓬙𓬚𓬛𓬜𓬝𓬞𓬟𓬠𓬡𓬢𓬣𓬤𓬥𓬦𓬧𓬨𓬩𓬪𓬫𓬬𓬭𓬮𓬯𓬰𓬱𓬲𓬳𓬴𓬵𓬶𓬷𓬸𓬹𓬺𓬻𓬼𓬽𓬾𓬿𓭀𓭁𓭂𓭃𓭄𓭅𓭆𓭇𓭈𓭉𓭊𓭋𓭌𓭍𓭎𓭏𓭐𓭑𓭒𓭓𓭔𓭕𓭖𓭗𓭘𓭙𓭚𓭛𓭜𓭝𓭞𓭟𓭠𓭡𓭢𓭣𓭤𓭥𓭦𓭧𓭨𓭩𓭪𓭫𓭬𓭭𓭮𓭯𓭰𓭱𓭲𓭳𓭴𓭵𓭶𓭷𓭸𓭹𓭺𓭻𓭼𓭽𓭾𓭿𓮀𓮁𓮂𓮃𓮄𓮅𓮆𓮇𓮈𓮉𓮊𓮋𓮌𓮍𓮎𓮏𓮐𓮑𓮒𓮓𓮔𓮕𓮖𓮗𓮘𓮙𓮚𓮛𓮜𓮝𓮞𓮟𓮠𓮡𓮢𓮣𓮤𓮥𓮦𓮧𓮨𓮩𓮪𓮫𓮬𓮭𓮮𓮯𓮰𓮱𓮲𓮳𓮴𓮵𓮶𓮷𓮸𓮹𓮺𓮻𓮼𓮽𓮾𓮿𓯀𓯁𓯂𓯃𓯄𓯅𓯆𓯇𓯈𓯉𓯊𓯋𓯌𓯍𓯎𓯏𓯐𓯑𓯒𓯓𓯔𓯕𓯖𓯗𓯘𓯙𓯚𓯛𓯜𓯝𓯞𓯟𓯠𓯡𓯢𓯣𓯤𓯥𓯦𓯧𓯨𓯩𓯪𓯫𓯬𓯭𓯮𓯯𓯰𓯱𓯲𓯳𓯴𓯵𓯶𓯷𓯸𓯹𓯺𓯻𓯼𓯽𓯾𓯿𓰀𓰁𓰂𓰃𓰄𓰅𓰆𓰇𓰈𓰉𓰊𓰋𓰌𓰍𓰎𓰏𓰐𓰑𓰒𓰓𓰔𓰕𓰖𓰗𓰘𓰙𓰚𓰛𓰜𓰝𓰞𓰟𓰠𓰡𓰢𓰣𓰤𓰥𓰦𓰧𓰨𓰩𓰪𓰫𓰬𓰭𓰮𓰯𓰰𓰱𓰲𓰳𓰴𓰵𓰶𓰷𓰸𓰹𓰺𓰻𓰼𓰽𓰾𓰿𓱀𓱁𓱂𓱃𓱄𓱅𓱆𓱇𓱈𓱉𓱊𓱋𓱌𓱍𓱎𓱏𓱐𓱑𓱒𓱓𓱔𓱕𓱖𓱗𓱘𓱙𓱚𓱛𓱜𓱝𓱞𓱟𓱠𓱡𓱢𓱣𓱤𓱥𓱦𓱧𓱨𓱩𓱪𓱫𓱬𓱭𓱮𓱯𓱰𓱱𓱲𓱳𓱴𓱵𓱶𓱷𓱸𓱹𓱺𓱻𓱼𓱽𓱾𓱿𓲀𓲁𓲂𓲃𓲄𓲅𓲆𓲇𓲈𓲉𓲊𓲋𓲌𓲍𓲎𓲏𓲐𓲑𓲒𓲓𓲔𓲕𓲖𓲗𓲘𓲙𓲚𓲛𓲜𓲝𓲞𓲟𓲠𓲡𓲢𓲣𓲤𓲥𓲦𓲧𓲨𓲩𓲪𓲫𓲬𓲭𓲮𓲯𓲰𓲱𓲲𓲳𓲴𓲵𓲶𓲷𓲸𓲹𓲺𓲻𓲼𓲽𓲾𓲿𓳀𓳁𓳂𓳃𓳄𓳅𓳆𓳇𓳈𓳉𓳊𓳋𓳌𓳍𓳎𓳏𓳐𓳑𓳒𓳓𓳔𓳕𓳖𓳗𓳘𓳙𓳚𓳛𓳜𓳝𓳞𓳟𓳠𓳡𓳢𓳣𓳤𓳥𓳦𓳧𓳨𓳩𓳪𓳫𓳬𓳭𓳮𓳯𓳰𓳱𓳲𓳳𓳴𓳵𓳶𓳷𓳸𓳹𓳺𓳻𓳼𓳽𓳾𓳿𓴀𓴁𓴂𓴃𓴄𓴅𓴆𓴇𓴈𓴉𓴊𓴋𓴌𓴍𓴎𓴏𓴐𓴑𓴒𓴓𓴔𓴕𓴖𓴗𓴘𓴙𓴚𓴛𓴜𓴝𓴞𓴟𓴠𓴡𓴢𓴣𓴤𓴥𓴦𓴧𓴨𓴩𓴪𓴫𓴬𓴭𓴮𓴯𓴰𓴱𓴲𓴳𓴴𓴵𓴶𓴷𓴸𓴹𓴺𓴻𓴼𓴽𓴾𓴿

... أنسى أربع حروف. يرغب قسي) في رؤية الكتابات القديمة ثلاثة أيام) واكشف سيطرة العظمى هناك ولأعرف لأنه في صورته وتاسوع المهتم الحقيقية في طينه (أو لأعرف الآله كما خنقه تاسوع اهتمام) ... وأعرف الآله في صورته حتى استطيع تصويره مثلما كان من قبل ... أيها الملك لتتقدم جلالتك نحو منازل الكتب (المكتبات) لترى جلالتك كل الكتابة المقدسة . وتقدم جلالته إلى المكتبة وفتح مع رفاته جميعهم الكتب ووجد جلالته كتب معبد أوزير أول الغربيين سيد أيديوس . وقال جلالته لهؤلاء الرفقاء أن جلالتي يرغب بأية أوزير أول الغربيين سيد أيديوس ... مثلما رآه جلالته في الكتب ورأى صورته كملك لمصر العليا والسفلى وذلك عند خروجه من جسد نوة

ويتضح من هذا النص ، أن دور الكتب لم تكن بمثابة دور لحفظ المخطوطات فحسب وإنما استخدمت كذلك للإطلاع وهو ما يرقى بها إلى الدور الذي تقوم به دور الكتب الحالية ، ويتضح من هذا النص أيضاً أن محتويات دور الكتب الدينية لم تكن قاصرة على الأمور الدينية فقط ، وإنما احتوت كذلك كتباً أقرب ما تكون إلى كتب الفن بحيث توضح جسد أوزير ووجهه وأصابه^(١) .

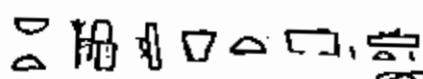
ومن المعابد التي الحق بها مكتبات ، معبد الرميوم الذي أقامه الفرعون رعمسيس الثاني ، ولقد أشار ديودور إلى هذه المكتبة ، فقال أنه يوجد في معبد الرميوم بعد صالات الأعمدة مكتبة مقدسة وصفها بأنها مكان « استشفاء الروح »^(٢) .

(١) كان يوجد هيكل اتموم في معبد ملبوبوليس، وكانت كتابات توجد فيه، انظر: *Breasted, J.H., Op.Cit., P. 333, no.d.*

(٢) عهد الفرير صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٢.

Diodorus of Sicily, Book I, 49, with an English translation by C.H. Oldfather, London, 1963, P. 173. (٣)

ويرى Gardiner (١) أنه يحتمل أن تكون هذه المكتبة ، هي الحجرية الأولى ذات التمايز أعمدة التي تقع خلف صالة الأعمدة ، وهي الحجرية التي يوجد في سقفها أشكال فلكية (٢) (شكل ١٠) وصور على أحد جانبي مدخلها إلهة سشاة وهي جالسة وقد كتب فوقها ربة الكتابة وسيدة المكتبة .



nbt st hnwꜥ pr-md3t

ووقف وراءها رعمسيس الثاني وهو يحمل في يده أدوات الكتابة (شكل ١١) وصور على الجانب الآخر الإله تحوت الذي سجل فوقه تحوتى رب المعرفة ، ووقف وراءه أيضاً رعمسيس الثاني (٣) ، كما ذكر في نقوشها آلهة السمع والبصر والفطنة والنطق الخالق ، وتوحى المناظر الفلكية المصورة في سقفها أنها كانت تتضمن مخطوطات في علم الفلك ، وذلك فضلاً عن كتبها الدينية والطقسية الأخرى (٤) .

وألحق بمعبد الفرعون سيتي الأول في أيبثوس مكتبة (شكل ١٢) وقد حجرات بتوسطها هو ، وذلك في الركن الجنوبي الغربي (شكل ١٢) وقد زينت الحجرات الأربع بصناديق يرجع أنها كانت تضم بعض الوثائق وملفات الكتب .

Gardiner, A.H., *Op. Cit.*, P. 177.

(١)

Porter, B., and Moss, R., *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings, II, Theban Temples, Second Edition, Oxford, 1972, PP. 439-440, Plan XLII.*

(٢)

L. D., III, Ab. 167.

(٣)

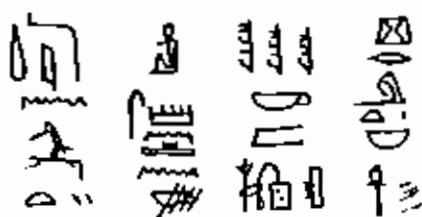
(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

Zayed A., "The Archives and treasury of the temple of Sety I at Abydos" in *ASAE*, t. LXV (1933), PP. 19-71.

(٥)

ويبلغ طول الحجره الجنوبيه الغربيه ١٢,٣٠ م وعرضها ٤,٣٠ م ، وقد رسم على حائطها الغربى بعض الآلات الموسيقية مما دعا إلى تسميتها ، حجره الموسيقى ، وقد رسم على حائطها الشرق سبعة صناديق كبيرة .

أما الحجره الجنوبيه الشرقيه فيبلغ طولها ١٢,٣ م وعرضها ٤,٣٠ م وقد رسم على حائطها الشرق سبعة صناديق ، ورسم على الصندوق السادس الإله تحوت ، وسجلت العديد من التسجيلات ومنها (١) :



dd mdw in dhwty

smn n. k

gnwt. k m šw

hr h3t nb cnhw (?)

• بيان لتحوت ، أثبت لك حولياتك المدونة في الكتب أمام كل الأحياء (سيد الحياة) .

ويبلغ طول الحجره الشماليه الغربيه ١٢,٤ م وعرضها ٤,٣٥ م ، وقد رسم على جدارها الشرق سبعة صناديق ، وقد صور الإله تحوت على الصندوق الخامس ، وفوقه كتابات تشبه الكتابات المسجله في الغرفه السابقه ، وقد جاء فيها (٢) :

Ibid., P. 46.

(١)

Ibid., P. ٥٧

(٢)

ويمكن القول أن المعابد المصرية قد ضمت بين جنباتها مكتبات احتفظ فيها بمئات الكتب الخاصة بطقوس العبادة وكذا المعارف الأخرى ، ومن الأدلة على تعدد المعارف بمكتبات المعابد ما أشار إليه علماء اليونان من حضورهم إلى مصر وتلقيهم العلم من كهنة معابدها ، ومن هذه العلوم الفلك والهندسة ، فقد ذكر طاليس المالمطي أنه قام برحلة قصد فيها إلى كهان مصر ومنجمياً (رجال الفلك فيها) ، وظاهر مما جاء في إحدى تراجمه أنه أخذ الهندسة المساحية عن المصريين^(١) ، ومن علماء اليونان كذلك الذين قصدوا كهان مصر للتحرف في علوم الهندسة نذكر كلا من « فيثاغورث » و « أونويديس » و « أفلاطون » و « ايودوكس »^(٢) .

وفي مجال الطب ، يشير فاليس الملمتي الذي يرجع تأسيسه للمدرسة الأيونية في الطب أنه قد تعلم الطب على يد الكهنة المصريين ، وكذلك هناك يتا جوارس وأخيه الأصغر الكيون فاكترون اللذان تعلموا الطب في معبد هليوبوليس ، وقد زار هؤلاء اليونان مصر في القرن السادس قبل الميلاد^(٣) .

وامتد وجود المكتبات في المعابد التي شيدها البطلمة والرومان بعد ذلك في مصر ، ولعل من أشهر مكتبات هذه المعابد مكتبة معبد أدفو^(٤) وهي عبارة عن حجرة صغيرة خلف المدخل المؤدى إلى صالة الأعمدة ، وتمثل المناظر الخاصة بالكتب أحد عشر منظرًا ، ويضم الفهرس الموجود حوالي ١٣ كتاباً أو أكثر ، وزين عتبتها العلوى بصورة كبيرة لرمز السماء ، وصور على جانبي مدخلها أربعة آلهة اثنان في كل جانب ، وقد رسم فوق اثنين منهم الأذن والعين ، وفوق الآخرين كتب رمزي « حوا » و « حوا » الذي يفيد معنى « قوة التعبير » و « سيا » الذي

(١) Harris, J.R., *The Legacy of Egypt*, Oxford, 1971, PP. 44-45.

(٢) سيج سونيهون : كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردى، ومراجعة أحمد بلوى، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) Harris, J.R., *Op.Cit.*, PP. 112ff.

(٤) Chassinat, E.G., *Le temple d'Edfou*, III, PP. 339-351.

يفيد معنى « الفهم » أو « الإدراك »^(١) وعلى ذلك فهذا التصوير الموجود على مدخل المكتبة يجمع بين وسائل تحصيل العلم وهي السمع والبصر والنطق الخالق والفهم والإدراك .

ورغم غلبة الكتب الدينية في هذه المكتبة ، فإنها تضمنت أيضاً كتباً في الفلك والقرآن ، وضمت كذلك كتباً في معرفة كل أسرار العمل ، أى المقادير التي كانت تقتضيها صناعة المراهم والدهون والعمود^(٢) .

يتضح مما سبق أن المصريين قد أقاموا المكتبات في القصور ودور الحياة وكذا في المعابد لم وأنهم كانوا سابقين في هذا المجال وأن الاغريق قد توسعوا فيه ، وكان من الطبيعي أن تقام المكتبات الكبرى في مدينة الاسكندرية التي أصبحت منار العلم في العالم في عصر البطالمة ، ومنها مكتبة الاسكندرية التي أقامها الملوك البطالمة نتيجة للمزج بين الحضارتين الفرعونية والاغريقية في أيامهم .

Gardner, A.H., "Some Personifications, II, Ihu "Authoritative" (١٩ Utterance", Si3 "Understanding", in P.S.B.A., Vol. XXXVIII (1916), P. 43 ff.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٥ .

(٣) سيج سوثيون : المرجع السابق، ص ١٨٢ .



(شكل ٢)
مقلمة الكتابة

Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens" dans Naissance de L'écriture Cuneiformes et hieroglyphes, Paris, 1982, p. 145



(شكل ١)
شكل لفافات كيب البردي

Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens", dans Naissance de L'écriture. Cuneiformes et hieroglyphes, Paris, 1982, P. 355



(شكل ٣)

بطالة انتحى الثالث

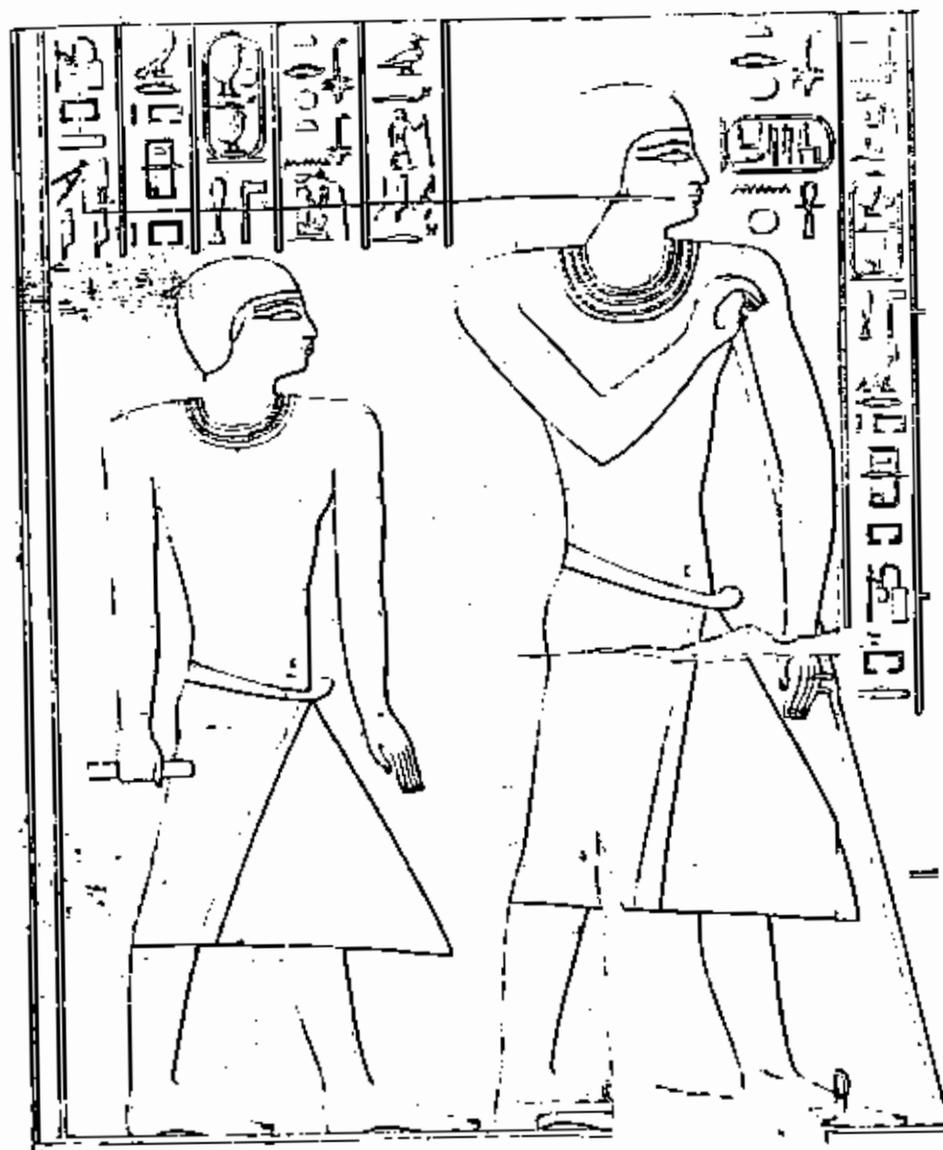
Keimer, L., "Bemerkungen und Lesefrüchte Zur Altägyptischen Naturgeschichte, in Kerm, 2, 1929, S.

91



(شكل ٤)
 لوحة الكاتب وحم كا

Junker, H., Giza, II, Wein Und Leipzig, 1934, P. 164, Abb. 18.



(شكل ٥)

لوحة الكاتب شكاف صبع

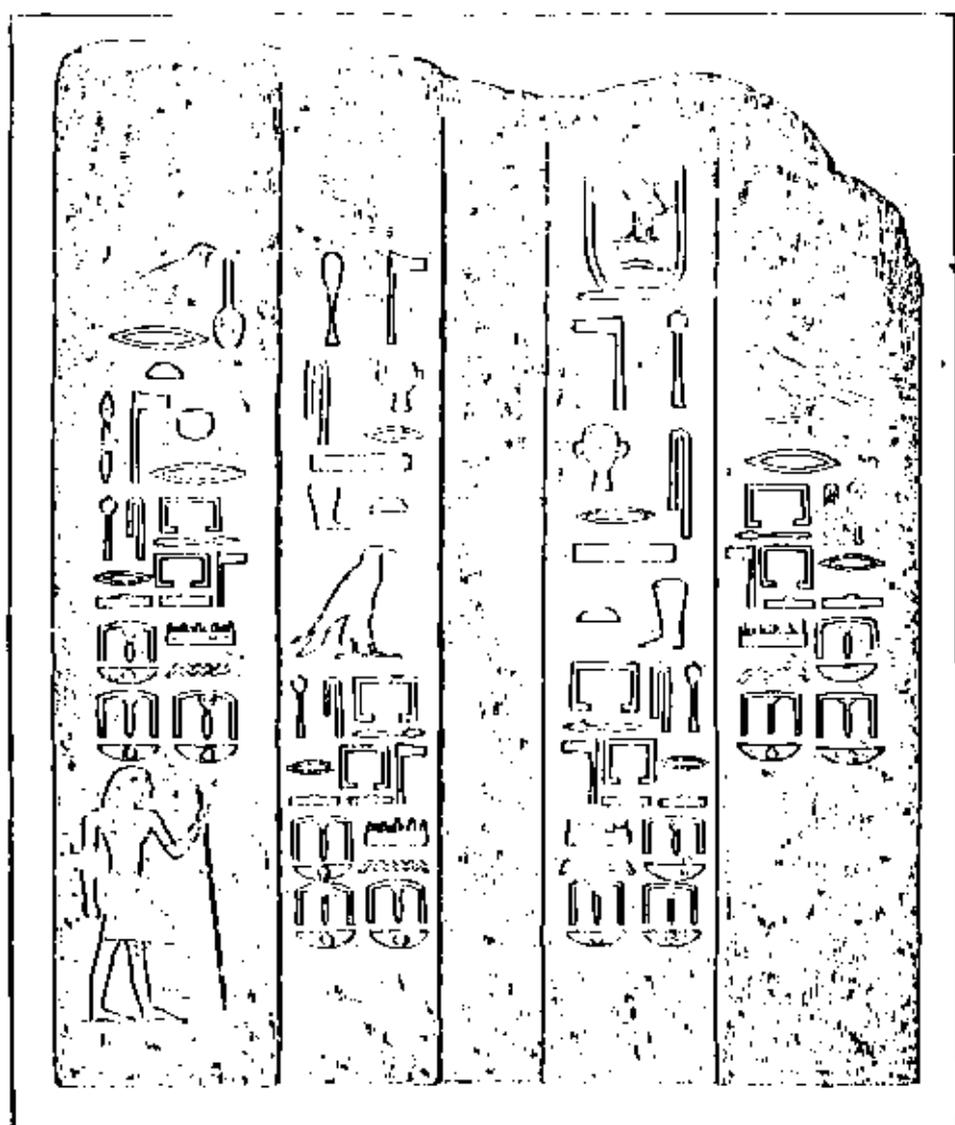
Lepsius, C.R., *Denkmäler aus Aegypten und Aethiopen*, II, Berlin, 1850.
Abb 50 B.



(كل ١)

لوجه الأخت ووجه الموت

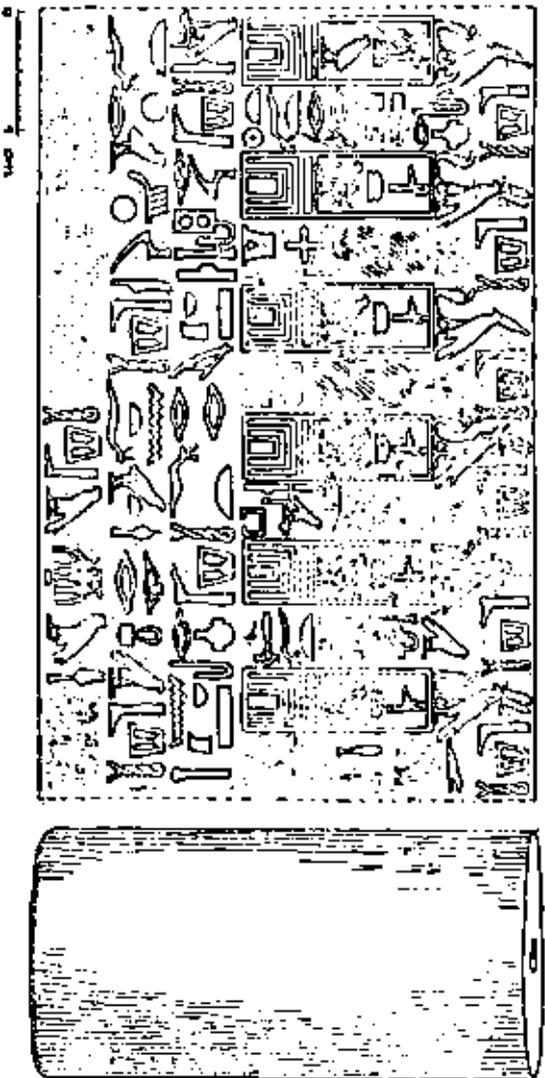
Lutz, H.F., Egyptian tomb stiles and offering stanes of the Museum of Anthropology and Ethnology of the University of California, Laquay, 1927, Pl. I



(شكل ٧)

للورث ١ من حيوا

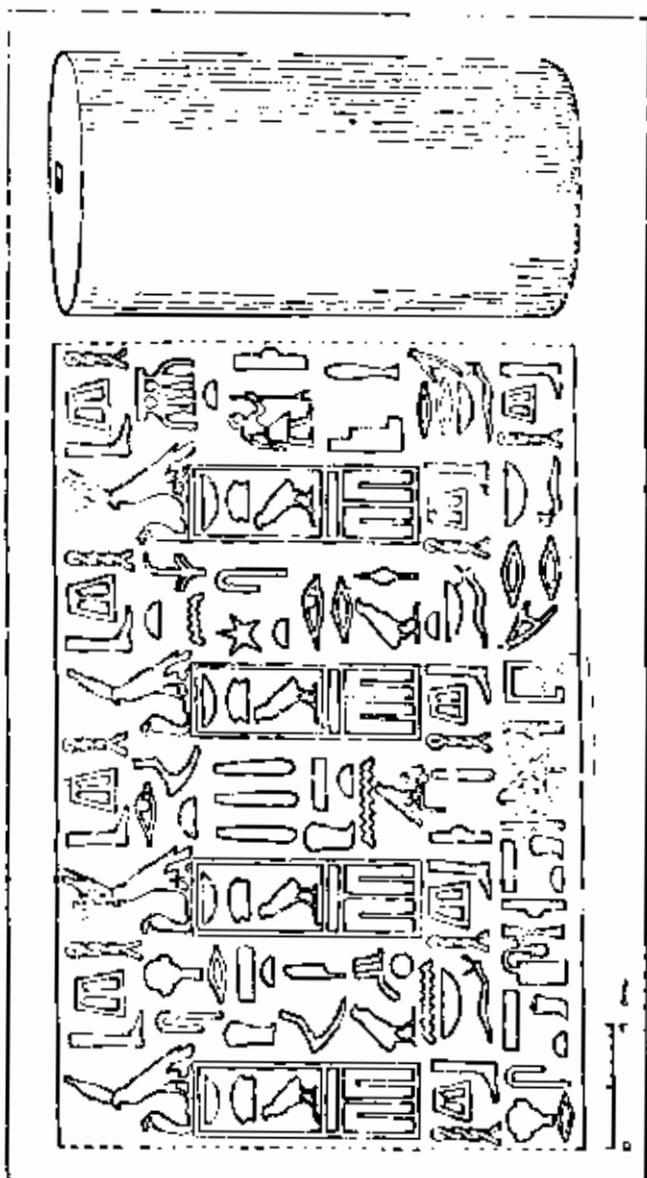
Junker, H., Giza, VIII, Wien Und Leipzig, 1947, S. 162.



(شكل ٨)

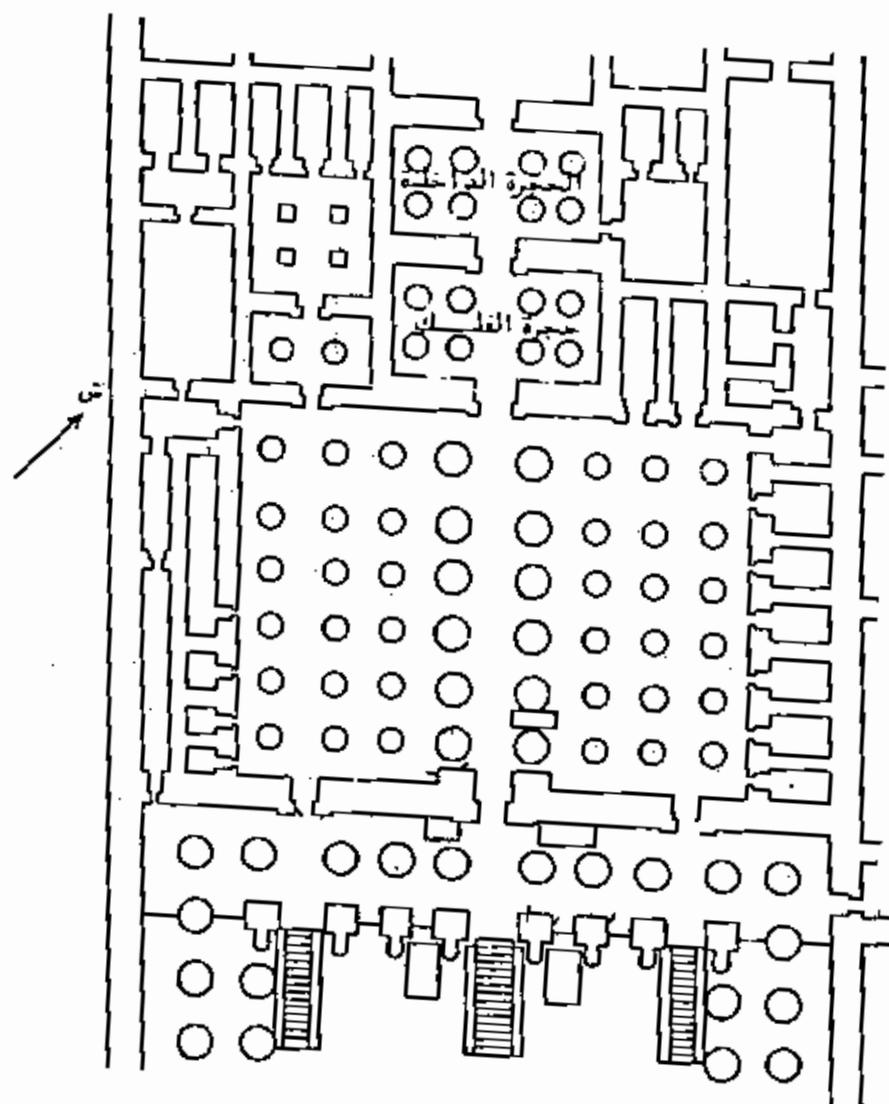
قطعة من الذهب من مقبرة الملك رمسيس الثاني

Junker, H., *Giza, VII, West und Leipzig* 1944, Abb. 97.



(شكل ٩)
 طبل عم عز عليه في مطربة ١ جان ١

—Haber, H., *Gaz.*, VII, *Wein Und Leipzig*, 194٤, Abb. 96.b.



(شكل ١٠)
مكتبة معبد الشمس (حجرة الفلك)

Porter, B., and Moss, R., *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings, II, Theban Temples*, Second Edition, Oxford, 1972. Plan XLII.



(شكل ١١)
الإلهة سشات في معبد الرمسوم

Lepsius, C.H. Denkmaler aus Ägypten Und Aethiopen, III, Ab. 167.

المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية

دكتور

حسن محمد الوهاب حسين

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

10.

مقدمة

يتناول هذا الموضوع أحد الجوانب الهامة في تاريخ الحركة الصليبية التي تسمت بطابع ديني منذ بدايتها أخفى وراءه انطماع أخرى عديدة . وهذه المحاولات التبشيرية من جانب الغرب الأوروبي لنشر المسيحية ، أو بمعنى أدق محاول كتلكة الشرق الاسلامي ، لم تظهر فجأة بل سبقتها محاولات فردية في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ثم اتخذت شكلا منظما بقيام بعض الجماعات الرهبانية تخصصت في هذا العمل مثل جماعتي الفرنسيسكان والدومنيكان . ووقفت البابوية وراء هذه المحاولات تشجيعها في محاولة منها لتعويض ما أصاب الحركة الصليبية من جمود وفشل .

وقبل تناول هذه المحاولات لابد لنا من تناول مدى فهم أوروبا للدين الاسلامي ، وهل كل ذلك فهما حقيقيا أم انه كان متعصبا لأن ذلك سوف يعكس على هؤلاء الدعاة ومحاولاتهم التبشيرية حيث كانوا أبعد ما يكونون عن فهم الدين الاسلامي الخفيف .

وبداية فاننا سوف نركز على هذه المحاولات الفردية وبخاصة في القرن الثاني عشر الميلادي ، وأغلب الاشارات عن هذه المحاولات أوردها لنا المصادر الغربية ومن هنا فاننا يجب أن نكون على حذر عند تناولها لمحاولة الوصول إلى الحقيقة دون تعصب أو تحيز . وفي الواقع فإنه لم يظهر بحث أو كتاب باللغة العربية تناول هذا الموضوع ، أما باللغات الأخرى فقد ظهرت مقالة لمارشال بنديين^(١) تناول فيها الإرساليات إلى الشرق مركزا بصفة خاصة على نشاط الفرنسيسكان والدومنيكان في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . كذلك دراسة لبينامين كيدار عن الصليبية والإرسالية ، تناول فيها العلاقة بين الفكرة الصليبية والإرساليات سواء في شمال أفريقيا أو الأندلس أو حوض البحر المتوسط أو في بلاد الشام^(٢) . وقد ناقشت بعض النقاط التي أوردها على مدى صفحات هذا البحث .

M. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (١) (ed.) History of the Crusades, Vol. 5, Philadelphia 1985, p. 452 ff.

B. Z. Kedar, Crusade and Mission, European Approaches to The Muslims, Princeton (٢) 1988.

وعالجت هذه المحاولات التبشيرية أثناء المعارك مع المسلمين ، ثم بين العبيد المسلمين وكذلك الأطفال وأخيرا مع الحكام والأمراء المسلمين . وأخيرا هل كان هؤلاء المرتدين دور في المعارك مع المسلمين ورد فعل المسلمين تجاه هذه المحاولات .

والله أسأله الهدى والتوفيق ،،

يعتبر مصطلح « لارسانية » حديث من حيث استخدامه ، وهو لا يقتصر فقط على محاولات نشر الكاثوليكية بين غير المسلمين ، وإنما شمل في بعض الفترات محاولات تنسيق بين الكنيسيتين الشرقية والغربية بعد القطيعة الدينية الكبرى التي تمت بينهما في عام ١٠٥٤ م . غير أننا على مدى صفحات هذا البحث سوف نتناول هذه المحاولات الفردية التي جرت لكثلكة الشرق الإسلامي وبخاصة في بلاد الشام في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري .

وقبل الخوض في دراسة هذه المحاولات — والتي يحاول البعض ارجاعها إلى أوسط القرن السابع الميلادي (١) — لا بد لنا من معرفة مدى فهم أوروبا للدين الإسلامي في القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري وذلك قبيل قيام الحروب الصليبية ، والذي سوف يعطى لنا انطباعا صادقا عن هؤلاء الدعاة . ويشير كيدار إلى أن « الفهم الأوروبي للمعتقدات الاسلامية أصبح أكثر وضوحا في القرن الحادي عشر الميلادي » (٢) . وفي الحقيقة فإن هذا الرأي يبعد تماما عن الصواب وذلك عندما نرى هذا الفهم ، اللهم إذا كان يقصد مقارنة ذلك بالفترة السابقة عن هذا القرن .

وردت أول اشارة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي عن الرسول — ﷺ — لدى راؤول جلير Raoul Glaber حيث ذكر أن المسلمين يعلمون الانبياء اليهود والمسيحيين ويعتقلون في نبي يسمى عندهم محمد (ﷺ) . وفي نفس الفترة أشار أحد الشعراء البيازنة المجهولين في قصيدة له يحتفل بانتصار مواطنيه على مدينة المهديية في عام ١٠٨٧ م / ٤٨٠ هـ ، أن محمد (ﷺ)

(١) اشار المؤرخ البيزنطي نيقفور (مت ٨٢٩ م) إلى أن قورس Cyrus بطريرك الاسكندرية والذي كان معاصرا للفتح العربي لمصر قد اقترح — ربما في عام ٦٤٠ م — رواج ائمة الامواطور البيزنطي هرقل من عمرو بن تغاص لاقتناعه بالذخول في المسيحية . ولكن بنظر استيعاب تماما هذه الرواية . أما نوا Nau فقد اطلق العنان لتفكيره معتقدا أن القورس أراد تحويل الرسول ﷺ نفسه إلى المسيحية وذلك بارسال فناء قطيعة . وعلظ هذا الكاتب بينها وبين مارية القبطية التي أسلمت بمجرد وصولها إلى المدينة وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام . بنظر : فتح العرب لمصر ، تحرير محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٨٩ . ص ١٢٦ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، إسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٣ ، وكذلك : Kedar, op. cit, p. 85.

لا يعتقد في الثالث أو أن يسوع هو نفسه الرب (٣) وعلى الرغم من أن اناسطاسين لاندولفين Anastasian Landulphian اشار لبعض عقائد الإسلام مثل الاستشهاد في المعركة والتراحم بين المسلمين، إلا أنه أساء عن قصد أو غير قصد - فهم متعة اخو العبي التي أعدها الله لعباده المؤمنين عند دخولهم الجنة . فذكر أن الجنة مليئة باللذات الجنسية لمحاولة تشويه صورة المسلمين وانهم يجرؤون وراء هذه المتع (٤).

وتزداد كراهية هؤلاء المؤرخين للرسول (ﷺ) فيحاولون تشبيهه بما يفعلونه مع عيسى عليه السلام - وهو براء من ذلك - فيقول احدهم أن المسلمين يعبدون محمد (ﷺ) . ويزعّم آخر نقلا عن رواية اسبانية - تدعى كذبا وبهتاناً - أن الشيطان غفل في صورة الملاك جبريل ونقل للرسول (ﷺ) ما سمعه في مدارس المسيحيين لكي يبشر به بين العرب ويدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الأوثان (٥).

(٣) قام البيهقي والجنوبي بالاعارة على الهدية وزويلة في عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م باسطون مكرور من ثلاثمائة سفينة عليها ثلاثين ألف مقاتل وبعث ابن عفاري أسباب هزيمة المسلمين في هذه الحملة ، وأشار هو وابن خلدون إلى مهاجمة المدينتين ، أما ابن الأثير فلم يشر إلا إلى مهاجمة زويلة وذلك في عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، ولكنه أضف شرطاً آخر إلى شروط الصلح معهم هو رد جميع ما حوروه من السي . للمزيد انظر : ابن خلدون المراكشي : البيان للفرج في اخبار الانهلس والمغرب ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠١ . ابن خلدون : العبر وديوان المنهاج والخبر ، ١٣ ج ، بيروت ، ١٩٨٣ ، المجلد السادس في ٢ ، ص ١٣٢٨ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩ ج ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ج ٨ ، ص ١٤٧ . السيد عبد العزيز صالح : المغرب الكبير ، ٢ ج ، مصر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٦٧٥ ، ٦٧٦ .

(٤) للمزيد من ذلك انظر : مونتجومري وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٩٩ ب ١٠٥ .

(٥) يقول الله في سورة المائدة رداً على ذلك : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ مَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ الْوَيْحَ عَلَى مَوْجٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَن يَأْتِيهِ مِنَ الْوَيْحِ فَسَيَكْتُبُ بِهِ نَبَأَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَيُلْقِيهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ الْوَيْحِ وَيُنزِّلُ الْوَيْحَ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

ول سورة يونس - : وَإِن كَانَ عِظْمُ الْغُرَبَاءِ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَآبَثَ خَالِدِينَ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ ثِيَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دُونِ اللَّهِ لِيُتَمَثَّلُوا بِالَّذِينَ نَجَّيْنَا مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَجْرًا مَّكِينًا .

وفي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي يحدث بعض التغير النسبي في معنومات أوروبا عن الإسلام لدى بعض مؤرخي الحروب الصليبية . فيشير جويرت دي نوجان أن المسلمين لا يعتبرون محمداً (صلى الله عليه وآله) كما يعتقد البعض ، وإنما رجل تم عن طريقه إيصال التعالم الإلهية (١٦) .

غير أن هذا التغير لا يستمر طويلاً ، فنجد مؤرخاً آخر مثل فوشيه دي شارتر ، والذي شارك في الحملة الصليبية الأولى وعاش أكثر من ربع قرن في بلاد الشام ، يشير إلى أن المسلمين اعتماداً وعند قبة الصخرة أداء صلاتهم لوثن مقام باسم محمد ، وذلك على حد زعمه والعياذ بالله . وإن دلت هذه الرواية على شيء ، فإتماً تدل على التعصب الأعمى ضد الإسلام ومحاوله اتهامه بالوثنية (١٧) .

أما رواية المؤرخ ولبيم الصوري والذي ولد في الشرق حوالي عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ وأصبح من رجال الدين المسيحي ، فهي تقطر سماً وكراهية للإسلام . وعلى الرغم من أن كيدار يذكر أنه لم يستخدم لفظ الوثنيين Pagans عند الإشارة للمسلمين (١٨) إلا أن ذلك الرأي يبعد تماماً عن الصواب . فعندما تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول « في عهد الامبراطور الروماني هرقل وطبقاً للمؤرخين القدامى والروايات الشرقية تمكنت مذاهب محمد المضرة أن تحصل لها على اقدم راسخة في الشرق . وهذا هو أول أبناء الشيطان — والعياذ بالله — والذي ادعى كذباً بأنه رسول من الرب ، وقام باغواء أراضي الشرق وخاصة شبه جزيرة العرب . وسرعان ما انتشرت هذه البذرة السامة واخرقت الاقاليم التي قام فيها حلفاؤه باستخدام السيف والقوة نشر معتقداته الخاطئة وذلك بدلاً من استخدام الوعظ والبشير » (١٩) .

ويتضح بجلاء مدى حقد هذا المؤرخ على الإسلام بسبب انتشاره السريع في

Guibert de Nogent, Gesta Dei per Francos, in RHC. H. Occ. 4, p. 130. (١٦)

Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, Knoxville, 1969, pp. 118, 122. (١٧)

Kedar, op. cit, p. 89. (١٨)

William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 7 vol., New York, 1903, vol. 1, pp. 60-61. (١٩)

ولو اكتفى أوليبر بذلك لكان منصفاً فيما يتقله عن موقف الإسلام من لسيّد المسيح عليه السلام ، ولكنه شأنه مثل بقية المؤرخين الغربيين يدفعه لتعصب الأعمى لكي يتهم المسلمين بأنهم هراطقة ولا يصحح أن يطلق عليهم مسلمين على حد قوله (١٥٥) . ثم يكرر نفس الرواية السابقة عن الرسول (ﷺ) بأنه تلقى أوامره من الشيطان التي تمت كتابتها بالعربية على يد أحد الرهبان تسمى سرجيوس (١٥٦) .

وخلاصة الأمر أن معلومات أوروبا عن الدين الإسلامي وعن الرسول (ﷺ) لم تكن صادقة ويعتربها التعصب الأعمى من جانب هؤلاء المؤرخين . ويعترف مارشال بلدوين بذلك فيقول أن هذه المعلومات المتاحة للغربيين عن الإسلام لم تكن كافية وغير دقيقة وأنى معظمها من أسبانيا ، وهي نفس الأفكار التي استمرت في القرن الثالث عشر الميلادي (١٥٧) .

ويظهر تساؤل هام هنا قيل تناول هذه المحاولات التبشيرية بالدراسة والتحليل هو . هل كان هدف الحروب الصليبية تحويل المسلمين للمسيحية ؟ يرد الكاتب براور على هذا بقوله أنه مهما كانت ايدلوجية الحملة الصليبية الأولى فإن الصليبيين في الشرق لم يصبحوا مطلقاً مؤمنة تبشيرية . أما إذا نظرنا إلى هذه المحاولات الفردية للتبشير سواء بين المسلمين أو اليهود ، بل حتى محاولات الترفيق مع المسيحيين الشرقيين لايجاد نوع من الوحدة مع روما ، فإن الصليبيين لم أفضل الحالات لم يكونوا أكثر من هذه المحاولات ، بل في حالات أخرى عديدة كانوا يعارضونها (١٥٨) .

ومن ناحية أخرى فإن خطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمون عام ١٠٩٥ لم تشر إطلاقاً إلى أن الهدف من الحروب الصليبية هو تحويل المسلمين للمسيحية

Ibid.

(١٥٥)

(١٦) بطرس اللاتيني ، ج ١ ، ص ١٠٠ . كان قبل الفتح أن الفتحين دون الميراث لكن أشدق الذي بين يدى ركن الصليبي
الكتاب لأرنست ريبون ريبون التلاميذ (٣٧) .

Baldwin, Missions to the East, p. 459.

(١٧)

وكذلك : مونتغمري وات : المرجع السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ .

J. Flower, Crusader Instructions, Oxford, 1980, p. 210.

(١٨)

ونما كان الاستيلاء على بيت المقدس^(١٩) . كذلك فإن الخطابات الرسمية الصادرة من البابوية إلى رجال الدين المسيحيين لم تشر إلى هذا الهدف ، كذلك فإن أيًا من هذه الجماعات الرهبانية العسكرية التي تأسست في الشرق سواء كانت الاستبارية أو الداوية أو التوتون لم تشمل بنودها على أية شروط لقيام أعضائها بمهمة التبشير ببنسجحة^(٢٠) .

أما الأمثلة التالية للمحاولات التبشيرية فقد وردت غالبيتها في المصادر الغربية مما يجعلنا نكون على حذر عند تناولها ولا نسلم تمامًا بما جاء فيها لأن همة إلا بعد التأكد وعمل المقارنات مع المصادر الأخرى . ويدور الخلاف حول موقف أحمد بن مروان قائد قلعة انطاكية الذي وافق على تسليمها للأمير الصليبي بوهمند في عام ١٠٩٨م / ٤٩١ هـ ، ويشير المؤرخ المجهول وفوشيه أوف شارتر انه وافق على التحول للمسيحية مع رجاله الذين وافقوا على ذلك^(٢١) ولا بد لنا من التوقف هنا عند هذه الإشارة . فالمؤرخ المجهول كما يقول ج . فرانس J. France . كان يهتم بأعمال النورمان^(٢٢) ، وهو بدون شك يرغب في إعلاء شأن بوهمند ، أما فوشيه فإن روايته ينقصها الدقة بسبب وجوده آنذاك في الرها مع جيش بلدوين وبالتالي لم يكن شاهدا عيانا لآحداث حصار الصليبين لانطاكية . كما أن المؤرخ ريموند الصنحلي لم يشر إلى هذه المسألة على الرغم من وجوده مع الجيش الصليبي أمام انطاكية . غير أن ابن العديم يذكر أن الصليبين القوا سراخ أحمد بن مروان ومن معه وأمنوه وسلمها لهم في الأحد الثاني من شعبان ٤٩٢ هـ^(٢٣) وانزلوه في دار بانطاكية وأطلقوا

(١٩) من ثلاثة ما ورد في هذه الخطبة أنظر :

J. La Monie, Crusade and Jihad. In The Arab Heritage, ed. by N. A. Faris, New Jersey, 1964, pp. 158 - 198; Kedar, op. cit., pp. 58 - 59.

(٢٠) عن قيام هذه الجماعات انظر : إبراهيم حميس : جماعة الفرسان الدنيوية : رسالة ماحسور لم تنشر بعد ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م . مصطفى الحناوي : تاريخ جماعة الفرسان الاستبارية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد . الاسكندرية [١٩٨٠] . حسن عبدالوهاب : تاريخ الفرسان التوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩م .

(٢١) Gesta Francorum Hierosolimitanorum : ed. by Rosalind Hill, London 1933, p. 72. (٢١)

The Crisis of the First Crusade, in Byzantium LXXI, 1970, p. 277. (٢٢)

(٢٣) صحتها ٤٩١ هـ . والأحد الثاني من شعبان يوافق ٧ يوليو ١٠٩٨ م وذلك حسبما اشارت المصادر العلية وهي الأدق هنا .

أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب^(٢٤١) . غير أن الذي يشر
لشك هنا حول موقف أحمد بن مروان الفرنج الصليبي له في دار بانطاكية دون
بغية أصحابه ، وإن كنا أيضا لا نستطيع أن نحزم تماما تنصره ، لأن ابن العديم لم
يشر إلى ذلك صراحة .

وتختلف أيضا روايتا ريموند الصنجيل وألبرت أوف اكس حول أحد
الانراك الذي ارتد عن الاسلام أثناء الحملة الصليبية الأولى . فيشير الأول أن
بوهمد كان له الفضل في ذلك وقام باعطائه اسمه ، أما الآخر فيشير إلى أنه
نصر قبل سقوط انطاكية ولعب دورا في إخضاعها . وفي نفس الوقت فانهما
لا يحتلطا بشخص فرور الارميتي الذي أسهم بحياته في سقوط انطاكية في قبضة
الصليبي في عام ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ^(٢٤٢)

ومن أمثلة ما حدث أثناء الحملة الصليبية الأولى عن محاولات فرض المسيحية
بالقوة أثناء المعارك ، أشار المؤرخ المجهول أن ريموند بيليه Raymond Pilet^(٢٤٣)
خير المسلمين القاطنين حول تل منس في يوليو ١٠٩٨ م / شعبان ٤٩١ هـ بين
المسيحية والموت فمن قبلها يطلق سراجه ومن رفضها فان مصيره القتل^(٢٤٤) .
ويروي ابن العديم رواية أخرى مفادها أن جماعة من الفرنج خرجوا في شعبان
٤٩٢ هـ (صحتها ٤٩١ هـ) زحفوا مع أهل تل منس ونصاري معرة النعمان
على المعرة وقتلوها ، فوصل جانب من عسكر حلب اليهم والتفوا بين تل منس
والمعرة فانهمز الفرنج وبقي الرجال منهم ، فقتل منهم زائد عن ألف رجل ،
وحميت الرؤوس إلى معرة النعمان^(٢٤٥) . ويتضح بخلاء رفض الأهالي المسيحية
أو الاستسلام فاما النصر أو الشهادة .

٢٤١ ابن العديم : بقية الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ - ١٩٦٧ ، ص ٥٠٢ . أما ابن
فلاس فيلم يشر إلى نصر أحمد بن مروان ، وإنما أشار فقط أن سكان انطاكية الجدد إلى قلبها
بعد تاريخ دمشق ، ص ٢٣٠ .

Raymond d'Aguliers, Historia, (english trans), p. 135; cf. also: Kedar, op. cit., p. 67.

٢٤٢) ٥٧ سيعا على مقاطعة في فرنسا . ويعرف أيضا بفارس ليموسين Limousin ، أما تاريخ هذه
معركة فكان في الفترة ما بين ١٤ - ١٧ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ - ١٤ شعبان ٤٩١ هـ وتقع تل
منس جنوب شرق انطاكية بالقرب من معرة النعمان . انظر

Peter Tudebode. Historia, Philadelphia 1974, p. 21, n. 5, 6.

Ibid. cf. also: Kedar, op. cit., p. 63.

(٢٤٤)

(٢٤٥) ابن العديم : بقية الحلب ، ص ٥٠٢ .

بم الصليبيون وجههم تجاه بيت المقدس هدم حديدية القلعة بعد أن نجحوا في الاستيلاء على الزها وانطاكية . وفي أثناء حصار الصليبيين للقدس في يوليو ١٠٩٩ م / شعبان ٤٩٢ هـ ، ذكر الثورت أوف اكس أن بتدوين دي بوج أحد قادة الحملة ومعه عدد آخر من الأمراء عرضوا للمسيحية عن أحد البلاء المسلمين الذي وقع في أسرهم ، وقاموا باستجوابه وبعد أن فشلوا في اقناعه بالمسيحية قاموا بقض رأسه أمام برج داود — أحد أبراج بيت المقدس (٢٩) .

هذه الرواية التي ينقلها لنا الثورت أوف اكس — والذي لم يكن شاهدا عيانا لها — تختلط أحداثها مع مارواه مؤرخ آخر وشاهد عيان هو بطرس تيدبرده . فيذكر أنه أثناء حصار القدس أرسل المسلمون أحد حواسيسهم للتحسس على الآلات الخاصة بالصليبيين فتم القبض عليه . وتم سؤاله — عن طريق مترجم — عن سبب مجيئه فرد عتيبه بأنه أراد أن يعلم آلات الحصار الخاصة بهم . فآخذه الصليبيون وهو مقيد ووضعوه في منجنيق محاولين إلقائه داخل القدس ولكنهم وجئوا أن ذلك سوف يكون مستحيلا لأنه سوف يتمزق أربا قبل أن يسقط بداخلها (٣٠) .

وعلى الرغم من انفراد بطرس برواية الجاسوس هذه ، إلا أنها تبدو كأنها نفس رواية الثورت عن ذلك الأمير المسلم ، ولكن مع اضافة نوع من التضخم عليها يجعل قادة الحملة يحاولون نشر المسيحية مما يرفع من قدرهم في أوروبا . غير أن كيدار يبدو أنه يميل للأخذ برواية الثورت ، ويشير إل أننا يجب ألا نغفلها ، بسبب وجود خطاب لأحد اليهود المعاصرين للحملة الأولى ، ويرجع تاريخه إلى عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ — أي بعد عام واحد فقط من سقوط القدس — ويشير صاحب الخطاب إلى أن الصليبيين حاولوا اقناعه بالمسيحية كى يقبلها بمحض إرادته ووعدهه بمعاملة طيبة ، ولكنه قال لهم كيف أصبح كاهنا مسيحيا « كاهنا نصرانيا ، وتركت في أمان حياتهم (يقصد اليهود) وهم

Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana*, p. 469

(٢٩)

Peter, *op. cit.* p. 117

(٣٠)

الذين انفقوا على مبالغ باهظة^(٣١) ويضيف مؤلفه ، انه على الرغم من ذلك فان بعض الأسرى اليهود قبلوا المسيحية .

وفي الواقع فان هجة هذا الخطاب تدل على أن ذلك الشخص اليهودي كان يرغب في التحول للمسيحية ولكنه كان يريد الثمن لذلك ، ويتضح هنا من قوله « وهم (أي اليهود) انفقوا على مبالغ باهظة » . ومن ناحية أخرى ، هل كان باستطاعته هو واليهود فعل شيء بعد هذه المذبحة المروعة التي حدثت لجميع سكان القدس — سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود — عند اقتحام الصليبيين للقدس في عام ١٠٩٩ - ١ م . وقد افاضت في ذلك جميع المصادر من غربية أو شرقية .

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين بهذه الحالات الفردية التي وردت في المصادر الغربية عن بعض المرتدين ، إلا أن ايا منهم لم يشيروا إلى ما حدث اثناء الحملة البيزنطية الصليبية المشتركة على بلاد الشام في عام ١١٢٨ م / ٥٢٢ هـ وكانت بقيادة الامبراطور البيزنطي حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣ م)^(٣٢) .

ففي اثناء زحف هذه القوات على مدينة حلب مرت بمحصن بزاعة^(٣٣) وذلك في ١٨ أبريل ١١٢٨ م / ٢٥ رجب ٥٢٢ هـ . وبعد حصار دام حوالي سبعة أيام قرر أهله التسليم بعد أن توثقوا من الصليبيين والبيزنطيين بالعهد والايمان . ولكنهم غدروا بأهله ، ونصروا قاضي بزاعة وجماعة من الشهداء وغيرهم تقدير اربعمائة نفس^(٣٤) .

(٣١) على حل هذا الخطاب في الوثائق الخاصة بخيرة القاهرة ، ونشره جرين مع خطاب آخر بالعربية . وتوجد ترجمة له بالفرنسية نشره كلود كاهن في
C. Cahen, Orient et Occident, au temps des Croisades, Paris, 19٢1, p. 224 - 25.

(٣٢) Anonymous Syriac Chronicle. The First and Second Crusades, Journal of The Royal Asiatic Society, London 1933, II pp. 278 - 79, William of Tyre, op. cit. II, 14 - 15, pp. 92 - 95.

(٣٣) هدف من أعمال حلب في ايام سلطان ابن منبج وحلب ، انظر : القوت الحموي . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩٠٩ .

(٣٤) ابن القلاسي : دهل تاريخ دمشق ، ص ٤١٦ ابن لائيم . الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥٩ . من الغناء . مع الخلف ، ص ٥٨٨ .

وفي إشارة بالمصادر لاسلامية عن هذه الخبائة لم تدب قاضي المدينة ومن معه .
وعلى الأرجح انه استخدم مبدأ التقيہ (٣٦) وذلك حتى يتخلص من هذا
المتأرق (٣٧) . والدليل على ذلك أن سيف الدين سوار بن ايتكين تمكن من
اطلاق سراح اسرى بزاعة الذين تركهم البيزنطيون وراءهم أثناء زحفهم على
حلب (٣٧) . وفي الواقع انهم لو استمروا على نصرانيتهم لاستغلت المصادر
الصليبية هذا في التشجيع بالاسلام وأنه بدلا من هذه الحالات الفردية السابقة
التي تهلل لها وتحاول أن تضخمها .

وبخلاف محاولات نشر المسيحية عن طريق القوة أثناء المعارك ، حاول بعض
الصليبيين استخدام مجال آخر للتبشير بها وذلك بين العيد المسلمين في مقابل
حصولهم على حريتهم . فحسب قوانين مملكة بيت المقدس كان العيد المسلم
الذي يتحول للمسيحية يحصل على حريته (٣٨) . ومثال ذلك ماحدث أثناء
الحملة الصليبية عندما استولى ريتشارد قلب الاسد وفيليب أوغسطس على عكا
في يوليو ١١٩٢م / رجب ٥٨٨ هـ أمرا باطلاق سراح العيد المسلمين

(٣٦) للمزيد انظر : دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠ - مادة التقيہ - دار الشعب ، القاهرة .

(٣٥) ورد هذا المبدأ في الفرائد الكريمة : *بَيْنَ كَفَرٍ بِاللَّهِ مِنْ تَعَدُّ بِسُنْبِهِ لِأَنَّ أَمْرَهُ وَقَبْلَهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِسْنِ
وَلَتَكُنْ مِنْ تَبْرُحٍ بِالْكَفْرِ سَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبُ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* . التحل آية (١٠٦) .

ويروى لنا من عباس بن سيب نزول هذه الآية ثلاث في حصارين باسرا . ويذكر ابن كثير في
شرحيه لهذه الآية أن الكفر يجوز له أن يوافق ابقاء لهجته ، ويجوز له أن ينافى كما كان
بلان رضي عنه عنه بعض ، وكذلك الصحابي الجليل حبيب بن زيد الانصاري عندما حاول
إسليم الكذاب ابيارة على الشهادة له بأنه رسول . والأفضل والأقوى أن يثبت المسلم على دينه
ولو أفضى إلى الفتنه . كما ورد في ترجمة الحافظ بن عساكر عن الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة
السهمي مع ملك الروم . ولكنه أتى على الرجم من وسائل التعذيب المختلفة التي لا تقاها . وعندما
يكفي اعتقد ملك الروم أنه ضعف عرض عليه النصرانية مرة ثانية . عر أنه رد عليه بأنه يكفي لأن
له نفسا واحدة . وكان يرغب أن يكون له عدد كل شعرة في حسانه نفسا تعذب هذا العذاب ل
الله . انظر : مختصر قصص ابن كثير : اجتماع تحقيق محمد علي الصاوي ، بيروت ، ١٩٨١ .
المجلد الثاني ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩

(٣٧) ابن الفلاس : المعجم السابق ، ص ٤١٦ ، ابن العديم : المعجم السابق ، ص ٥٨٨ .

(٣٨) Jean-Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, translated From French by J. J. Shickel, 2 Vols. Amsterdam, 1979, p. 132

راعين في التحول للمسيحية . ولكنه سارعوا بالفرار إلى معسكر صلاح الدين لايوتى ، فأمر جنكاز بعدم تحويل عيد جسد الرب للمسيحية ^(٤٢٠) .

وعلى الرغم من هذا حق القانون لتعديد فرندان بالحصول على حريتهم ، لأن السادة الصليبيين — سواء كانوا علمانيين أو دينيين — منعوا هذا التحول لما يسيبه ذلك من خسارة لهم ، بل هم عرفلوا لدعاة عن أداء عملهم . ولاشك أن لذلك دلالة فمصلحتهم المادية غلبت عليهم في الوقت الذي استغلوا فيه الدين لاختفاء هذه المطامع . وحاول البابا جريجورى التاسع (١٢٢٩ — ١٢٤١ م) معالجة هذه المسألة في خطاب أرسله في ٢٨ يوليو ١٢٣٧م إلى جريولد بطريرك بيت المقدس الاسمي ومقدمى الجماعات الرهبانية العسكرية الثلاثة فأشار إلى أنه « بما إلى علمنا أن العيد الذين يقبلون التعميد بنية الحصول على حريتهم طبقا لعادة البلاد (الأراضي المقدسة) فإنه يتم رفضهم ، بل ان بعض السادة ومنهم رجال دين يتمتعون عبيدهم عن التحول للمسيحية ، لأنهم يسيطة يفقدونهم » ^(٤٢١) .

وحلا لهذه المشكلة أمر جريجورى هؤلاء السادة ، بأن العبد الذى يرغب في التحول للمسيحية يتم له ذلك ، ولكنه عليه أن يفهم أن حصوله على الحرية لايعنى خروجه عن طاعة سيده ، وأن يتم السماح له بحضور القداس في الكنيسة وأن يعامل معاملة حسنة ^(٤٢٢) .

وفيما يبدو أن هذا الخطاب لم يخل هذه المسكلة لأننا نجد مرسوما آخر يسمى « مرسوم ياقا » . وأصدر هذا المرسوم اللدوب الجابوى أدو دى شاترو في يناير ١٢٥٣م بشأن نفس الموضوع . وقد هدد أدو باصدار قرار الحرمان على السادة الاقطاعيين الذين لايسمحون لعبيدهم بالتحول واطلاق حريتهم ، وأعلن أنه يجب قراءة هذا المنشور في الكنائس مرتين في العام وان يسجل في سجلاتهم وبذلك لن يستطيع أحد تجاهله ^(٤٢٣) .

(٤٢٠) Roger of Howden, Annals, pp. 66 - 76; Cf. also Kedar, op. cit., pp. 146 - 147

(٤٢١) Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100-1310), Paris (٤٢٢) Dediville le Roux, (Munche, 1980), no. 2166, pp. 513 - 514.

(٤٢٣) Ibid. cf. also Prawer, Crusader Institutionalism, p. 210.

(٤٢٤) Kedar, Ecclesiastical Legislation in Kingdom of Jerusalem, The Statutes of Jatta (1253) and Acre (1245) in Crusade and Settlement, ed. P. Edbury, Cardiff 1985, p. 226

هذه المحاولات من جانب الصليبيين لاغراء العيد المسلمين بالفرار اليهم ونحويلهم للمسيحية في مقابل حريتهم ، ربما كانت أحد الدوافع التي جعلت السلطان المملوكي الظاهر يبرم بشرط في معاهدة له مع استنارة حصن الكراد والمرقب في عام ١٢٦٧م / ٦٦٥ هـ ، شرطا يعمى به الفلاحين المسلمين في المناطق ذات المناصفت بينهما فذكر ، وأن يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفت جميعها مطلقين من السخر من الجانبين * * * وعلى أن يحكم فيه بشريعة الاسلام أن كان مسلما (يقصد الجزء التابع للمسلمين) ، وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الكراد * (٤٣) .

وفي معاهدة أخرى بين السلطان المملوكي المنصور قلاوون وابنه على مع حكام الفرنج بمكا في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م اشترط عليهم * وعلى انه متى هرب أحد - كائنا من كان - من بلاد السلطان وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعينة في هذه الهدنة ، وقصد الدخول في دين النصرانية وتصر بارادته ، يرد جميع ما يروح معه ويقتى عرياناً ، وان كان يقصد الدخول في دين النصرانية ولا يتصر ، رد إلى أبوابها العالية بجميع ما يروح معه بشفاعته ثقة بعد أن يعطى الأمان * (٤٤) .

وكانت أخطر المحاولات التبشيرية ، تلك التي قام بها جاك دي فيترى أسقف عكا (١٢١٦ - ١٢٤١ م) . ويرجع خطورتها إلى انها تمت بين الأطفال المسلمين . ففي أثناء الحملة المنقرية على بلاد الشام والتي كانت بقيادة اندرو الثاني ملك هنغاريا قام جاك دي فيترى بإقناع الصليبيين باعطائه الأطفال المسلمين الذين تم أسرهم أثناء الغارة على يسان وحصن جبل الطور في الفترة من أكتوبر - ديسمبر ١٢١٧ م / رجب - شعبان ٦١٤ هـ ، وقام بتسليمهم الى راهبات عكا لكي يقمن بتعليمهن المسيحية (٤٥) .

(٤٣) القلفندي : صبح الأعشى ل صناعة الانشا ، ج ١٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤٤) غس السدي ، ج ١٤ - ٥٦ - ٥٧ . وعن دراسة لهذه المعاهدة وبودها انظر : حسن عبدالوهاب : تاريخ جماعة الفرسان البيوتون ، ص ٢٢٣ - ٢٢٦ . أما عن قضية المملوك التابع لجمال الدين أنوش الرومى والذي قرأ صاحب صبور . وكذلك البت التي تم تصورها راجع : ابن عبد الظاهر : الروض الواهر في سيرة الملك الظاهر . تحقيق عبد العزيز الخويطر . الرياض ١٩٧٦ ، ص ٣٤٧ .

Oliver of Padernborn, The Capture of Damietta, p 16 (٤٥)

ويتكرر نفس الأسلوب مرة أخرى أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر فعقب استيلاء الصليبيين على دمياط في ٥ نوفمبر ١٢١٩ م / ٢٥ شعبان ٦١٦ هـ، طلب جاك منهم الاطفال المسلمين الذين كانوا بها وحصل عليهم إما عن طريق الشراء أو لتوسل وقام بتعميدهم . غير أن القلعة يتدخل ويموت بحماسة من هؤلاء الاطفال — لسبب لم توضحه المصادر — وأرسل الياق إلى اصدقائه لكي يلقنوهم المسيحية (١٦٦) .

ولاشك أن هذا الأسلوب يعتبر من أخطر أساليب التبشير التي أتبعته وكان من الممكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة لم تحققها الأساليب الأخرى في التبشير بالمسيحية سواء أثناء المعارك أو بين العيد أو الطبقات الأخرى غير أنه بحاجة إلى معارك وحروب ينتج عنها انتصارات للصليبيين ويحصلوا على الاسرى خاصة من هؤلاء الاطفال ولم يكن هذا ليتحقق بعد أن مال الميزان لصالح المسلمين في صراعهم مع الصليبيين منذ معركة حطين ١١٨٧م / ٥٨٢ هـ .

وترد اشارات مختلفة عن محاولات نشر المسيحية بين الحكام والامراء المسلمين . وأول اشارة عن ذلك ترد لدى ألبرت اكس حيث أشار إلى أن الصليبيين عرضوا المسيحية على كبروغا حاكم الموصل أو الدخول في معركة معه وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى كما ذكر أن تانكرد أمير الجليل عرض المسيحية على اذقاق صاحب دمشق عندما أرسل ستة من الفرسان الصليبيين اليه . ولكن اذقاق قام بشنق خمسة منهم وفضل السادس اعتناق الاسلام . وترد اشارة ثالثة أيضا عن حاكم الرملة الفاطمي — دون أن نعرف اسمه — قام بمشاركة حلفائه من الفليبيين في معركة عمقلان ١٠٩٩م / ٤٩٢ هـ بعد أن نجح جودفري دي بوايون في اقتناعه بالمسيحية (١٦٧) .

(١٦٦) Letters de Jacques des Vergy, ed. R.B.C. Huygens, Leiden 1960, no. VI, pp. 123 - 134.

Olver, op. cit., pp. 48 - 54.

ويشعر تاريخ بطاركة الكنيسة ، انه عند سقوط دمياط كان يوجد بها الاطفال ، وذكر المحققون أن باب القلعة أطلق على ستة وأربعين لف رجل خارجا عن النساء والاطفال — انظر : كيرلس الثالث (ابن تليق) : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . قام عن مشرو دكتور أنطون خطاطر ودكتور ارنولد بورمستر . القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٣٢ ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٢ .

Albert d'Aix, p. 469, cf. also: Kedar, Crusader Mission, p. 63.

(١٦٧)

سعيد عاشور : معركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٦٦

وفي الحقيقة فإن انفراد ألبرت بهذه الاشارات يجعلنا نكون على حذر عند
التعرض لها ، خاصة وأنه ينقل عن العائدين من الحملة الأولى والذين كانوا
يرغبون في اصفاء طابع البطونة على أعمالهم .

كذلك ترد اشارة عن الأمير ناصر الدين نصر بن عباس الذي وقع في أسر
الداوية في يونيو ١١٥٤م / ربيع أول ٥٤٩ هـ بعد أن بلغتهم أخت الخليفة
الظاهر بأمره حتى تنضم لمقتل أخيها^(٤٨) . ويذكر وجه التصوري أنه رغب في
التحول للمسيحية وبدأ في تعلم الحروف اللاتينية ولكن لداوية فضلوا اعادته لوالده
وحصلوا على ستين الف دينار بدلاً من قبوله في المسيحية^(٤٩) . وفي اعتقادنا أن
نصر كان على علم بما يجري من محاولات لاعادته إلى مصر للانتقام منه فغير عن
رغبته هذه لكي يتمكن من التخلص من هذا المأزق .

وأشارت بعض الجوليات الألمانية إلى أن بعض سفراء صلاح الدين الأيوبي
أو سلطان قونية (ربما قلع أرسلان) عرضوا على فردريك بربروسا الامبراطور
الألماني أن يزوج ابنته من ابن صلاح الدين الأيوبي أو من سلطان قونية نفسه
وذلك في مقابل تحول الممالك الاسلامية إلى المسيحية على حد (زعمة٥٠) ،
وفي الواقع فإن المصادر الاسلامية لم تشر إلى هذه الرواية ، والتي تتعارض بلون
شك مع سياسة الجهاد التي أعلنتها صلاح الدين ، وهي أيضا نوع من اعلاء
شأن الامبراطور الألماني من جانب هذه الجوليات .

(٤٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢٧١ ابن مسير : المنفى من أخبار مصر ، تحقيق أمين فؤاد سيد ،
القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ القريزي : اعطاء الخفا بذكر الائمة القاضيين الخلفاء ،
أحد ، ص ٢١٧ - ٢٢٢ .

William of Tyre, op. cit., vol. II, p. 253. (٤٩)

وأخطأ ولم في الاشارة انه تم اعادة نصر لوالده - الذي كان قد قتل في المعركة مع الداوية ،
وتمت اعادة نصر إلى أخت الخليفة لظاهر إنكرم تنضم لمقتل أخيها على يديه . ويعطى لنا القريزي
أيضاً قتله عن يد الجوزي وهو محبوس في قفص - نظراً : اعطاء الخفا ، ج ٣ ،
ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

R. Rohricht, Geschichte des Königreiches Jerusalem, p. 282.

إيذلك ابراهيم خيس : العلاقات السياسية بين جماعة المرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام
(١١٩٣ - ١٢٩١ م) الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٤٩ .

Chronica Regia Coloniens. In Mitll., Scr. rer. Germ., 13, p. 124. (٥٠)

وفي أثناء الحملة الصليبية الثالثة أشار ابن شداد إلى أنه أثناء التفاوض بين صلاح الدين وأبوي رينشارد فقب الأسد عرض مشروع رواج سيف الدين لعداء أخوه صلاح الدين من جوانا أخت رينشارد وأرملة ملك صقلية السابق . ولكنها رفضت . غير أن رينشارد قال « أن كان الملك العادل يتصر فأنا أتحم ذلك » (٥١) . ولاشك أن هذا المشروع الذي اعتبره البعض نوعا من المزاح ، كان من الوسائل التي استعملها صلاح الدين لإضاعة الوقت أثناء مفاوضاته مع رينشارد من أجل الاستعداد لمعركة قادمة أو إعطاء عساكره فسحة من الراحة بعد طول القتال .

أما لقاء السلطان الأيوبي الكامل محمد مع فرانسيس الاسيزي أثناء الحملة الصليبية الخامسة والذي يقال انه عرض عليه المسيحية فتختلف آراء المؤرخين حوله . ويروي أن فرانسيس طلب من المنسوب الأيوبي بلاجيوس الذهاب لمقابلة السلطان ، ولكنه رفض في البداية ثم وافق بعد ذلك . وذهب إلى معسكر السلطان ولم يفهم منه سوى كلمة « صلدان » أي السلطان . وبعد أن مثل أمامه سمح له بالتحدث ثم صرفه دون ايذائه بعد أن أوصاه فرانسيس بحسن معاملة من لديه من الأسرى . وبعد أن فشل فرانسيس سواء في اقناع الكامل محمد بالمسيحية أو اقناع القادة الصليبيين بقبول عروض الصلح ، اتجه إلى بلاد الشام وهو غاضب على الصليبيين بسبب ما انتشر بينهم من مفاسد (٥٢) .

وفي اعتقادي أن هذه الرواية يمكن قبولها نظرا لما أتصف به الكامل محمد من دبلوماسية وصلت ذروتها في علاقته بالامبراطور فردريك الثاني (١٢١٥-١٢٥٠م) ، وكذلك محاولاته اجلاء الصليبيين عن ديايط بالطرق السلمية إلى جانب جهاده العسكري (٥٣) .

(٥١) ابن شداد : الوارد | سلطانية ، ص ١٩٥

(٥٢) Kedar, Crusade and Mission, p. 123; Runciman, History of the Crusades, 3 vols., London (١٩٥٢) 1977, vol. 3, p. 159.

وكذلك محمود سعيد عمران . المرجع السابق ، ص ١٩٤ وما بعدها .

(٥٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الحرس البيونين ، ص ١٩٤ وما بعدها .

وبعد أن استعرضنا هذه المحاولات لسابقة يظهر تساؤل هام هل كان هؤلاء المرتدين دور في الفعارة ضد المسلمين ؟

أشار فوشيه أوف شارتر عند حديثه عن غارة قام بها الصليبيون في نوفمبر ١١٠٠م / محرم ٤٩٤ هـ على منطقة بالقرب من البحر الميت في « مواطنى المنطقة الذين كانوا قبل ذلك مسلمين ولكنهم أصبحوا الآن مسيحيين »^(٥٤) . وقدم لهم هؤلاء النصيحة عند قدومهم لهذه المنطقة . هذه الإشارة من جانب فوشيه تتعارض مع رواية أخرى ذكرت أن بلدوين الأول ملك بيت المقدس عندما وجد أن القدس تعاني من نقص في السكان قام بتجوير عدد كبير من المسيحيين الشرقيين من مواطنى هذه المنطقة واسكنهم أحد أحياء القدس^(٥٥) . وهذه الرواية تدل على أنهم في الأصل من المسيحيين الشرقيين وليسوا من المسلمين المرتدين .

ويشير وليم الصوري إلى أحد المسلمين المرتدين في بلاط بلدوين الأول حتى أنه صار حاجبا له . ولكنه قبض عليه بسبب اشتراكه مع أهالي صيدا في محاولة دس السم لبلدوين ، فقام بشنقه^(٥٦) . ثم يشير مؤلف مجهول إلى شخص آخر يسمى ماخوموس Machomus كان قد وقع في الأسر وتم تعميده حتى أصبح في عام ١١١٢م مستولا عن بيت المقدس أثناء غياب بلدوين في حملة، ويضيف هذا المؤلف المجهول أن معرفة هذا الرجل باللغة العربية مكنته من اكتشاف مؤامرة لغزو القدس^(٥٧) . وفي الواقع أن هذه الرواية بها نوع من المبالغة

Fulcher de Chartres, op. cit., p. 144.

(٥٤)

Prawer, The Settlement of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952, p. 493.

(٥٥)

وللدلالة أيضا عن أن المسيحيين اليعاقبة كانوا يقيمون في بعض القرى في هذه المنطقة بالقرب من البحر الميت . ذكر المؤرخ ملوتين انه قبل استيلاء الصليبيين على القدس هرب بعض من هؤلاء اليعاقبة متجها إلى مصر وأقام البعض الآخر في هذه القرى القريبة من البحر الميت ، ثم عاد بعضهم مرة أخرى إليها في الفترة ما بين عامي ١١٠٤ - ١١٢٧ م انظر الدراسة أقدامنا في مقالته . انظر :

J. P. Martin, Les Premiers princes croisés et les Syriens Jacobites de Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser 8, 12, p. 477.

William of Tyre, op. cit., t. 14.

(٥٦)

بري كيدار انه يطلق مع والتر محمد Walter Mahumeth سيد الخليل ، ولدى أشار إليه البرت أوف أكس في عام ١١٠٧م انظر :

Kedar, Crusade Mission, p. 75; Rohricht, Geschichte, p. 89

توصحة . فليس من المعقول أن يعهد لنندوين لأحد المسلمين المرتدين بأمر القدس خاصة وأنه لم يبر سوى فترة قصيرة عن المؤامرة التي نهم فيها ذلك المسلم المرتد السابق . ومن ناحية أخرى لم يذكر فوشيه والذي كان مصاحبا لنندوين الأول - كما ذكر هو بنفسه - إلى هذه المؤامرة أو أن هناك حملة تمت في الصحراء في ذلك التاريخ (١٥١) .

ويرى جان ريتشارد أن المرتدين لعبوا دورا هاما في الجيش الصليبي وأن أعدادا كبيرة منهم كانت ضمن الفرسان خفيى الحركة أو مايسمى بالتركوبول Turcopol ، ويدلل على ذلك بالقائمة الطويلة التي وردت في بعض الوثائق الصليبية عن أسماء حملها بعضها منهم مثل موسى العرن وجورج وبيطرس وغيرهم ، ويرى أن غالبيتهم كانوا من المرتدين وبعضهم من المسيحيين الشرقيين (١٥٢) .

غير أن هذا الرأي بحاجة للتوقف عنده ومناقشته . فالتركوبول هي فرقة بيزنطية في الأصل ونقل الصليبيون فكرتها أثناء مرورهم ببيزنطة في الحملة الصليبية الأولى كما تشير المصادر الصليبية نفسها (١٥٣) . ويدلل كيدار على أنهم من المرتدين بما ينقله عن أبو شامة . ففي معرض حديثه عن انتصار صلاح الدين على الصليبيين في عام ١١٧٩ م / ٥٧٥ هـ عند مخاضة بيت يعقوب أو حصن الأحزان ، أمر صلاح الدين بإعدام المرتدين ورماء السهام (١٥٤) . ويستخدم هذا الإشارة التي أوردها أبو شامة ومعه جان ريتشارد بأن التركوبول من المرتدين . وفي الواقع بعد فحصنا للمصادر العربية في هذه الفترة وردت إشارة عن هؤلاء التركوبول . فيذكر العماد الأصفهاني أثناء غارة على بيسان في ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م أن الصليبيين قدموا في « ألف وخمسمائة ربح ومثله تركبلي » (١٥٥) . فمن

Fulcher of Chartres, op. cit., II pp. 202 - 203.

(١٥١)

Jean-Richard, op. cit., pp. 140 - 41.

(١٥٢)

Raymond d' Aguilers, Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, trans with introduction and notes by J. Hill, and I. L. Hill, Philadelphia, 1968, p. 37.

(١٥٣)

(١٥٤) يقول أبو شامة : « حتى بالأسارى إلى السلطان فمن كان مرتداً ، رمى ما صارت عنقه ، والروضتين جردت ، مر ١١ »

(١٥٥) البرقي الشامي . الجزء السادس ، تحقيق وتقديم فالح صالح حسين طبع في الأزهر ، ١٩٤٥ ، ص ١٤٨

الصعب تصديق أن يكون مثل هذا العدد من المرتدين . كما يذكر كنود كاهن أن بعض المسيحيين الشرقيين يحملون أسماء عربية أو سريانية ، مما يدل على أن الأسماء التي أشار إليها جان ريتشارد لا تدل على أنهم من المرتدين بل إن كيندرعاد وذكر في الخاتمة بأنه من الطبيعي ألا يكونوا جميعا من المرتدين .^(٦٢)

أما المحاولات التبشيرية التي شهدتها القرن الثالث عشر الميلادي في السابع الهجري فقد اتخذت شكلا منظما بقيام جماعة الفرنسيسكان والدمينيكان بتأسيس مراكز لها في الأراضي المقدسة . وأخذ البابوات في إرسال الرسائل إلى هؤلاء المبعوثين والحكام الشرقيين يطلبون فيها توفير الحماية لهم^(٦٣) . ولن ندخل في تفاصيل هذه المحاولات التي تناولها مارشال بدوين في مقاله . ولكن يهنا هنا الأسباب التي أشار إليها في معرض حديثه عن أسباب فشل هذه الإرساليات . يقول إنه من الواضح أن هذه البعثات بين المسلمين في الشرق نادرا ما حققت النجاح ، وذلك لأن معظمها لم يتم له الأعداد جيدا . ويعدد بعد ذلك أسباب الفشل الأخرى منها معارضة السلطات الإسلامية التي كانت السبب الأساسي في نظره لفشل هذه المحاولات ، بالإضافة إلى الرأي العام الإسلامي الذي ازداد قوة ضد الصليبيين الذين حاولوا كسب التراب ضد المسلمين . كذلك ضياع الإمارات الصينية في الشرق أفقدهم المراكز التي كانوا يتحركون من خلالها^(٦٤) .

وفي الواقع أن هذه ليست هي الأسباب الحقيقية لفشل هذه المحاولات ، فلو أنهم هؤلاء المبشرون حققوا الدين الإسلامي لما حاولوا القيام بمحاولاتهم هذه والتي كانت النتيجة الطبيعية لها هي الفشل . فالمؤمن الحق يدرك ما في

(٦٢) C. Cahen, Un document concernant les Melkites et les Latins d' Antioche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, 1971, xxix, pp. 283 - 92. Kodar, op. cit., p. 76.

(٦٣) انظر هذه الرسائل في .

R. Rohricht, zur Korrespondenz des Papste mit dem Sultanen und Mongolkanen des Morgenlandes in zeitllet der Kreuzzuge. Theologischen Studien und Kritiken, Xvix, (1891) 357 - 369;

Karl - Ernst Lippman, Die Beziehungen des papste zu Islamischen und Mongolischen Hereschen in 13 Jahrhundert anhand ihres Brietwechels - Vortr. 1981

Baldwin, op. cit., pp. 464 - 65

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا - المصادر الأجنبية :

- Albert d' Aix, *Historia Hierosolymitana*, ed. R.H.C. H-Occ., IV, Paris 1879, pp. 264 - 713.
- Anonymous Syriac Chronicle, *The First and Second Crusades*, Journal of the Royal Asiatic Society., London 1933.
- *Cartulaire Général de l'Ordere des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100 - 1310)*, par Deliaville Le Roux, (Munchen, 1980).
- Fulcher of Chartres, *A History of The Expedition to Jerusalem (1095-1127)* trans. by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An introduction by H. S. Fink : Konsville, 1969.
- *Gesta Francorum Hierosolimitanorum*, ed. by Rosalind Hill, *The Deeds of the Franks and the other Pilgrims to Jerusalem*, London 1933.
- Guibert de Nogent, *Gesta Dei Per Francos.*, in R.H.C. H-Occ. Vol: IV:
- Jacques de Vitry, *Lettres de Jacques de Vitry*, ed : R. B. C. Huygens, Leiden 1960.
- Oliver of Padenborn, *The Capture of Damietta*, trans. by John, J. Gavian. Philadelphia, 1948.
- Peter Tudbode, *Historia*, Philadelphia 1974
- Raymond d'Aguilers, *Historia Froneorum qui ceperunt Iherusalem*, trans. with introduction and notes by J. H: Hill, and L.L. Hill; Philadbpbia 1968.
- Roger of Hovden, *Annals*, comprising *History of England and other Countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201* : trans from the *Latia* with notes and illustrations by Henevy T. Riley 2 vols: London 1883.
- William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea*, 2 Vols: Trans by F. Stwar Babcock and A: C. Krey, New York 1943.

ثانياً - المصادر العربية :

- القرآن الكريم
- ابن الأثير (ت ٥٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم :
الكامل في التاريخ ، ٩ ج - بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .
العبر ودبوان المبتدأ والخبر ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٨ - ١٢٣٩ م) بهاء الدين أبو المحاسن
يوسف بن رافع :
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق
د. جمال الدين الشيال ، ط. أولى القاهرة، ١٩٦٤ .
- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) محي الدين :
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر،
الرياض ١٩٧٦ .
- ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد
من هبة الله :
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامي الدهان - ٣ ج
- دمشق ١٩٥١ - ١٩٦٧ .
- ابن عذارى المراكشي (أبو عبدالله محمد) ت بعد عام ٧١٢ هـ / ١٢١٢ م :
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ ج ، تحقيق ومراجعة
ج. م. كولان وأ. كولان وإ. ليفي بروفنسال ، ط ، ثانية ، بيروت
١٩٨٠ .
- ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة المعروف بابن
القلانسي :

دليل تاريخ دمشق ، نشر وتحقيق مهيل ، آثار ، دمشق ١٩٨٢

— ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)

مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ،

٤ ج — بيروت ١٩٨١

— ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) تاج الدين محمد بن يوسف رابع

المتقى من أخبار مصر ، انتقاه نقي الدين أحمد بن علي المقرئ ،

نشر د. أيمن فؤاد سيد ، القاهرة . ١٩٨١ .

— أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ هـ) شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن

اسماعيل ابن ابراهيم المقدسي :

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ ج — مطبعة

وادي النيل القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ .

— أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر :

كتاب الاعتبار ، نشر فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠ .

— العماد الاصفهاني الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد

ابن حامد :

البرق الشامي ، الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم د. فالح صالح

حسين ، الاردن ، ١٩٨٧ .

— القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد

ابن محمود :

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ ج ، القاهرة ١٩١٣ /

١٩٢٠ م .

— كيرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢١٦ — ١٢٤٣ م) :

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره دكتور انطون خاطر

ودكتور ارنولد بومسترن ، القاهرة ١٩١٤ .

— المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ هـ) نقى الدين أبو العباس أحمد :

اتعاط الحنفا باختيار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ١ نشر وتحقيق
د. جمال الدين الشيال ، ج ٢ — ٣ نشر وتحقيق د. محمد حلمى
أحمد ، القاهرة ١٩٤٣ — ١٩٧١ .

— ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبدالله ياقوت بن
عبد الله شهاب الدين : معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٧٠ .
ثالثا — المراجع الأجنبية :

M. W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth
Centuries, in Setton (ed). History of the Crusades, vol. V,
Piladelphia 1985.

C. Cahen, 1 - Orient et Occident au temps des Croisades, Paris 1983.

2 - Un document concernant les Melchites et les Latins d'Antioche
au temps des Croisades, in Revue des études Byzantines, vol.
xxix 1971.

J. France, The Crisis of The first Crusade, in Byzantion, t. xl, 1970.

J. La Monte, Crusade and Jihad, in The Arab Heritage, ed. by N. A. Faris,
New Jersey, 1964.

B. Z. Kedar, 1 - Crusade and Mission, European Approaches to the
Muslims, Princeton, 1988.

2 - Ecclesiastical Legislation Kingdom of Jerusalem, The
Statutes of Jaffa (1093) and Acre (1154), in Crusade and
Settlement, ed, by P.W. Edbury, Cardiff, 1985.

Karl - Ernst Lupprian, Die Beziehungen der Päpste zu Islamischen und
Mangolischen Herrschern in 13. Jahrhundert anhand ihres
Briefwechfels, Vatican, 1981.)

J. P: Martin, Les Premiers Princes Croisés et les Syriens Jacobites de
Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser. 8, 12.

- J. Prawer, 1 - The Settlement of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952.
- 2 - "The Jerusalem The Crusaders captured" in, Crusade and Settlement, ed by P. W. Edbury, Cardiff; 1985.
- 3 - Crusader Institutions; Oxford 1980.
- Jean Richard; The Latin Kingdom of Jerusalem ; trans. from French by J. Shively, 2 Vols : Amsterdam 1979.
- R. Rohricht, 1 - Geschichte des Konigerichs Jerusalem, (1100 - 1291) [onsbrackl] 1889.
- 2 - Zur korrespondenz der Päpste mit dem Sultanen und Monfolkanen des Morgenlandes im seitatter den Kreuzzuge, Theoloyischen Studien und kritiken, Lxix (1891).
- S. Runciman, History of the Crusades, 3 Vols. London 1971.

رابعاً : المراجع العربية والعربية :

السيد عبد العزيز سالم (ذكور) :

١ - تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

٢ - المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

بتلر (الفريد) :

فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

حسن عبد الوهاب حسين (ذكور) :

تاريخ جماعة الفرسان التبتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية ،

١٩٨٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (ذكور) :

الحركة الصليبية ، جزاءن . القاهرة ، ١٩٦٣ .

محمود سعيد عمران (ذكور) :

الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

القبائل اليمنية في الإسكندرية والبحيرة وطروهم في حوادث التاريخ الإسلامي

بحث مقدم من

د. سحر السيد عبد العزيز سالم

مدرس التاريخ الإسلامي والمضارة

الإسلامية لأداب الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

القبائل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة ودورهم في حوادث التاريخ الاسلامي
(١)

الصلات التاريخية بين أهل اليمن ومصر حتى فتح العرب لمصر

كان العدد الأعظم من الجيش الذي قاده عمرو بن العاص لفتح مصر سنة ١٨ هـ من عرب اليمن ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عقد لعمرو على أربعة آلاف رجل ، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة كلهم من عك^(١) ، وأن ثلث هذا الجيش كان من قبيلة غانق اليمنية على وجه الخصوص . ومن المعروف أن غانق بطن من بطون عك^(٢) . ونستدل على غلبة العنصر اليمني في جيوش العرب الفاتحين من الاطلاع على أنساب من شهد منهم فتح مصر ، ومعظمها يرجع إلى أصول يمنية ، من ذلك على سبيل المثال :

عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ ، عبد الله ، وعقبه بن عامر الجهني ، يكنى أبا حماد ، وكان رسول عمر ابن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه بأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل أرض مصر ، وأبو رمعة البلوي ، ويزج بن حُسْكل ، وكان ممن قدم على رسول الله ﷺ من مهرة ، وشهد الفتح مع عمرو واختط ، وحنادة بن أمية الأزدية ، وسيف بن وهب الخولاني ، وأبو فاطمة الأزدية^(٣) ، ومعاوية بن حديج الكندي ، وكان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يشرو بفتح الاسكندرية^(٤)

ونستدل أيضاً على غلبة العنصر اليمني في قوات العرب الفاتحين من تتبع منازل العرب الفاتحين وخططهم في الفسطاط والجزيرة ، في المصادر العربية لفتح مصر ، فابن عبد الحكم مثلاً يذكر أن أبرج بن حُسْكل اختط عند دار زين في الرقاق الذي يعرف بخلف القماح ، وأن عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي اختط مما يلي رفاق البلاط^(٥) ، وأبو فاطمة الأزدية اختط دار اللوس^(٦) ، أما جهينة منزلت بحرف بة ، بينا نزلت المعامر بجوار عمرو بن العاص فأداهم البعوض

فنقلهم عمرو إلى منازل قرش ونقل قريش موضعهم^(٨٠) ، واختط قبيلة بل حنف خارجة بين حذافة ، ثم وسعوا حطيم فبلغت دياراً يعرف بدرب الزجاج وتجاوزوه إلى مسجد بني عوف من بني ودار بن بيولة بسوق وريان . وقد تزايد عدد هذه القبيلة بمصر ذلك أم العاص بن وائل كانت امرأة من بني^(٨١) ، كما اختط بنو بحر مما يلي بل وهم فوج من الأزد النخمين ، أما الحجر يسيون إلى الأزد فقد اختطوا من مسجد العيمة حتى بلغوا رفاق السبي ثم يرفاً ثم شجاعة فتراد^(٨٢) ، واختطت مهرة أول ما دخلت بدار الخيل وما والها على سمخ جبل يشكر مما يلي الحندق ، وكانت منازلهم قبلي الراية مما يلي منازل عبد الله بن سعد بن أبي السرح^(٨٣) ، واختطت لحم قبلي ثيف مما يلي السراجين ، ومضوا بخطتهم إلى عقبة مهرة ، ومعهم نفر من جذام ثم انحدروا في رفاق وريان ، كما اختطت غانق بين مهرة ولحم ثم مضوا بخطتهم حتى برزوا إلى الصحراء ، كما كان لغانق بين الطريق من درب السراجين إلى دور بني وريان^(٨٤) ، وسوق ابن عبد الحكم مزيداً من التفاصيل عن خطط غانق ، كما يذكر أن خطط الصدق كانت تقع قبل مهرة حتى التقت بخط حصر موت دون الصحراء ، كما التقت بخط بني سعد من تميب ، ويحدد خطط حصر موت ويحصب بالنسطة ، ويذكر أن خطط تميب امتدت شرق الحصن قبل منزل عبد الله بن سعد بن أبي السرح حتى اتصلت بخط مهرة والصدق ، أما خولان وبني علان من مراد فقد اختطوا الشرق .

وبعض ابن عبد الحكم في سرد أسماء القبائل اليمنية وخطوطها ومواضعها مثل : مذحج وحمر والأشعريون والنكاسك والسكون والسبأيون على صفحات كتابه ، كما يحدد أسماء كثير من اليمنية ودورهم ومساكنهم^(٨٥) ، ثم يتحدث عن خطط الجزيرة ، ويعد بنو أبرهه بن الصباح^(٨٦) أشهر من سكن بها من اليمنية . ويفرد المقرئ بنوره في الخطوط أسماء القبائل العربية التي اختطت في النسطة بعد الفتح^(٨٧) ومعظمها من اليمنية . وإذا رجعنا إلى كتاب « البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب » نجد يتحدث عن القبائل العربية ومنازلها بمصر ، ويسترعى نظرنا فيما أورده من نصوص أن القبائل اليمنية بمصر كان لها نصيب وافر^(٨٨) . يؤكد ذلك أيضاً ما ذكره الكندي عن عبد العزيز بن مروان عندما ولى مصر فقد سأل أباه الخليفة الأموي مروان بن الحكم قائلاً : يا أمير المؤمنين ،

كيف خفاه بيده يسر به أحد من بني أبي فهد. فهما نه مروان: يا بني، عثمهم
 بأحسانك يكونو كلهم بني أبيك، واحعل وجهك ضيفا: نضف لك مودتهم .
 وأوقع أن كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن عينا لك على غيره وينقاد
 فومه اليك . «(١٧)» . فلم يكن في مصر حينئذ من القيسية الا عدد قليل ، وربما
 كان ذلك هو السبب الذي دفع ولاية مصر الأمويين الى التفكير في تهجير القيسية
 (العدنانيين) إلى مصر بهدف إيجاد نوع من التكافؤ بين القبائل العربية بها ،
 خاصة وأن بعض الولاة الأمويين في مصر كانوا من القيسية «(١٧)» ، ومن أشهر هؤلاء
 الولاة الوليد بن رفاعة بن خالد الفهمي (١٠٩-١١٧ هـ) الذي تم في ولايته نقل
 قيس إلى مصر سنة ١٠٩ هـ ، ولم يكن لها بينهم احد قبل ذلك الا من كان من
 فهم وعدوان «(١٨)» . فوفد ابن الحبحاب على الخليفة هشام بن عبد الملك وسأله
 أن ينقل الى مصر اياتا من قيس ، فأذن له هشام في الحاق ثلاثة آلاف منهم
 وتحويل ديوانهم الى مصر ، على ألا ينزلوا القسطنطينية ، فانزلهم ابن الحبحاب في الحوف
 الشرق ، واستمرت أفواج من قبيلة قيس تفتد الى مصر تباعا الى ما بعد زمن ابن
 الحبحاب حتى أن القيسية بمصر عندما مات مروان بن محمد كانت تبلغ نحو
 ٣٠٠٠٠ ألف أهل يت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم . «(١٩)» .
 نستخلص من ذلك كله أن معظم العرب الذين فتحوا مصر كانوا من اليمنية ،
 ويرجع ذلك في تصويري الى عاملين :

أما العامل الأول

فيرجع الى توثق العلاقات اليمنية المصرية منذ أقدم |حقب التاريخ، فملوك الأسرة
 الخامسة من عصر الدولة القديمة في مصر الفرعونية كانوا يقومون بإرسال البعثات
 التجارية الى بلاد بونت التي كانت تشمل النشاطين الافريقي والآسيوي حول
 مضيق باب المندب للحصول على اللبان واللاذون والورس والكندر والبخور
 بالإضافة الى المر والعمق العطري والكافور والراتينج ليحرقوها في معابدهم
 وليستعملوها في عملية تحنيط الموتى «(٢٠)» . وقد عرف جنوب جزيرة العرب وعلى
 الأخص حضرموت ، بترائها في هذه المواد ، فعرفت حضرموت « بأرض البخور
 واللبان » . واستمرت هذه العلاقات التجارية قائمة بين جنوب جزيرة العرب
 ومصر في عصر الدولة الوسطى ، وكانت تجارة البخور واللبان اليمني والضمومالي تمر

بوادى الحمامات الذى أصبح حنفة الاتصال ببلاد العرب الجنوبية . وبما يؤكد على قيام علاقات اقتصادية بين اليمن ومصر ، أنه عثر فى الجزيرة وادفو على كتابات معينة بخط المسند ، ترجع الى القرن الثانى ق.م. تشير الى وجود حالة معينة^(٢١) فى مصر .

وبعد أن ورث السبأيون مملكة معين فى اليمن استمر خط التجارة فى البحر الأحمر يمتد من باب المندب الى وادى الحمامات بمصر .

أما عدن فقد برزت كقاعدة رئيسية فى اليمن تربط بين اليمن ومصر ، أو كمركز تجارى بحرى رئيسى للسلع الافريقية والهندية والمصرية . ولما سقطت دولة الحميريين ظلت عدن فى أيدي الرومان الذين استهدفوا القضاء على نشاط مملكة أكسوم بالحيشة ، التى حاولت أن تسيطر على بلاد العرب الجنوبية . ووضع الرومان حامية لهم بعدن لحماية التجارة المصرية المتجهة الى الهند فى البحر الأحمر والمحيط الهندى^(٢٢) .

كذلك ظهر ميناء مخا على ساحل اليمن المطل على البحر الأحمر ، كميناء تجارى تزود فيه السفن البيزنطية القادمة من مصر ، بأفخر البضائع العربية أو تقوم فيه ببيع بضائعها المصرية أو تلك التى استوردتها من الأقطار المطلة على البحر المتوسط^(٢٣) .

وبعد دخول المسيحية الى مصر ، كانت هناك ثمة علاقات دينية بين مصر وجنوب بلاد العرب ، منها على سبيل المثال زيارة بثنوس رئيس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية سنة ١٩٠ هـ للحيشة وبلاد العرب بعد عودته من بعثته التبشيرية بالهند^(٢٤) .

ومن الجدير بالذكر أن بطوناً من خزاعة هاجرت قبل ظهور الاسلام الى مصر والشام عندما حل الجفاف ببلادهم^(٢٥) .

هذا وقد انتدب الرسول ﷺ رجلاً يمينياً بالذات يحمل رسالته الى المقوقس بأرض مصر من قبل هرقل ، وكان هذا الرجل يدعى حاطب بن أبى بلتعنة اللخمي ، ويستدل من ذلك الاختيار على بعد نظر الرسول ﷺ وحسن تفضيله لرسولة إلى المقوقس ، فقد كان يعرف الصلات الوثيقة التى تربط بينيين بأهل مصر منذ أقدم العصور .

وعند حاطب بن رسول الله ﷺ حاملاً معه رسالة نفوس وهديته التي
 التي (١٣١) وفي خلافة عمر بن الخطاب . وقبل أن يفتح العرب مصر ، غرق
 عمر بن عبدان (١٣٢) وجدام المنتصرة ، فنزل منهم فريق في أرض الجفار شمالى سيناء
 وأقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية نيس (صالحجر) ، وكان يرأسهم رجل من
 بني عامر بن صعصعة يقال له أبو ثور من العرب المنتصرة (١٣٣)

أما العامل الثاني

فيرجع إلى اسلام الجنين المتأخر (١٣٤) ، ورغبتهم في أن تكون لهم سابقة وفضل
 يفتخرون به أمام العرب والمسلمين . فبعد صلح الحديبية في سنة ٦ هـ ، تفرغ
 رسول الله ﷺ لتوجيه الدعوة إلى الاسلام في داخل شبه جزيرة العرب
 وخارجها ، فأرسل النبي رسله إلى ملوك العالم المعروفين في ذلك الوقت ومن بينهم
 كما سبق أن ذكرنا رسوله ، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس في مصر ،
 كما أرسل النبي سنة ٨ هـ ، رسلاً وكتباً إلى سائر القبائل العربية في الجزيرة العربية
 يدعوهم للإسلام .

وكتب النبي إلى أقبال اليمن لذلك كتباً ، ومن هؤلاء الأقبال ، الحارث بن عبد
 كلال ، وشرح بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، ونعمان قبل ذي يزن ،
 ومعاذ ومحمدان وورعة ذي رعين . كما كتب إلى أمراء ذي مرحب محضرموت وإلى
 بني عمرو من حمير ، وإلى بني معاوية من كندة ، وإلى بني طي ، وجدام ، وبني
 الربعة من جهينة ، وبني جعيل من إيل ، وبني الحرمز من ربيعة من جهينة
 وغيرهم (١٣٥) .

ثم أصدر النبي ﷺ بيان براءة في موسم الحج في أواخر العام التاسع من
 الهجرة ، وكان هذا البيان بمثابة إنذار وجهه إلى المشركين . وكان الرسول ﷺ
 يستهدف من هذا البيان أن يضم جميع قبائل العرب في شبه الجزيرة إلى الدولة
 العربية الإسلامية الناشئة .

وبدأت وفود القبائل العربية تعد إلى الرسول ﷺ عقب هذا البيان ، وكان
 الرسول ﷺ يرسل مع هذه الوفود معلمين لتعليم أبناء هذه القبائل قواعد
 الإسلام . ومن بين الشخصيات الجيدة التي أقبات إلى المدينة فروة بن مبيك

المرادى الذى قدم على الرسول ﷺ مفارقاً للملك كندة ومباعداً لهم، فاستعمله
النسبى ﷺ على مراد ورييد ومدحج كلها^(٣٢)، وبعث معه خالد بن سعيد بن
العاص الذى ظل يرافقه فى بلاده حتى وفاة الرسول ﷺ^(٣٣).

ومنهم أيضاً عمرو بن معد يكرب فى قوم ابن زبير، وقد عاد الى بلاده بعد أن
أشهر اسلامه، تحت حكم فروة بن مسيك^(٣٤). كذلك قدم على رسول الله،
الأشعث بن قيس فى وفد كندة^(٣٥)، هذا الى جانب وفود تحيب^(٣٦)،
وبلى^(٣٧)، وشولان^(٣٨)، والرهاويين من بنى مذحج^(٣٩).

وكان أول من قدم الجزية للنسبى من أهل الكتاب أهل نجران النصارى، ثم
فرضت الجزية فى اليمن وهجر على اليهود والمجوس من أهلها^(٤٠). وما لبث أن
انتشر الاسلام فى اليمن بعد ذلك خاصة بعد أن أرسل الرسول ﷺ الى تلك
القبائل التى لا تزال تتمسك بأديانها القديمة على بن أبى طالب وبخالد بن الوليد
لدعوتهم الى الاسلام^(٤١). ثم سير الرسول ﷺ زياد بن لبيد عاملاً على
حضرموت، والمهاجر بن أبى أمية المخزومي على صنعاء، وأبا موسى الأشعري على
زيد [أرمع وعدن والساحل، وأسند القضاء الى معاذ بن جبل وقض جميع
الصدقات باليمن، وولى عمرو بن حزم الأنصارى ثم أبا سفيان بن حرب على
نجران^(٤٢)].

ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا أن تأخر القبائل اليمنية فى اعتناقها الاسلام فى
أواخر السنة التاسعة الهجرية، ربما كان سبباً قوياً دفعهم الى الاشتراك فى حركة
الفتوح الاسلامية خاصة فتوحات الشام ومصر. وساعد على ذلك كما أوضحنا
العلاقات التاريخية الوثيقة بين اليمن من جهة، والشام ومصر من جهة أخرى.

(٢)

اليمنيون ودورهم في فتح الاسكندرية والبحيرة

بعد أن فتح عمرو بن العاص حصن بابليون سنة ١٩ هـ ، أصبح الطريق الى الاسكندرية عاصمة البلاد مفتوحاً أمامه ، فواصل عمرو زحفه اليها في ربيع الأول سنة ٢٠ هـ ، بعد أن استخلف على حصن بابليون خارجه بن حذافة بن غانم . ولم يلق عمرو أى مقاومة من جانب الروم حتى بلغ ترنوط^(٤٢) التي تسمى الآن (الطرانة)^(٤٣) ، وهناك اشتبكت قواته مع طائفة منهم فقاتلوه قتالاً حقيقياً ، تغلب فيه المسلمون عليهم ، ويذكر ابن عبد الحكم في سرده للأحداث التي تلت موقعة ترنوط ، ثلاث روايات مختلفة ، وإن كانت تظهر جميعها دور شريك ابن سمي الغطفى البطولى في قتال الروم ، كما تظهر كذلك دوراً بطولياً لأحد الفرسان اليمنيين ، وهو مالك بن ناعمة الصدى صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له « أشقر صدف » .

ونحن نأخذ بالرواية الثالثة التي أوردها ابن عبد الحكم ، والتي يذكر منها أن شريك بن سمي الغطفى تتبع فلول الروم والتقى بهم في كوم عرف بعد ذلك « بكرم شريك » نسبة اليه ، بينما كان عمرو بن العاص لا يزال في ترنوط وهناك أحاط الروم بشريك ، فانقض عليهم مالك بن ناعمة الصدى ، فخرج الروم وراءه ولكنهم لم يدركوه ، فقد كانت فرسه لا تبارى في سرعة ، حتى وصل ابن ناعمة الى عمرو فاقبل عمرو بن العاص مع جيشه ليجد شريك بن سمي في الكوم ، فلما علم الروم بذلك انسحبوا وولوا الأدبار^(٤٤) .

مضى عمرو بن العاص بعد ذلك في طريقه الى الاسكندرية ، والتقى بجيش الروم في سلطيس وصحبتها سنطيس التي تبعد ستة أميال عن دمنهور الحالية واقتلوا بها قتالاً شديداً أسفر عن هزيمة الروم وانسحابهم الى حصن الكريون . وأمام هذا الحصن التقى جيش المسلمين بالروم مرة أخرى ، وكان حصن الكريون الخندق الدفاعى الأمامى للاسكندرية ، فقد كان يشرف على خليجها الذى يعتمد عليه الأهالي في السقيا ونقل المؤن^(٤٥) .

أمامه هذا الحصن دارت موقعة عنيفة ، استمرت عدة أيام ، وانتهت بانتصار

عمرو على قائد الروم الذي تفهقر في الإسكندرية لينحصر بحصنها . ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص صلى يومئذ صلاة الخوف بكل طائفة ركعة وسجدتين^(٤٦) . وكان حصار المسلمين للإسكندرية فيما أدرك عمرو ذلك ترك عليها فرقة للرباط ما بين حلوة وهو موقع بشرقيها إلى قصر فارس ، وسار على رأس جيشه لفتح بقية إقليم البحيرة ، والوجه القبلي ، وتم فتح الإسكندرية بعد حصار دام أربعة عشر شهراً ، وعقد صلح الإسكندرية بين عمرو والمقوقس في سنة ٢١ هـ ، ثم كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يخبره بفتح مريوط والإسكندرية ورشيد ونسوه ودمهور والبحيرة^(٤٧) ، وغيرها من مدن الوجه البحري ، وقد بعث بالكتاب عامر بن لؤي ، وتفرق الصحابة بعد فتح مصر والوجه البحري في الإسكندرية ورشيد وكان أكثرهم بوسط إقليم البحيرة .

ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص عقد منذ فتحه لرشيد وأخنا والبرلس صلحاً مع حكامها ، وفي ذلك يقول عن أحد كبار الروم الذي حضر فتح مصر ، فهل كان لهم كتاب ، فقال نعم ، كتب ثلاثة ، كتاب عند طلما صاحب أخنا ، وكتاب عند قرمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يحيى صاحب البرلس . قلت : كيف كان صلحهم . قال دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ، ستة شروط ، ولا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ، ولا أرضهم ولا يزداد عليهم ...^(٤٨)

وما أن تم فتح الإسكندرية حتى أرسل عمرو بن العاص معاوية بن حديج السكوني^(٤٩) رسولاً من قبله إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يبشرو بفتحها ، ثم أوقف عمرو بن العاص معاوية برسوس ثاب يحمل كتاباً إلى الخليفة عمر يصف له فيه مدينة الإسكندرية وغنائمها^(٥٠) .

ويرجع الفضل الأعظم في فتح الإسكندرية ومدن البحيرة إلى الجنين . ويذكر ابن عبد الحكم رواية تؤكد ذلك ، فيذكر نقلاً عن بكر بن عمرو الخولاني أن عبد العزيز بن مروان عندما قدم إلى الإسكندرية سأل عن فتحها شيخاً كبيراً من الروم ، فقال له أنه كان غلاماً شاباً عندما افتتحها العرب وأنه ذهب مع صديق له كان ابناً لطريق من بطارقة الروم مشاهدة عسكر المسلمين ، وكان

صاحبه يلبس ثوباً من الدباج ويضع على رأسه عصابة من الذهب ويمسك بيده سيفاً حلي . وحده أسنانه مما أخذ جنود العرب فهاجمهما ، وأقدم على قتل صاحبه يئاً يمكن هو من العرب . ويذكر الشيخ أن الحدي العربي ترفع عن سلب صديقه بعد قتله ، ما كان يحمله . فلم يترع عنه ثيابه ولا عصابة الذهب ولا سيفه . فلما سأله عبد العزيز عن وصف ذلك الرجل وهياته قال الشيخ الرومي : هو قليل دميج ، ليس بالتمام من الرجال في قامته ولا في لحمه ، رقيق ، آدم ، كوسج . فقال عبد العزيز عند ذلك ، انه ليصف صفة رجل يمانى ..» (٥١) .

وقد رأينا الدور الهام الذي قام به كل من الفارسيين مالك بن ناعمة الصدوق الذي يرجع بأصله إلى الصدف البمين ، والقائد البمين الشهير شريك بن سمي الغطفاني البمين عند كوم شريك (٥٢) بالقرب من نقوس الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الغربي بالقرب من إمنوف الحالية .

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن قبيلة مهرة قامت بدور كبير في فتح الاسكندرية فقد خرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية ، فحملوا على الناس فقتلوا رجلاً من مهرة ، فاحتزوا رأسه وانطلقوا به ، فجعل المهريون يعضون ويقولون لا ندفنه أبداً إلا برأسه ، فقال عمرو بن العاص ، تنفضيوني كأنكم تنفضيوني على ، من يبالي بفضيكم ؟ احملوا على القوم اذا خرجوا ، فاقتلوا منهم رجلاً ثم ارموا برأسه برموك برأس صاحبكم ، فخرجت الروم اليهم فاقتلوا فقتل من الروم رجل من بطارتهم ، فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهري اليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم (٥٣) .

ويذكر ابن عبد الحكم أيضاً أن عمرو بن العاص قال أثناء حصاره للاسكندرية : ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما غفاق فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما بلي فاكلها رجلاً صاحب رسول الله ﷺ وأفضلها فارساً ..» (٥٤) .

ويؤكد هذا النص اشتراك هذه القبائل البمية في فتح الاسكندرية وكذلك قبيلة همدان ، وبعد أن عادوا من فتحها أمرهم عمرو أن يعسكروا إلى الجيزة . وساهمت قبائل بمنية أخرى من الأزدي وحمير في حماية المسلمين من جهة الغرب (٥٥) .

ومن الشخصيات الأخرى التي شاركت في فتح الإسكندرية ، معاوية بن حديج السكوني الذي نزل بالإسكندرية في الموضع الذي أقيم عليه دارة سوق الكوم الذي أسس فيه عمرو بن العاص جامعه (٥٦) .

وقد ذكرنا فيما سبق أن عمرو بن العاص أرسل معاوية بن حديج السكوني بعد فتح الإسكندرية رسولا من قبله إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، ليشره بفتح الإسكندرية ، ويورد ابن عبد الحكم تفاصيل هذا اللقاء على لسان معاوية بن حديج .

ومن شهد فتح مصر من الجيئة ابن الأسود بن عبد شمس القضاعي الذي استشهد يوم فتح الإسكندرية (٥٧) .

ومن نزل الإسكندرية والفظاظ من أصحاب الرسول ﷺ بعد الفتح أسيد ويقال أسد الجهني الذي أسماه الرسول ﷺ | يسرق (٥٨) .

ومن الشخصيات الجيئة البارزة التي نزلت في الإسكندرية خالد بن يزيد الصلبي ، وفيها توفي ، وقد اعتبره موسى بن رباح التابعي ، وعبد الله بن هبة والليث ابن سعد من الشهداء (٥٩) .

وعندما تصدى عمرو بن العاص لمحاولة الروم البيزنطيين سنة ٢٥ هـ لاستعادة الإسكندرية ، ولم يكن قد مضى على فتحها أربع سنوات ، امتعان في طرد الروم منها ، وهو ما يعرف تاريخياً بفتح الإسكندرية الثاني أو « الفتح الأخير » بالقبائل الجيئة ، ومن كبار القادة الجيئين الذين شاركوا في هذا الفتح الثاني للإسكندرية شريك بن سمي القطيفي (٦٠) ، وعيم بن فرع المهري ، وقد قال حرمله بن عمران عن لسانه « شهدت فتح الإسكندرية في المرة الثانية ، فلم ينهم لي حتى كاد أن يقع بين قومي وبين قريش منازعة ، فقال بعض القوم أرسلوا إلى أبي بصرة الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني ، فأنهما من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسلوهما عن هذا . فأرسلوا إليهما ، فسألوهما فقال ، انظروا ، فإن كان آتيت فأسهموا له ، فنظروا إلى بعض القوم فوجدوني قد آتيت فأسهموا لي » (٦١) .

ومنهم أيضاً رجل من زيد يقال له حومل ، وبكى بأبي مدحج ، اقتل طويلاً مع بطريق من جاء من أرض الروم ، اقتلنا برعنين وأخذنا يتطادان .

فألقى البطريق رجمه ، وأخذ سيفاً ، فألقى حومل بدورد رجمه وأخذ سيفه . وكان حومل هذا يُعرف بالنجدة والشجاعة ، وأخذ عمرو بن العاص يصيح عليه قائلاً : « أبا مدحج - فيجيبه حومل : « ليك : أوتبارا ساعتين بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتلته ، وكان خيفاً ، ثم يادر حومل عدوه بضربة من خنجر في محرد مما أضعف الرومى فوقه وحمل عليه حومل . وقد مات حومل بعد ذلك بأيام ، فرثى عمرو بحمل سريره بين عمودى نعشه ، ودفن بالمقطم (٦٢) .

ويذكر ابن دقماق أن عمرو بن العاص عندما علم بقدم الاسطول البيزنطى الى الاسكندرية أرسل رجلاً من الأزد هو عمرو بن حمالة الأزدى ليأتيه بالخبر ، وبعد فترة قليلة ثارت في صدور بعض القبائل الحمية والحماسة فلاحقوا بعمرى الأزدى ، فلما أدركوه في الطريق ، نظر اليهم بدهشة قائلاً : « تالله ما رأيت قوماً قد سدوا الأفق مثلكم وانكم لكما قال سبحانه أه فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لطيفاً » إنسموا يومئذ اللقيف ... (٦٣)

وأطلق على هذه القبائل منذ تلك اللحظة اسم اللقيف ، وكان معظمهم من الأزد ومن الحجر وغسان مضافاً اليهم نفر من جذام ولخم والوحاف وتوخ من قضاعة .

ونستدل من الروايات التى أوردها ابن عبد الحكم أن يميناً يدعى ضمام بن اسماعيل المعافرى ، كان من اليمنيين الذين تمحدثوا عن فتح الاسكندرية ، وكان من مشاهير المحدثين في الثغر السكندرى ، وقد أورد ابن عبد الحكم عن لسانه ما أصاب عبد الله بن عمرو بن العاص من أجرح في الكيون ورغته في التراجع لولا أن ذكره وردان مولى عمرو أن النحاة تكمن في قتال العدو ، وليس في التراجع ، فعصم عبد الله بفضل وردان قائلاً :

ادا ما جاشت النفس اصبرى
فمن ما قليل عمدي أو تلامي (٦٤)

كذلك يذكر ابن عبد الحكم أن ضمام بن اسماعيل المعافرى ذكر أنه قد قتل من العرب اثنان وعشرون رجلاً حتى تم فتح الاسكندرية (٦٥) . ومنهم أيضاً ابراهيم ابن سعيد البلوى الذى تحدث عن فتح الاسكندرية ودخول عمرو من ناحية فطره سليمان (٦٦) .

هذا وقد أورد كل من ابن عبد الحكم والسيوطي رواية على نساء برهه
ابن سعيد البلوني . وهي تتعلق بالكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص بن العجمه
عمر بن الخطاب يصف له فيه مدينة الاسكندرية ونسائها وجماعتها وأهل
الذمة فيها (٢٧)

(٣)

منازل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة

ه تذكر مصادر العربية الكثير بشأن منازل القبائل العربية بوجه عام واليمنية بوجه خاص في الاسكندرية والبحيرة ، على الرغم من تفصيلها في ذكر منازل العرب ومواقعهم بالفسطاط والجزيرة ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عاملين :

العامل الأول : أن بيوت الاسكندرية كانت خالية بعد الفتح فاعتبرها العرب الفاتحون أحياءً أغتبتهم عن بناء مساكن وخطط جديدة ، فلم يكن بإمكان العرب مبداً بدلولاً من جهد ، وقد موأمن نفقات ، بناء ما يقارب هذه الدور والقصور المكسوة بالرخام الأبيض في الفخامة والعظمة مما دفع عمرو بن العاص أن يرسل إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في اتخاذ هذه المدينة حاضرة للمسلمين في مصر قائلاً « مساكن قد كفيهاها » .

ولما رفض الخليفة عمرو بن الخطاب أن تكون الاسكندرية عاصمة لمصر الاسلامية حتى لا يحول بينه وبين المسلمين ماء^(٦٨) ، وذلك لقلّة دراية العرب بركوب البحر ، اتجه المسلمون الى موضع الفسطاط لمحصروه . أما القبائل العربية التي فضلت البقاء في الاسكندرية فقد اتخذت من بيوت الاسكندرية وقصورها أحياءً لها ، فلم يكن بالاسكندرية خطط اللهم إلا حطة الزبير بن العوام بها . وإنما كانت أحياءً ، من أحد منزلًا نزل فيه هو ابنو أبيه ... »^(٦٩) .

« ربما كانت القبائل العربية المستقرة في الاسكندرية قد أقامت في « الأحياء » تبعاً لما أشار به عمرو بن العاص لهم في الكريون فقد قال لهم « سيروا على بركة الله ، فمن ذكر منكم ربحه في دار فهي له وليس أبيه ، فكان الرجل يدخل الدار فذكر ربحه في منزل منها ثم يأتي الآخر فيذكر ربحه في بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون نصيبين أو ثلاث ، وكانوا يسمونها ... »^(٧٠) .

ثانياً العامل الثاني : فيرجع في تصوري إلى أن الاسكندرية كانت في نظر المسلمين ثغراً من ثغور الإسلام وموضع رباط أو مشاغرة وجهاد .

وكان الخليفة عمر بن خطاب يبعث في كل عام غزاية من أهل المدينة تهابط في الاسكندرية^(١٣١) . وقد قدم عمرو بن العاص أجناده الى قسمين متساويين ، قسم ابقاه معه في لمطاض ، وقسم وزعه الى تعبين ، أحدهما لرباط الاسكندرية وحدها والصف لآخر لسائر السواحل .

كذلك اهتم عبد الله بن سعد بن ابى السرح بتحصين الاسكندرية^(١٣٢) امثالاً لرأى الخليفة عثمان بن عفان ، وسيظهر دور الاسكندرية كقصر للرباط في عهد عبدة بن أبى سفيان في العصر الأموي ، وكان لليمنيين دور بارز في ذلك كما سوضح على الصفحات التالية .

ومما يؤكد ذلك الأحاديث التي جاءت في فضل المراقبة بفر الاسكندرية . ويذكر النويري السكندري أن عمرو بن العاص أرسل الى الاسكندرية بعد الفتح قبائل العرب من خنم وخذام وكندة والأزد وحضرموت وخزاعة لسكنائها . وكلها من اليمنية .

نزلت خنم في المكان المعروف بكوم الدكة . ونزلت جذام ، بركة جذام ، ونزلت كندة ، بالبراكل ، ونزلت الأزد ، بحارة الأزد ، ونزلت حضرموت ، بحارة الحضارمة ، بينما نزلت خزاعة بتاحية أبى قير شرق الاسكندرية من ظاهرها لحراسة مينائها . ويذكر النويري أن ذرية هذه القبائل كانت موجودة في زمنه حتى سنة ٧٥٥ هـ التي كتب فيها كتابه «الإمام بما قضت به الأحكام» . وأنهم كانوا يعرفون فيها بالقبائل وكانوا في زمنه ثلاث وثلاثون مقعداً تحت يد كل مقدم جماعة من القبائل ، لم يخرجوا عن طريقة ملابس العرب بل ، يستدلون العذبات ويفرجون ذرايعهم على جاري عادة أسلافهم^(١٣٣) .

ومن قبائل اليمن التي استقرت بالاسكندرية وبنة من بطون مراد^(١٣٤) ، والمعافر اليمنية^(١٣٥) . كما استقر نفر من حمير من ذخان في إخرتها بالبحيرة مع بني مدح العدنانية وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم ، وأقامت مدح بخربنا ، فاشقوها منزلاً ، وكان معهم نفر من حمير من ذخان وغيرهم ، حالفوهم فيها فهي مناظرهم ...^(١٣٦) .

ويبدو أن بعض أفراد من قبيلة مراد اليمنية ، استقرت بعد الفتح في مدينة

رشيد فقد ظهر منه فيما بعد محدث بارع وفاضل شهير في رشيد هو عبد
لوارث بن ابراهيم بن فراس الرادي^(١٧٧). كما استقرت ضائقة من ونبه المرادية في
رشيد^(١٧٨).

وفيما بين عرض لأهم القبائل اليمنية التي نزلت في الاسكندرية والبحيرة
وسهاماتها في أحداث المنطقة ٧

أولاً : القبائل اليمنية من فرع كهلان

١ - لحم :

كانت الاسكندرية منزلاً لعرب لحم وجذام وفي ذلك يقول المقرئ
« وبالاسكندرية من جذام ولحم ، جماعة ذوو عدد وعدة وشجاعة واقدام ، ولم
أيام معلومة وأخبار معروفة .. » (٧٩) .

ومن فروع لحم وبطونها جذام (٨٠) . وفي ذلك يذكر المقرئ « وجذام ، وهم
بنو جذام واسمه عامر ، ويقال عمرو بن عدى بن الحارث بن مرة | بن أدد بن زيد
بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وهم أخوة لحم ، واسمه مالك ، وإنما
قيل لحم وجذام من أجل أنهما تخاصما .. » (٨١) .

وقد نزلت لحم عقب فتح الاسكندرية في منطقة كوم الدكة كما سبق أن ذكرنا
وعرفت لحم في مصر بأنها كانت علوية المهوى (٨٢) ، ومن الأدلة على ذلك أن قيس
ابن حرملة اللخمي كان من قادة محمد بن أبي حذيفة ، وقد اتجه قيس بن حرملة
لقتال جيش معاوية بن حديج عند خربتنا بالبحيرة أول يوم من شهر رمضان سنة
٣٦ هـ ، فقتل قيس بن حرملة اللخمي ، وانصر حزب العثمانية بقيادة معاوية بن
حديج (٨٣) .

ولقد برز دور قبيلة لحم اليمنية في حوادث الاسكندرية في عصر الدولة
العباسية ، فقد تغلب أحد أفرادها ، وهو بهلول اللخمي على الاسكندرية سنة
١٩٨ هـ في ولاية عباد بن محمد على مصر (٨٤) مستغلاً حالة الاضطرابات التي
سادت هذه الحقبة الزمنية . فلما تولى المطلب بن عبد الله الخزاعي على مصر
للمرة الأولى سنة ١٩٨ هـ بعد عباد بن محمد ، ولي على الاسكندرية | حديج بن
عبد الواحد من نسل معاوية بن حديج السكوني ، ليقر الأمور بها وينشر
الاستقرار .

وفي أثناء ولاية المطلب بن عبد الله الثانية عاودت لحم الجنوح إلى الثورة
واشتركت أثناء ولاية السري بن انكهم على مصر مع جماعة الأندلسيين والصوفيين
بالاسكندرية في حصار حاكمها عمربن عبد الملك بن محمد الذي يتنسب الى

معاوية بن حديج ، المعروف بعمر بن هلال ، وقتله . ثم تفرغ اللخميون بعد ذلك إلى التنارع مع الأندلسيين نزاعاً أدى إلى قيام الحرب بينهما . وكان يقود اللخميون زعيمهم رباح بن قره (٨٥) .

وقد أسفرت المصادمات بينهم وبين الأندلسيين عن هزيمتهم في سنة ٢٠٠ هـ ، فدخل الأندلسيون المدينة ، وولوا عليها بادي ، الأمر زعيم الصوفيين ، أبا عبد الرحمن الصوفي ، ثم عزلوه وولوا على الاسكندرية رجلاً أندلسياً منهم يعرف بالكثاني .

ولم تنته هذه الاضطرابات العنيفة في مصر الا بقدوم القائد العباسي عبد الله ابن طاهر بن الحسين الى الاسكندرية ليضع حداً لهذه التوراث ، ويطرده الأندلسيين منها فخرجوا بسفنهم الى جزيرة اقريطش التي شرعوا في فتحها سنة ٢١٢ هـ .

ثم تجددت الاضطرابات في الاسكندرية في سنة ٢١٦ هـ شأنها في ذلك شأن مدن الحوف الشرق . ولما قدم الأقباش في جنوده الى الاسكندرية القيه طائفة من بني مدالج بجزيرة فهزموهم واتوه أيضاً بمحلة الخلفاء فهزموهم ، وأسر اكثرهم فنزل بهم قرطبا فضرب اعناقهم بها ، وراقى الاسكندرية فدخلها وهرب منه رؤساؤهم ، وهم بحر بن علي اللخمي ، وابن عقاب اللخمي ، وكان رئيس جماعتهم معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج . (٨٦) .

ومن أشهر من برز من اللخمين بالاسكندرية :

موسى بن علي بن رباح اللخمي ، أمير مصر الذي توفي بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ (٨٧) ، وطبيب بن كامل اللخمي وكان من كبار أصحاب مالك وحلسائه ، وقد رحل من الأندلس ونزل بالاسكندرية ، وتوفي في حياة مالك بالاسكندرية (٨٨) سنة ١٧٣ هـ . وأبو الحسين يحيى اللخمي الذي تولى قضاء الاسكندرية (٨٩) ، وأبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي اللخمي الميورقي الأندلسي ، وكان عالماً نابغاً فقيهاً أصولياً زاهداً ، درس ببغداد ، وتفقه بها ، ثم استوطن الاسكندرية ، وصنف تعليقه في الخلاف وقد روى عنه السلفي ، وتوفي

في أواخر سنة ٥٢٣ هـ (٩٠). وكان هذا الفقيه من أبرز من أرسى أسس السنية في
الاسكندرية^(٩١) في العصر الفاطمي .

ومنهم الشاعر نصير الدين عبد الله بن مخلوف اللخمي الشهير بابن فلاقص
الاسكندري ، وكان يلقب بالقاضي الأعز ، وكان من شعراء الدولة الصلاحية ، ولد
بالاسكندرية في ربيع الآخر سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفي بها في شوال سنة
٦٠٧ هـ (٩٢) .

كما ظهر المحدث جمال الدين عطية بن اسماعيل اللخمي الاسكندراني الصوفي
(ت. سنة ٧١٤ هـ) الذي انفرد بكرامات الأولياء^(٩٣) ، وكذلك الفقيه تاج الدين
الفاكهاني عمر بن علي بن سالم اللخمي الاسكندري (ت. سنة ٧٣٤ هـ)
الذي كان متفناً في العلوم ، وصنف شرح العمدة وشرح الأربعين^(٩٤) .

٢- جذام

ويذكر النويري أن جذام نزلت بالاسكندرية في منطقة عرفت بركة جذام .
وكان الجذاميون يرتعون في طراية وقريط شأنهم في ذلك^(٩٥) شأن لحم . ومن
المعروف أن بني قره الجذامين نزلوا باقليم البحيرة . وكانوا قد انضموا إلى أبي ركة
الشائر الأموي الذي نرح من بلاد الأندلس إلى مصر ، وتمكن من استتالة عرب
برقة والبحيرة إليه . ولما هزم أبو ركة سنة ٣٩٧ هـ وقبض عليه الفاطميون وهو
يهم بالهرب إلى النوبة ، تفرق عنه بنو قره ، فتركهم الفاطميون وشأنهم ، فعادوا إلى
مساكنهم بالبحيرة . ثم عاودوا الشغب من جديد عندما أحسوا من جانب الدولة
بنوع من التراخي ، فوثبوا بالاسكندرية أو ما حوفا ، واستولوا عليها مما دفع الفاطميين
إلى مهاجمتهم ، ولكنهم أوقفوا الهزيمة بالجيش الفاطمي في الجزيرة ، فأوعز المستنصر
بالله إلى جموع من بني سنيس من طيء ، وأكلبهم بحاربة بني قره ، فنعقروهم إلى
البحيرة ، وانهم بنو قره في سنة ٤٤٣ هـ ، فقام الفاطميون بطردهم من البحيرة
فنجعت سنيس ، وعادت إلى البحيرة ، وأوطأهم الوهن ديار بني قره ، وأقطعهم
أرضهم وديارهم . فاتسعت أحوالهم ، وفخم أمرهم . . .^(٩٦)

ومن أشهر الجذامين بالاسكندرية :

ظافر بن تقاسم الجذامى ، الاسكندرى ، الشاعر ، صاحب الديوان الذى توفى^(٤٧٧) سنة ٥٢٩ هـ . وهناك أسرة بنى المنير الجذامية ، وابن المنير هو القاضي العلامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد الجذامى الاسكندرانى (ت سنة ٦٨٣ هـ) ، أحد الأئمة المتبحرين فى العلوم من التفسير والفقه والأصول والعربية والبلاغة والأنساب ، ومن تصانيفه « تفسير القرآن » و « أسرار الأسرار » و « الاتصاف بين الكشاف » وغيرها . وتولى أخوه زين الدين على قضاء الاسكندرية بعد أخيه وقد قرأ زين الدين على ابن الحاجب وكان بعض الفضلاء يفضلونه على أخيه وله شرح عظيم على البخارى^(٤٧٨) .

وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامى الشهير ، بابن عطاء الله السكندرى وكان يلقب بتاج الدين وبأبى الفضل وبأبى العباس^(٤٧٩) .

ويذكر السيوطى أن ابن عطاء الله السكندرى ، جذامى النسب .

ويبدو أن أفراد الأسرة التى نشأ فيها ابن عطاء الله كانوا يشتغلون بالعلوم الدينية وتدرسيها لأن جده لوالده ، الشيخ ابو محمد عبد الكريم بن عطاء الله ، كان فقيهاً معروفاً فى عصره ، وقد اشتغل أحمد بن عطاء الله كجده بالعلوم الشرعية وكان جد ابن عطاء الله السكندرى^(٤٨٠) رفيقاً للفقيه المالكى ابى عمرو الحاجب المشرق سنة ٦٤٦ هـ ، وقد تفقه جده على الشيخ أبى الحسن الايارى وألف « البيان والتفريب فى شرح التهذيب » وهو كتاب كبير جمع فيه علوماً جمّة كما اختصر المفصل للزمخشرى .

أما أحمد بن عطاء الله السكندرى ، فقد ولد بالاسكندرية حيث كان جده وأسرته . ولا نعرف على وجه التحديد السنة التى ولد فيها ، وأغلب الظن أنه ولد فى حدود سنة ٦٥٨ هـ ، أما وفاته فحدثت إما فى عام ٧٠٧ هـ أو فى عام ٧٠٩^(٤٨١) .

ومن مشاهير الجذامين بالاسكندرية الامام يحيى بن أحمد بن الصواف الجذامى الاسكندرانى (ت سنة ٧٥٠ هـ) ، وقرأ على أبى تقاسم بن الصغراوى وكان من كبار القراء فى زمانه . ولما توفى نزل القراء بموته درجة^(٤٨٢) .

٣- طى :

لم تكن طى من قبائل الفتح ، ولم تظهر في مصر إلا بعد أواخر القرن ١١٠٣
الثاني للهجرة . ويعد بنو سنيس من أشهر من ظهر منهم بالبحيرة

وسنيس وهم من طى . ينسبون إلى سنيس بن معاوية بن جرول بن نعل
بن عمرو بن المغوث بن طى (١١٤١) . وفي سنيس أجداد وعشائر كسب عمرو
وعدى وأبان وجرم وعصب ، ومنهم الخزاعلة وأصلهم «أقنة» بن خلاد بن حيان
ابن حميد بن خزعل بن عاهد جدى عشائر سنيس بن معاوية بن جرول . وإلى قنة
هذا ينسب معالي بن فرج مقدمه سنيس ، كان بالبحيرة ، وله جوار ومروية وفيه
كرم وشجاعة ، وقتل صبياً في دار الراحة بالقاهرة (١١٤١) .

وكانت سنيس تنزل في بادية ، الأمر بفلسطين والداروم قريباً من غزة . ولكنهم
كثروا هناك واشتدت وطأتهم على الولاة فبعث إليهم الوزير الناصر أبو محمد الحسن
ابن عبد الرحمن الباورى سنة ٤٦٢ هـ يستدعيهم . وكما سبق أن ذكرنا أقطعهم
البحيرة بدلاً من بى فرقة الجذامين الذين انسحبوا إلى الصعيد وسكنوا
أسيوط (١١٤٥) .

واستقر بنو سنيس بالبحيرة حتى زمن السلطان عز الدين أيبك التركلى ، فقد
ثاروا في عهده على المماليك ، إذ اتفوا أن يحكمهم وهم العرب اخلص ، سلاطين
سبق أن مسهم الرق ، فأقاموا عليهم الشريف حصن الدين ثعلب ابن الأمير نجم
الدين على ثعلب الجعمرى في سنة ٦٥١ هـ . وقد حاربهم المماليك وأمسكوا
بالشريف حصن الدين ثعلب وأصحابه . فذلت سنيس بعد ذلك وقتل وصارت
متفرقة بالغربية . وكان من حلفاء سنيس عدوة ومدح وخواهرهم فرقة من كنانة
ابن خزيمة . . . (١١٧٦) .

٤- كندة وبطونها :

ومن أشهر بطون كندة بالامكندرية السكون ومنها شيب وبنو فهم (١١٥١) . ومن
الكنديين بالامكندرية أبو الحسين بن أبى بكر الكندى (ت ٧٤١ هـ) ، تولى
القضاء بالامكندرية . ويذكر السيوطى أنه كان شيخ العلماء ووحيد عصره وفريد
زمانه ، وقد حدث عن الدماطى ، وصنف وأتى فانتفع به الناس (١١٤٩) . أما

السكون فقد سبق أن ذكرنا أن معاوية بن حديج كان من أشهر أبناء
السكون في مصر . وقد أوضح أنه شارك في فتح الإسكندرية ، وكان له
ميدان وكان عمرو بن العاص قد أرسله رسولا من قبله في أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب بشرو بالفتح .

ومن أعقاب معاوية بن حديج من ولى الإسكندرية . وكان له دور بها ، عبد
الرحمن بن معاوية بن حديج الذي عزله عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة
٧٠ هـ عن الشرطة وولاه مزابطة الاسكندرية ، وجعل على لشرطة بدلاً منه عمران
بن عبد الرحمن بن شرحبيل^(١١٢) . وظل عبد الرحمن في منصبه هذا ستة أشهر
حتى صرف عنه في رمضان سنة ٨٦ هـ^(١١٣) .

ومن نسل معاوية بن حديج في الإسكندرية كذلك حديج بن عبد الواحد
ابن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج . وهو الذي تولى الإسكندرية سنة
١٥٨ هـ من قبل المطلب بن عبد الله . وتولى حديج بن عبد الواحد حكم
الندية عقب الاضطرابات التي أثارها بهلول اللخمي هناك زمن عباد
بن محمد^(١١٤) .

كما ولى الإسكندرية من الخديجين محمد بن هيرة بن هاشم بن حديج سنة
١٦٩ هـ من قبل المطلب بن عبد الله والى مصر . ولكن محمد بن هيرة
استخلف عليها بدلاً منه عمر بن عبد الملك بن محمد حفيد معاوية بن حديج ،
وكان يعرف بعمرو بن هلال^(١١٥) وقد سبق أن تحدثنا بصدد الاضطرابات التي
سادت الإسكندرية في زمنه . ومهم أيضاً معاوية بن عبد الواحد الخديجي الذي
ولى الإسكندرية (٢٠٢ - ٢٠٣ هـ) وقد شارك في أحداث ثورة أسفل الأرض سنة
٢١٦ هـ^(١١٦) .

ويوجه عام كان الخديجون من كبار رجالات مصر وأشرافها ولذلك لقوا كل
حداً وتقدير من خلفاء بني العباس بدليل استمرار الخديجين في تولى أكبر
مناصب الدولة .

(ب) تجميع :

حجب بطل من السكون^(١١٧) ، ومن حجب عياض بن غنم أمير الإسكندرية
سنة ٨٤ هـ^(١١٧)

ومن مروع نجيب بنو فهم ، وقد تعاقد الشراة الفهيمون النجيبون بالاسكندرية على الفنتك بقرة بن شريك سنة ٩١ هـ ، وان مصر . وكان رئيسهم المهاجر ابن ابي المنشى النجيبى ، وفى ذلك يقول الكندى « وخرج قره ابي الاسكندرية واستخلف على الشرط عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فى سنة احدى وتسعين ، فتعاقدت الشراة لسكندرية على الفنتك بقرة ، وكان رئيسهم المهاجر بن ابي المنشى النجيبى أحد بنى فهم بن اذاه بن عدى بن نجيب ، وفهم ابن ابي ارطاة النجيبى ، وكانت عدتهم اثنى مائة ، فعقدوا لابن ابي المنشى عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرى منهم رجل يكنى ابا سليمان ، فبلغ قره ما عزموا عليه فأتى بهم قبل أن يتفرقوا ، فأمر نجيبهم فى أصل منارة سكندرية ، واحصر قره وجوه الهنداء ، واحضرهم فألهم ، فأقروا فقتلهم قره .. » (١١٨) .

ومهم قيس بن الأشعث النجيبى الذى تولى لاسكندرية زمن حفظة ابن صفوان سنة ١٢٤ هـ ، ثم تولى الشرطة حتى توفى فى ربيع الآخر سنة ١٢٤ هـ (١١٩) .

٥- المعافر وبتونها :

المعافر قبيلة كبيرة قوية تنسب الى مالك من مرة من عرب (١٢٠) ، ومن بطون المعافر فى الاسكندرية بنو خليف وبنو موهب ، والاعسوق .

ومن أشهر من تولى حكم الاسكندرية من المعافر ، أبو بكر بن جنادة ابن عيسى المعافرى ، الذى ولاة انطليق بن عبد الله عنها بعد عزل اسحق ابن ابرهة الأصمى عنها سنة ١٩٩ هـ (١٢١) . وقد ظهر من المعافر فى الاسكندرية نفر من العلماء منهم ربيعة بن (١٢٢) سيف المعافرى الاسكندرى الذى توفى فى حدود سنة ١٢٠ هـ . وضمنا بن اسماعيل المعافرى من مشاهير محدثى مصر ، وهو الذى توفى سنة ١٨٥ هـ (١٢٣) .

وعبد الرحمن بن اشرح المعافرى الاسكندرى ، الذى توفى سنة ١٢١ هـ (١٢٤) .

وأبو الحسن علي بن عبد الله المعافرى الاسكندرى ، الفقيه الذى تولى منصب قاضى الاسكندرية ، وتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وقد أتم مائة عام من عمره (١٢٥) .

ومن أشهر بطون المعافر في الاسكندرية :

— بنو خليف :

وقد ذكر الكندي أن أحد بني خليف المعافرين وهو أبو عبادة صل بن عوف المعافري ، كان ضمن الوفد الذي صاحب عتبة بن أبي سفیان من مصر الى معاوية بالشام ، وقد سأله معاوية عن عتبة فقال له أبو عبادة من بني خليف « يا أمير المؤمنين حوت بحر ووعل بر ، وليتني الصلاة وزويت عنى الخراج ، فأكره أن أظهر لهم فيسألوني عليها » (١٣٦) .

ومن هنا يتضح أن بني خليف المعافرين قد استقروا بمصر منذ أوائل القرن الأول الهجري . ويبدو أنهم انتقلوا الى الاسكندرية وارتفع شأنهم بها خاصة في العصر الفاطمي . وقد أفرد أحد المؤرخين المعاصرين لبني خليف دراسة قيمة وأبرز دورهم الاقتصادي والعلمي ووصف قصرهم برملا الاسكندرية من خلال أشعار نظمها الشاعر السكندري ابن قلاقر (١٣٧) . ومازال بعض أفراد ينتسبون الى هذه الأسرة النخبة يقيمون في الاسكندرية وكفر الدوار في الوقت الحاضر .

— بنو موهب :

وممن عمارة بن الحكم المحدث الذي تولى سنة ٢٤٧ هـ ، وكان من أهل الاسكندرية (١٣٨) .

— الأعمق :

كان منها بطن يقال له : لبوان منهم عقبة ابن نافع المحدث الذي تولى سنة ١٩٦ هـ (١٣٩) .

٦— مدحج ولبائلها :

مدحج من قبائل الفتح وقد اختلطت بين خولان وتجب ، ومن القبائل التي مثلتها في مصر بوجه عام ، والاسكندرية بوجه خاص ، قبيلة مراد التي من بطونها عظيف . وقد اشتركت مراد في فتح مصر ، وكانت تأخذ مرتبها في منف والفيوم ومنها طائفة كانت ترتب في البدقون بالبحيرة (١٤٠) .

ونسب اليها شريك بن سمي المرادى ، أبرز القادة المسلمون في فتح مصر
والاسكندرية كما سبق أن ذكرنا ، وقد سمي كرم شريك بالقرب من الاسكندرية
باسمه .

كذلك اشتهر منهم القائد علقمة بن يزيد المرادى ثم العظيفي (١٣١) ، الذي
شهد فتح مصر وولى المرابطة في الاسكندرية زمي معاوية بن ابي سفيان ، فقد
عقد عتية بن ابي سفيان ه لعلقمة العظيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني
عشر ألفاً فكتب علقمة الى معاوية بن ابي سفيان يشكو عتية حين غرر به ، وبمن
معه فكتب اليه معاوية ، اني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام وبخمسة
آلاف من أهل المدينة ، فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون ألفاً . (١٣٢) .

وكان علقمة من المجاهدين في سبيل الله ، تولى رباط الاسكندرية الذي اقترب
الجهاد فيه بثواب عظيم . ومن المراديين بالاسكندرية أبو خريشة المرادى صاحب
القاضي أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الحميري (١٣٣) .

وبرز من قبيلة مراد عبد الوارث بن ابراهيم بن فراس الذي تقلد قضاء رشيد ،
وكان من كبار المحدثين الذين ظهوروا منها (١٣٤) .

ومن موال مراد بالاسكندرية عبد الأعلى بن المجرس الذي سَرد سنة ١٣٢ هـ
وخلع طاعة الأمويين ، وكان هذا دافعاً لأن يقتله الكوثر بن الأسود (١٣٥) القنوي
قائد مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، بمصر عند دخوله الاسكندرية .

٧- همدان :

همدان قبيلة يمنية كبيرة شهدت فتح مصر واحتطت بالجيزة . ويبدو أن جماعة
من همدان استقروا بالاسكندرية ، فقد ظهر منهم بها علماء ومحدثون نذكر منهم ثمانية
ابن شفي الهمداني ، ابو علي المصري ، نزيل الاسكندرية ، وقد توفي قبل سنة
١٢٠ هـ (١٣٦) . وفي القرن السابع الهجري ظهر منهم جعفر بن علي بن هبة الله
أبو الفضل الهمداني الاسكندراني ، أحد كبار المحدثين الذين لمعوا
بالاسكندرية .

ولد جعفر بالاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ ، وقرأ القرآن على عبد الرحمن بن
خلف الله ، وأكثر عن السلفي وتصدر للاقراء . وتوفى بدمشق سنة
٦٣٦ هـ (١٣٧) .

ومنهم ابن العماد الإمام المحافظ أو المظفر منصور بن سليمان الهمداني
الاسكندراني الشافعي (ت ٦٧٣ هـ) وكان قمة في الحديث وفتونه والفقهِ
وأصوله ، وألّف في تاريخ الاسكندرية الى جانب مؤلفاته في الفقهِ والحديث . ولم
يخلف بعده في الشغل مثله (١٣٨) .

٨ - الأزد :

ظهر الأزد في الاسكندرية منذ الفتح الاسلامي كما نزل بعضهم في رشيد .
ويذكر النويري السكندري أن الأزد نزلوا بالاسكندرية في حارة الأزدى . ويذكر ابن
دقماق منهم عمرو بن حمالة الأزدى زعيم اللقيف الذي اتجه الى الاسكندرية لقتال
الزوم سنة ٢٥ هـ (١٣٩) . ومن الأزد في الاسكندرية علقمة بن جنادة الأزدى
المجزي، وكان كما يذكر السيوطي صحابيا ، شهد فتح مصر ، وولى البحر
لعبادة ، توفي سنة تسع وخمسين (١٤٠) .

ومن أزد رشيد كما يذكر السلفي في معجم السفر ، أبو محمد عبد الله بن
عسكر بن محمد الأزدى ، من رجال القرن السادس الهجري ، الذي استوطن
جزيرة بالقرب من رشيد تسمى بالجزيرة الخضراء ، وغرس بها أشجاراً وخضراً
فانتفع الناس به وبكرمه ، وكان اذا قدم الاسكندرية نزل على السلفي (١٤١) .

ثانيا : القبائل اليمنية من فرع حمير

اشتركت حمير في فتح مصر ، واحتضت بالمسطاط قبيل حوزل وشرفها . وقد أقام نذر من حمير وهم دحان على حد قول ابن عبد الحكم في خبرنا بالقرب من الاسكندرية ، وتحالفوا أثناء اقامته فيها مع بني مدح نعدانيين (١١٢) .

ومن الحميريين الذين عاشوا بالاسكندرية في أواخر عصر الدولة الأموية أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الثاني الحميري الذي تولى القضاء زمن ابي عون ويقال زمن صالح بن علي . وقد أورد لنا كل من ابن عبد الحكم ، والسيوطي الظروف التي تولى فيها أبو خزيمة قضاء مصر ، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم « وكان سبب ولايته أن أبا عون شاور في رجل يوليه القضاء . ويقال بل هو صالح بن علي . فأشير عليه بثلاثة نفر حيوة بن شريح ، وأبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الحميري ، وعبد الله بن عياش القتباني . وكان أبو خزيمة يومئذ بالاسكندرية فأشخص . ثم أتى بهم اليه ، فكان أول من نوظر حيوة بن شريح ، فامتنع ، فدعى له بالسيف ، والنطع ، فلما رأى ذلك حيوة أخرج مفتاحا كان معه فقال هذا مفتاح بيتي ، ولقد اشتقت الى لقاء ربي ، فلما رأوا عزمه تركوه .. »

ثم دعى بأبي خزيمة فعرض عليه القضاء فامتنع ، فدعى له بالسيف والنطع ، فضعف قلب الشيخ ، ولم يحتمل ذلك فأجيب اني القيول ، فاستغضى ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير ، وكان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقا .. (١١٣) .

وكان أبو خزيمة يعمل الأسمان ويبيعها بالاسكندرية قبل أن يلبى القضاء (١١٤) . وكان أبو خزيمة صديقا لأبي خزيمة المرادي الذي كان يتابع منه الأسمان لقرسه . وكان لحمير في الاسكندرية فرعان مالك والطميع .

ومن فروع مالك بالاسكندرية :

مهرة :

شاهدت مهرة في سبق أن ذكرنا في فتح الاسكندرية ، ويبدو أن قسما كبيرا من مهرة انتقل بالاسكندرية منذ القرن الأول للهجرة ، واشتهر منهم الفقيه الحديث خالد بن محمد أبو حميد المهزي المصري الاسكندري الذي تولى بالاسكندرية سنة ١٦٩ هـ (١١٥) .

كذلك برز محمد بن أبي ناجية داود بن رزق بن ناجية المعروف بعبد الله
نويرى الإسكندراني (ت ٢٠٥ هـ) (١٤٧)

ومن فروع الهميسع بالاسكندرية :

١ - حضرموت :

شاركت حضرموت في فتح الاسكندرية ونزلوا على حد قول النويرى بحارة
الخضارمة .

ومن أبرز المهديين الخضارمة بالاسكندرية زياد بن يونس أبو سلامة الحضرمي
الاسكندري (ت ٢١٢ هـ) الذي ذاع صيته بأنه ثقة في علم الحديث (١٤٧) .

ومن الخضارمة الذين تولوا منصب القضاء بالاسكندرية ، أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن بن محمد المالكي (ت ٥٨٩ هـ) الذي روى عن محمد بن أحمد
المرادي (١٤٨) .

٢ - الصدف :

من القبائل المتفرعة من الهميسع من حمير ، وإن كان قد حدث اختلاط بينهم
وبين كندة ، وقد عبر عن ذلك ابن دقماق بقوله « الصدف وهم بطن من اكنبة
ينسبون اليوم في حضرموت » (١٤٩) .

وقد لعب مالك بن ناعمة الصدف صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له
أشقر صدف دوراً هاماً في فتح الاسكندرية عندما استقذ شريك بن سمي من
أيدي الروم عند كوم شريك كما سبق أن ذكرنا .

كذلك أوضحنا أن أحد رجال صدف وهو خالد بن يزيد الصدف كان من
المرايطين الذين استشهدوا بالاسكندرية .

٣ - قبائل بطون وعين من الهميسع :

ومنهم المحدث سعيد بن يزيد الحميري القشبي ، ابو شعاع الاسكندراني ،
كان ثقة في حديثه ، وتوفي سنة ١٥٤ هـ (١٥٠) .

٤- ذبحان :

احدى بطونته رعين من حميسع . ويلكمر بن عبد الحكيم أنهم لربوا خريتا كما
ذائريا وأخالفوا مع مدج ، وبعد كان لهم دور في أحداث خريتا التي عفت مقتل
عمان بن عفان سنة ٣٦ هـ .

٥- الكلاع :

احدى قبائل الحميسع من حمير ، ظهر منهم بالامكندرية ، ضمير بن مالك
الكلاعى الحميرى ، الذى كان من صغار التابعين ، وتولى القضاء بها^(١٥١) .

٦- أصبح :

احدى القبائل الكبيرة المنتشرة من الحميسع من حمير . وعميدهم أبرهة بن
العباس . ومن نسل أبرهة بالامكندرية اسحق بن ابرهة الذى ولاة نطلب بن
عبد الله على الاسكندرية سنة ١٩٩ هـ بدلاً من أخيه الفضل بن عبد الله فى
الفترة التى سيطر فيها الأندلسيون على الأمكندرية^(١٥٢) .

الذكورة سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

المصادر والحواشي

١ — عك قبيلة من قبائل الأزدي من مالك من فرع كهلان من اليمنية . والعك أصل بلادهم وتقع جنوب الجزيرة العربية في نامة اليمن ، وكانت منازلهم تمتد شمالاً حتى جدة . وكان ارتباع جند عك في مواضع عديدة من مصر مثل بوسير ، ومنوف واتريب . (وقد شارك أحد فرسانها وهو « الغافقي بن حرب العكي » في فتنة عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ . ومن أشهر أفرادها نمر بن ايقع العكي الذي رد على استهزاء عبد الرحمن بن معاوية ابن حديج بقبيلة عك وفرسها الشهير « عجلى » التي شاركت في الفتح . وكانت لعك التفوق العددي في مصر ، حتى القرن الثالث الهجري . ومن أشهر بطون عك غافق . (عن عك ارجع الى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح مصر أخبارها ، ليدن ١٩٢٠ ، ص ٥٦ ، ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ابو الخاسن بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ص ٥ ، عبد الله خورشيد اليرى ، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١٢٩—١٣١ ، وعن الغافقي بن حرب العكي ارجع الى محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، طبعة بيروت ، ص ١٠٣) .

٢ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ ، وفي ذلك يقول « فعقد له (أى الخليفة عمر بن الخطاب) على أربعة ألف رجل كلهم من عك ، ويقال (بل ثلاثة آلاف وخمسمائة .. » وأيضاً في قوله « حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب ، مثله الا انه قال ثلثهم غافق .. » . وفي ذلك ارجع ايضاً الى ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٥ .

٣ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٠ .

٤ — المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،

ح ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ ، وعن عتبة بن عامر جهني نظر من عبد الحكم ، ص ٢٠٧ وما يليها ، وعن عبد الله بن الحارث بن حزم الربدي نظر من ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وعن معاوية بن حجاج نظر من ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

- ٥ — المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
- ٦ — نفسه ، ص ١١٠ .
- ٧ — نفسه ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
- ٨ — نفسه ، ص ١١٦ ، ويذكر ابن دقماق أن درب الرجراج ينسب إلى عبد الله محمد بن صالح مولى سكينه بنت الحسين ويقابل دار السنسلة (ابن دقماق ، كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، القسم الأول ، ص ٢٩) ، أما دار وردان فتنسب إلى وردان الرومي مولى عمرو ابن العاص ، وكانت خطته في الموضع المعروف بين القصرين ، وقتل وردان بالاسكندرية سنة ٥٣ هـ . فله الروم (ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص ١١) .
- ٩ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ومسجد العيثم من بناء الحكم ابن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان (ابن عبد الحكم ، ص ١١٦) .
- ١٠ — المصدر السابق ، ص ١١٨ ، ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص نقلهم من مواضعهم وضمهم إليه ، فذهبت مهرة خطتها (ابن عبد الحكم ، ص ١١٩) .
- ١١ — نفسه ، ص ١١٩ — ١٢١ .
- ١٢ — نفسه ، ص ١٢٢ وما تلاها .
- ١٣ — ابرهة بن الصباح من قبيلة أصبح التي منها الامام مالك بن أنس وقد حضروا فتح مصر . وبعد ابرهة بن الصباح ، وهو صاحب جنبل ، عميد هذه الأسرة امية ، وقد دخل مصر هو وأولاده الأربعة ، كريب ، وأبو شمر ، وبعدي كريب ، ويكسوم . ويذكر ابن عبد الحكم أن يا شمر بن ابرهة الخطي زل جانب دار شيم الليثي . ثم يعود فيذكر عن حميد بن هشام الحميري أنه ليس لابن ابرهة خطة بفسطاط مصر ، وإنما

خطتهما باجيزة ، وبما صارت لتنزل التي لهما بالفطاط وراثه ورثوها من
 لوعنية لأبهم كانوا صاهرون إلى بن وعنه ، فصارت لتنزل لهما
 بغيرت . . . (بن عبد حكيم ، فتوح مصر ، ص ١١٣) ويذكر
 الكندي أن أبا سهم بن ابرهة بن الصباح شترك مع عبد الله بن سعد في
 غزوة الأسود حتى بلغ دمقلة سنة ٣١ هـ ، وأن عينه أصيبت في هذه
 الغزوة (ابو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ، كتاب الولاة وكتاب
 القضاة ، طبعة بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢) . ويرى د. عبد الله خورشيد
 انبى أن أبا سهم هذا هو أبو شمر الابن الأكبر لابرهة كما يرجع أن يكون
 هو نفسه ابو شمس بن ابرهة الذي ذكره الكندي في احداث سنة ٣٦ هـ
 فيمن قتل من زعماء الثورة ضد عثمان بن عفان على يد معاوية بن ابي
 سفيان (الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٩ ، عبد الله خورشيد
 البري ، القبائل العربية ، ص ٢١٢) وعن ابرهة بن الصباح رجع إلى
 القنبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٢٨) ، ولزيد من التفاصيل
 عن ذرية ابرهة بن الصباح في مصر ومنهم اسحق بن ابرهة الذي وثى
 الاسكندرية ، سنة ١٩٩ هـ ، وكريب بن ابرهة ارجع إلى ابن عبد
 الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٣ ، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٢ .

١٤- تقي الدين احمد بن علي المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
 والآثار ، طبعة لبنان ، المجلد الثاني ، أص ٦٠-٦٥ .

١٥- المقرئزي ، البيان والإعراب عما بارض مصر من الإعراب ، تحقيق
 د. عبد الحيد عابدين ، ١٩٨٩ .

١٦- الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٧ .

١٧- يذكر د. عبد الحيد عابدين أن الدولة الأموية أقرت تشجيع هجرة القيسية
 إلى مصر لتحد من سيطرة العنصر اليمني الذي امتاثر بالقبوذة وكان على
 أم الاستعداد لإدارة الفتن والوقوف ضد الحكم الأموي مع لعناصر المناوئة
 له كالزبيديين والعلويين ، والخوارج ، بالإضافة إلى أن ابن الجيحاب
 استنول عن الخراج وكان قيسياً متعصباً هو الذي بدأ بنقل قيس إلى
 الحوف الشرقي بمصر ، لأنه أراد أن يعمر منطقة بليس ويراعتها ، فاختار

لفيسية يعرفون بذلك، ويزهد من تفاصيل رجوع إلى حنين
د. عبد عبد عابدين لكتاب البيان والأعراب للمقريزي .
ص ١٠٠-١٠٥ .

- ١٨- الكندي ، نواة ونقضاء ، ص ٧٦
- ١٩- المصدر السابق ، ص ٧٧ .
- ٢٠- السيد عبد العزيز سائل ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، الاسكندرية
١٩٨٨ ، ص ١٠٧ . عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ،
ص ١٠ ، عصام الدين عبد الرموف الفقهي ، اليمن في ظل الاسلام منذ
فجره حتى قيام دولة نبي رسول ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ٩ .
- ٢١- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، طبعة مكتبة
النهضة بغداد ، ص ١٢٠ ، عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ،
ص ١٨ ، ١٩ . وقد تركت جموع كثيرة من قبائل معين اليمنية وطنها في
الألف الثاني قبل الميلاد وانتشرت في جميع أنحاء الحجاز ومضيات طور
سيناء الى حدود مصر ، ويرى بعض المتخصصين ان هذه القبائل المعنية
هي نفسها القبائل السامية التي دخلت مصر وحكمها قرون وعرفت
باسم المكسوس (عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٨ ،
عبد الحميد عابدين ، تحقيق كتاب البيان والأعراب للمقريزي ، ص ٧٨ ،
٧٩) ، ولكننا نتبع هذا الرأي . ونرى أن معين هاجرت الى الشمال
وغزت جنوب فلسطين ، مؤسسة دولة ، تمكن الاسكندر من التغلب
عليها ، فانسحبت عندئذ معين الى طور سيناء والحجاز ، وأسست
مستعمرة معان أو « معن مصران » ، أي معان أو « معين المصرية » .
وقد ضعف سلطان المعينيين الشماليين على هذه الأرض عندما تغلبت سبأ
على معين ، فقامت الدولة السبئية في سنة ٦٤٠ ق.م. ثم تغلب
النجاشيون على سبأ في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد . وتلاهم بعد
ذلك الأنباط (جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج
١ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، وانظر الآراء والمناقشات التي دارت حول
مستعمرة « معان مصران المعنية » في المرجع السابق ، ص ١٢١-١٢٤ ،

وارجع كذلك الى د. عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ، ص ١٩ . ويذكر د. جواد على أنه سجل في إحدى الكتابات المعنية بالحيزة وقتا وادفوا اسم رجل يدعى « يدز آل ابن زد » أو (زيد آل بن زيد) من آل ظرن أو آل طيران ، كان كاهنا في معبد مصر واعترف بوجود دين عليه وهو تزويد معابد مصر بالمر والقليمة (قصب الطيب) ، وكان ذلك في عهد بطليموس بن بطليموس (عن هذا الموضوع ، انظر د. جواد على ، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، ٢٦) .

أما عن احتلال الرومان لعدن فلا نعرف تاريخاً ثابتاً له على وجه التحديد ، ويرى فريق من المؤرخين أن ذلك وقع زمن كلوديوس (٤١ — ٥٤ م) أو قبل ذلك بقليل . ويرى فريق آخر أن استيلاء الرومان على عدن تم بعد حملة ايليوس جالوس على اليمن وربما بعد الميلاد بقليل ، وهناك من يرى أن الاستيلاء على عدن حدث في زمن كايوس قيصر (ارجع الى جواد على ، المرجع السابق ، ص ٦٠ ، ٦١) .

٢٢— أوعز أغسطس قيصر ، بعد استيلائه على مصر الى حاكمها ايليوس جالوس بغزو اليمن للاستيلاء على ثرواتها من المر واللبان والبخور ، وللمسيطرة الرومانية على طرق النقل البحرية التي احتكرها عرب الجنوب ، وقد أقلمت هذه الحملة من السويس سنة ٢٤ ق.م. ، وكان قوامها عشرة آلاف مقاتل من المصريين والرومان ومن حلفائهم الأنباط وتولى صالح وزير الملك النبطي عبادة الثالث ارشاد الجيش الروماني الى الطرق التي يسلكها في بلاد العرب .

وقد توغلت الحملة في بلاد العرب الجنوبية حتى استولت على حجاز ولكنها انتهت بالفشل لخيانة الوزير النبطي للرومان ، إذ إبهمه الرومان بأنه ضلّهم فدّهم الى أكثر مناطق العرب وعمورة وجفافاً (ارجع في ذلك الى جواد على ، المرجع السابق ، ص ٤٣—٤٥ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص ١٩٤ ، عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ٢٥—٢٦ ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٧٤) .

٢٣- عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ٢٨ ، وعن مبناء محم
ارجع الى جواد علي ، المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ .

٢٤- عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

وعن الصراع بين اليهودية والمسيحية في اليمن وانتافس بين البيزنطيين
الذين كانوا يؤيدون المسيحيين والأحباش هناك من جهة ، والفرس الذين
كانوا يناصرون اليهود والنوشرين باليمن . (ارجع الى عصام عبد الرؤوف ،
اليمن في ظل الاسلام ، ص ١٠-١٦ ، جواد علي ، المرجع السابق ،
ج ٢ ، ص ٦٢٦ وما يليها ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي ،
ص ٧٥-٧٧) .

٢٥- محمد كامل حسين ، أدب مصر الاسلامية ، ص ١٦ ، عبد الله
خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ٣١ .

٢٦- ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ابن عبد
الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٥ ، السيد عبد العزيز سالم ،
التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، طبعة الاسكندرية، ١٩٨٨ ،
ص ١٤١ .

٢٧- ظهرت اماره الغساسنة في بادية الشام ، نتيجة لهجرة قبيلة الأزد من اليمن
عقب انكار سد مأرب وتدهور نظم الزراعة واعمال الري في جنوب
الجزيرة العربية . ويذكر المسعودي أن هجرة هؤلاء الأزد لم تكن الى بلاد
الشام مباشرة وإنما أقاموا حيناً من الوقت في تهامة بين بلاد الأشعرين
وعث حول عين ماء يقال لها عسان فانسوا اليه (عبد الله ياقوت
الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٦ ، باب الغين ، ابو الحسن علي
بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، طبعة
القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٦ ، ١٧) . وكان سكن مشارف الشام قبل
قدوم الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالصجاعة من قضاة ، فغلبهم
الغساسنة وحلوا محلهم . وقد تحالف الغساسنة مع البيزنطيين (عن
الغساسنة وصراعهم مع ملوك الحيرة ، وأوسم ، ارجع الى السيد
عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عهد خلافة ١٩٨٨ ،

ص ٢٤٢-٢٤٣ ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ٨٨-٩٠ ، رشيد الجميلي ، تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٤-١٣٦ .

٢٨- المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣١١ .

٢٩- لما اشدت تعرض المشركين للنبي ﷺ وديوه وأصحابه ، بدأ يعرض نفسه

وديه على القبائل العربية . ومن بين القبائل التي عرض الرسول ﷺ نفسه عليها بعض القبائل اليمنية ومنهم بنو كلب ، فأثى الى بطن منهم يقال بنو عبد الله ودعاهم إلى الله ، ولكنهم رفضوا دعوته (المقريزي ، أمتاع الاستماع بما لرسول من الأبناء والأموال أو الحفدة والنتاع ، ج ١ ، ص ٣١-٣٠ ، عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ١٩) ، كما أثنى النبي كندة في منازلهم ودعاهم إلى الإسلام وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه ، (ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٤٢٤ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٢١٦) . ومن المعروف أن العام التاسع للهجرة وهو عام الوفود الذي تابعت فيه وفود القبائل العربية في كل أنحاء الجزيرة تعلن اذعانها للإسلام ، ومنها وفد نجيب ، وطلحة وخولان ومدحج ، ولم يلبث الإسلام أن انتشر انتشاراً سريعاً في اليمن (انظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٨) .

٣٠- ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، احمد ابن ابى يعقوب

بن جعفر المعروف باليعقوب ، تاريخ يعقوب ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٨٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي ، ص ١٤٢ ، عصام عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٢ .

٣١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، طبعة ١٩٣٦ ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

ويذكر ابن هشام أن فروة بن مسيك قال عند توجيهه لرسول الله ﷺ مفارقة كندة بعض أبيات من الشعر منها :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت
أكالرجل خان الرجل عرق نساها
فرت احشى أوم حمدا
أرجو فواضلها أو حسن ثرائها

- ٣٢ — المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
- ٣٣ — نفسه ، ص ٢٣١ .
- ٣٤ — نفسه ، ص ٢٣٢ .
- ٣٥ — ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
- ٣٦ — المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
- ٣٧ — نفسه ، ص ٣٢٤ .
- ٣٨ — نفسه ، ص ٣٤٤ .
- ٣٩ — البلاذري (احمد بن يحيى بن جابر) كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٨١ . وعن الكتب والرسائل والمعهود (النوبة لأهل اليمن ارجع الى محمد بن علي الأكوخ ، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الاسلام الى سنة ٣٢٢ هـ ، الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، ص ٨٥ وما يلحقها) .
- ٤٠ — السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ الاسلامي السياسي ، ص ١٥٨ .
- ٤١ — المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
- ٤٢ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ .
- ٤٣ — محمد محمود ريتون ، اقليم البحيرة ، صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكنائس ، طبعة دار المعارف بمصر ، ص ٣٣٣ .
- ٤٤ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ ، المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
- ٤٥ — ابن عبد الحكم ، ص ٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٢ .
- ٤٦ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٤ .
- ٤٧ — محمد محمود ريتون ، اقليم البحيرة ، ص ١١٨ ، ١١٩ .
- ٤٨ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٨٥ .
- ٤٩ — المصدر السابق ، ص ٨١ ، ومعاهدة بن حجاج السكوني ، من السكون وهي بطن من بطون كنانة . وكان معاوية غالباً ما يذكر منسوبا الى نجيب وليس الى السكون ، وهذا من باب الخطأ الشائع ، وقد فيه ان ذلك

- ابن الأثير في ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .
وقد شكل الحديديون في مصر طبقة استقرارية طوال القرون الثلاثة الأولى
للهجرة (السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٠ ، عبد الله
خورشيد البري ، نقبائل العربية ، ص ١٤٣) .
- ٥٠٠- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .
- ٥١- المصدر السابق ، ص ٧٥ .
- ٥٢- عن الصدف ارجع الى ابن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ،
طبقة بيروت ، ص ٤ ، عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ،
ص ٢٠٢ وما يليها . وعن نسب شريك ابن سمى ، ارجع الى المرجع
السابق ، ص ١٧٦ .
- ٥٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٦ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ،
ص ٢٨٨ .
- ٥٤- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٧٦ ، المقرئزي ، الخطط ، ج
١ ، ص ٢٨٨ .
- ٥٥- ابن عبد الحكم ، ص ١٢٩-١٣٠ ، عبد الله خورشيد البري ، نقبائل ،
ص ١٣٨ .
- ٥٦- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- ٥٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٤ .
- ٥٨- راجع تفاصيل السبب في تسمية الرسول ﷺ له سرق في السيوطي ،
المصدر السابق ، ص ٩٧ .
- ٥٩- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .
- ٦٠- المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
- ٦١- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٧٨ .
- ٦٢- المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
- ٦٣- ابن دقماق ، الانتصار ، ص ٣ ، ٤ .
- ٦٤- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٤ .

- ٦٥- المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ويذكر السيوطي في حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٨ ، هذا الخبر عن لسان جزم بن اسماعيل المعافري وليس ضمام .
- ٦٦- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٨٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٨ .
- ٦٧- ابن عبد الحكم ، ص ٨٢ ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .
- ٦٨- السيوطي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٦٠ ، ٦١ .
- ٦٩- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٣٠ .
- ٧٠- المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- ٧١- نفسه ، ص ١٩٢ .
- ٧٢- نفسه ، ص ١٩٢ .
- ٧٣- التبريزي السكندري ، الأمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر أباد الذكن ، ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، وما يليها .
- ٧٤- عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٧٨ .
- ٧٥- المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
- ٧٦- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ٧٧- معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، ج ٣ ، ص ٤٥ .
- ٧٨- المصدر السابق ، ص ١٧٨ .
- ٧٩- المقرئزي ، البيان والأعراب ، ص ٢٧ .
- ٨٠- عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ، ص ١٥٨-١٥٩ .
- ٨١- المقرئزي ، البيان ، ص ١١ ، ١٢ .
- ٨٢- عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٥٦ .
- ٨٣- الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٩ .
- ٨٤- المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

- ٨٥- نفسه ، ص ١٦٠ - ١٦٤ .
- ٨٦- نفسه ، ص ١٩١ .
- ٨٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
- ٨٨- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- ٨٩- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٨٩ .
- ٩٠- المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
- ٩١- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٣٥ .
- ٩٢- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، وإن كان على بن ظافر الأزدى قد أورد في كتابه بدائع البدائع ، ص ١٧٥ ، أن ابن قلاقس السكندري هو أبو الفتح نصر الله ابن مخلوف المخمس السكندري ، وأنه توفي سنة ٥٦٧ هـ في العصر الفاطمي ، وقد وصف قصر بني خليف في رمل الاسكندرية . (وبنو خليف يرجعون بدورهم إلى أصول يمنية)
بأبيات منها :
- قصر بدرجة السيم تحدثت فيه الرياض برها المستور
خفض الخورتن والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
إلاث الغمام عمامة مسكية وأقام في أرض من الكافور
(أرجع إلى المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني) : نفع الطيب عن
غصن الأندلس الرطيب ، طبعة بحسب الدين عبد الحميد ، القاهرة ،
١٩٤٩ ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ ، وإلى : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ
الاسكندرية ، ص ٢١٥) .
- ٩٣- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
- ٩٤- المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
- ٩٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ٩٦- المقرئ : البيان والإعراب ، ص ٩٩ ، المقرئ : اتعاط الخنفا بأخبار
الأئمة الفاطميين خلفا ، نشر وتحقيق د . جمال الدين الشيال ، طبعة
دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ ، ص ٢٧٩ ، وانظر تحقيق د . محمد المجيد
عابدين لكتاب البيان والإعراب ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
- ٩٧- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

- ١٣٥- الكندي ، الولاية والقضاة ، ص ٩٦ .
 ١٣٦- البيهقي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٨ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ
 الاسكندرية ، ص ٩٥ .
 ١٣٧- البيهقي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
 ١٣٨- انصهر السابق ، ص ١٦٦ .
 ١٣٩- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٣ .
 ١٤٠- البيهقي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
 ١٤١- محمد محمود زيتون ، إقليم البحيرة ، ص ٤٧٩ .
 ١٤٢- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٢٦ ، ١٤٢ .

وتشير بعض المراجع الى وجود خلاف في الرأي حول أصل بنى
 مدلج . فالدكتور عبد الله خورشيد البري يعد بنى مدلج بقرورعهم بنى
 معاذ وبنى عثارة والمنجم من عثارة ، من كنانة العدنانية ، بناء على نص
 القلقشندي في « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » بينما يرى البعض
 مثل د. عبد اعيد عابدين أن بنى مدلج من لحم بناء على ما أورده
 المقرئزي في البيان والاعراب ، ص ٥٩ (ارجع الى د. عبد المجيد
 عابدين ، تحقيق البيان والاعراب ، ص ١٠٥) .

وهذا يذكرنا بالخلاف الذي دار بين المؤرخين حول نسب اقضاة ،
 وهل كانت من حمير أم من معد بن عدنان (ارجع الى عبد المجيد
 عابدين ، ص ٨٥) .

وعلى أى الأحوال ، فقد استقر بنو مدلج في الاسكندرية ، وفي خربتا
 بأعداد كبيرة (ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢) . وعلى هذا
 النحو يكون لهم (وذخا من حمير) دور كبير في أحداث فترة عثمان بن
 عفان ، فقد كانت خربتا من شيعة عثمان ، وقد عمل قيس بن سعد بن
 عبادة على امتصاص غضبهم ، فأجرى عليهم اعطياتهم وأررزقهم أثناء
 ولايته على مصر سنة ٢٧ هـ (الكندي ، الولاية والقضاة ، ص ٢١) .

كما ظهر دورهم سنة ٢١ هـ في الاسكندرية عندما تصدوا
 للأندلسيين ، وفي ذلك يقول الكندي : « ثم حاربت بنو مدلج أهل

- ١١٥ - نفسه ، ص ١٧٠ - ١٨٠ .
- ١١٦ - عبد الله خورشيد ، قبائل العربية ، ص ١٤٥ .
- ١١٧ - ابن نفرى برقى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
- ١١٨ - الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٦٤ .
- ١١٩ - المصدر السابق ، ص ٨١ .
- ١٢٠ - لمزيد من التفاصيل عن المعاصر ومبوطها ، وهل كانت من العلويين أم من الخوارج ، أنظر عبد الله خورشيد البرى ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
- ١٢١ - الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ١٥٨ .
- ١٢٢ - السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢١ .
- ١٢٣ - المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، وقد سبق أن تحدثنا عنه .
- ١٢٤ - نفسه ، ص ١٢٧ .
- ١٢٥ - نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
- ١٢٦ - الكندى ، الولاة والقضاة ، ص ٣٦ .
- ١٢٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص ٢١٥ ، ولمزيد من التفاصيل انظر :
- El Sayed Abdel Aziz Salem, d'Alexandrie a Almeria, Les Banu Khulaif- une famille Alexandrine au Moyen âge, "Revue de l'occident musulman et de la Mediterranée, no 46, sur Alexandrie entre deux mondes" Aix-en-Provence 1987.
- ١٢٨ - عبد الله البرى ، القبائل العربية ، ص ١٦٦ ، عن كتاب الأنساب للسمعان ، ص ٤٥ .
- ١٢٩ - المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، عن المصدر السابق .
- ١٣٠ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ١٣١ - السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- ١٣٢ - المقرئى ، المختلط ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .
- ١٣٣ - السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- ١٣٤ - معجم البلدان ، ص ٤٥ ، ج ٣ ، طبعة ١٩٥٧ ، عبد الله خورشيد البرى ، ص ١٧٤ .

- ٩٨- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
- ٩٩- تاج الدين نسكي : طبقات لشعبه نكدي ، مصر ١٣٢٤ هـ ، ج ٥ ، ص ١٧٣ ، السيوطي ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- ١٠٠- مصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- ١٠١- يزيد من تفاصيل عن بن عطاء ابنه سكندري وأسرته وأساتذته وتصوفه يرجع إلى (أبو يوسف شفتازي ، ابن عطاء ابنه سكندري وتصوفه ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩-٥٠) .
- ١٠٢- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
- ١٠٣- عبد الله حورشيد ليزي ، القبائل العربية ، ص ١٨١ ، ويذكر الأستاذ محمد محمود ريتون أن الفقيه سيدي محمد أبو الريش برشيبة يرجع بأصوله إلى الأمير غام بن عياض الأشعري طبقاً لما ورد في مدونة هذا الأمير ، وأن الأمير عاتم هذا صحابي جليل ، أمه هي أسماء بنت سفانة بنت حاتم الطائي ونحاله عادي بن حاتم ، قدم مع عمرو ابن العاص ، وقد أمره عمرو على كثير من البلاد مثل اليمن ومصر ودهشور والجزيرة (محمد محمود ريتون ، أفئدة البحيرة ، ص ٤٧٨) .
- ١٠٤- المقرئزي ، البيان والأعراب ، ص ٧ .
- ١٠٥- المصدر السابق ، ص ٨ .
- ١٠٦- عبد المجيد عابدين ، تحقيق البيان والأعراب للمقرئزي ، ص ١١٧ .
- ١٠٧- المقرئزي ، البيان ، ص ١٠ .
- ١٠٨- عبد الله حورشيد ليزي ، القبائل ، ص ١٢٢-١٥٠ .
- ١٠٩- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٧ .
- ١١٠- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٠ .
- ١١١- الكندي ، الولاد والقضاة ، ص ٥٨ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
- ١١٢- الكندي ، الولاد ، ص ٣٢٦ .
- ١١٣- المصدر السابق ، ص ١٥٣ .
- ١١٤- نفسه ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

الأندلس فصر بهم الأندلسيون ، فقوهو عن نيلان ، ولم يقدر أحد من
بنى مدخ أن يرجع إلى أرض الإسكندرية ، إلا بطلبه من السرى بن الحكم
بن أهل الأندلس حتى أدبوهم فرجعوا " (لكندى ، ص ١٦٤) .

وفي عام ٢٥٢ هـ خرج منهم جابر بن الوليد المدلجى من بنى الهجيرة
بن عتورة بن عمرو بن مدخ ، بأرض الإسكندرية ، واجتمع إليه كثير
من بنى مدخ نصيبية والموتى ، فبلغ ذلك ولى الإسكندرية محمد بن عبيد
الله بن يزيد بن مزيد ، فبعث إليه برجل من أصحابه يقال له نصر
الطحاوى وعقد له على ثلاثمائة رجل فنزل الكربون ، والتقى بجابر وأصحابه
فراصا (كفر الزيات) ، ولكن جابر هزمه ، فرجع نصر إلى جنوبيه
بالحيرة ، واتاه جابر المدلجى بها وهزمه للمرة الثانية ، وتكررت انتصارات
جابر المدلجى على جيش نصر ، رغم الأمدادات التى كانت تصل إليه ،
واستفحل أمره وعظم شأنه ، وانضم إليه كثير من الثوار . وفى سنة ثورة
جابر المدلجى إلا بعد عامين من قيامها فى ولاية مزاحم بن خاقان ، وسجن
جابر ثم بُعث به إلى العراق ، سنة ٢٥٤ هـ .

(لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة ، ارجع للكندى ،
ص ٢٠٥-٢١٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ،
ص ١٤٥-١٥٢) .

وفي سنة ٢٥٥ هـ خرج ابن عم جابر بن الوليد المدلجى على أحمد بن
طولون ، وانضم إليه أحمد بن عبد الله بن طباطبا العلوى ، وأعلنوا الثورة
فيما بين الإسكندرية وبرقة فى موضع يقال له الكنائس ولكن ابن طولون
تمكن من القضاء على هذه الثورة (الكندى ، الولاية والقضاء ،
ص ٢١٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص ١٥٢) .

١٤٣- ابن عبد الحكم ، ص ٢٤١ ، السيوطى ، حسن الشاضرة ، ج ٢ ،
ص ٩٨ .

١٤٤- ابن عبد الحكم ، ص ٢٤٢ ، السيوطى ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

١٤٥- السيوطى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

١٤٦- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

- ١٤٧— نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
 ١٤٨— نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٤ .
 ١٤٩— عبد الله خورشيد اليزي ، القبانل ، ص ٢٠٩ .
- ١٥٠— السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
 ١٥١— المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
 ١٥٢— الكندي ، الولاء ، ص ١٥٨ .

الأبنية الصحراوية في بادية الشام دراسة في نظرية الوظيفة

دكتور

محمود إبراهيم حسين

كلية الآثار

جامعة القاهرة

نعتبر الأبنية الأموية التي اكتشفت في دابية الشام ، من أكثر الآثار الإسلامية التي أثار نقاش كبير وجيد بين علماء الآثار الإسلامية ، ولقد اكتشفت هذه الأبنية في المنطقة الصحراوية التي تمتد جغرافياً من عبر الفرات في الشمال حتى البحر الأحمر في الجنوب^(٢) ، ولقد لفت النظر إلى هذه المنطقة في بداية الأمر ، مجموعة من الرحالة الأوربيين في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وقد قام هؤلاء الرحالة بوصف هذه الأبنية الأثرية وكان هذا الوصف ضمن تقرير الرحلات التي قاموا بها ، ومن الملاحظ أن الوصف كان يعالج الشكل الخارجي لهذه الأبنية ، بالإضافة إلى وصف الزخارف الخارجية والداخلية ، ولم تنطرق هذه الأبحاث إلى دراسة الهدف من وجود هذه الأبنية والغرض من إنشائها^(٣) .

ومن أقدم أصحاب هذه الاكتشافات الباحث الرحالة الذي تخصص في الدراسات العربية المتعلقة بالقبائل الصحراوية Alois Musil ، وقد عثر موزل أثناء رحلته العلمية في بداية القرن التاسع عشر إلى الشرق من عمان على بناء من هذه الأبنية الصحراوية ، وكان هذا البناء مزخرفاً بالألوان المائية ، وكتب موزل عمل ضخيم تحت عنوان « قصر عمرا »^(٤) وقد أرخ موزل هذا البناء بالعصر الأموي^(٥) ، وقد تلى هذا العمل مجموعة من الأبحاث والكتب التي أشارت إلى ظاهرة هذه الأبنية الصحراوية ، وأجمعوا جميعاً على نسبة عدد كبير منها إلى العصر الأموي . وعلى الرغم من اتفاق هؤلاء العلماء على تأريخ هذه الظاهرة المعمارية بالعصر الأموي إلا أنهم اختلفوا حول وظيفة هذه القصور وتفسير وجودها في الصحراء ، ففى الأبحاث الأولى وحتى الثلاثينات من هذا القرن كان الحديث يدور حول إستراحات أموية صحراوية مخصصة للتمتع واللهاج ، وأشار هؤلاء إلى أن الخلفاء الأمويين بدأوا من عرب الجزيرة العربية المناطق المنشرة حول مكة والمدينة ، ومع أنهم يستمتعون بما في عاصمتهم دمشق من طرف ومباهج — إلا أنهم يحنون إلى قضاء فترات متقطعة في الصحراء التي نشأوا في ربوعها ، لكنهم بعد أن اعتادوا على الإقامة في منازل بدلاً من بيوت الشعر فأنهم عملوا على إنشاء هذه العمائر في أماكن مختلفة من صحراء الأردن وفي صحراء سوريا ، وفي هذه العمائر كان الواحد منهم يقضي بضعة أسابيع كل سنة ، مستمتعاً بما في البادية من وسائل اللهاج كالصيد

وانقضى ومباريات لفرسية ، كما أنهم كانوا يستمتعون بما توفره الحمامات من مسرات ، وبما يعاصب ذلك من متعة الغناء والرقص التي كانت شائعة في تلك الأيام (٦) .

وبعد هذه المرحلة بدأ ظهور مجموعة من العلماء حاولت إيجاد مبررات اقتصادية لوجود هذه الأبنية الصحراوية . فقد ذكر هؤلاء أن الأبنية كانت مقار للمشرفين على الأراضي الزراعية المملوكة للحكام من بني أمية (٧) .

وأستشهد هؤلاء أيضاً بأن بعض خلفاء بني أمية وعلى رأسهم هشام بن عبد الملك كانوا يهتمون بحفر قنوات المياه وملحها في الصحراء لرى الأراضي الزراعية (٨) .

وقد أجمع علماء الآثار على نسبة هذه الأبنية الصحراوية بصفة عامة إلى النصف الثاني من العصر الأموي أو إلى الفترة المرثوية ، ولحق أن هناك غموض حول هذه النقطة ، نحاول ايضاحه أيضاً في هذا البحث ، ذلك أن الدولة الأموية قامت نتيجة لحماس القائمين عليها وفي مراحل تأسيس الدول لا بهم الرعيل الأول بمسائل النهو أو المتع المختلفة بقدر اهتمامه بتأمين الدولة . فتأمين الدولة الوليدة أهم من نظر هؤلاء من النهو أو حتى انشروع الاقتصادية التي تشمل في اضافة مساحات زراعية جديدة لرقعة الأراضي الزراعية في الدولة .

وأما الفترة الثانية من عمر الدولة والمعروفة باسم المرثوية ، أي ما بعد ٧٥٠ م والتي ذكر المؤرخون أن الأمويين فقدوا حماسهم السياسي الذي صحب انشاء الدولة واختفاء حيل المؤسسين ، وظهر طائفة من الخلفاء الأمويين تميزت بعدم الاكترات والاتجاه إلى حياة النهو والمتع وهو الأمر الذي أدى إلى نهاية وإسجار الدولة في نظر أصحاب هذا الرأي (٩) .

والرد على هذا الرأي يتطلب دراسة لفترة الثانية عمر الدولة الأموية ، دراسة تحليلية للظواهر السياسية والتاريخية التي صاحبت هذه الدولة ، والواقع أن النصف الثاني من عمر الدولة قد شهد حماس شدد من قبل القائمين عنها للتعناء حتى الفتن الداخليه والثورات التي ظهرت بسببها في أهل أنحاء الدولة ،

مع استمرار السعي إلى إرسال الجيوش لنفج وسر دين الله . ففى عهد الوليد تم فتح بلاد ما وراء النهر ، كما ظهر فى عصره ثلاثة من أعظم قواد الجيوش وهم : قتيبة بن مسلم الباهلى ، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى ، وموسى بن نصير . كما أعقب فتح بلاد ما وراء النهر محاوله فتح بلاد الصين وبلاد الهند وبلاد الأندلس ، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الخلفاء فى المرحلة الثانية الذين ذكر عنهم الميل إلى المهور والقصف والمنع لم يستمر حكمهم طويلاً ، فعلى سبيل المثال كان أشهر هؤلاء يزيد بن عبد الملك الذى حكم من ٧٢٠ إلى ٧٢٤ م وقد جاء حكمه بعد عمر بن عبد العزيز ، وقيل أن يزيد هذا كان له جاريتين هما سلامه والثانية خبابه (بضم الخاء) ويقال أن خبابه أعتلت وماتت فظل يزيد إلى جوارها أياماً لا يدفنها حزنأً عليها فنصحته من حوله بدفنها لأنه الخليفة وعليه أن يتصرف وفقاً لمنصبه ، فدفنها ويقان وأنه قد حزن عليها حزنأً شديداً حتى مات بعدها بأيام . أما الشخصية الثانية التى أشتهرت بالنهوى والخلاعة والمجون ، كانت شخصية الوليد بن يزيد بن عبد الملك والذى تولى الخلافة سنة وشهرين قتل بعدها بقرية من قرى دمشق على يد يزيد بن الوليد .

والملاحظ أن يزيد بن عبد الملك تولى بعد عمر بن عبد العزيز ، وأن الوليد تولى بعد هشام بن عبد الملك ، ومن هنا فإن المؤرخين أشاعوا عن يزيد والوليد ما أشاعوه بعد أن قارنوا بين عصورهم وعصور عمر بن عبد العزيز بما اشتهر عنه من عدل وسلام ، كما أشتهر هشام برجاحة العقل والعفة والتدبير وحسن السياسة . ومن هنا يمكن القول أن عصور اليزيد والوليد لم تكن بنفس روح عصور عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك .

أما فترة آخر خلفاء بنى أمية وهو مروان بن محمد فقد كانت فترة كفاح وجهاد من أجل القضاء على الفتن والثورات الداخلية ، فقد كان مروان هذا وإلى على الجزيرة وأرمينية ثم سار جنوده يزيد الشام بعد أن دب الاضطراب فى ربوع الخلافة على أثر وفاة يزيد بن الوليد . وتولى أخيه ابراهيم ، واستطاع مروان بن محمد الذى انصف بالشجاعة والحكمة الجزية أن يدخل الشام وأن يتغلب على ابراهيم بن الوليد ، ويبيع مروان بالخلافة ، ولم يلبث أن خرج عليه أهل حمص بزعامه ثابت بن نعيم . وكانت أهل تدمر برئاسة الاصمغ بن ذؤالة

انكسب غير أن مروان استطاع التغلب عليهم وهزمهم شر هزيمة ، كما ناز عليه أيضا يزيد بن خالد القسري وانصمت إليه الجيوش تخليه لكن مروان تمكن من هزيمته وقتله وبالتالي خفصت دمشق ولم يثبت أن خرج عليه أهل فلسطين ، ولكنه أرسل إليهم الجيوش وقضى عليهم وكانت هذه حياة مروان بن محمد آخر خلفائهم وهي كما رأينا حياة كنها معارك وقتن راد منها تركز القبائل تخبة في بلاد الشام الأمر الذي جعل مروان يتخذ بلاد الخزيرة عاصمة له ومقر للحكم بدلاً منها ، ولم يكن الحان في بلاد العراق بأحسن حالاً فقد كانت ميداناً لقتن الحوارج الذين استرلت مجموعة منهم على بلاد الحجاز وأيمن بقيادة المختار ابن ابي عبيدة ، وانشغل آخر خلفاء بني أمية بما يجري في البلاد من القتن حتى لقب بالحمار لأنه كان لا يحف له ليد في محاربة الخارجين عليه ، فكان يصل السير بالسير ويصير على مكائد الحرب^(١١١) .

ومن العرض السابق يتضح لنا أن المرحلة الثانية من عمر الدولة الأموية كانت مرحلة كفاح وانشغال كامل للمحافظة على الدولة وليس مرحلة فقدان الحماس كما ذكر بعض العلماء^(١١٢) .

ورعنا لفتت هذه الظاهرة نظر العالم الألماني E. Guiche ، فقرر البحث عن تفسيرات جديدة لوظيفة هذه القصور الصحراوية وحاول جاوبه الاعتقاد على تاريخ المنطقة كوسيلة لتوصول إلى اجابة عن سؤاله : لماذا وجدت هذه القصور ؟ وما هي وظيفتها ؟ إلا أن الملاحظ على نظرية جاوبه المبالغة الشديدة في الربط بين العلاقات البيزنطية والقبائل العربية على حدودها وخاصة الضامنة^(١١٣) . وحاول أن يجعل من تلك العلاقة نموذج للعلاقة بين الدولة الأموية وحلفائها من القبائل العربية ، وسى أن الدولة الأموية دولة عربية حما ودعماً . ومن هنا كان أمر طبيعي أن تحصر هذه الدولة وظائفها العليا في يد العرب ، وذلك لأن العرب في تلك الفترة كانوا يمثلون حق الدعامة الأساسية للدولة سواء من الناحية العسكرية أو الادارية . فالأمر هنا لا يتعلق بتقيد نظام الحكم البيزنطي ، بقدر ما يتعلق باستراتيجية الدولة نفسها ورؤيتها للأمر ، حقيقة أعمد أعداء الدولة الأموية على سخط اللعن على حكم الأمويين نتيجة لسياستهم في تقريب العرب وتفصيلهم إلا انما لا تعقد أن الأمر . كانت سوف

تستمر على نفس المنوال إذا ما طال العمر بالدولة الأموية . تلك بعض الأمور التي قامت على نظرية جازوه أخذها بعين الاعتبار ، (شكل (١)) .

وبعد أن عرضنا مجموعة النظريات التي قبلت في تفسير ظاهرة القصور الصحراوية يجب وقبل الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات :

(١) أن القول بأن هذه الأبنية الصحراوية ترجع إلى الفترة الأموية هو أمر أكدته طبيعة هذه المباني وطرازها المصري ، ولذا فإن صعوبة إدراج هذه الأبنية لفترات ما قبل الإسلام من قبل بعض العلماء الغربيين هو في الواقع بعيد عن الحقيقة لأن التماثل في طراز هذه الأبنية وبعض الأثاث من عصور ما قبل الإسلام ، مما يورثه طبيعة الطراز المصري السائد والذي استمر فترة طويلة دون تغير بالأضافة إلى عمل البيعة والمادة الخام وهي عوامل لا تتغير بتغير نظام الحكم أو شخصية الحاكمين .

(٢) أن منطقة بادية الشام كانت تمثل منطقة تجمع للقبائل العربية التي قامت بالفتوحات وكانت المنطقة ملائمة جداً لهذه الوظيفة نظراً لأن أكثر المناطق طرباً من العاصمة المركزية للدولة (دمشق) وكذلك كانت أنسب هذه المناطق لطبيعة هذه القبائل وربما من البيئة الأصلية لها في قلب الجزيرة العربية ، ذلك لأن التسميات الجغرافية لبلاد الشام تؤكد عدم وجود بديل لهذه المنطقة ، ذلك أن مناطق شاطئ البحر كانت عبارة عن موانئ وكانت أيضاً مناطق استقرار للسكان الأصليين لبلاد الشام ، وكان مناخها لا يناسب تواجد القبائل العربية الوافدة من عمق الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى أن مساحة الشاطئ كانت ضيقة ولا تسمح بتواجد كثيف لهذه القبائل ، وإلى الشرق من الشريط الساحلي والمدن الساحلية نجد مناطق مرتفعة جبلية وهي مناطق تزرع اهتماماً على الأمطار ، بالإضافة إلى عدم إقبال العرب على حرفة الزراعة في تلك الفترات المبكرة ، كانت أيضاً المناطق الجبلية غير مناسبة لتواجد كثيف ومنظم للجيوش العربية ، وبلى هذه المساحة الجغرافية سهول ضيقة صالح للزراعة ، يوجد به أربعة مدن رئيسية كبيرة هي حلب وحماه وحمص

ودمشق بالإضافة إلى عدد كبير من القرى والمدن الصغيرة ، والملاحظ أن هذا السهل الضيق بمدنه وقراه كان يعوى كثافة سكانية عالية ، لا نتج تواجد هذه القبائل الحجازية ، كما أن الطبيعة الرخوة للأراضي الزراعية لا تناسب تحركات هذه القبائل مع الدواب المضاحجة ، كما أن تواجد هذه القبائل العربية في المنطقة سوف يعوق عملياً زراعة هذه الأرض التي كانت تمثل محوراً رئيسياً للمحجوب للعاصمة المركزية للدولة .

وهكذا يبقى في اتجاه الشرق منطقة الصحراء المتاخمة للمنطقة الزراعية ، وهي أقرب منطقة صالحة للاقامة بالنسبة لهذه القبائل العربية فهي قريبة من مناطق زراعية ، أي أنها مناطق صالحة للرعى ه بادية « وبدلك يتوفر قدر من الحشائش والأعشاب تعيش عليها الدواب المضاحجة لهذه القبائل ، وكلما ازداد عدد هذه القبائل ، وجدت لها أماكن في الامتداد الصحراوي للبادية ، وذلك لكون مناطق الصحراء مفتوحة ، وشاسعة وبالتالي كانت تعتبر حدود مفتوحة ومتحركة في مقابل الحدود الشابه التي تمثل في البحر الأبيض المتوسط وسلاسل الجبال التالية له . (شكل (٢)) .

وعما سبق يتضح أن تواجد القبائل العربية في بادية الشام هو ضرورة جغرافية هامة كما أن نزوح هذه القبائل من قلب الجزيرة العربية نحو الشمال هو ضرورة اقتصادية استراتيجية فرضتها سياسة الفتوحات العربية . كما أن دخول القبائل العربية إلى المدن أو السواحل كان سوف يحدث خلل في البناء السكاني داخل هذه البلاد بزيادة أعداد البدو كان سوف يخل بالتوازن السكاني للفلاحين وسكان المدن الساحلية ، وقد يتسبب هذا في مشاكل واضطرابات داخلية كانت الدولة تخرص على تجنبها في مراحلها الأولى . ولكن لم يمنع هذا من دخول أعداد قليلة من القبائل العربية إلى مناطق الجبال السورية والمرتفعات اللبنانية وكان هذا التواجد بغرض الاستيطان .

(٣) أن الفترة الزمنية التي تواجدت فيها القبائل العربية في بادية الشام كانت طويلة نسبياً وبالتالي فقد سعى حكام بني أمية إلى إيجاد مصادر دائمة

بناءه الشرب للسان والدواب ومن هنا فمن المحتمل إعادة حفر آبار رومانية قديمة كانت موجودة بالمنطقة ذلك أن الرومان أدركوا أهمية المنطقة خاصة في مواجهة أطماع الدولة الساسانية مما أوجب إنشاء شبكة من الطرق لتحرك الجيوش في قلب الصحراء بالإضافة إلى حفر الآبار اللازمة على هذه الطرق وكانت هذه الآبار مجاورة لحصون صغيرة انحصرت وظائفها في الأنداز المبكر في حالة وجود خطر على الدولة . وقد أعادت القبائل العربية المحاربة استخدام هذه الطرق وتركزت حول مناطق الآبار التي اعتنى بها من جديد حكام بني أمية .

(٤) ان اقامة القبائل العربية في بادية الشام ترتب عليه قيام نوعاً من التبادل التجاري بين المناطق الزراعية وبين مناطق تواجد هذه القبائل البدوية ، ويبدو أن هذه القبائل قد احتاجت إلى الحبوب واستطاعت أن تمد المناطق الزراعية بمنتجات الألبان والأغنام والدواب ، ومن هنا بنيت مخازن لهذه الحبوب في المناطق الصحراوية ، كانت تُخزن بها الحبوب لاستخراجها لمدة طويلة ، يدل على ذلك وجود اطلال لمخازن الحبوب في بعض هذه الأبنية الصحراوية .

(٥) كانت القبائل العربية الوافدة تعتبر قوات مركزية يستطيع الخليفة توجيهها إلى مناطق الاضطرابات في داخل الدولة ومناطق الفترحات على حدود الدولة ومن ثم كان من المهم ابقاء أهل القبائل في حالة استعداد دائم للحرب عن طريق قيامها بالتدريبات العسكرية اللازمة لها ولدوابها ، وكانت مناطق بادية الشام باتساعها وترامى أطرافها من أنسب المناطق لهذه التدريبات ، ولا بد وأن الخليفة كان يحضر بعضاً من هذه التدريبات العسكرية للاطمئنان على جيوشه ودرجة استعدادهم ومن ثم كان يحتاج في اقامته إلى مكان يسريح به يبتغى فيه بقواد الجيوش ويناقش معهم الخطط العسكرية ، ومن هنا فإن وجود بقايا التحصينات الرومانية ربما يكون قد أوصى لبعض من هؤلاء الخلفاء بناء أماكن وأبنية صحراوية مزودة بمصادر المياه وبوسائل المعيشة الأخرى كمخازن الحبوب أو الحمامات وكذلك المساجد .

(٦) كان الصراع بين القبائل العربية المعروف بأسم صراع القيسية واليمية سبباً في إزدياد تواجد هذه القبائل في بادية الشام ، وكان ميل أحد حكام بني أمية إلى قيسية من الأثنين سبباً في إزدياد تواجدها حتى يقوم باستخدام قواها وقت الحاجة إليها .

(٧) ان عدم رضاء بعض الأطراف في قلب الجزيرة العربية وعمل وجه التعميد في منطقة الحجاز ، عن الحكم الأموي جعل من تواجد القبائل العربية الموالية للأمويين في منطقة استراتيجية لا غنى عنها ، للفصل بين مناطق الاضطرابات وبين عاصمة الدولة ومركزها الرئيسي .

(٨) يبدو أن تواجد القبائل العربية بشكل كثيف في بادية الشام لوجود الحاجة إلى بعض السكان المحليين وخاصة من الصناع والحرفيين ، ولذا فمن للملاحظ أن معظم النقوش التي عثر عليها كانت مكتوبة باليونانية بالاضافة إلى العربية وكذلك بالكتابات السورية المحلية وخاصة الآرامية التي كانت تعتبر من أبرز اللغات المستعملة في هذه المناطق والتي يبدو أنها كانت مفهومه من العرب والسرمان ، كما أن السوريين كانوا بصفة عامة موضع ثقة من قبل حكام بني أمية ، نظراً لأنهم كانوا القوة الأولى التي اعتمد الأمويون عليها في تأسيس دولتهم ومن هنا كان التدخل الحضاري بين مجموعات السكان المحليين وبين القبائل البدوية الموجودة . في أماكنها منذ فترات ما قبل الاسلام والتي كانت تمتد جغرافياً من الفرات حتى البحر الأحمر - أمر منطقي وقابل للتصديق ، وبالتالي من الممكن أن يترك السكان المحليين أثر على نمط الحياة البدوية ويضيفوا إليها بعض الأنماط البسيطة من العماره .

التصميم المعماري للأبنية الصحراوية في العصر الأموي

عثر في منطقة بادية الشام على العديد من النقوش التي تتعلق بأبنية صحراوية خاصة بزعماء القبائل العربية التي كانت تعيش في هذه المنطقة ، ويبدو أن هذه القبائل كانت ترتبط فيما بينها بروابط متنوعة ، وكان لزعماء هذه القبائل مقار ، يتواجدون فيها يتباحثوا في الأمور الهامة ، ويبدو أن هذه المباني كانت تشبه إلى حد كبير قصور حكام المقاطعات الأوربية^(١٣) ، في القرون الوسطى . ففي الرصافة على سبيل المثال عثر على مبنى له مسقط مربع في أطراف المبنى وفي داخل الشرفية يوجد نص كتابي يقرأ : الحياة الطويلة للمندر^(١٤) . وكان يعتقد أن المبنى عبارة عن كنيسة إلا أن وجود اسم المندر وهو حاكم غاني بالإضافة إلى منطوق النص لا يناسب مطلقاً وظيفة المبنى ككنيسة .

وربما كان هذا المبنى قصراً صحراوياً للمندر ، خاصة وأن سوفاجيه أثبت أن المستط الأفقي لهذا المبنى يتشابه مع مباني رومانية سورية تستخدم كقاعات استقبال ، ويبدو أن المنطقة التي تشبه الشرفية كانت تخصص لجلوس الزوار^(١٥) ، وقد ذكر T. Nöldeke ، أن المندر قد استقبل مبعوث القيصر جيتيان سنة ١٥٧٥ في الرصافة^(١٦) ، ويبدو هذا المبنى من الخارج كالقلعة ، وأما غرفة فكنيتها تقع حول الصحن الداخلي .

ويتشابه هذا المبنى مع مبنى آخر يقع في قلب الصحراء محاط بسور ، ويبدو أن تاريخ بنائه يعود إلى القرن السادس الميلادي^(١٧) ، والمبنى عبارة عن مساحة مربعة ٦٠ × ٦٠ م وتوسطه بوابه في المنتصف ويتوسط هذا المبنى صحن مربع ، تطل عليه غرف المبنى ، والملاحظ أن تصميم هذا المبنى يتشابه مع الخيمات البدوية التي تحولت إلى مباني حجرية ، حيث كانت هذه القبائل تترك مكاناً فسيحاً في المنتصف للاحتفالات ، ويذكرنا هذا بنوعيه المباني التي قام السلاجقة ببنائها بعد أن أصبح لهم مدناً ، فقد كانت هذه المباني السلجوقية صورة من خيمات البدو السلاجقة قبل دخولهم إلى حياة المدن^(١٨) .

وإذا تركنا مجموعة الأبنية الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام ، إلى الأبنية التي وصلتنا من فترة الأموية . من أهم هذه الأبنية بناء ذو حجج صغير عبارة عن مجموعة سكنية حصينة متصلة بغرف استقبال كلها تدور حول صحن يتوسط المبنى ونسب هذا المبنى إلى الوليد الأول ، وتوليد هذا كانت أمه قيسية^(٢٠) ، وهذا فإن المبان التي قام بينها توليد تركرت في المناطق التي سكنها القبائل القيسية^(٢١)

والمبنى الثاني الذي ينسب إلى العصر الأموي هو قصر عمراً ، وهو يتألف من تصميم بسيط عبارة عن حمام وقاعة استقبال وبه بئر وخزان للمياه ، والملفت للنظر في تصميم هذا المبنى هو مجموعات الرسوم المائية وخاصة الصور التي تمثل ملوك الأرض ، والملاحظ في تصميم المبنى تشابه مع المبان السابقة وخاصة قاعات الاستقبال الخاصة بالمنزل في الرصافة على مسافة غير بعيدة من قصر عمراً يقع قصر الخزانة^(٢٢) ، وهي تمثل من حيث التصميم طرازاً ثانياً يتألف من مجموعة من الدور السكنية يؤلف كل خمس غرف منها مجموعة واحدة كما يلاحظ أن المبنى هنا يتألف من طابقين وليس طابق واحد كما هو الحال بالنسبة لقصر عمراً^(٢٣) . لوحة ٩ شكل (١٠)

ويتشابه المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ من ناحية لتصميم قصر عمراً . فهو يتألف من قسمين هما قاعة الاستقبال والحمام ، وقد قام علماء الآثار اعتماداً على هذا التشابه بتأريخ المبنى بين ٧٢٥ — ٧٣٠ م^(٢٤) . لوحة ٧ ، ٨ شكل (٧)

أما المبنى الموجود فوق جبل « سيس » فإنه يقع إلى جوار مجموعة من الأبنية التي ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام . وتصميم المبنى عبارة عن صحن تحيط به مجموعة من الغرف المنفردة ، ويلاحظ في تصميمه تكرار ظاهرة التناثر لتأخذ عن المساحة الخالية الموجودة في وسط شيمات نديم ، والمبنى هنا يتألف من طابقين^(٢٥) (شكل (٨)) .

أما فيما يتعلق بالمبنى المعروف بأسم قصر المشني ، فيجد أن تصميمه سطلي ومساحته من الداخل نحو ١٥٤ متراً مربعاً ، وجوانبه الخارجية

تكتنفها أبراج نصف دائرية ، ويتوسط المدخل واجهه المبنى الجنوبية^(٢٥) ،
ويبدو أن المبنى لم يكتمل بنائه ، ويلاحظ أن المبنى من الخارج يحوى زخارف
بيزنطيه وهلينيه وساسانيه كلها محفوره على الحجر الجيري^(٢٦) . (لوحة ٤
شكل (٥)) ويتشابه مع البناء السابق مبنى آخر يقع على بعد نحو ٦٠ كم
جنوب شرق قصر المشتى ويعرف بأسم قصر الطوبه . وتصميم المبنى مستطيل
طوله ١٤٠ متراً ، وعرضه ٧٣ متراً ، وفي كل زاوية من زواياه الأربع برج
مستدير وهناك سبعة أبراج في الجدار الجنوبي وبصفة عامة فإنه شديد الشبه
بقصر المشتى ولا سيما من حيث البروج وسقوف الأبنية ومواد البناء والتقسيم
والزخارف^(٢٧) .

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن معظم المباني التي عثر عليها كانت تقع على حافة الصحراء أى في
منطقة البادية وفي اتجاه الجنوب أى نحو عمق الجزيرة العربية . أنظر
خريطة (٣) .

(٢) تعد أسماء هذه القصور من العناصر التي لم يهتم بها من كتبوا حول
موضوع القصور الأموية وهي كلها أسماء ليست لها علاقة بأصحاب
الأبنية بقدر ما لعبت الصدفة عاملاً كبيراً في شيوعها .

فعل سبيل المثال نجد أن تشييد قصر الطوبه من الطوب جعل السكان
يعرفونه بهذا الاسم ، وأن قصر عمرا سمي بإسم الشخص العربي الذي
لفت نظر موزن إلى وجود البناء ، وكلمة قصر تعنى البناء ذو الطابق
الواحد ، وقصر المشتى هكذا نظراً لأن الرعاة في هذه المناطق كانوا
ينزحون مواشهم وأغنامهم ترعى في منطقة هذا القصر في فصل الشتاء
لأن موسم الأمطار يتخلف عنه في منطقة القصر أعشاب وحشائش
نسمح بالرعى .

أما المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ فهي منطقة غير مأهولة
بالسكان يتردد فيها الصوت بقوة مما جعل السكان يسمون المبنى بأسم
حمام الصراخ ، أما قصرى الحجر ، فسعى هكذا نظراً لأن المناطق المحيطة

بهما بها أعداد كبيرة من الحيوانات ومن هنا أطلق أهالي المنطقة اسم
الحير ، أي مكان تجمع الحيوانات وأما قصر الحرة فسمى هكذا أيضاً
من قبل سكان المنطقة نظراً لشده حرارة حو بانقرت من هـ القصر ،
أما خربة المنية وخربة المنجر فكلمة خربة كناية عن المكان المنى الصغير
قد نسب أهالي المنطقة المكان إلى أقرب قرية منه . (لوحات ٥ ، ٦) .

أما قصر الحلابات ، فظننا لوجود مرعى كثيرة في المنطقة توفرت
فيها الأغنام فقد أطلق عليها السكان اسم « الحلابات » . وهكذا كانت
كل الأسماء التي عرفت بها هذه الأبنية حديثة عليها قام بأطلاقها السكان
في عصور اكتشاف هذه الأبنية . (لوحة ١ ، ٢) .

(٣) يلاحظ أن معظم المباني الصحراوية كانت تقع بالقرب من مصادر للمياه
حتى الآن فعل سبيل المثال كشفت البعثات الأثرية عن آبار للمياه
وخزانات بالقرب من المنى الرئيسي لقصر عمر (٢٨) . كما أن منطقة
قصر الأزرق عبارة عن واجهة صحراوية بها العديد من البرك والبحيرات
عند التقاء الحدود الأردنية السعودية (٢٩) (وادي السرحان) .

كما أن منطقة قصر الموقر بها بركة كبيرة للمياه (٣٠) . أما قصرى
الطوبية والمنشى فكانا إلى جوار مجموعة من الآبار ، بالإضافة إلى بركة
زيزياء التي يعتقد أنها كانت المصدر الرئيسى للمياه بالنسبة لسكان قصر
المنشى (٣١) ، كما أن مصادر مياه قصر الحلابات فقد كانت تتألف من
عدد من الآبار كبيرة وصغيرة ، وقد تم اكتشاف منطقة زراعية كانت
تروى بنظام متطور للرعى من أبنية وسدود تتحكم في توزيع المياه التي
كانت تتجمع من التلال المحيطة بالمنطقة (٣٢) .

(٤) يلاحظ أن المباني الصحراوية التي تنسب إلى الوليد الأول قرية الشبه من
حيث التصغير ، من المباني الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام
وربما يرجع هذا إلى أن البيعة الصحراوية تفرض نمط معين من البناء على
سكانها ، كما أن طبيعة المادة الخام المتوفرة في هذه البيعة تفرض
استعمالها .

(٥) اختلفت تصميمات الأبنية التي شيدت في عصر هشام الثاني عن الأبنية السابقة من عصور الوليد الأول ، فقد كان هشام الثاني نادر الاستقرار في عاصمته دمشق بل كان دائم التقل بين قصر الرصافة وقصر الحمر الشرق ، والملاحظ أن قصر الحمر كان يتصل بواحة قريبة بواسطة قناة للبياه يبلغ طولها نحو عشرة كيلومتر ، ومن هنا جاء الاعتقاد بأن هشام بن عبد الملك كان يقوم باصلاح الأراضي الزراعية عن طريق حفر قنوات للمياه .

(٦) يعتبر قصر الأحيضر استمرار لفكرة القصور الصحراوية ولكن حسب النموذج الايراني في البناء فالبنى عبارة عن مجموعة متكاملة من الأبنية .
أنظر أشكال (٦ ، ٨ ، ٩) .

(٧) أن الأراء التي قيلت من قبل من قاموا بدراسة هذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بتفسير وظيفة هذه القصور وأسباب بنائها ، لم نستطع الاجابة عن هذا السؤال وانحصرت تفسيراتهم على أن هذه الأبنية كانت للهو والمتعة^(٣٣) ، بل ذهب البعض الآخر إلى أن هذه الأبنية كانت عبارة عن معار لشيخ القبائل^(٣٤) ، أو أنها كانت مركزاً للمشرفين على استصلاح الأراضي الزراعية^(٣٥) .

فالحقيقة أن تفسير وظيفة هذه القصور تجمع فيما بينها كل الآراء السابقة ونلخص رأينا في هذا الموضوع فيما يلي :

أن هذه الأبنية كانت محطات صحراوية على مسافات متباعدة ، وللتطلع لخريطة تواجده هذه الأبنية يدرك تماماً أنها مراكز مزودة بوسائل المعيشة من مياه للإنسان والدواب ، وهي مختلفة الأحجام متشابهة التصميم تبعاً لأهمية المناطق الموجودة بها بالنسبة للطرق الصحراوية ، وبطبيعة الحال كانت القبائل القريبة من هذه الأبنية الصحراوية تعنى أمام خلفاء بني أمية عن حراسة هذه الأماكن والعناية بها ، وكان أمر طبيعي أن يكون هناك استقرار لهذه القبائل حول هذه المراكز لحماية الطريق والمسافرين عليه ، والممكن زراعة الأراضي إذا ما كانت صالحة

للزراعة ويبدو أن هذه المناطق كانت تخدم الحجاج في طريقهم إلى
الأراضي المقدسة ، وخاصة الحجاج . عن طريق الحج الشامي والعراقي .
ولا معنى استخدام هذه الأبنية لخدمة الحجاج أي نفي كونها صالحة
كأماكن لاجتماعات الخلفاء مع زعماء القبائل أو قواد الجيوش ولا
يتعارض ذلك مع قيام القبائل الموالية للأمويين بحماية حدود الدولة أو
الاشتراك في الفتوحات أو الصراعات العسكرية في داخل الدولة أو قمع
الاضطرابات فيها ، ولا يتعارض وجود تصاورير مختلفة تغطي السقف
والجدران في قصر عمرا ذلك لأن هذه الأبنية قد تمت على يد صناع
محلين ولذا غلب على أسلوبهم الطابع الهلنستي سواء في طريقة البناء أو
طريقة الزخرفة . وتذكرنا هذه الأبنية بصفة عامة وخاصة في ارتباطها
بمصدر للسياح بمحطات الحجاج على طريق الحج المصري والتي تمتد على
طريق الساحل السعدي إلى الحجاز .

هوامش البحث

- (١) استعملنا لفظ الأبيية الصحراوية على اعتبار أن لفظ لقصور الصحراوية لا ينطبق على كل هذه الأبيية .
- (٢) انظر خريطة رقم ٣ تبين مواقع هذه الأبيية الأثرية .
- (٣) من هذه الأسماء :
- F.J. Bliss, Narrative of an Expedition of Moab and Gilead, Pefos 1895, S. 229 - 234.
- Merrilu, East of the Jordan, London, 1881.
- B. Tristan, the Land of Moab, London, 1873.
- (٤) يعتبر من أهم الأبيية الأثرية التي أفردت لها دراسات خاصة بها . أنظر :
- A. Musil, K useiyr Amra, Wien 1907.
- A. Musil, Palmyrena (American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies, No. 4, New York, 1928, SS. 277 - 297.
- A. Musil, Op. Cit., S. 134.
- E. Herzfeld, Die Geseis der islamischen kunst und das Mshattia proplem, Der Islam 1 (1910), S. 27.
- H. Lammens, La Badiya et la Mira Sous les Omayyades, MFOB (٦) 4 1910, P. 91
- K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture 1, Umayyads, Oxford, 1969.
- J. Sauvaget, Chateaux Umayyades der Syrie REI 35, 1967, P. 38. (٧)
- Wellhausen, Das arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1980, P. 207
- (٨) البلازى ، فتوح البلدان ، لندن ١٩٦٦ ، ص ١٨٠ .
- (٩) كتب موريل في كتابه السابق الإشارة إليه عن حياة لويلد الثاني في الصحراء واعتمد موريل على كتاب الأعاني للأصفهاني حول مجامع الغناء والطرب التي كانت تقام في الصحراء .
- (١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ص ٣٣٥ .
المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
الطبري ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ ، ٢٨٩ .

- J. Wellhausen, Op. Cit., S. 194. (١١)
- H. Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, S. 205. (١٢)
- (١٣) انظر لوحة رقم ١ .
- F. Sarre und E. Herzfeld, Archeologische, Reise in Euphrat - und (١٤)
Tigris Gebiet, II, Berlin 1920, Abb. 156.
- J. Sauvaget, Ghassanides, P. 117. (١٥)
- T. Nöldeke, Fürsten, (Anm 1 6.), S. 24. (١٦)
- H. Gaube, Op. Cit., S. 196. (١٧)
- (١٨) محمد محمود أديس ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٨٣ ،
ص ١٤٠ ، ١٤١ .
- تقارن أديس ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١١٦ .
- H. Gaube, An Examination of the Ruins of Qasr Burqua, (١٩)
(A.D.A.J.) P. 19.
- J. Wellhausen, Op. Cit., S. 141. (٢٠)
- (٢١) لانكستر هاردنج ، آثار الأردن ، ص ٢٠٠ .
- H. Gaube, Op. Cit., S. 204. (٢٢)
انظر لوحة رقم
- (٢٣) محمود العائدي ، آثار الأردن وفلسطين ، ص ٢٠٩ .
- كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، ص ٤ .
- (٢٤) محمود العائدي ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ — انظر لوحة ٤ شكل ٥ بالبحث .
- (٢٦) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٢٧) كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص ٤٧ — انظر شكل ٤ بالبحث
- (٢٨) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- محمود العائدي ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- (٢٩) محمود العائدي ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
- (٣٠) المرجع نفسه ، ص ٢١٧ .
- (٣١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ .
- (٣٢) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .
- (٣٣) بهذا هذا الرأي عن غالبية علماء الآثار الذين كتبوا في هذا الموضوع
- (٣٤) انظر : محمود إبراهيم حسين ، نظرية جديدة في نفس : نشأة ووظيفة الفصوص
الأموية ، الرياض ١٩٨٦ .

مراجع البحث

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، أربعة أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ .
دانيال شلوميرجه ، قصر الحير الغربي (مترجم) ، بيروت ١٩٤٥ .
عفيف بهنس ، الفن الاسلامي والعربي في بداية تكونه ، دمشق ١٩٨٢ .
فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية — ماضيها وحاضرها
ومستقبلها ، الرياض ١٩٨٢ .
فواز طوقان ، قصر الحائر ، عمان ١٩٧٩ .
كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٨٢ .
لانكستر هاردينج ، آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثانية
عمان ، ١٩٧١ .
عمود ابراهيم حسين ، نظرية جديدة في تفسير نشأة القصور الأموية ،
الرياض ١٩٨٦ .
عمود العائدي ، الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .

A. Musil, Kuseir Amra, Wien, 1907.

D. Schlumberger, Les fouilles de Qasr el - Heir el - Gharbi, Syria 20, 1939

E. Herzfeld, Die Genesis der islamischen kunst und das Mshatta-
Problem, Der Islam (1910).

F. Altheim und Ruth Stechl, Die Araber in der Alten Welt, I Berlin,
1964.

F. Schachermayer, Alexander der Große. Das problem seiner
Persönlichkeit und seines Wirkens, Wien 1973.

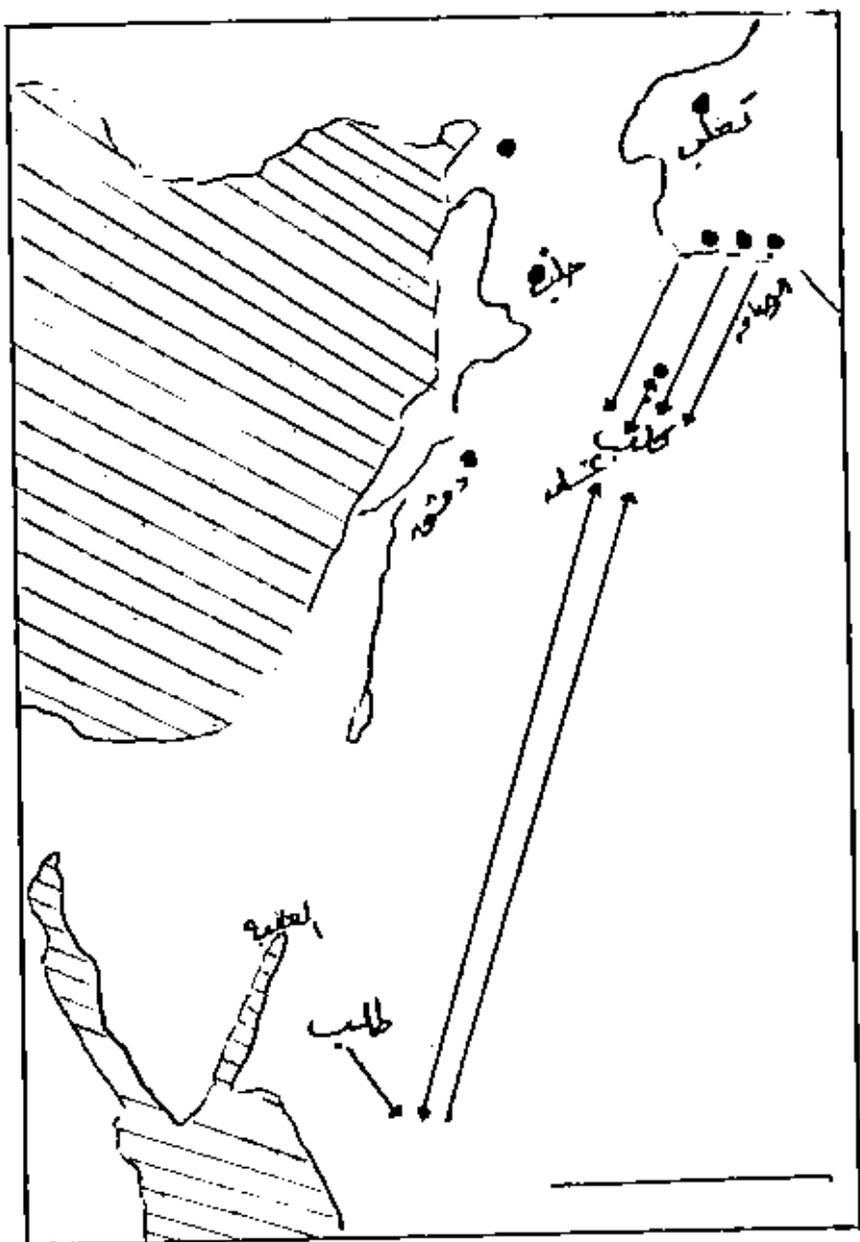
Heinz Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, Wiesbaden 1979.

K.A.G. Creswell, Early Muslim Architecture I Umayyades, Oxford 1969

S. Merrill, East of Jordau, London, 1881.

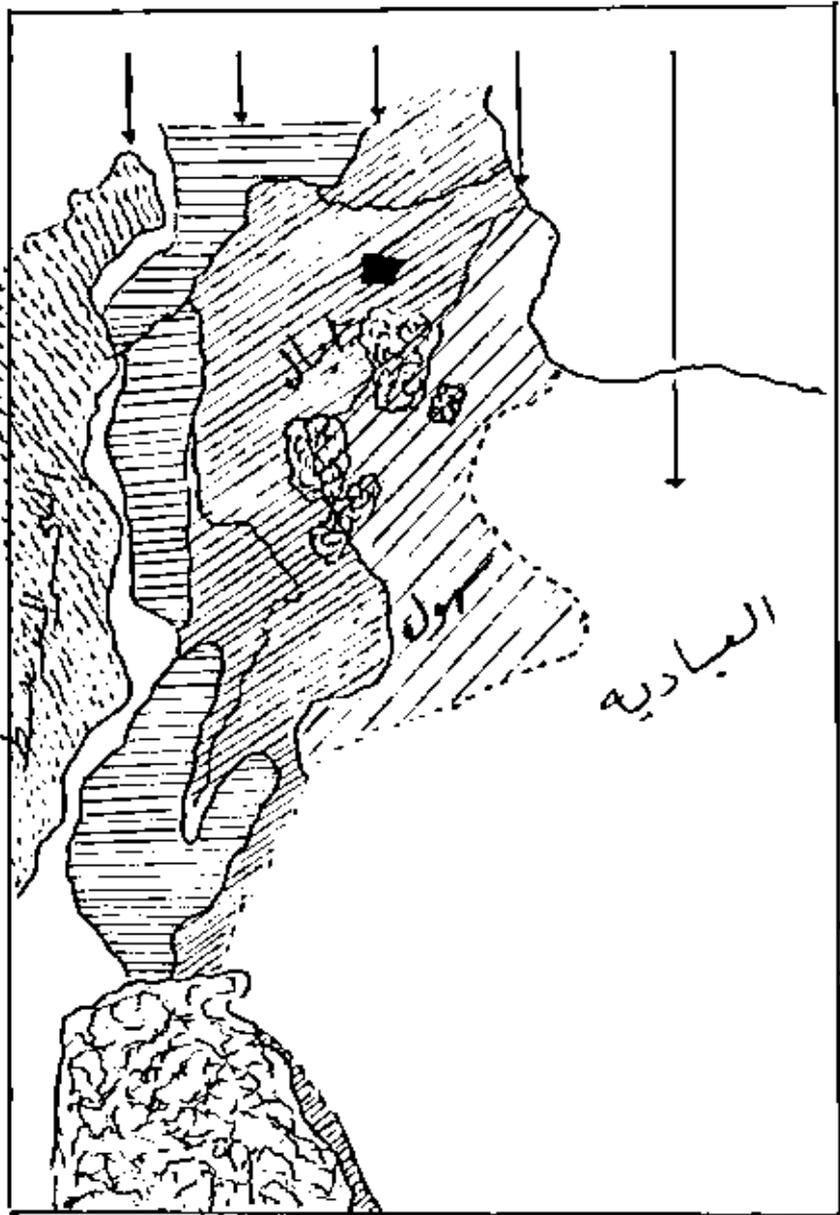
T. Nöldeke, Gesichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden
Leiden 1878.

شكل (١)



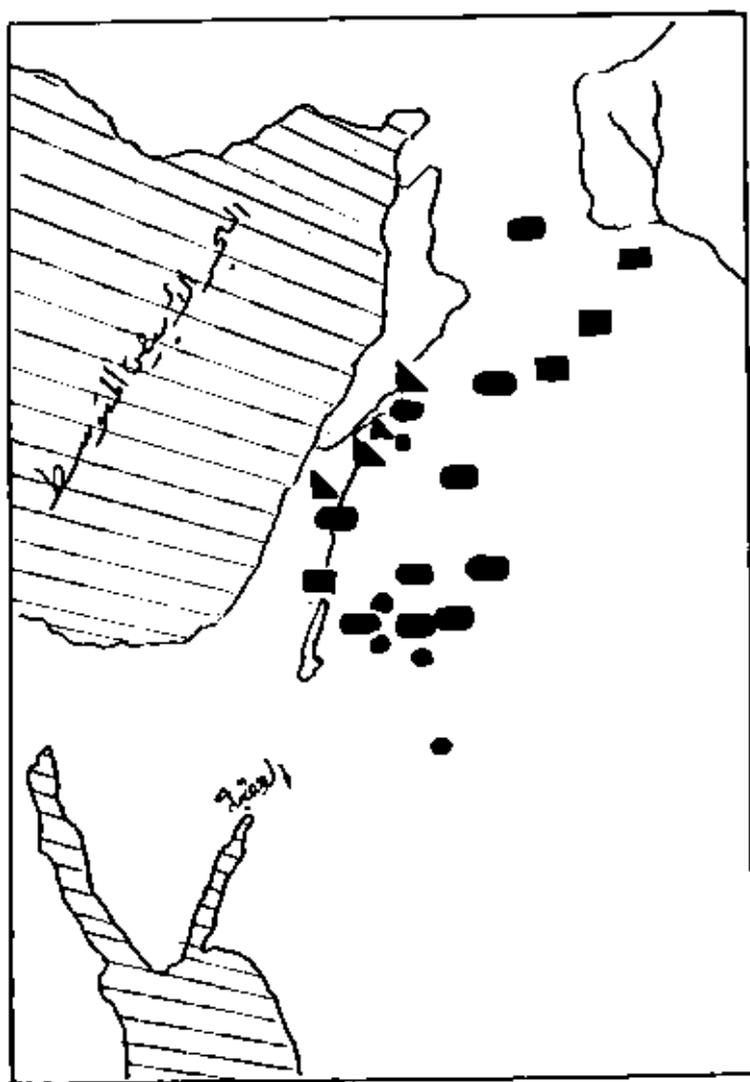
خريطة تبين القبائل الرئيسية في بلاد الشام

شكل (٢)



خريطة تبين المناطق الجغرافية الأربعة الرئيسية

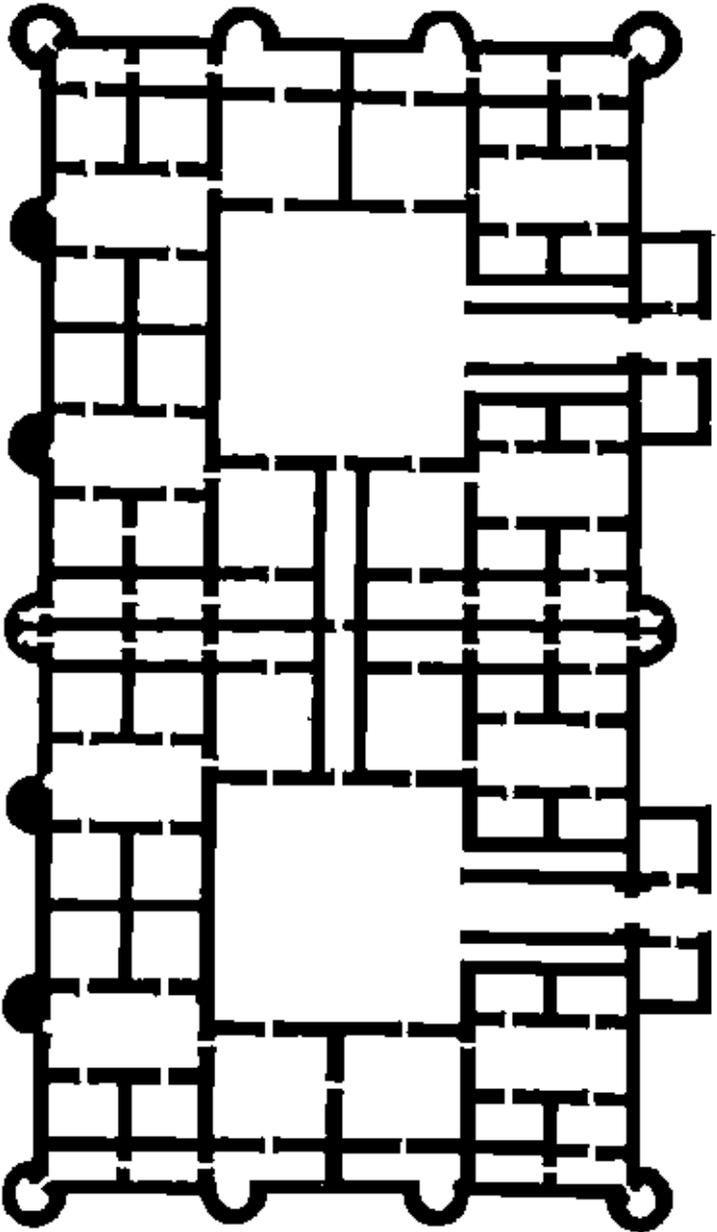
شكل (٣)



خريطة تبين مواقع الأبنية الصحراوية في بلاد الشام

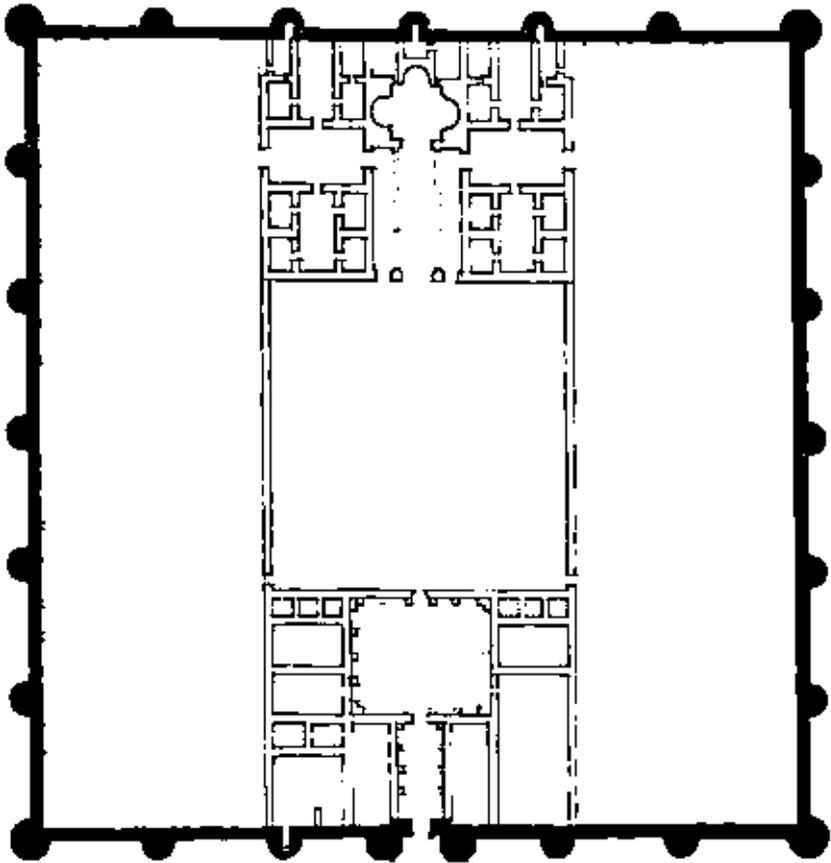
- ▲ منشآت عبد الملك
- منشآت الوليد الأول
- منشآت هشام
- منشآت مأدرة

شكل (٤)



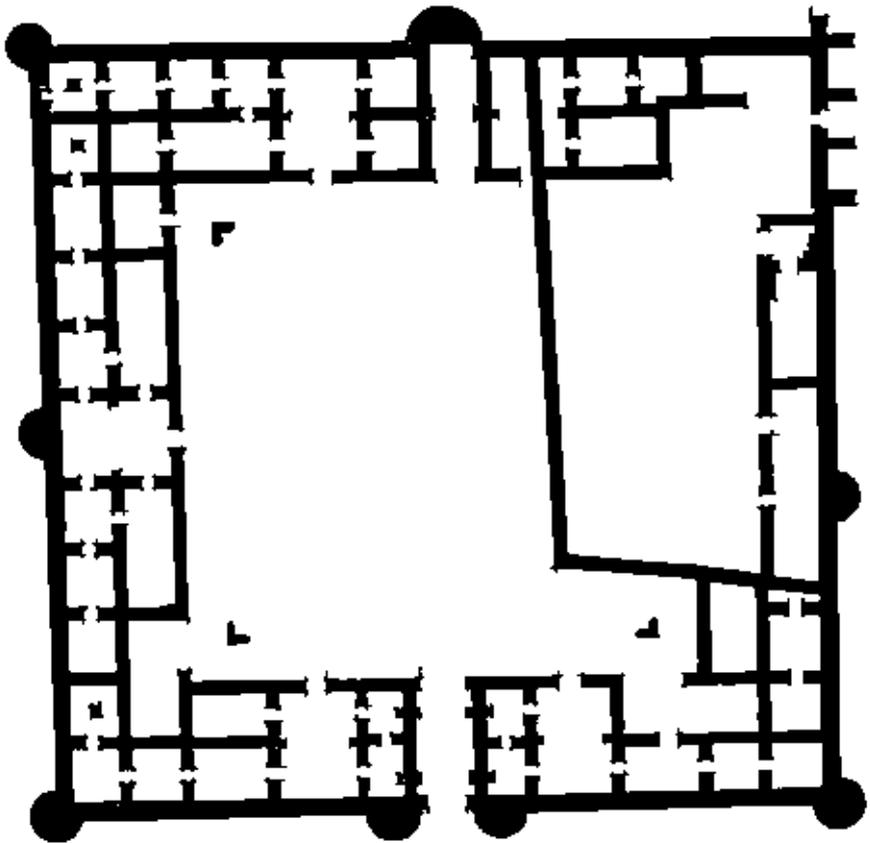
قصر الطرية

شکل (۵)



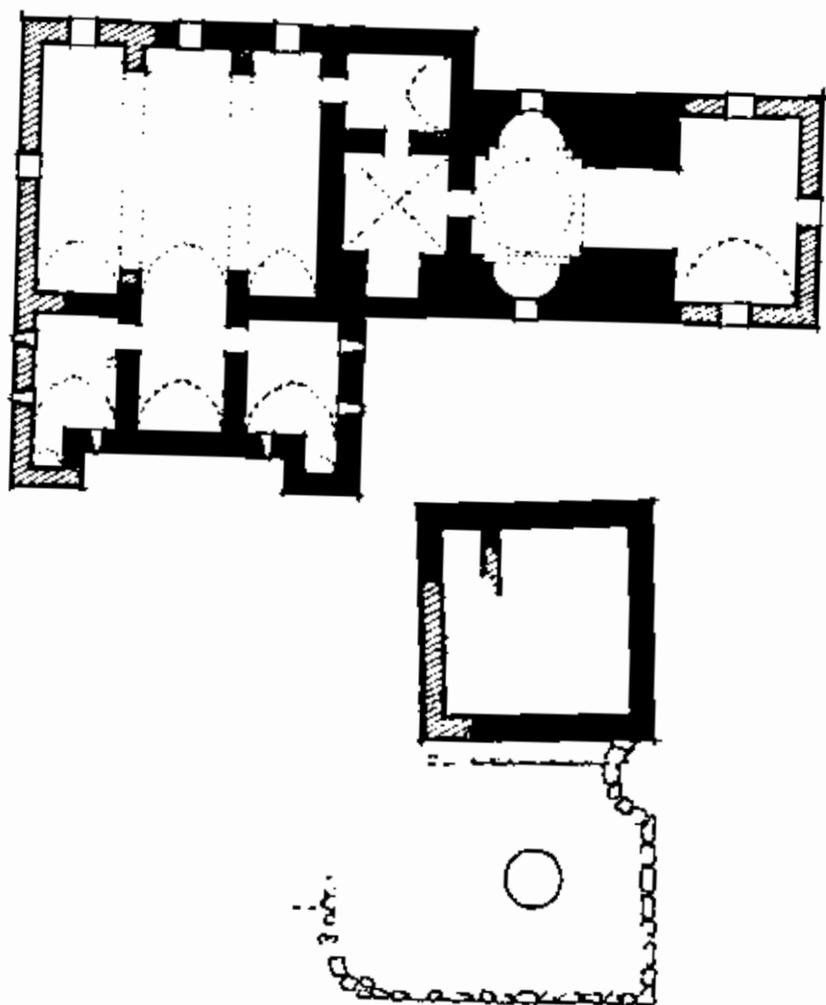
قصر المشتی

شكل (٦)



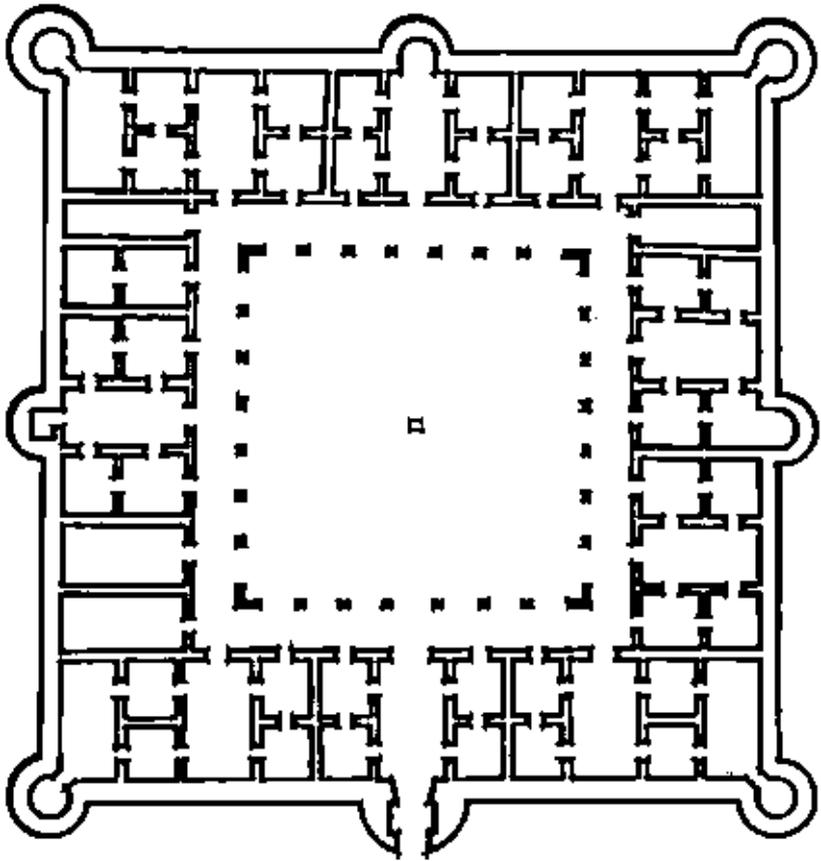
قصر الجير الفريد

شكل (٧)



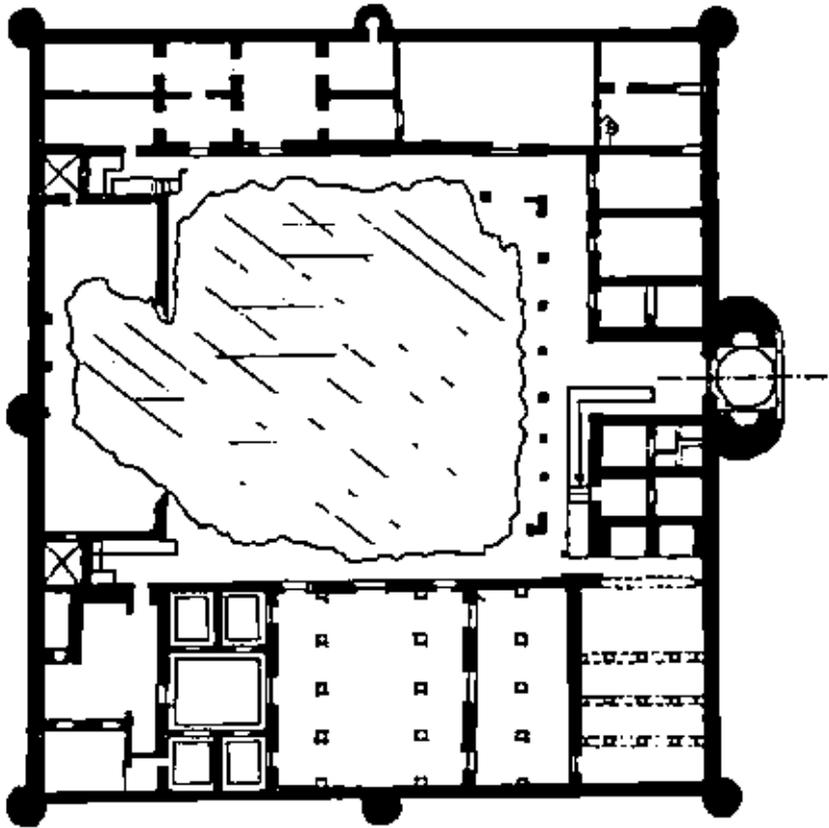
حمام الصراخ

شکل (۸)



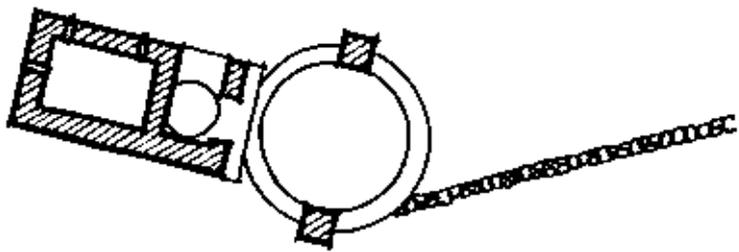
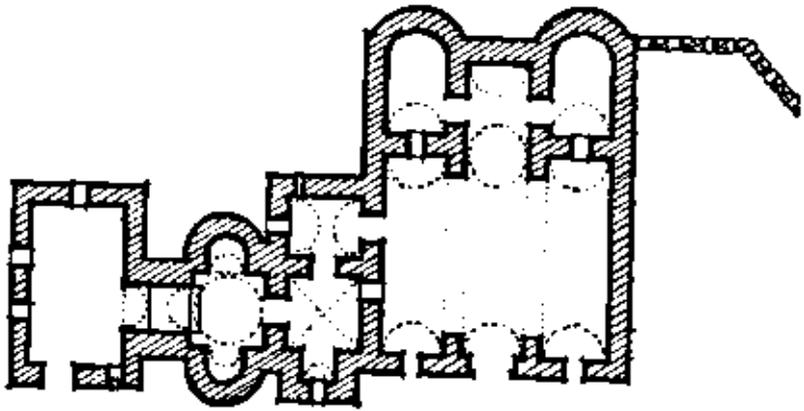
قصر امیر

شكل (٩)



فصر المنية

شکل (۱۰)



فصل عمره

بحث عن : الأقباس التسعة
من خلال
مقابر الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة

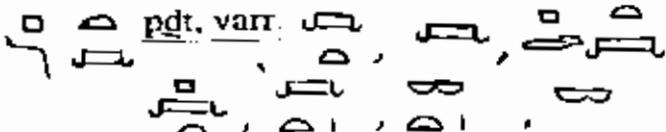
الدكتور

محمد علي سعد الله

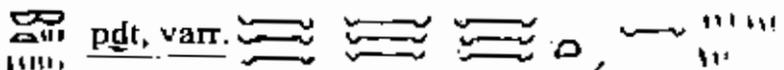
مدرس بكلية الآداب

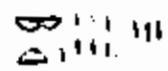
جامعة بنها

كلمة قوس في النصوص المصرية كانت تكتب هكذا منذ نصوص الأهرام :

(١)  pdt. var.

وفي الدولة الحديثة كان يضاف إليها أداة التعريف للمفرد المؤنث  أما كلمة الأقواس السعة فقد كانت تكتب منذ الدولة القديمة :

(٢)  pdt. var.

وفي الدولة الوسطى ، كتبت الكلمة  وفي العصر اليوناني الروماني 

وفي بعض الأحيان كان يضاف إلى هذه الكلمة المخصص  للدلالة على شعوب الأقواس السعة . (٣)

ويرجع مفهوم الأقواس السعة كرمز سياسي لأعداء الياسة الداخلية والخارجية لمصر القديمة إلى عصور ما قبل التاريخ المصري ، وهو ما أكدته المصادر الأثرية حينما عكس الفن المصري القديم التطورات السياسية المستمرة للوصول إلى الوحدة بين مملكتي الشمال والجنوب وظهور أول دولة موحدة في العالم القديم ، حيث تم العثور في معبد مدينة أنتن على مقمعة من الحجر

Wb. I, 569. (١)

Wb. I, 569. (٢)

 Varr.  وفي العصر اليوناني والروماني كانت تكتب : Wb. I, 569.

Wb. I, 570. (٣)

الجيري^(١) للملك العقرب صورته النقوش مرتدياً تاج انصعيد يؤدي بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة والرعى ورمزت إلى جهوده الجرية في أعلى المقعدة مجموعة من حوامل رموز الآلهة وهي « ابن اوى وست ومين » إشارة إلى تأييدهم له في حروبه أو دليلاً على تحالف أنصارهم أو أقابليهم تحت رايته وتندلج منها حبال غليظة خلقت في بعضها طيور الرخيت (RHYT) وعلقت في البعض الآخر مجموعة من أقواس الحرب (شكل رقم ١) ويمكن الاستنتاج أن الأقواس وطيور الرخيت المتعلقة تمثل الإشارة أو الرمز لأعداء الملك العقرب المهزومين وخاصة أن بعض الباحثين يرى أن طيور الرخيت (الزرقاق) ترمز إلى سكان الدلتا^(٢) ، بينما يرى البعض أنها ترمز إلى جهات من مصر الوسطى^(٣) ، بينما ترمز الأقواس إلى أهل الواحات والصحراء المجاورة وعلى أهل الدلتا الذين انتصر عليهم العقرب^(٤) وقيامه بعد ذلك بمتابعة الأعمال السلمية المرتبطة بالزراعة وهو ما عبرت عنه اللوحة .

كما عثر على قاعدة تمثال للملك زوسر (الأسرة الثالثة) من الحجر الجيري وعلى القاعدة تحت أقدام الملك تسعة أقواس وثلاثة من طيور الزرقاق باعتبار الملك زوسر المنتصر على ما تمثله الأقواس أو الطيور^(٥) (شكل ٢ أ ، ب) وخاصة أن عدد الأقواس التسعة دل على تقدير المصري القديم لتلك المحاولات السياسية الناجحة التي قام بها الملوك الأوائل في فجر التاريخ وبداية الوحدة السياسية التي حرص الملوك على ذكرها وتزيين قواعد تماثيلهم بها .

(١) مقعدة الملك العقرب التي عثر على أجزاء عديدة منها في معدن نحو ده انكاته المديقة والسياسة الكثرة لمرك ما قبل الأسرات وعصر التأسيس . انظر

Quibell, J.F., Hierakonpolis, I, London, 1900, Pl. cxviiC, P. G.

Gardiner, A. H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, P. 403. (٢)

(٣) عبد الجبار صالح : حضارة مصر القديمة وأدائها لجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٣ .

Edwards, I. E. S., the Early Dynastic Period in Egypt, CAM, Vol. I, Part 2 A, PP. 5-6. (٤)

وكندا .

Gardiner, A.H., AEO, Vol. I, Oxford, 1947, P. 160

Gardner, B., Inscriptions from the Step Pyramid Site, ASAE, 28 (1928), PP. 186-187. (٥)

كذلك ذكرت الأقواس التسعة على جدران مقابر الملوك فيما عرف باسم
« نصوص الأهرام » للإشارة إلى عالم البشر الخاضع للملك ، حيث نقش على
جدران حجرة الدفن لهرم الملك ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة .

« ... لتجعل (الملك) ونيس يحكمم الأقواس التسعة
ويدير القرابين للآلهة التسعة (تاسوع اون هليوبوليس)^(١) .

والمثال /الآخر من نصوص الأهرام التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن الديانة
الجزرية الملكية منذ أقدم العصور والتي تضمن السعادة للملك عند موته قوله :
« ... أنك تخرج على صوت أنويس لتقود الآلهة وتضع الأقواس بين
صولجانك ... »^(٢) .

وفي عصر الدولة الوسطى رأينا الملك « متوختب الثاني (الأسرة الحادية
عشرة) يصف انتصاره على التوبين والقبائل الليبية في الصحراء الغربية والبنو
في الشمال والشرق باعتباره قد أخضع أعداء مصر التقليديين « شعوب
الأقواس التسعة » أو الأقواس التسعة^(٣) .

وفي عصر الدولة الحديثة هناك أدلة أثرية عديدة منها تمثال بالهيئة الأوريرية
للملك « تحوتمس الثالث » جالساً وقد تهشمت الرأس ، وقد وضع الملك قدميه
فوق الأقواس التسعة^(٤) ، وهناك تمثال آخر للملك « تحوتمس الثالث » يقرأ
بقدميه الأقواس التسعة (وقد اغتضب الملك رمسيس الرابع التمثال
لنفسه)^(٥) .

(١) Pyr. 202 b = R.O. Faulkner, The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969, P. 50.

(٢) Pyr. 796 C and 797 b = op. cit., P. 144.

(٣) Hayes, W.C., Internat History from the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III, CAH, Vol. 3/2, P. 80.

(٤) PM II, 427 = Hornemann, B., Types of Ancient Egyptian Statuary, Vol. III, Copenhagen, 1955, Pl. 772.

(٥) PM II, 168 = Darguet, P., Le Temple d'Amon-Ré à Karnak, le Cave, 1962, Pl. xxxix (B), P. 272.

وكذا تمثال جماعي للملك منحوتب الثاني ولأله آمون جانسين ويطارد بأقدمهما الأقواس التسعة^(١) كما عثر على قاعدة تمثال للملك « منحوتب الثالث » عليها الأقواس التسعة وقد وضع لذلك قدميه فوقهم (خرطيش منحوتب الثالث مهشمة منذ عصر أخناتون)^(٢)، كما عثر بمعبد الكرنك على قاعدة تمثال للملك « منحوتب الثالث »، يطأ بقدميه الأقواس التسعة^(٣) أيضاً تمثال جماعي من الأباستر للملك « حور محب » وزوجته الملكة « موت نجت » صور على قاعدته الأقواس التسعة وقدمى حور محب وموت نجت فوقهما^(٤) كذلك عثر على رسم تخطيطي للأقواس التسعة في معبد الآله « موت » بالكرنك .

كما توجد الأقواس التسعة بنفس المفهوم التقليدى في كثير من قبور الأشراف بطيبة ، وخاصة منذ عهد الملك « منحوتس الثالث » ، وتظهر متتابعة كالتالى^(٥) :

	H3w - nbwqt	١ - الحانوب
	S3tiw	٢ - النوبة العليا
	t 3 - Sm	٣ - مصر العليا

PM II, 105 - Jéquier, G., L'Architecture et la décoration dans l'ancienne Egypte, (١)
Tome I, Paris, 1920, Pl. 48 (2)

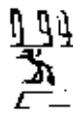
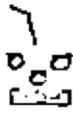
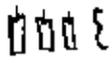
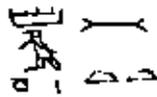
PM II, 116 - Legrain, G., Statues et Statuettes de rois et de Particuliers (Cat. Guise I), (٢)
Tome I, No. 42019, le cairé 1906, P. 12.

Pm. II, 244 - Pillet, M., "Rapports sur les Travaux à Karnak" ASAE 22, 1922, P. 68 (٣)
(٣)

PM II, 2 - Robicheu, C., Leant, J., et Bugeot, P., Karnak Nord IV, BIFAO, 25, (٤)
1954 Pl. COLM(A), Fig. 79, PP. 46-161 (23). Hart, R., Horenbach et la Rive Moutred -
Jemel, Geneva 1964, PP. 168, 365-6.

Wildung, D., "Neubogen" LAIV, SP. 472 (٥)
وكذا :

Vercoer, J., Les Hyp., Nebout, BIFAO, 40, 1949, P. 131

- ٤ — مكان الواحات Sḥtīw - i 3 m 
- ٥ — مصر السفلى t 3 - m. ḥw 
- ٦ — الصحراء الشرقية Pḥt īw - s w 
- ٧ — الليون ḥnw 
- ٨ — النويون iwntīw - sti 
- ٩ — الآسيويون mntiw - 3w srt 

وبالرجوع إلى الأسماء الدالة على معنى الأقواس السبعة والتي تبدأ باسم الحانونوت « H 3 W-nbw (T) » يرى فور كيتيه أن الكلمات الجغرافية يمكن أن تغير معانيها خلال العصور سواء بالنسبة للمكان أو السكان وهذا ينطبق على كلمة « الحانونوت » ففي عصر ما قبل الأسرات يفترض أنها تعني رقعة الأرض المتصلة بالمستنقعات على حافة البحر عند الطرف الشمالي للدلتا المصرية وإن هذا المفهوم قد تطور بسرعة بسبب اختفاء الأجناس القاطنة بها نتيجة طردهم أو القضاء عليهم بمعرفة المصريين الذين كانوا يسكنون أرضاً حكمها الفرعون المصري أو على الأقل قريبة بما يكفي لأن تدعى مصر أنهم تحت سلطانها .

والباحث في ضوء الأدلة الأثرية المتاحة حالياً لا يمكنه تأييد هذه الافتراض وفي عصرى الدولتين الوسطى والحديثة فإن الكلمة أصبحت تطلق على السواحل الآسيوية البعيدة وبمجموعة الشعوب التي تسكن تلك المناطق الساحلية^(١) .

Ibid, P. 108 FF.

(١)

• كذا : جان فور كيتيه ، قدماء المصريين والأفريق فرجه محمد علي كمال الدين ، كمال دسوقي مراجعة محمد صقر خلفه ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

بينما يرى « جاردنر » وغيره من العلماء أن كلمة « إحاونبوت » والتي جاء ذكرها في النصوص المصرية منذ عصر الدولة القديمة يمكن تفسيرها بمعنى سكان جزر البحر المتوسط كذلك استناداً على ورود الكلمة في نصوص الأهرام (الفقرة b ، 629) dbn phr فالكلمة يمكن أن تفسر بسكان جزر بجرايمه^(١) والعلاقة بين مصر وسكان جزر البحر المتوسط علاقة قديمة ، وكما يرى هول وغيره من العلماء امكانية وجود هذه العلاقة وارجاعها إلى عصور ما قبل الأسرات ولكن بسبب صعوبة التاريخ الدقيق للأشياء التي تم العثور عليها سواء في مصر أو في تلك الجزر فإنه لا يمكننا أن نؤكد وجود هذه العلاقة في تلك الفترة ، إلا أنه يمكننا التأكيد على وجود هذه العلاقة واستمرارها بدءاً من عصر الدولة القديمة^(٢) ولعل اللقب الذي حملته الملكة « ايعح حونب » باعتبارها سيده الحاونبوت^(٣) يعد دليلاً على طرد الهكسوس لحد ليل واضح على قدم العلاقات بين مصر وسكان هذه الجزر واستمرارها على مر العصور تلك العلاقة التي لم تكن عائقاً طبيعياً ، كالبحر المتوسط الذي يمثل عائقاً بين المصريين وسكان تلك الجزر وخاصة أن الحاجة الاقتصادية كان لها أثرها في إقامة العلاقات بين الجانبين سواء حاجة مصر إلى الفضة والأخشاب النادرة فيها مقابل حاجة هذه الجزر إلى الحبوب المتوفرة في مصر القديمة^(٤) .

والعلاقة بين مصر وبلاد النوبة علاقة قديمة أزلية منذ عصور ما قبل التاريخ لاحتلال انتباههم إلى نفس الجنس الحامي ، يوضح ذلك التشابه في عادات الدفن في عصر ما قبل الأسرات الأول ثم بدأ الاختلاف منذ عصر الأسرات الأوسط وما بعده في عصر ما قبل الأسرات الأخير حيث تقدمت الحضارة في مصر ولم

(١) Gardiner, A.H., AEO. Text, Vol. I, Oxford, 1947, PP. 206-207

(٢) Hall, H.R., The Relations of Aegean With Egyptian art, JEA, Vol. 1, 1914, PP. 110-111.

وكذا : جان فوركنيه ، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) عن الآراء المتغيرة لهذا اللقب انظر :

James, T.G.H., Egypt From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, CAH, Vol. II, 1, P. 303.

(٤) جان فوركنيه ، المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

تستطع بلاد النوبة أن تفتح بذلك التقدم الحضارى فى الشمال الذى وضع تماماً مع نهاية الأسرة الثالثة فى مصر^(١)، واعتبر المصريون منطقة النوبة السفلى القريبة من أسوان جزءاً متمماً لحدودهم الجنوبية، ورغبة فى تأمين الحياة عندها والحد من شغب قبائلها غير المستقرة ربما بسبب طبيعة البلاد الجغرافية التى أصيبت بالجفاف والفقر مما دعاها إلى تكرار مهاجمة القوافل والبعثات المصرية ومناطق الاستقرار القريبة منها فى مصر العليا^(٢) ولقد استمر ملوك مصر منذ عصر بداية الأسرات فى اتباع تلك السياسة وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية حيث عثر فى أيلوس على بطاقة أبوسية للملك «عما» (الأسرة الأولى) سجل فيها انتصاره على النوبيين^(٣) وتابع خليفته الملك «جر» تلك السياسة حيث عثر فى جبل الشيخ فى الجانب الغربى من النيل بالقرب من «بوهن» على لوحة صخرية (شكل رقم ٣) تحمل اسم الملك وفيها يظهر أسيراً جالاً أمام سفينة من طراز عصر الأسرات فى مصر ويده مقيدتان خلف ظهره ويلتف حبل حول عنقه وأسفل السفينة نجد أجساداً غرق للعدو المهزوم ووجه نوى موجه إليه سهم ودائرتين على شكل المذن  على أحدهما صقر وعلى الأخرى المشيمة الملكية يرمزان إلى مدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الملك «جر»^(٤) الذى أكد نقشه هذا اهتمامه بهذه الأنحاء .

Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt, CAH, Vol. I, 2 A, P. 50. (١)

وكنا :

Drower, M., Nubia A Drawing land, London, 1970, P. 16.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق . ص ٣٨٨ .

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 51. (٣)

وكنا :

Petrie, F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties Vol. II, London, 1913, Pl. XI.

Drower, M., op. cit., P. 17. (٤)

وكنا :

Emery, W.B., Archaic Egypt, Edinburgh, 1963, PP. 59-60.

وكنا :

Arkell, A.J., Varia Sudanica, IEA, Vol. 36, 1950, PP. 27-30.

وفي عصر الدولة القديمة أرسل سنفر (الأسرة الرابعة) حملة عسكرية عادت ومعها سبعة آلاف أسير ومائتي ألف رأس من الماشية^(١) ، وبذلك ضمن بحملته التأديبية هذه استقرار الأمور وورود منتجات بلاد النوبة وبصفة خاصة الأبنوس والعاج مقابل الأواني الخزفية المصنوعة في مصر^(٢) فضلاً عن تشجيع البعثات السلمية وظهور رحالة ارتادوا الجنوب أمثال : « خرخوف » ، « ببي تحت » وغيرهم ، ونابع من ذلك مصر في عصر الدولة الوسطى جهودهم العظيمة في السيطرة على بلاد النوبة وهناك نقش على شقفة عثر عليها في البلاص بمصر العليا وفيها يسجل الملك متوحتب الثاني (الأسرة الحادية عشرة) أنه جمع في إعادة إخضاع « ووات » (النوبة السفلى) إلى مصر^(٣) ، أيضاً عثر على نص في « كورسكو » (جنوبي دنقلة) يؤرخ بالعام التاسع والعشرون من حكم امنمحات الأول (الأسرة الثانية عشرة) يؤكد سيطرته على النوبة السفلى^(٤) ، وواصل سنوسرت الأول سياسته واهتمامه بالنوبة العليا حتى « كوش » بعدة حملات ناجحة أهم نتائجها الاقتصادية ورود الذهب من تلك الأجزاء^(٥) ، وحينما تعرضت منطقة النوبة لتحركات بشرية هددت النفوذ المصري فيها في عهد « سنوسرت الثالث » (الأسرة الثانية عشرة) مما جعله يواجه ذلك بالقوة وبعد أن أمن خطوط اتصالاته بشق الترع أو إعادة تطهيرها فإنه قاد أربع حملات عسكرية كانت الأولى في العام الثامن من حكمه حيث بدأ حملته من كوش والثانية في العام العاشر من حكمه ، وفي حملته الثالثة في العام السادس عشر ، نجح في دفع العدو وحرق حقوله ودمير منشأته وفي حملته الرابعة في العام التاسع عشر من حكمه قضى الملك حوالي ثمانية شهور تقريباً بين قواته حتى حقق نصره النهائي وقضى على عدوه وسجل أخبار انتصاراته على قلعة سمنة قائلاً : « أنه حدد حدوده لمنع أي بوني من عبورها

Garland, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, P. 78.

(١)

وكذلك
محمد يوسف مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، الإسكندرية ١٩٨٢ .
ص ٤٧٨ .

Edwards, I.E.S., Op. Cit. P. 51

(٢)

Kemp, B.J., Ancient Egypt, A Social History Cambridge, 1983, P. 130.

(٣)

Ibid., P. 130

(٤)

Vercauteren, J., The Near East, the Early Civilizations 1967, P. 365

(٥)

سواء بواسطة البر أو البحر فيما عدا النوى القادم بغرض التجارة في (منطقة)
أيضاً « wjken » أو إذا كان قادمًا في مهمة رسمية ... » (لوحة برلين رقم
14935)^(١).

وهكذا نثمرت جهود الملوك في عصر الدولة الوسطى في فرض نفوذ مصر
وسلطتها على منطقة النوبة وفي عصر الدولة الحديثة استمر وضع بلاد النوبة
كجزء متمم لحدود مصر الجنوبية وزاد الاشراف الادارى والمحضارى عليها
وليس ذلك مجال هذا البحث لسرد تفاصيله ولكن ما يهم الباحث أن يوضحه
أن منطقة النوبة كانت دائماً جزءاً من تراث مصر وتاريخها ولذا ذكرت ضمن
الأقواس التسعة للفرعون المصرى المنتصر على أعدائه .

أما عن الليبيين أو الثنجو thnw كما جاء ذكرهم في الأقواس التسعة فلقد
سكنوا الجزء الملاصق لللدلتا من الناحية الغربية ومن ناحية الأصل ربما يتسرون
إلى نفس جنس المصريين ، وإن كانوا يعتبرون أجناب عنها^(٢) ، وتتفق ملاحظتهم
مع ملاحظ المصريين ، بشرتهم حمراء داكنة^(٣) كذلك التشابه في الرمز في العصر
المبكر في كلا الجانبين ، وتميز النبي بغصلة الشعر التي تتدلى من أحد جانبي
رأسه وينمذ عورته في جراب وذيل الحيوان معلق من خلف أو أمام النقة^(٤) ،
كما أخذوا بعض الأسماء المصرية^(٥) ، كما أطلق عليهم « حاتيوعا » h 3 tiw - c
وهي كلمة مصرية تعنى (أمير)^(٦) ، وعلاقة الليبيين بمصر علاقة قديمة
 ويفترض « أدوارد » أن التقسيم بين الشعبين المصرى واللىبى قد حدث نتيجة
عدم الخضاع « الحاق عا » بواسطة ملوك مصر العليا عند توحيد مصر في بداية
العصر التاريخى^(٧) وهو افتراض لا تدعمه الأدلة الأثرية ، وكما يرى الدارس فإن

Ibid , PP. 376 - 377

(١)

Gardner, A.H., Egypt of the Pharaohs, P. 35

(٢)

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 47.

(٣)

Ibid . P. 47

(٤)

عن أوجه التشابه في الرمز والأسماء والقرصات ، انظر :

Oxling, J., "Libyen, Eberer", LXIII, SP. 1020

(٥)

Edwards, I.E.S . op. cit., P. 47.

(٦)

Gardner, A.H., A.I.O. Vol. I, P. 117.

(٧)

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 47

(٧)

علاقته بين الجانبين علاقة قديمة تراوحت بين السلم والحرب حينما كانت تدفعهم ظروف الجفاف أو اضطراب الأحوال السياسية في مصر إلى الضم في غمراتنا فنقوم برد غاراتهم وتأديبهم ، وهو ما عبرت عنه الأثار المشتمة إلى عصر ما قبل الأسرات وبداية العصر التاريخي حيث تشير نقوش صلابة الحصون والغمامه الملك يعتقد أنه العقرب الذي صور رمزه ضمن الرموز المقدسة ، وفيها غنائم الحرب التي حصل عليها وضعتها صفوفاً للماشية ، تحفا أشجار زيتية صمغية كتب تحفا عبارة تحنو اشارة إلى هذه الأنحاء اللبية ونجاح الملك في تأديبها والاستيلاء على ما تجود به من مراعى وأشجار^(١) كذلك عثر على نقوش لكل من الملك « نعرمر » ، « جر » (الأسرة الأولى) تسجل انتصارات مصرية على الحدود المصرية اللبية لتأمين الحدود من ناحية الغرب^(٢) ، كما عثر على بعض الأواني الحجرية في « نخن » للملك « خع سخم » (الأسرة الثانية) تمثل عليها الاله « نخت » على شكل نسر قابضه باحدى قدمها على دائرة رسم بداخلها كلمة بش Besh بمعنى الثوار أو العصاه وممكة بالقدم الأخرى على رمز وحدة مصر العليا ومصر السفلى وعلى قطعة أخرى تمثل جزء من أسير راكع على منصه تنتهي برأس رجل أجنبي على رأسه قوس (شكل ٤) وفي أسفل المنظر يوجد اسم الملك مع عبارة « منحضع البلاد الأجنبية »^(٣) وهناك احتمال أن يكون المقصود بكلمة العصاه أو الثائرين في اللوحة إنما يعنى أحد الشعوب اللبية المجاورة للكتاب ناحية الجنوب الغربي أو احدى الجماعات اللبية الموجودة في الشمال الغربي بالقرب من الفيوم^(٤) .

(١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة والارها ، ص ١٠٠ ص ٢٢١ .

Breasted, J.H. - A History of Egypt from the Earliest times to the persian Conquest, (٢) London, 1906, P. 47.

وكذا

Vercouter, J., Op. Cit., P. 268

Quibell, B.A. Hierakonpolis, I. P. 7, Pl. xv

Emery, W.B., op. cit., PP. 99 - 100

(٣)

وكذا

Quibell, B.A., op. cit., P. 11, PLS. XXXVII, XXXVIII

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 33

(٤)

وفي عصر الدولة القديمة نقش الملك « ساحورع » (الأسرة الخامسة) على جدران معبده الجنزى الإلهة « سشات » الهة الكتابة وهي تسجل أعداد الماشية التي استولى عليها الملك كما يظهر في النقش روعة وأبناء الملك الليبي وسمائهم الخاضعين للملك المصرى بعد هزيمتهم واستسلامهم^(١) ، وفي عصر الدولة الوسطى رأينا الملك « متوحب الأول » (الأسرة الحادية عشرة) يرسل إليهم أكثر من حملة نجحت أحدها في قتل قائد التحنو وتمكنت من وضع حد للفوضى والاضطرابات على حدود مصر الغربية منذ نهاية عصر الدولة القديمة^(٢) ، وهو ما يراه هيز « Hayes » أنه قد حدث في عهد متوحب الثاني الذي وصف انتصاره على القبائل الليبية في الصحراء الغربية باعتباره قد أخضع أعداء مصر التقليديين « الأقواس التسعة »^(٣) كذلك نجح فراعنة مصر في عصر الدولة الحديثة في إقامة الحصون وقياده الحملات لكسر شوكة الجماعات الليبية من المشوش والريو وتأمين الحدود الغربية لمصر من اعتداءاتهم المتكررة .

ولم تقتصر العلاقة بين مصر والليبيين على الجانب الحربي وإنما كانت هناك أيضاً علاقات سلمية حيث ذكر حرخرف على جدران مقبرته في أسوان نجاحه في رحلته الثالثة في التوسط بين أحد رؤساء قبائل النوبة « أيام » والتحمو « المنتشرة في طريق الواحات غرب النيل وتمتد حتى واحة « سليبة » على أقل تقدير فعمل على اصلاح ما بينهما وبذلك ضمن تأمين وصول تجارة مصر دون اعتراض من أحد ، أيضاً ما قام به « وني » من تجنيد بعض سكان الصحراوات الغربية من قبائل « التحمو » الليبية^(٤) ولعل الدافع الاقتصادي كان ضمن

(١) Smith, W.S., The old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate period, CAH, Vol. 1, P. 2. 142.

وكندا

Vercouter, J., op. cit., P. 295.

Ibid., P. 350.

(٢)

(٣) Hayes, W. Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes, CAH, Vol. 1, P. 2 P. 480.

(٤) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٥ .

ألكس

Breasted, J.H., BAR, Vol 1, Chicago, 1906, PP. 152-153.

الأسباب الهامة للاهتمام بتلك الأنحاء وخاصة حاجة مصر إلى زيت التحنو ، وفي الدولة الحديثة استوردت الريش بالإضافة إلى الماشية والأغنام التي توفرت بكثرة في بعض الفترات وهناك احتمالية قيام الليبيين بدور الوسيط التجاري بين مصر وجنوب أفريقيا^(١) .

أما من ناحية الشرق والشمال الشرقي حيث الطريق من مصر إلى سورية بمعناها القديم وفلسطين في الجنوب والطريق منها وإليها يمر بشمال شبه جزيرة سيناء ، فلقد دلت الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية عن وجود اتصالات بين مصر وهذه الأنحاء منذ عصر ما قبل الأسرات ففي الناحية الاقتصادية والحضارية مع فلسطين فلقد عثر على عدد من الأواني الفخارية ذوات الأمدى الموجة في المعادى وجزره ونقادة وغيرها ترجع في أصولها إلى فلسطين في جريكو (اريحا) والطبقة الثامنة عشرة لى بيت شان^(٢) وكما يرى « فوركيه » فإن مصر قد تبادلت منتجاتها مع جيرانها وبصفة خاصة فلسطين وأنه مع مجيء عصر التأسيس في مصر فإن هذه العلاقات الاقتصادية قد ازدادت بدليل العثور على كثير من الأواني الحجرية تحمل اسم « نعرمر » في عدة أماكن من سوريا وفلسطين^(٣) أيضاً فإن عمليات التنقيب والحفائر في بيلوس قد دعمت أدلة وصول المنتجات المصرية إلى سورية حيث عثر في أرضية أحد المعابد على سكاكين حجرية وخرزة ذهبية وقطعتي لنب يمكن ارجاعها لفترة ما قبل الأسرات في مصر^(٤) ، ولعل العامل الاقتصادي كان هو الهدف الأساسي من إرسال البعثات إلى سورية وفلسطين وخاصة للحصول على أخشاب الأرز الذي عثر على بقايا منه في مقابر البداري^(٥) ، كما ذكرت أخشاب الأرز ضمن نقوش الملك « عجباب » (الأسرة الأولى)^(٦) ، كذلك لعل وفرة الأثار

Osing, J. : "Lahven, Luber", I. A. III, Sp. 1020.

(١)

(٢) شيد النخوري جنوب عرى أسد ، عمان أفريقيا ، كتاب أول ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٠ .

Vercouter, J. The Near East, P. 269

(٣)

Edwards, I. E. S., op. cit. PP. 45, 231.

(٤)

(٥) شيد النخوري أقاليم صلاح حمادة عن مصر ، كتاب مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٥ .

Edwards, I. E. S., op. cit. P. 46

(٦)

انصرهة التي عمر عليها في بيلوس تدل على أن الانتقال في البداية كان يتم بحراً لأن الانتقال البرى كان محفوفاً بالمصاعب ، وليس من المستبعد أيضاً أن يكون الملوك الأوائل في عصر بداية الأسرات قد اهتموا بالطريق البرى عبر سيناء وفلسطين ، سواء للحصول على النحاس والفيروز من سيناء أو لتسية التجارة مع بيلوس^(١) ، ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد اضطروا لاستخدام القوة لتأديب بعض مثيرى الشعب في سورية وفلسطين وبنو سيناء ، وقد تكون لوحة نمرمر دليل على تلك العمليات التي نفذها في تلك الاعياء وخاصة ضد المدن الفلسطينية المحاطة بالأسوار كما عثر على قطعة فخارية من اثناء مصرى في تل الشيخ العرنى (جنوب فلسطين) عليها اسم نمرمر^(٢) ، يدعم ذلك الشواهد الأثرية خلفاء نمرمر حيث يشمر حجر بالرمو إلى قيام الملك « جر » بإرسال حملة عسكرية لضرب السيه « Setjet » وهو اسم ربما كان يطلق في بداية الأسرات على سيناء ثم أصبح فيما بعد يطلق على غرب آسيا ، أيضاً على لوحة عاجية للملك « دن » (وديمو) تمثله يهوى بمقمعه على راس أحد زعماء البنو ، واللوحة نقشت عليها عبارة « المرة الأولى لضرب الشرقيين » ربما إشارة لتأديبه للبنو في سيناء أو للبنو في الصحراء الشرقية^(٣) وربما ما ورائها أيضاً^(٤) لتأمين طرق القوافل والبعثات التجارية التي أعتادت مصر ارسالها إلى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية ولعل المقصود بعبارة الشرقيين تلك الشعوب المسماة بالأويونتو Twntiw التي جاء ذكرها في السطر الثالث من حجر بالرمو والتي أكدت بطاقات الملك عنجاب انتصاره عليهم^(٥) .

كما تشير الأدلة الأثرية في عصر السلوة القديمة على نجاح ملوكها أيضاً في ارسال البعثات السلمية والعسكرية إلى تلك المناطق ومن هذه الأدلة ما سجله الملك ساحورع (الأسرة الخامسة) على جدران معبده الجنزى للسفن العائدة من سورية بالتجارة والاسيويين عليها وأسفلتهم مرفوعة ولاء للملك

Ibid., PP. 46, 235.

Devaux, R., Palestine in the Early Bronze Age, CAH, Vol. I, P. 2 P. 235.

Imery, W., Archaic Egypt, P. 74.

(٤) عبد العزيز صالح - الشرق الأول القديم ، ج ١ ، ص ٩٤ .

Edwards, I.E.S., op. cit. P. 27.

المصري^(١) ، وهناك نقش آخر في مقبرة « نسي In: » في دثاشه يمثل استيلاء أحد ملوك الأسرة الخامسة على حصن أو مدينة كنعانية^(٢) وفي عصر الأسرة السادسة تزايد تهديد الآسيويين لحدود مصر من ناحية الشمال الشرق : الأمر الذي عبر عنه « وني » على نقوش مقبرته بأبيدوس حيث عهد إليه « بيى الأول » بقيادة خمس حملات أحدهما كانت مشتركة بين القوات البرية والبحرية وكان النصر حليفه في كسر شوكة الآسيويين^(٣) .

ويمكن القول في إيجاز أن ملوك مصر منذ بداية الأسرات قد اهتموا بتأمين طرق القوافل المتجهة إلى الشمال الشرق ، كما نجحوا في التصدي لغارات الطامعين والآسيويين .

أما عن ورود أسماء مصر العليا ، مصر السفلى ، الصحراء الشرقية وسكان الواحات ضمن الأقواس التسعة ، فإن هذا يعنى سيطرة الملوك الفراعنة على هذه الأجزاء ، ومن ناحية أخرى فهي انعكاس لأحداث الصراع والحروب منذ عصور ما قبل الأسرات حتى انتهى الأمر بقيام أول الأسرات الفرعونية .

ولقد قام الباحث مستعيناً بكتاب PM بدراسة مقابر الأسرات في طيبة المنتمية إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة والتي صور على جدرانها الأقواس التسعة اعتباراً من حكم الملك تحوتمس الثالث حتى حكم الملك « امنحتب الرابع » (أختاتون) وبينها كالاتي :

المقبرة رقم ٤٢ وموقعها الشيخ عبد القرنه :
 صاحبها : امنس . ms Inm

وظيفته : قائد القوات ، عين الملك في أراضي الرتبو .
 عصر الملكين : تحوتمس الثالث ، امنحتب الثاني .

Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, P. 88 (١)

De Vaux, R. op. cit., P. 235. (٢)

Breasted, J.H., BAR, PP. 142 - 143. (٣)

ويوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٥) طبقاً لـ PM, I, P. 80. حيث يقدم المتوق القرابين للملك تحومس الثالث والأقواس التسعة على قاعدة العرش^(١).

المقبرة رقم ٣٦٧ وموقعها الشيخ عبد القرنة :



صاحبها : باسر p3 sr

عصر : منحوتب الثاني

وظيفته : رئيس الرماه ، رفيق جلالته^(٢)

يوجد المنظر عند رقم (٥) طبقاً لـ PM, I, P. 416.

المقبرة رقم ٦٣ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

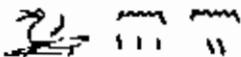
صاحبها : سبك حب  sbk htp

وظيفته : المشرف على بحيرة سوبك sbk htp

عصر : تحومس الرابع

يوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٥) على قاعدة كرشي العرش للملك تحومس الرابع^(٣).

المقبرة رقم ٧٤ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحب المقبرة : إثنوي 13 nwny 

PM, I, P. 82

Ibid, P. 80.

كذلك : انظر الرسم التخطيطي للمقبرة .

PM, I, PP. 430 - 431.

Ibid, P. 416.

كذلك : انظر الرسم التخطيطي للمقبرة .

PM, I, PP. 125 - 126.

(٣)

وظيفته : كاتب ملكي ، قائد جنود

عصر : نحوتمس الرابع

يوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٦) حيث يقدم المتوق القرايين للاله آمون والملك نحوتمس الرابع والأقواس التسعة على قاعدة العرش^(١) .

المقبرة رقم ٤٧ وموقعها الخوخة :

هـ
٢١

صاحبها : وسرحات wsr h3t

وظيفته : المشرف على الحرم الملكي

عصر : امنحتب الثالث

ويوجد منظر الأقواس التسعة إلى يسار الداخل في الصالة الأمامية حيث صاحب المقبرة يقدم العقود للملك « امنحتب الثالث » وزوجه الملكة « تي » وهم داخل الحرم الملكي المنقوش على قاعدته الأقواس التسعة^(٢) .

المقبرة رقم ٤٨ وموقعها الخوخة :

صاحبها : امنحات  (كما يدعى أيضاً سرور)

Imn m h 3 t

وظيفته : كبير المشرفين ، المشرف على ماشية آمون .

عصر : امنحتب الثالث .

ويوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٤) حيث الملك

PM, I, PP. 144 - 145.

(١)

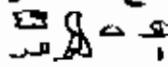
وكندا
Schell, V. Sept Tombes aux Thebains de la X^e Dynastie, Mem. V, 2, Paris, 1891,
P. 598

PM, I, P. 87.

(٢)

« امنحوب الثالث » على العرش داخل الجوسق الملكي وعلى القاعدة توجد الأتواس التسعة^(١) .

المقبرة رقم ٥٧ وموقعها الشيخ عبد القره :

صاحبها :  سم ح ٣١

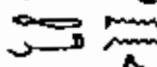
كما يسمى أيضاً (عو)

وظيفته : كاتب ملكي ، المشرف على غلال الوجه القبلي والوجه البحري .

عصر : امنحوب الثالث .

ويوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (١١) حيث الملك « امنحوب الثالث » داخل الجوسق الملكي ممثل وهو يسحق أعدائه وعلى قاعدة الجوسق توجد الأتواس التسعة^(٢) .

المقبرة رقم ١٢٠ وموقعها الشيخ عبد القره :

صاحبها :  سم ح ٣١ (كما يسمى أيضاً عو)

c 3 - nn

وظيفته : الكاهن الثاني لأمون .

عصر : امنحوب الثالث .

ويوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليمين في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الشمال الشرق عند رقم (٣) حيث امنحوب الثالث ممثل على هيئة

PM. I, PP. 87 - 88.

(١)

انظر الرسم التخطيطي للمقبرة :

Ibid., P. 90.

PM. I, PP. 113 - 114.

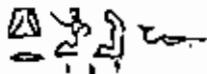
(٢)

انظر الرسم التخطيطي للمقبرة .

Ibid., P. 106.

أبو الهول يذبح أعدائه على جانب من عرشه والمملكة في داخل الجوسق الملكي
 وصور عليه الأقواس التسعة (١).

المقبرة رقم ١٩٢ وموقعها العسايف :

صاحبها : غاروف  كما يسمى أيضاً ساعاً ،
 htw. f

وظيفته : المشرف على املاك الزوجة الملكية العظمى .

عصر : معاصر لكل من « المنحوتب الثالث » و « المنحوتب الرابع »

ويوجد منظر الأقواس التسعة عند رقم (A) على الجانب الأيمن من الصالة
 الأمامية الأولى حيث الملك المنحوتب الثالث وزوجته الملكة في على شكل
 أبو الهول (مؤنث) ممسكة بأسرى من النسوة الآسيويات والنوبات وكل من
 الملك والملكة داخل الجوسق الملكي المصور على قاعدته الأقواس التسعة (٢)
 (شكل رقم هـ أ ، ب) .

المقبرة رقم ٥٥ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحبها : رعمر .  R^c - ms

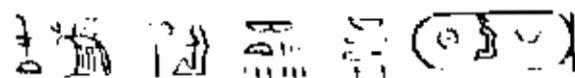
وظيفته : حاكم المدينة (طية) والوزير .

عصر : المنحوتب الرابع .

(١) Ibid. I P. 237 - 234.

(٢) Ibid. I. P. 299

كما حمل الملك « المنحوتب الثالث » على عرشه « حاد ٢ » الأقواس التسعة . بعد الآسيويين



nswt bity hka pd tyw. nbt 3 wy Nb - M3 et Re

« بنت مصر العظيمة » على « حاد ٢ » الأقواس التسعة . كما حملت « بنت حاد ٢ » المنحوتب

الثالث

العظيم

(٣) Ibid. A. « A Note on the Tomb of Khnumhotep », ASAE 42 (1942), P. 469

ويوجد منظر الأقواس التسعة (عند رقم ٧) في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى ، حيث الملك ه امنحتب الرابع والاله ماعت ه داخل الجوسق الملكى المصور على قاعدته الأقواس التسعة^(١) .

وبعد دراسة الباحث لمناظر الأقواس التسعة أثناء عصور الدولة القديمة والوسطى والحديثة لاحظ ورودها على قاعدة تماثيل الملوك ، وضمن الألقاب والصفات التى نعتوا بها ، كما نلاحظ من دراسة مناظر الأقواس التسعة المثلة على جدران مقابر الأسرة الثامنة عشرة سالفة الذكر أنها قد وردت باستمرار على قاعدة العرش الملكى ، أو تحت الجوسق الملكى .

أيضاً يتفق الباحث مع رأى فوركتيه بأن ترتيب أسماء الأقواس التسعة الذى يتكرر بنفس الكيفية وحتى نهاية العصر اليونانى يعنى أن القائمة تقليدية^(٢) رغبة في التمسك بالتقاليد الموروثة .

كذلك يلاحظ الباحث من دراسة مقابر الأسرة الثامنة عشرة أن منظر الأقواس التسعة بهذه المقابر كلها — عدا المقبرتين رقم ١٢٠ ، ٣٦٧ — يوجد في الصالة الأمامية إلى اليسار في مواجهة الداخل مما يشير إلى امكانية وجود نموذج قام الفنان المصرى بمحاكاته في كل المقابر تقريباً ، كذلك يستتج الدارس أن أصحاب هذه المقابر شغلوا مناصب عليا في عصر الأسرة الثامنة عشرة وحملوا القابا دينية ودنيوية مثل الكاهن الثانى لأمون ، الوزير ، قائد القوات ، رئيس الرماة ، الكاتب الملكى ، المشرف على الحرم الملكى ، المشرف على غلال الوجه القبلى والبحرى .

وأخيراً فإن مفهوم الأقواس التسعة إنما يعنى انتصار الملك على أعدائه في الداخل وبخاصة في تحقيق الوحدة السياسية والاستقرار وكذلك انتصاره على أعداء مصر في الخارج ونجاح الملوك في حماية حدود مصر السياسية وهى مهمة مقدسة تأتى على رأس واجبات ملوك مصر في العصور الفرعونية القديمة .

PM. I, PP. 105 - 106.

(١)

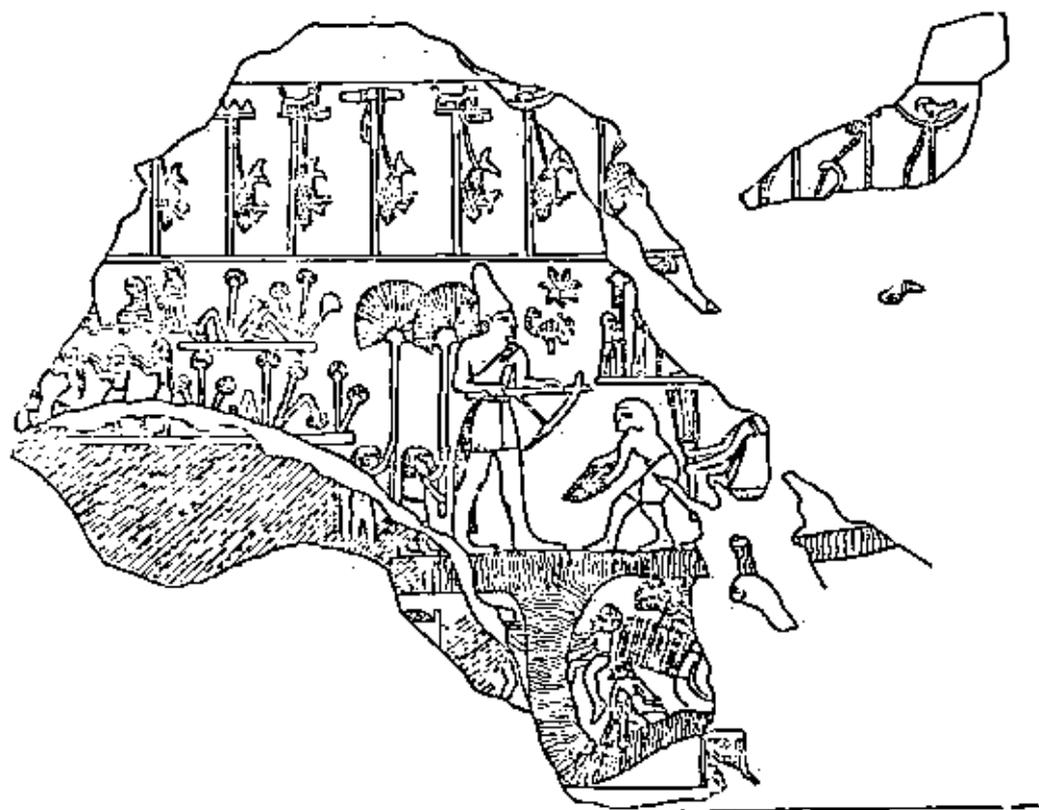
نظر رسمه التخطيطى السابقة .

Ibid. P. 106.

Versouner, J., op. cit. P. 117

(٢)

اللوحات



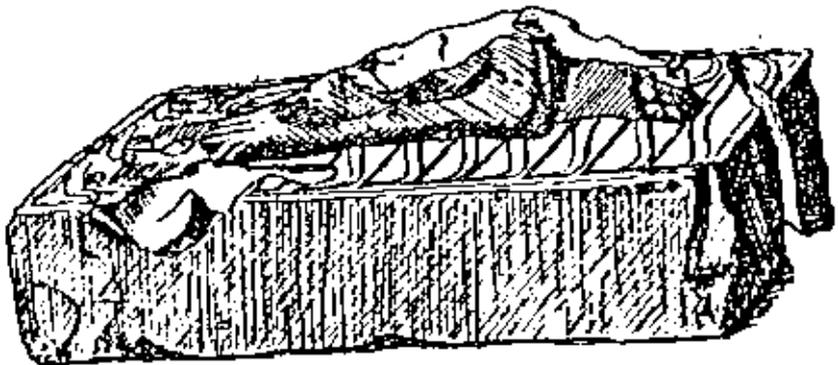
(شكل رقم ١)

ملحمة الملك العطب : نقل عن :

Smith, W.S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the
Old Kingdom, London, 1946, Pl. 30.



(شكل رقم ١٦)
 رسم تمثيل تمثال الملك دزوسر ، نقلا عن :
 Gunn, B., Inscriptions From the Step
 Pyramid Site, P. 184.



(شكل رقم ٢ ب)
 قاعدة تمثال الملك دزوسر ، ونحت أقدام الملك
 الأفواس التامة . نقلا عن :
 Ibid., P. 183.



(شكل رقم ٣)

لوحة صخرية للملك « حور » (الأسرة الأولى) نقلًا عن :

Drower, M., Nubla, P. 117.

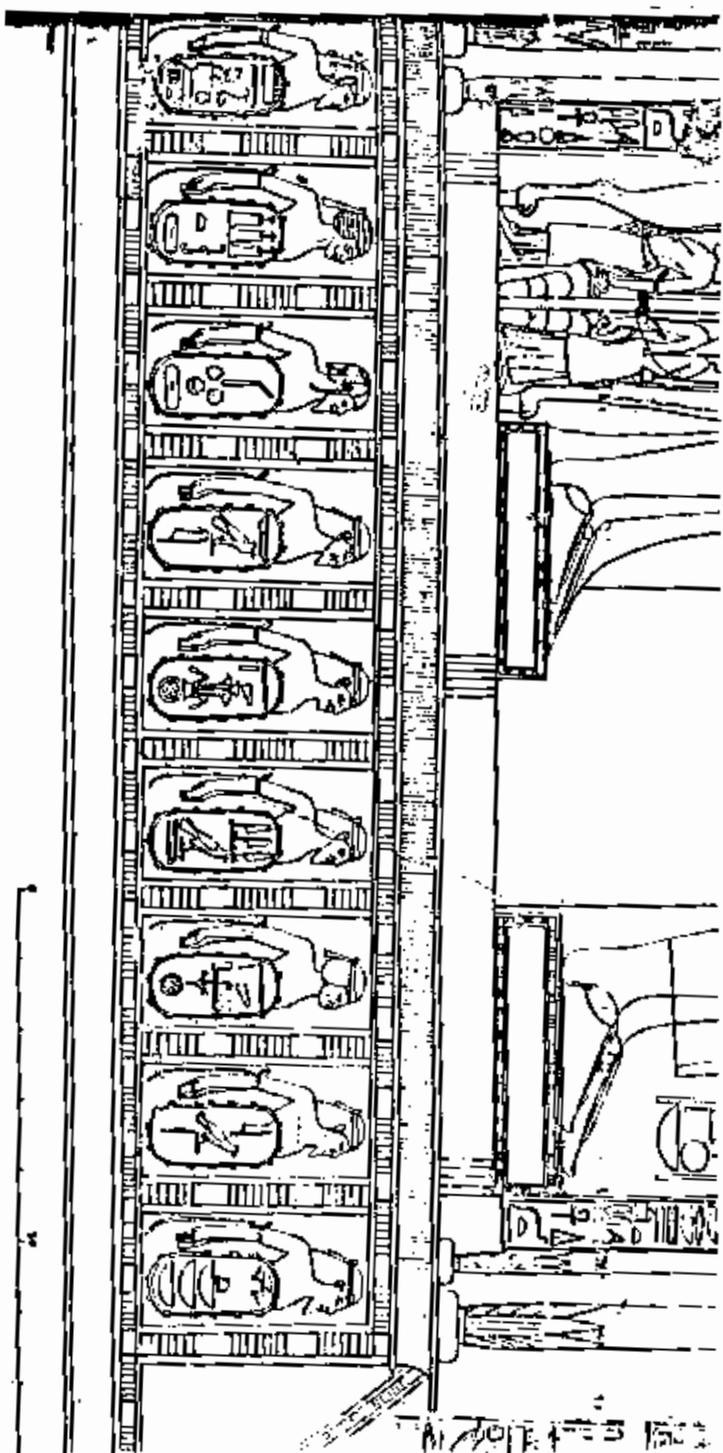


(شكل رقم ٤)

الملك « نغم سخم » (الأسرة الثانية) والالهة تجت قابضة بأحدى

قدميها على دائرة رسم بداخلها كلمة « بش » ، نقلًا عن :

Quibell, J.E., Hierakon Polis, P.L., Pl. XXXVIII



(شكل رقم ١٥٥)
 الأقسام الخمسة للآلهة

The Epigraphic Survey the Tomb of Khemet, OIP. 102,
 1975, Pl. 49.



(شكل رقم ٥ ب)

جانب من الألواس التسعة ، التوبة العليا ومصر العليا ،
نقلا عن :

Fakhry, A., "A Note on the Tomb of Khentkaus at
Thebes", ASAE, 42, PL. XLII

قائمة الاختصارات

- 1 - AEO : Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, I-III, Oxford, 1947.
- 2 - ASAF : Annales du Service des Antiquites de l' Egypte le Caire.
- 3 - BAR : Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, I-V, Chicago, 1906-7.
- 4 - BIFAO : Bulletin de l' Institut français d'archéologie Orientale, le Caire.
- 5 - CAH : The Cambridge Ancient History, Cambridge 1970 - 75.
- 6 - CdE : Chronique d' Egypte, Brussel.
- 7 - FIFAO : Fouilles de l'Institut français d' archéologie Orientale du Caire, le Caire.
- 8 - JEA : Journal of Egyptian Archaeology, London.
- 9 - I.Ä : Lexikon der Agyptologie, Wiesbaden.
- 10 - OIP : Oriental Institute Publications, The University of Chicago, Chicago.
- 11 - PM : Porter, B., and Moss, R.L.B., topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts Reliefs and Painting, etc. I, V, VI. 1927 ff.
- 12 - Pyr : Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969.
- 13 - WB : Wörterbuch der ägyptischen Sprache.

أولاً : المصادر العربية

- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٦٧ . — حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
- رشيد الناصوري : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، بيروت ، ١٩٦٨ ، — أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

ثانياً : المراجع المترجمة

- جان فوركتيه : قدماء المصريين والأغريق ، ترجمة محمد على كمال الدين ، كمال دسوق ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

- Arkell, A. J., *Varia Sudanica*, JEA, 36, 1950.
- Breasted, J.H., *A History of Egypt from the Earliest times to the Persian conquest*, London, 1906.
- *Ancient Records of Egypt*, Vol. I, Chicago, 1906.
- De Vaux, R., *Palestine in the Early Bronze Age*, CAH, Vol. I, P. 2., Cambridge, 1970 - 75
- Drower, M., *Nubia A Drowning land*, London, 1970.
- Edwards, I.E.S., *The Early Dynastic Period in Egypt*, CAH, Cambridge.
- Emery, W., *Archaic Egypt*, Edinburgh, 1963.
- Fakhry, A., "A Note on the tomb of Kheruef at Thebes" ASAE, 42, 1942.
- Faulkner, R.O., *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Oxford, 1969.
- Gardiner, A.H., *Egypt of the Pharaohs*, Oxford, 1961.
- *Ancient Egyptian Onomastica*, Oxford, 1947.
- Gunnis, B., *Inscriptions From the Step Pyramid Site*, ASAE, 28, 1928.
- Hall, H.R., *The Relations of Aegean with Egyptian art*, JEA, Vol. 1, 1914.
- Harl, R., *Hor emheb et la Reine Moutnedjemet*, Geneva, 1964.
- Hayes, W.C., *Internal History from the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III*, CAH, Vol. 1-2.
- James, T.G.H., *Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Antefphis I*, CAH, Vol II, Part I.
- Jequier, G., *L' Architecture et la decoration dans l' ancienne Egypte*, Tome I, Paris, 1920.
- Kemp, B.J., *Ancient Egypt. A Social History*, Cambridge, 1983
- Le Grain, G., *Statues et Statuettes de rois et de parti culiers (Cair Caïre)*, Tome I, Le Caire, 1906.
- Osing, J., "Libyen, Libyen", I Ä, III, Wiesbaden.
- Petrie, W.M.F., *The Royal Tombs of the Earliest Dynasties*, Vol. II, London, 1913.
- Pillet, M., *Rapports sur les travaux à Karnak*, ASAE, 22, 1927
- Quibell, J.E., *Hiera Kompolis*, I, London, 1900.
- Scheil, V., *Sept Tombeaux Thébains de la XV IIIe Dynastie*, Mem. V, 2, Paris, 1891.

Smith, W.S. : A History of Egyptian Sculpture and Painting in the old kingdom, London, 1946.

- The Old kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period. CAH, Vol I, P. 2.

Vercoutter, J., "Les Haru - Nebout". BIFAO. 48, 1949.

- Vercoutter, J. and Others., The Near East, The Early Civilizations; London, 1967.

Wildung, D., Neunbogen. LÄIV, Wiesbaden.

المراسلات المتبادلة
بين بابوات روما وسلاطين مصر من بنى أيوب
(١١٨٣ - ١٢٤٥ م / ٥٧٨ - ٦٤٣ هـ)

الدكتور

حسين محمد عطية

كلية الآداب - جامعة طنطا

202

تعتبر الحروب الصليبية من أهم مجالات الالتقاء بين الشرق الأدنى الإسلامي والغرب المسيحي خلال الحقبة الوسيطة من التاريخ . وإذا كان صليبو الحملة الأولى — بعد إقامتهم لركائز الغرب في بلاد الشام — قد وجلوا أنفسهم في مجتمع غريب عليهم وهم غرباء عنه ، فإنه وسط مشاعر العداوة المتبادل ، لم يكن هناك ما هو أصعب من التقارب . وكان أن فقد الغزاة لغة المفاوضات^(١) . وكانت انتصارات الفرنج^(٢) ، وما كان يعقبها من قسوة وعنف^(٣) ، هي وسيلتهم للتعبير عن مشاعرهم وقوتهم^(٤) . ولقد فرضت انتصاراتهم الناجمة عن نشأت كلمة مسلمي الشرق الأدنى ، وانشغال بعضهم ببعض ، ما قد ساد من لغة

(١) J.F. Michaud, Histoire de Croisades, Paris, 1970, p. 581.

(٢) يكفى للدلالة على ما ارتكبه الفرنج من جرائم ، عند استيلائهم على مدينة أنطاكية ثم على مدينة بيت المقدس ، ما ذكره من اشترك من مؤررخيها في هذه الوقائع . فقد ذكر كاتب الجيوش المجهول أن الفرنج حين دخلوا مدينة أنطاكية « قتلوا من صادفوه بها من الأتراك والمسلمين » . يقرر الكاتب نفسه أن المذبحة التي قام بها بنو بلدته حين دخلوا مدينة بيت المقدس « ما تأتي لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحه كهذه » . وحتى الذين احتسوا بالمسجد الأقصى من المسلمين لم ينجوا من سيوف الصليبيين الذين ضوهم بتدخله . وحين دخله المؤرخ هونداجيل لم يكن من السهل عليه أن يتلمس طريقه « وسط الجثث والدماء » التي بلغت ركبته . أنظر : المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة وبحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسن حبيبي ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٧٠ ، ١٢٠ . راجع أيضا :

Raymond d'Aguilers, Historia Francorum qui cepérunt Iherusalem, in R.H.C.-H.occ., vol 4, p. 298.

(٣) عندما وصفت سفارة فاطمية إلى المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية في أوائل عام ١٠٩٨ م/٤٩٩ هـ ، وبقيت هناك لمدة أسبوع ، جنول فرسان الفرنج حول الخيام التي أقام فيها رسل الأفضل برؤس القتل من مسلمي حلب ، بعد أن دحر الفرنج قوات رضوان بن تشر ملك حلب الذي هرج لسجدة أنطاكية في ٩ فبراير/١٠٩٨ ميع أول من نفس العام . أنظر : المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٩ . راجع أيضا ترجمة خطاب شيفن كويت بلوا ويشايفر في زوجته أميلا والذي حرره من المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية في ٢٩ مارس ١٠٩٨ م/٢١ ربيع ثان ٤٩٩ هـ . انظر : حسن عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨-١١٧١ م/٤٩٩-١١٩٢ هـ) ، رسالة ماجستير لم تشر بعد ، الإسكندرية ١٩٨١ م ، ملحق رقم (١) ص ٢٨٦-٢٩٣ .

للمفاوضات^(١). فلم تكن هناك حاجة بالصليبيين إلى التخلل عن التظاهر بالقوة، طالما لم تتوحد الجبهة الإسلامية أمامهم. واستمر هذا الوضع حتى عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود من بعده، حيث لم تكن القوى الإسلامية في بلاد الشام تخضع طواعية للزنكيين^(٢) بالرغم من اعتدال ميزان القوى في الصراع بين الصليبيين والملعين في بلاد الشام بما حققه نور الدين محمود من انتجازات. فقد اجتنب التأثير البيزنطي للصليبيين، الشعور بدنو الخطر الإسلامي^(٣). وحين أصبحت أملاك الزنكيين في بلاد الشام في حوزة صلاح الدين الأيوبي، وخضع له أمراء الجزيرة، ووالاه سلاجقة الروم، بعد أن أصبحت مصر بمواردها — التي لم تكن قد استفذت في الصراع الصليبي الإسلامي — هي قاعدته، وأصبحت أملاكه التي يحكمها رأى واحد، تحيط بمعاقل الصليبيين التي تخضع لآراء شتى^(٤)، أصبح صلاح الدين رجل الساعة وسيد

Albert d'Aix, *Liber Christianae Expeditionis*, in R.H.C.-H.occ., vol. 4, p. 382. (١)

(٢) كانت سياسة أنابكة دمشق من البيت البوري، هي التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية، لتجسيد الموقف في بلاد الشام، وشكل حركة عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين محمود، لحفظ ميزان القوى أمام ازدهار نفوذ الزنكيين في إحياء، وإدراك أنابكة دمشق أن مدتهم ما فتت دائما موضع أطماع زنكي ثم نور الدين. أنظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، صفحة مشرق ل تاريخ الجهاد العرب في العصور الوسطى، جزيان، القاهرة ١٩٧٥ م، ج ٢، ص ٦٠٠، ١٦٦. محمد محمد مرسى الشيخ: الجهاد المقدس عند الصليبيين حتى سقوط الرها، الإسكندرية ١٩٧١ م، ص ٣٢٩—٣٣٤، ٣٥٩ وما بعدها.

(٣) كان نور الدين يضع في اعتباره اهتمام الأمويين البيزنطيين مانويل كومنين (١١٤٣—١١٨٠ م) بأحوال الفرنج في بلاد الشام ليظهر بظهور الخاسر للكيان الصليبي ترميزا لشغل سياسته في غرب أوروبا. وهذا ما جعل نور الدين يتجنب القيام بعمل كبير ضد الفرنج من شأنه أن يثير حفيظة الأمويين. وهذا ما أفاده الفرنج — خاصة في أنطاكية — من التحالف القوي بما يشبه الخضوع لمانويل. أنظر: حسين عسيلة: امارة أنطاكية الصليبية وبنسليون (١١٧١—١٢٦٨ م)، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ١٧٠ وما بعدها.

(٤) يموت الملك عموري الأول (١١٦٣—١١٧٤ م) انقسم الفرنج في مملكة بيت المقدس إلى حزبين متصارعين: الأول هو حزب الملك ويضم امك بوليفين الرابع (١١٧٤—١١٨٥ م) والمملكة الأم أجنيس Agnes، وشقيقها جوسلين الثالث كوريناي والبطريرك هرقل وفرسان الديانة والحرب النال: هو حزب البادوات، ويقوده يعقوب الثالث كونت طرابلس (١١٥٢—١١٨٧ م) بتأييد من بوهيموند الثالث أمم أنطاكية (١١٦٣—١٢٠١ م). مبدعات المملكة من أسرة أجنيس في الرنة وصيدا وقيساية. أنظر:

William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea*, 2 vols, trans. by E. Babcock and A.C. Krey, New York, 1943, vol. 2, pp. 492-93, 501ff. Cf. also, J. Riley-Smith, *Fendal Nobility and the Kingdom of Jerusalem, (1174-1277)*, London, 1973, pp. 104-105.

الموقف . أوبداً وكأنه سيطيع بما توصل إليه الصليبيون من نط للحياة Modus Vivendi في بلاد الشام^(١) . وتكدست سجنونه بأعداد كبيرة من أسرى الصليبيين ، ذلك ، في الوقت الذي غرقت فيه أوروبا في مشاكلها التي شغلتها عن ركائزها في الشرق الأدنى^(٢) الأمر الذي لم يمكن بابوية روما من أن اتدعو لحملة صليبية جديدة . إراكنتى الجميع بجمع المعونات المادية لإرسالها إلى الصليبيين في بلاد الشام ، لمواجهة خطر تؤكد الجميع من وجوده ممثلاً في شخص صلاح الدين ، حتى اقترن ما كان يجمعه غرب أوروبا من معونات باسم الرجل^(٣) . ولما لم تكن الأموال هي كل ما يحتاجه الفرنج في بلاد الشام ، فقد سارع حكام الغرب^(٤) ، والبابوية كذلك ، الى اتباع أسلوب المفاوضات — لعجزهم عن استخدام القوة المسلحة — مع بنى أيوب .

فلم تر بابوية روما أية غضاضة في الاتصال بحكام مصر والشام الأيوبيين ، لثرى نموذجاً فريداً من نماذج دبلوماسية الحروب الصليبية ، وقد اتسمت لهجة التفاوض من جانب بابوات روما بالاعتدال . فالبابوية ، منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية الدولة الأيوبية في مصر ، وبالرغم من ماعيا لإيفاد الحملات الصليبية المتتابعة ، كانت تتفاوض — فيما يخص الكيان الصليبي في بلاد

(١) Radulf Niger, Cronica Universali, in M.G.G. ss., vol. 27, p. 315. (1)

(٢) شغلت أوروبا كلها بالصراع بين الامبراطور فريديريك بربروسا والبابوية ، كما قام الصراع بين هنرى الثاني ملك إنجلترا وملوك فرنسا ليس الساج ثم قديب أوجسطس من بعده ، الى جانب خلافات هنرى مع أبنائه في فرنسا وإنجلترا وأمراة وملك اسكتلندا . انظر :

R.H.C. Davis, A History of Medieval Europe, from Constantine to Saint Louis, London, 1964, pp. 324-326; S. Runciman, A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968, vol. 3, pp.6.f John L. La Monie, The World of the Middle Ages, New York 1949, pp. 267-274, 309-329.

(٣) وهي الصربية التي فرضت في فرنسا وإنجلترا وعمرت بعشر ملاح الدين . انظر :

Denedict of Petersborough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1867, vol. 2, pp. 30-32.

(٤) ما تم من دبلوماسية بين حكام أوروبا من ملوك باطرية وبين حكام مصر والشام من بنى أيوب ، ودراسة ما تم من مراسلات بين الطرفين ، هو موضوع بحث مستقل بذاته لي طرقتنا الى الانتهاء منه قريباً ان شاء الله . ونفس الأمر ينطبق على ما تم بين بابوات روما وحكام مصر والشرق الأدنى الإسلامى من مراسلات لا تتعلق بالعلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين .

الشام — من أجل البقاء وليس من منطلق القوة . لذلك لم ير بابوات روما أيضا أية غصاصة في استعطافهم لبني أيوب في بعض الأحيان .

ومهمة هذا البحث ، هي إلقاء الضوء على المراسلات المتبادلة بين بابوات روما وبين حكام مصر والشام الأيوبيين . وترجع أهمية دراسة هذه المراسلات إلى أنها تعتمد على الوثائق التي تعتبر مصدر الأصلة الأول لكل بحث تاريخي (١) . هذا إلى جانب أنها تكشف عن جانب هام من العلاقات بين القوى الصليبية والمسلمين إبان فترة هامة تتعلق بتغير موازين القوى في الصراع بين الطرفين المتحاربين ، وتعطى صورة واضحة عن طبيعة هذه العلاقات ، وعن روح الحروب الصليبية نفسها . فضلا عن أن هذه الوثائق لم تمتنع باهتمام غالية مؤرخي الحروب الصليبية الحديثين ، الأمر الذي يدفع إلى الاهتمام بمعالجة نصوص هذه الوثائق ودراستها والاستفادة من المعلومات التاريخية التي وردت في ثناياها .

ولما كان من المتعذر الوقوف على أصول هذه الوثائق ، أو الإطلاع عليها في أرشيفات الفاتيكان ، فيمكن إدراك مدى الصعوبة التي تحيط بتناول مثل هذا البحث . ويزيد من تلك الصعوبة أن هذه الوثائق ، لم تتضمنها صفحات كتب مؤرخي العصر الأيوبي ، التي ضمت الكثير من المكاتبات التي تم تبادلها بين سلاطين الدولة الأيوبية ، وغيرهم من حكام الشرق الأدنى الإسلامي . وبالرغم من وجود ديوان للإنشاء في الدولة الأيوبية ، أخرج لنا الكثير من وثائق هذه الدولة (٢) ، إلا أن ما تم تبادل من مراسلات بين بني أيوب وبين حكام غرب

(١) محمد ماهر حماد - وثائق السياسة والأدبية للعهد العاضب والأناكية والأيوبية ، دراسة ومعرض (ط ٢) - بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٠ .

(٢) نوح القاضي الفاضل عند الرحمن السبكي في ديوان الإنشاء العاضب في عهد الخليفة العاضب وأستدريه صلاح الدين كتابة الإنشاء . وأن القاضي الفاضل ، يمكن يستكن من ملاحظة صلاح الدين بصورة دائمة ، فقد عين العاضب الأصمهان كاسا في بعض البيوت ليلام السلطان في فرجه . وأن العاضب يجيد الكتابة بالعربية إلى جانب العربية . لا تولى كتابة الإنشاء في عهد العاضب عمر بن أيوب الكاتب بهاء الدين زهير . أنظر : العاضب الأصمهان - البرق الثامن ، ج ٣ ، ص ٥ ، تحقيق مصطفى الحاربي ، الأدب ١٩٨٧ ، ج ٢ ، مقدمة الفصل ، ص ١٥ ، تحقيق (قتيبي الدين) كتاب السلوك لعرفة دول الملوك ، الجزء الأول في ٣ أسماء ، شبه محمد مصطفى بهاد ، القاهرة ١٩٢٤ - ١٩٢٢ ، ج ١ ، قسم ١ ، حاشية رقم (١٦) التي تقع في ص ٢٨٤

أوروبا وبايات روما ، لم تحفظه مصنفات مؤرخى هذه الفترة من المسلمين ، ولا حتى أعمال مؤرخى العصر المملوكى (١) .

وإذا كان بعض المؤرخين المسلمين يشيرون أحيانا فى كتاباتهم إلى العلاقات بين حكام الشرق الأدنى الإسلامى من بنى أيوب وحكام غرب أوروبا أو أباطرة الدولة البيزنطية ، فإن الأمر لا يتعدى الإشارة إلى حضور « رسل الفرنج » ، أو « رسل صاحب القسطنطينية » إلى السلطان الأيوى ، ضمن من وصلوا إلى بلاطه فى وقت من الأوقات ، دون ذكر لسبب حضور هؤلاء الرسل — فى أغلب الأحيان — أو المهمة المكلفين بها . وهكذا بقيت نصوص المراسلات التى تمت بين الطرفين بعيدا عن متناول الباحثين . وهنا يبرز تساؤل يفرض نفسه : لماذا لم تتضمن أعمال هؤلاء المؤرخين ، معاصرين كانوا أم لاحقين ، مثل هذه المراسلات ، كما تضمنت المراسلات المتبادلة بين السلاطين الأيوبيين وبين غيرهم من حكام الشرق الأدنى الإسلامى ، وكلها من إنشاء القاضى الفاضل أو العماد الأصفهائى أكتبة صلاح الدين ومن خلفه فى إدارة شئون الدولة الأيوبية (٢) .
الحقيقة ، لم نعتز على إجابة شافية لهذا التساؤل إلا بين ثنايا الخطاب الذى بعث به صلاح الدين نفسه إلى البابا لوكيوس الثالث Lucius III (١١٨١ — ١١٨٣ م) (٣) ، حيث يذكر صلاح الدين للبابا أن «مبعوثه — أى مبعوث البابا — قد مكل أمام صلاح الدين سرا «et ante nos in secreta camera «
«venire fecimus» (٤) .

(١) انصرت أعمال مؤرخى الدولة الأيوبية والمملوكية على تسجيل مراسلات بنى أيوب مع حكام الشرق الأدنى الإسلامى ، وبالرغم من أن كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا الذى وضعه أبو العباس الففندى يحرر بعدد والفر من مراسلات الأيوبيين مع حكام بعض الممد التنجاية الأوروبية مثل جنوا وبيزا والبندقية وغيرها ، فإنه لم يورد لنا ما تم من مراسلات بين ملوك أوروبا وبايات روما وبين الحكام الأيوبيين أنظر : جوهف نسج يوسف : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، الإسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٦١ وما بعدها .

(٢) عن هذا الخطاب انظر ما يتقدم ، ص ٢٦١ وما بعدها .

(٣) انظر ملحق رقم (١) بأخر البحث .

كما يذكر صلاح الدين للبابا في نهاية خطابه إليه أنه قد عهد إلى المبعوث البابوي بأمر أكثر سرية "Caetera secretiora praefato"^(١). فصالح الدين يحرص على أن تكون مقابله لمبعوث البابا أمرا سريا لا يعلم به أحد. كما يُحتمل هذا المبعوث إلى البابا ما لا يرغب في أن يُدَوَّن في رسالته إليه، أو بقطع عليه أحد إذا ما حدث لهذا المبعوث مكروه، قبل أن يسلم خطاب السلطان إلى البابا بنفسه. ومن الطبيعي إذن، أن لا يصلر مثل هذا الخطاب عن ديوان الإنشاء. ومن الطبيعي، أيضا، أن لا نعتز على نص أو فحوى مثل هذا الخطاب بين طيات كتب المؤرخين المسلمين. فربما رأى صلاح الدين، وهو قائد النضال الإسلامي، وموحد الجبهة الإسلامية، ومعنى الطاقات الإسلامية والشعور الوطني الإسلامي في ربوع الشرق الأدنى، للتصدي للكيان الصليبي والقضاء عليه، وهو الذي عقد عليه المسلمون الآمال الكبار في تخليصهم من العدو الأول لهم، ربما رأى كرجل دولة، أنه من الصعب على رعاياه، والحال هكذا، أن يستوعبوا قيام علاقة غير الحرب بينه وبين البابوية — السبب الأول في وجود الفرخ في ديار الإسلام — وهو الذي أنكر على الزنكيين من قبل إقامة ما يشبه هذه العلاقة مع القوى الصليبية في بلاد الشام^(٢). وخشى صلاح الدين أنه لن يستطيع أن يشرح مغزى سياسته، فوجد أنه من الأفضل أن تبقى اتصالاته بحكام غرب أوروبا بعمامة والبابوية بخاصة طي الكتمان. وقد سار على نهجه من خلفه من سلاطين الدولة الأيوبية، وأمرائها.

وبالرغم من ذلك، فقد أمكن الحصول على صورة لأصول هذه الوثائق، وحفظها لنا سجلات بابوات روما، ومصنفات بعض مؤرخي أوروبا المعاصرين

(١) أنظر ملحق رقم (١) بآخر البحث.
 (٢) استل عموري الأول ملك بيت المقدس فرصة وفاة نور الدين محمود، وحاصر بانياس للإستيلاء عليها. إلا أن شمس الدين ابن المقدم أكبر أمراء نور الدين في دمشق، خرج على رأس قوات دمشق، ولم يخرب الفرخ، واكتفى بأن يحرض عليهم أن يتركوا بانياس مقابل مبلغ من المال، وإطلاق سراح أسراهم في دمشق. فوافق ملك بيت المقدس على ذلك بعد أن حوَّله ابن المقدم من الزنكيين في الموصل ومن صلاح الدين في مصر. وعندما علم صلاح الدين أمر القادة أنكروا واستنظمها، فكثرت الأمراء بدمشق يفتح عليهم ما فعلوه. أنظر: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء، ج ١، ٢، ٣، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ٨٧. أما شهادة القادة الوثائق في أحد المخطوطات، انظر: الفتاوى، ج ١، ص ١٠٣، ج ٢، ص ١٠٣٩، ج ٣، ص ١٠٣٩، ج ٤، ص ١٠٣٩، ج ٥، ص ١٠٣٩، ج ٦، ص ١٠٣٩، ج ٧، ص ١٠٣٩، ج ٨، ص ١٠٣٩، ج ٩، ص ١٠٣٩، ج ١٠، ص ١٠٣٩، ج ١١، ص ١٠٣٩، ج ١٢، ص ١٠٣٩، ج ١٣، ص ١٠٣٩، ج ١٤، ص ١٠٣٩، ج ١٥، ص ١٠٣٩، ج ١٦، ص ١٠٣٩، ج ١٧، ص ١٠٣٩، ج ١٨، ص ١٠٣٩، ج ١٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٠، ص ١٠٣٩، ج ٢١، ص ١٠٣٩، ج ٢٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٠، ص ١٠٣٩، ج ٣١، ص ١٠٣٩، ج ٣٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٠، ص ١٠٣٩، ج ٤١، ص ١٠٣٩، ج ٤٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٠، ص ١٠٣٩، ج ٥١، ص ١٠٣٩، ج ٥٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٩، ص ١٠٣٩، ج ٦٠، ص ١٠٣٩، ج ٦١، ص ١٠٣٩، ج ٦٢، ص ١٠٣٩، ج ٦٣، ص ١٠٣٩، ج ٦٤، ص ١٠٣٩، ج ٦٥، ص ١٠٣٩، ج ٦٦، ص ١٠٣٩، ج ٦٧، ص ١٠٣٩، ج ٦٨، ص ١٠٣٩، ج ٦٩، ص ١٠٣٩، ج ٧٠، ص ١٠٣٩، ج ٧١، ص ١٠٣٩، ج ٧٢، ص ١٠٣٩، ج ٧٣، ص ١٠٣٩، ج ٧٤، ص ١٠٣٩، ج ٧٥، ص ١٠٣٩، ج ٧٦، ص ١٠٣٩، ج ٧٧، ص ١٠٣٩، ج ٧٨، ص ١٠٣٩، ج ٧٩، ص ١٠٣٩، ج ٨٠، ص ١٠٣٩، ج ٨١، ص ١٠٣٩، ج ٨٢، ص ١٠٣٩، ج ٨٣، ص ١٠٣٩، ج ٨٤، ص ١٠٣٩، ج ٨٥، ص ١٠٣٩، ج ٨٦، ص ١٠٣٩، ج ٨٧، ص ١٠٣٩، ج ٨٨، ص ١٠٣٩، ج ٨٩، ص ١٠٣٩، ج ٩٠، ص ١٠٣٩، ج ٩١، ص ١٠٣٩، ج ٩٢، ص ١٠٣٩، ج ٩٣، ص ١٠٣٩، ج ٩٤، ص ١٠٣٩، ج ٩٥، ص ١٠٣٩، ج ٩٦، ص ١٠٣٩، ج ٩٧، ص ١٠٣٩، ج ٩٨، ص ١٠٣٩، ج ٩٩، ص ١٠٣٩، ج ١٠٠، ص ١٠٣٩، ج ١٠١، ص ١٠٣٩، ج ١٠٢، ص ١٠٣٩، ج ١٠٣، ص ١٠٣٩، ج ١٠٤، ص ١٠٣٩، ج ١٠٥، ص ١٠٣٩، ج ١٠٦، ص ١٠٣٩، ج ١٠٧، ص ١٠٣٩، ج ١٠٨، ص ١٠٣٩، ج ١٠٩، ص ١٠٣٩، ج ١١٠، ص ١٠٣٩، ج ١١١، ص ١٠٣٩، ج ١١٢، ص ١٠٣٩، ج ١١٣، ص ١٠٣٩، ج ١١٤، ص ١٠٣٩، ج ١١٥، ص ١٠٣٩، ج ١١٦، ص ١٠٣٩، ج ١١٧، ص ١٠٣٩، ج ١١٨، ص ١٠٣٩، ج ١١٩، ص ١٠٣٩، ج ١٢٠، ص ١٠٣٩، ج ١٢١، ص ١٠٣٩، ج ١٢٢، ص ١٠٣٩، ج ١٢٣، ص ١٠٣٩، ج ١٢٤، ص ١٠٣٩، ج ١٢٥، ص ١٠٣٩، ج ١٢٦، ص ١٠٣٩، ج ١٢٧، ص ١٠٣٩، ج ١٢٨، ص ١٠٣٩، ج ١٢٩، ص ١٠٣٩، ج ١٣٠، ص ١٠٣٩، ج ١٣١، ص ١٠٣٩، ج ١٣٢، ص ١٠٣٩، ج ١٣٣، ص ١٠٣٩، ج ١٣٤، ص ١٠٣٩، ج ١٣٥، ص ١٠٣٩، ج ١٣٦، ص ١٠٣٩، ج ١٣٧، ص ١٠٣٩، ج ١٣٨، ص ١٠٣٩، ج ١٣٩، ص ١٠٣٩، ج ١٤٠، ص ١٠٣٩، ج ١٤١، ص ١٠٣٩، ج ١٤٢، ص ١٠٣٩، ج ١٤٣، ص ١٠٣٩، ج ١٤٤، ص ١٠٣٩، ج ١٤٥، ص ١٠٣٩، ج ١٤٦، ص ١٠٣٩، ج ١٤٧، ص ١٠٣٩، ج ١٤٨، ص ١٠٣٩، ج ١٤٩، ص ١٠٣٩، ج ١٥٠، ص ١٠٣٩، ج ١٥١، ص ١٠٣٩، ج ١٥٢، ص ١٠٣٩، ج ١٥٣، ص ١٠٣٩، ج ١٥٤، ص ١٠٣٩، ج ١٥٥، ص ١٠٣٩، ج ١٥٦، ص ١٠٣٩، ج ١٥٧، ص ١٠٣٩، ج ١٥٨، ص ١٠٣٩، ج ١٥٩، ص ١٠٣٩، ج ١٦٠، ص ١٠٣٩، ج ١٦١، ص ١٠٣٩، ج ١٦٢، ص ١٠٣٩، ج ١٦٣، ص ١٠٣٩، ج ١٦٤، ص ١٠٣٩، ج ١٦٥، ص ١٠٣٩، ج ١٦٦، ص ١٠٣٩، ج ١٦٧، ص ١٠٣٩، ج ١٦٨، ص ١٠٣٩، ج ١٦٩، ص ١٠٣٩، ج ١٧٠، ص ١٠٣٩، ج ١٧١، ص ١٠٣٩، ج ١٧٢، ص ١٠٣٩، ج ١٧٣، ص ١٠٣٩، ج ١٧٤، ص ١٠٣٩، ج ١٧٥، ص ١٠٣٩، ج ١٧٦، ص ١٠٣٩، ج ١٧٧، ص ١٠٣٩، ج ١٧٨، ص ١٠٣٩، ج ١٧٩، ص ١٠٣٩، ج ١٨٠، ص ١٠٣٩، ج ١٨١، ص ١٠٣٩، ج ١٨٢، ص ١٠٣٩، ج ١٨٣، ص ١٠٣٩، ج ١٨٤، ص ١٠٣٩، ج ١٨٥، ص ١٠٣٩، ج ١٨٦، ص ١٠٣٩، ج ١٨٧، ص ١٠٣٩، ج ١٨٨، ص ١٠٣٩، ج ١٨٩، ص ١٠٣٩، ج ١٩٠، ص ١٠٣٩، ج ١٩١، ص ١٠٣٩، ج ١٩٢، ص ١٠٣٩، ج ١٩٣، ص ١٠٣٩، ج ١٩٤، ص ١٠٣٩، ج ١٩٥، ص ١٠٣٩، ج ١٩٦، ص ١٠٣٩، ج ١٩٧، ص ١٠٣٩، ج ١٩٨، ص ١٠٣٩، ج ١٩٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٠١، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٠٩، ص ١٠٣٩، ج ٢١٠، ص ١٠٣٩، ج ٢١١، ص ١٠٣٩، ج ٢١٢، ص ١٠٣٩، ج ٢١٣، ص ١٠٣٩، ج ٢١٤، ص ١٠٣٩، ج ٢١٥، ص ١٠٣٩، ج ٢١٦، ص ١٠٣٩، ج ٢١٧، ص ١٠٣٩، ج ٢١٨، ص ١٠٣٩، ج ٢١٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٢١، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٢٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٣١، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٣٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٤١، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٤٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٥١، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٥٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٦١، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٦٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٧١، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٧٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٨١، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٨٩، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٠، ص ١٠٣٩، ج ٢٩١، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٢، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٣، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٤، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٥، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٦، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٧، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٨، ص ١٠٣٩، ج ٢٩٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٠١، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٠٩، ص ١٠٣٩، ج ٣١٠، ص ١٠٣٩، ج ٣١١، ص ١٠٣٩، ج ٣١٢، ص ١٠٣٩، ج ٣١٣، ص ١٠٣٩، ج ٣١٤، ص ١٠٣٩، ج ٣١٥، ص ١٠٣٩، ج ٣١٦، ص ١٠٣٩، ج ٣١٧، ص ١٠٣٩، ج ٣١٨، ص ١٠٣٩، ج ٣١٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٢١، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٢٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٣١، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٣٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٤١، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٤٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٥١، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٥٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٦١، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٦٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٧١، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٧٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٨١، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٨٩، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٠، ص ١٠٣٩، ج ٣٩١، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٢، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٣، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٤، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٥، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٦، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٧، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٨، ص ١٠٣٩، ج ٣٩٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٠١، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٠٩، ص ١٠٣٩، ج ٤١٠، ص ١٠٣٩، ج ٤١١، ص ١٠٣٩، ج ٤١٢، ص ١٠٣٩، ج ٤١٣، ص ١٠٣٩، ج ٤١٤، ص ١٠٣٩، ج ٤١٥، ص ١٠٣٩، ج ٤١٦، ص ١٠٣٩، ج ٤١٧، ص ١٠٣٩، ج ٤١٨، ص ١٠٣٩، ج ٤١٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٢١، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٢٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٣١، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٣٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٤١، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٤٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٥١، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٥٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٦١، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٦٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٧١، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٧٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٨١، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٨٩، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٠، ص ١٠٣٩، ج ٤٩١، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٢، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٣، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٤، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٥، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٦، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٧، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٨، ص ١٠٣٩، ج ٤٩٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٠١، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٠٩، ص ١٠٣٩، ج ٥١٠، ص ١٠٣٩، ج ٥١١، ص ١٠٣٩، ج ٥١٢، ص ١٠٣٩، ج ٥١٣، ص ١٠٣٩، ج ٥١٤، ص ١٠٣٩، ج ٥١٥، ص ١٠٣٩، ج ٥١٦، ص ١٠٣٩، ج ٥١٧، ص ١٠٣٩، ج ٥١٨، ص ١٠٣٩، ج ٥١٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٢١، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٢٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٣١، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٣٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٤١، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٤٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٥١، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٥٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٦١، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٦٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٧١، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٧٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٨١، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٢، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٣، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٤، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٥، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٦، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٧، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٨، ص ١٠٣٩، ج ٥٨٩، ص ١٠٣٩، ج ٥٩٠، ص ١٠٣٩، ج ٥٩١، ص ١٠٣٩

للفترة الزمنية موضوع الدراسة . هذا ، ويعتبر كل الإعتزاز بأن نكون أول من ينهض بمهمة نشر هذه الوثائق ودراستها والربط بينها ، خاصة وأنها مدونة باللغة اللاتينية ، ولم تنشر بأية لغة حديثة بعد .

أما عن الوثائق التي بين أيدينا الآن ، فهي إما خطابات بعث بها بابوات روما إلى أصحاب السلطة الأيوبيين في مصر والشام ، وإما هي خطابات الأيوبيين إلى رؤساء الكنيسة الغربية . ومن الملاحظ أن البابوية هي التي كانت تبادر بالاتصال بالحكام المسلمين ، والدليل على ذلك أن كل خطابات الأيوبيين إلى بابوات روما عبارة عن ردود على ما وصل إليهم من هؤلاء . كما نلاحظ أنه قلما توفر خطاب لأحد البابوات والرد عليه في نفس الوقت . واقتصر الأمر على وجود أحدهما فقط دون الآخر . وفي كل الأحوال التي لم يتوفر فيها خطاب معين أصدره أحد البابوات ، نستدل على فحواه من فحوى الرد عليه من قبل المعامل الأيوبي الذي يرسله هذا البابا من قبل .

من كل ما سبق نتبين أهمية هذا البحث وصعوبته . كما نتبين ضرورة دراسة هذه الوثائق وتحليل نصوصها ، وتفنيدها وربطها بالإطار العام لما كانت عليه الظروف التي صدرت فيها هذه الوثائق ، وأحوال كل من المسلمين والقوى المسيحية في الشرق الأدنى وفي غرب أوروبا في الوقت ذاته .

البابا لوكيوس الثالث :

وكان صلاح الدين وأخوه العادل هما أول من اتصل بهما بابوات روما من حكام الشرق الأدنى الإسلامي . فقد بعث البابا لوكيوس الثالث Lucius III (١١٨١-١١٨٥ م) إلى كل منهما برسالة يحملها مبعوث خاص . وفي الحقيقة لم نعلم على رسالتى البابا في السجلات الخاصة به^(١) ، ولا بين طيات أى مصدر تاريخي معاصر . ولكن من فحوى ردى كل من صلاح الدين وشقيقه على البابا - اللذين لم تتضمنهما سجلات هذا البابا أيضا - واللذين احتفظ لنا بهما

(١) من المعروف أن سجلات بابوات روما حتى نهاية بابوية انوسنت الثالث قد نشرت في مجموعة Migne ، التي تطلق بتاريخ آباء الكنيسة اللاتينية "Patrologia Latina" . أما بقية البابوات الذين أتوا بعد ذلك ، فقد وردت الوثائق الخاصة بكل منهم في سجل خاص بهم . أنظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ٢٤ .

المؤرخ الإنجليزي المعاصر رادولف دي ديكيتو Radulf de Diceto في كتابه صور لتاريخ Ymagines Historiarum^(١) ، كمنسختين وحيدتين ، نستطيع أن نقف منهما على فحوى رسالتي البابا نفسه ، وعلى تاريخ وصولهما إلى مصر ، بل وعلى طبيعة لمحة التفاوض بين الطرفين وأسبابها .

وبالإطلاع على نصي رسالتي العاهل الأيوبي وشقيقه نسين ضرورة دراستهما معا ، حيث أن ظروف إصدارهما واحدة ، كما أن المعلومات الواردة في إحدهما أنكمّل وتوضح ما جاء في الأخرى . وفي البداية ، يتعين علينا تحديد تاريخ صدور رسالتي السلطان والعاقل ، وتاريخ وصول رسالتي البابا إليهما . فبينما لم يحمل رد صلاح الدين أي تاريخ ، أو حتى يبين ما جاء فيه متى بعث البابا إليه برسالته ، فإن رد العادل قد أُرخ ، أو أبريل ٥٧٨ هـ "Kalendas Aprilis anno Mahomet Dlxv. Octavo"^(٢) . ولما كان عام ٥٧٨ هـ يبدأ في ٧ مايو ١١٨٢ م ، فإن تاريخ رسالة العادل إلى البابا هو أول أبريل ١١٨٣ م/الخامس من ذي الحجة ٥٧٨ هـ^(٣) . وإذا عرفنا أن صلاح الدين قد غادر مصر في ١٣ مايو

(١) ولد رادولف دي ديكيتو في عامي ١١٢٠ م و ١١٣٠ م . وتخرط في سلك الكنية حيث أصبح راهبا في كنييسة القديس بولس بلندن . ورحل إلى باريس في الأربعينات من القرن ١٢ م/٦٦ هـ حيث درس في جامعتها القانون . وفي ١١٥٢ م عين رئيسا لشمامسة كنييسة القديس بولس ، وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته في ١٢١١ م . وفي ١١٦٢ م بدأ اتصاله بالملك هنري الثاني بعد اشتراكه في مناقشة بصيكت رئيس كنييسة كانتربري المناهية للملك . وأصبح من رواد البلاط الملكي حتى وفاته . وأتاح له ذلك الاتصال بكمار رجال الدولة ورجال الكنييسة الأمر الذي يسر له الحصول على المعلومات الواقية عن أحوال إنجلترا ودول أوروبا ، مما يفضي على أعماله صنعة الأمانة التاريخية . أما عن أحوال الفرار في بلاد الشام فقد يسر له عمله بالكنييسة الاطلاع على التقارير التي ترد من جماعات المهيبان مثل القادسية والأماصية إلى مقدمهم في إنجلترا وإلى رجال الدولة بها . أما عن أدبه ، صور التاريخ ، فقد كتبه تسلا رغبة منه في تسجيل تاريخ كنييسة إنجلترا وتمجيدها . إلا أنه اهتم فيه بأحوال دول أوروبا إلى جانب فرنسا خاصة كورنيز وألمو . وكتابه يعطى الفترة من عام ١١٤٨ م إلى عام ١٢٠٠ م . ويعتمد فيه حتى أحداث عام ١١٧٢ م على كتاب روبرت توربي (الحوالية) . وبعد ذلك يسجل ما حضره من أحداث كما وضع رادولف كتابا آخر بعنوان المختصر التاريخ "Abbriviationes Chroniconum" يعطى فيه الفترة من بدء الخليفة وحتى عام ١١٤٨ م . وللشاهد عن حياة رادولف وأعماله : أفلر :

Antonia Granden, Historical Writing in England, C. 550, to c. 1307, 2 vols, London 1974, vol. 2, pp. 230-236, D.E. Greenway, The succession to Ralph de Diceto, Dean of St. Paul's, in Bahr, vol. 39, 1966, pp. 96-99.

(٢) ملحق رقم (٢) بأخر البحث .

(٣) محمد مختار ، كتاب الوصفاة القلمية في مقارنة التواريخ الفخرية بالسير الذاتية والقلمية

(١ ط ١) ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ ، ص ٢٨٩

١١٨٢ م/ ٦/ ٥٧٨ هـ ، إلى بلاد الشام ليقبى فيها حتى وفاته ، فلا بد وأن يكون أوليفر فيتاليس Oliveri Vitalis^(١) مبعوث البابا إلى السلطان قد وصل إلى مصر قبل رحيل صلاح الدين إلى بلاد الشام . أما عن جانوس داندولو Janus Dandolo^(٢) ، الذى حمل رسالة البابا إلى العادل ، فقد وصل إلى مصر ، كما يذكر العادل نفسه للبابا ، حين كان صلاح الدين يقوم بأعماله العسكرية ضد الصليبيين ، في ربوع صور ، "in partibus Tyri"^(٣) . ولما كانت آخر أعمال صلاح الدين في ربوع صور قد وقعت في عام ١١٧٩ م/ ٥٧٥ هـ ، فور هدمه الحصن بين الأحران^(٤) ، أى قبل رد العادل على رسالة البابا بنحو ثلاث سنوات ، وكان ذلك في عهد البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١١٥٩-١١٨١ م) ، فلا بد وأن مبعوث البابا إلى العادل قد وصل إلى مصر خلال الفترة ما بين رحيل صلاح الدين إلى الشام (١٣ مايو ١١٨٢ م/ ٦/ ٥٧٨ هـ) وحتى تاريخ إصدار رسالة العادل إلى البابا (١ أبريل ١١٨٣ م/ ٥/ ٥٧٨ هـ) .

هذا عن تاريخ وصول رسالتى البابا لوكيوس الثالث إلى كل من صلاح الدين وشقيقه العادل في مصر ، وتاريخ الرد عليهما . أما عن فحوى الرسالتين ، فنفهم من ردى صلاح الدين والعادل أن البابا قد دعاهما في رسالتيه إليهما إلى الموافقة على إتمام عمليات فداء الأسرى مع الصليبيين في بلاد الشام^(٥) . ففى ذلك الوقت كان صلاح الدين قد اقترب من إتمام توحيد الجبهة الإسلامية ، تمهيدا لتوجيه الضربة القاضية إلى الكيان الصليبي كله^(٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن أحوال

(١) أنظر ملحق رقم (١) ، بآخر البحث .

(٢) أنظر ملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٣) أنظر ملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٤) ابن واصل : مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

(٥) أنظر ملحق رقم (١) وملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٦) منذ وفاة نور الدين محمود (١١٧٤ م/ ٥٧٠ هـ) وحتى تاريخ تحرير رسالة العادل إلى البابا لوكيوس الثالث (١ أبريل ١١٨٣ م/ ٥/ ٥٧٨ هـ) ، لم يبق من أملاك الزنكيين خارج سلطة صلاح الدين سوى مدينة حلب التى انضمت إلى أملاكه في ٧ يونيو ١١٨٣ م/ ١٣/ ٥٧٩ هـ . بينما كان صلاح الدين قد فرض سيطرته على أمراء الجزيرة والموصل ، وامتلك دمشق وصالر مدن الشام اعطية بأمر ملك الفرنج إلى جانب قاعدته في مصر . أنظر : ابن شداد : النوادر السلطانية والحاسن اليرسقية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ١ ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ٥٩-١٠٦ ، ص ١٠٦ ، واصل : مغزى الكروب ، ج ٢ ، ص ١٤١ وما بعدها .

الفرج في بلاد انشاء نسطر بالخيرا^(١). فكانت مملكة بيت المقدس بصفة خاصة تعاني من النقص الشديد في القوى البشرية، وخاصة الفرسان. وكانت مساعدات الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين تعوض لإمارات الصليبية ما عاب عنها من إمدادات غرب أوروبا منذ فشل الحملة الصليبية الثانية^(٢). ولكن هزيمة الامبراطور في ميويكيفالون أمام سلاجقة الروم في عام ١١٧٦ م/ ٥٧٢ هـ، ثم موته بعد ذلك في عام ١١٨٠ م/ ٥٧٦ هـ، جعلوا الفرنج يفقدون آخر حليف لهم، ويفقدون معه آخر مصدر لمساعدتهم^(٣). وكان على مملكة بيت المقدس وكل الإمارات الصليبية أن تعتمد على إمكانياتها الخاصة^(٤)، في الوقت الذي عزلها فيه صلاح الدين عن أي مصدر خارجي للمساعدة بإتمام حصاره لها بجزء^(٥). وفي الوقت ذاته كانت الجهة الصليبية قد تصدعت بسبب مشكلة نوصاية على مملكة بيت المقدس الصليبية، ومرض الملك بولدوين الرابع الذي يأس من أن يبرأ منه^(٦). وإذا عانت الإمارات الصليبية من نقص الموارد البشرية، تكادست

(١) يبدأ المؤرخ اللاتيني وليم الصوري آخر قصور كتابه بإيداء حربه ويشكك في أن تشكل مملكة بيت المقدس من أن تكون ينشأ عن الخطر تحت وصاية عموند لثالث كونت طرابلس بعد خلافات الملك بولدوين الرابع مع جني نوبمان كونت باغا. وقد قرر وليم الصوري — بعد أن أضاه الحزن بسبب الكوارث التي نلم بالمسكة باستمرار — أن يترك قلعه مهجوع عن الاستمرار في سرد تاريخ هذه المملكة. أنظر:

William of Tyre, vol. 2, p. 505

P.M. Holt: The Age of the Crusades, London, 1966, p. 56 (٢)

H.E. Mayer: The Crusades, trans. by J. Gillingham, Oxford, 1972, p. 125 (٣)

J. Richard: The Latin Kingdom of Jerusalem, trans. by J. Shenlev, vol. 2, Oxford, 1979, vol. 1, p.55 (٤)

(٥) في عام ١١٨١ م/ ٥٧٦ هـ هاجم الأسطول المصري ميناء عكا، ودمر السفن الصليبية الرئيسية به. وأغار على ميناء بيروت. وفي لعام ١١٨١م أتم الأسطول حصاره لسوق الصليبية مستولاً على السفن الآتية إليها. كما هاجم واستولى المسلمون على سفينة آتية من القسطنطينية ومن ظهرها ٤٠٠ من ثلاثين المليون من ثمنها التي أجزأها فيها أندرويقوس كومنين أنظر: ابن بطيعة: مفرج الكروب، ج ٢، ص ١١٣-١١٤، ١١٩-١٢٠، ١٢٤-١٢٥، ١٢٦-١٢٧، ١٢٨-١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ص ٢٤. راجع أيضاً

William of Tyre, vol. 2, pp. 475-477

Fouad, Chronique de Fouad et de Bernard le Trésorier, ed. L. de Mas Latrie, Paris, (٦) 1871, pp. 96-102

سجون صلاح الدين في مصر ومدن الشام بأسراه من الصليبيين^(١) . ولم يكن في استطاعة البابوية أن تدفع بحملة صليبية جديدة ، أو أن تشعر حكام غرب أوروبا بحماسة موقف الإمارات الصليبية التي تضاءلت أهميتها بالنسبة لهم أمام صراعاتهم الخاصة^(٢) . وهكذا لم يجد البابا لوكيوس الثالث بدا من مراسلة صلاح الدين ونائبه في مصر — العادل —^(٣) راجيا إياهما الموافقة على إتمام عمليات تبادل الأسرى من فرنج الشام تعويضا للأخريين عن عجز أوروبا في مساعدتهم آنذاك وفي وقت كان فيه توازن القوى في الصراع بين المسلمين والصليبيين قد بدأ يميل بشكل واضح لصالح صلاح الدين .

نما عن رد صلاح الدين على طلب البابا ، فبعد إظهار الامتنان لما يمرضه البابا من حسن العلاقات مع السلطان ، وبعد تذكير البابا بأنه كبير الأمة المسيحية في غرب أوروبا والمقاتل الصليبية في بلاد الشام ، يبدي موافقته على طلب البابا شريطة أن يلزم الأحرار رعاياه من فرنج الشام بما جرى من اتفاق بين البابا والسلطان . فإن من لدى الصليبيين من أسرى مسلمين ليسوا إلا مزارعين ومن هم من أبسط الناس ، بينما كان في أسر صلاح الدين من الفرنج من ينتمون إلى

(١) وقع في أسر صلاح الدين بعد انتصاره على الفرنج في مرج عيون (١٠ يونيو ١١٧٩ م / ٣ محرم ٥٧٥ هـ) حوالي ٢٦٠ أسير . كما طفر الأمصون المصري في نفس اليوم سفينة الفرنج وأسروا ألف أسير من النسي . وفي أغسطس يبيع أول من نفس السنة أسير قوت صلاح الدين بعد هدمه لحصن بيت الأحرار نحو ستمائة أسير من الفرنج . وفي مايو ١١٨٢ م / محرم ٥٧٨ هـ أنقذ فرنج سفينة للفرنج أنقذ من أوروبا على نحو دوماط فأسر المسلمون من بها من فرنج وعدتهم ١٦٩ أسير . وفي نفس لشهر أغار المنصور فرخشاہ إيجي أسير صلاح الدين عن طيبة وعكا والسود ورجع معه ألف أسير . ويحدث يكون عدد أسرى الفرنج لدى صلاح الدين حتى تدين حطاب العادل إلى البابا ما يقرب من خمسة آلاف أسير . هذا ، غير ما لم تحده المصادر الإسلامية . انظر : العماد الأصفهاني : البرق الشامي ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ . ابن واصل : الفرنج الكذب ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، أو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٧ — ٢٨ .

J. Richard, *The Latin Kingdom*, vol. 1, p. 57. (٢)

بقى العادل نابيا عن صلاح الدين في مصر منذ عام ١١٧٤ م / ٥٧٠ هـ وحتى استخلفه السلطان سن حطب بعد أخذها من التركيين في عام ١١٨٣ م / ٥٧٩ هـ . انظر : من شدائد الزواجر ، ص ٦٢ ، العماد الأصفهاني : البرق الشامي ، ج ٥ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ . (٣)

لم ينته فرنج الشام بذلك، فإن صلاح الدين والعاذل يكونان في جبل مما وعده به البابا، ولن يكون عقد السلام مع الصليبيين محل اهتمام السلطان ونائبه أبدا^(١).

وإذا كان للبابا لوكيوس الثالث دوافعه التي تجعله يطلب من صلاح الدين عقد هدنة سلام مع الصليبيين ونبادن أسراه معهم، فإن إظهار صلاح الدين والعاذل الموافقة على طلب البابا كان وراءه دافع واحد. فصلاح الدين، وحتى تاريخ صدور خطاب العادل إلى البابا (١ أبريل ١١٨٣ م/٥ ذى الحجة ٥٧٨ هـ) لم يكن قد أتم بعد حلقة الحصار حول أملاك الصليبيين، وذلك بضم حلب إلى أملاكه. لذلك كان صلاح الدين يخشى مواجهة الفرنج في معركة حاسمة دون أن يأمن جانب الزنكيين في حلب، الذين ربما يتحالفون ضده مع ملك بيت المقدس، كما فعل زنكيو الموصل من قبل^(٢). وربما يخشى صلاح الدين وصول حملة صليبية من أوروبا توقف مشروعه ضد صليبي الشام، وتضيق عليه فرصة الانفراد بهم، وهم في حائل لا تسمح لهم بالتصدي له. لذلك كله جاءت موافقة كل من صلاح الدين والعاذل على طلب البابا لمهادنة له وليس كسبا لوده. ولم تطالعنا المصادر التاريخية بما يفيد حدوث ما رغب فيه البابا، وبقيت المملكة الصليبية تعاني من الضعف الذي مهد لسقوطها على أيدي صلاح الدين.

البابا انورست الثالث :

ولم يكن من بين الفرنج في بلاد الشام من هو أوسع أفقا من وليم رئيس أساقفة صور. فقد كان يتبع إنجازات صلاح الدين، وأدرك حجم الخطر المحدق بالكيان الصليبي كله. وتحقق ما توقعه وليم قبل أن ينهى تاريخه. فقد أطاح صلاح الدين بعد انتصاره في وقعة حطين (السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م/٢٤ ربيع ثان ٥٨٢ هـ) بجهود تسعة وتسعين عاما من وجود الفرنج في بلاد الشام^(٣). وعادت مدينة بيت المقدس إلى السيادة الإسلامية، وفي إيقاع باهر اقتطع صلاح الدين

(١) انظر ملحق رقم (٢) بأخر البحث.

(٢) وكان ذلك في عام ١١٨٢ م/٥٧٨ هـ. انظر العباد الأصفهاني: البرق الشامي، ج ٥، ص ١٧.

De Expogatione Terrae Sanctae per Saladinus Libellus, ed. W. Stubbs, in R.S. (P) London, 1871, p.34.

من الكيان الصليبي غاليته . ولم يبق في حوزة الصليبيين ما يبعث فيهم الأمل في البقاء^(١) . وبينما كان صلاح الدين يسجد لربه شاكرا فضمه عليه^(٢) كان خير الكارثة التي حلت بالكيان الصليبي في الشرق الأدنى آخذة طريقها إلى غرب أوروبا^(٣) .

وبالرغم من أن الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت كرد فعل لانتصارات صلاح الدين واستغاثة فرنج الشام بغرب أوروبا ، وهي أكبر الحملات الصليبية وأكثرها تنظيما ، بالرغم من أنها ساعدت على حفظ بقايا الكيان الصليبي من خطر صلاح الدين وهو في أوج انتصاره^(٤) . إلا أنها لم تحقق إنجازا كبيرا . فلم يترد الصليبيون بيت المقدس ، وكل ما بقي بفضلها في أيدي فرنج الشام هو شريط ساحلي ضيق يمتد من صور إلى يافا ، وكل ما غنمه الصليبيون في الشام من أمان هو ما وفرته لهم المدة التي عقدها ريتشارد قلب الأسد مع صلاح الدين (سبتمبر ١١٩٢ م / شعبان ٥٨٨ هـ)^(٥) . وبقي مصر فرج الشام مرهونا

(١) لم يبق بحوزة الفرنج سوى مدينة صور من مملكة بيت المقدس ، ومدينة طرابلس وبقعة أنطربوس من كونية طرابلس ، ومدينة أنطاكية وحصن الرقب وبيضاء السويدية من إمارة أنطاكية .

J.L. La Monte, from *Crusading Kingdom to Commercial Colony*, in B.P.I.A.S.A., vol. 3, 1944-45, p. 287.

(٢) أدى صلاح الدين فرضة الجمعة في المسجد الأقصى يوم فتح بيت المقدس (٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ) . أنظر : ابن شداد : الزوار ، ص ٨٢ .

(٣) بعث قادة الداية والامتياية برسائل يصعون فيها الكارثة التي حلت بهم على أيدي صلاح الدين إلى حكام أوروبا . كما بعث برهمن الثالث أمير أنطاكية وبيزى بطريرك أنطاكية اللاتيني إلى هنري الثاني ملك إنجلترا برسائل مماثلة . ويتوجه جومياس رئيس أساقفة صور إلى غرب أوروبا . وقابل البابا وسلكي إنجلترا وفرنسا بشأن انعقاد فرنج لشام : أنظر :

Benedict of Peterborough, vol. 2, pp. 13-14; *Chronica Regia Cloniensis*, in M.G.H., in *Ussam Scliarum*, Hanover, 1880, pp. 137-138.

(٤) عهد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٥) كانت فترة الخمسة ثلاث سنوات بقلية أشهر . أنظر : ابن شداد : الزوار ، ص ٢٢٢-٢٢٥ .
العقاد الأصفهاني : الفتح القسري في الفتح المقدسي . تحقيق محمد محمود صبح . القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٦٠٥ . راجع أيضا .

Itinerarium Peregrinorum et gesta Regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1865, p. 240.

بإمكانية تكرار جهد البابا أوربان الثاني ولم تكن مثل هذه إمكانية متوفرة بالمعنى المفهوم في ظل المتغيرات التي استجدت على المسرح وقتذاك^(١).

على أي حال ، لم يكن يقوم بمثل هذا الجهد سوى البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦ م) الذي كان يرى أنه لا مكان لحملة صليبية يشرف عليها ملوك أوروبا ، ويقتصر دور الكنيسة اللاتينية فيها على دعوة مسيحي الغرب للمساهمة فيها . كما رأى البابا نفسه أن أي حملة صليبية يجب أن تخضع لهيمنة البابوية . كما كان انوسنت مهتما بإعادة بناء مملكة بيت المقدس الصليبية التي دمرها صلاح الدين ، الأمر الذي لم تستطع إنجازها الحملة الصليبية الثالثة . وفي أغسطس ١١٩٨ م ، وفور اعتقاله الكرسي البابوي ، أعلن أنوسنت الثالث مشروع حملة صليبية جديدة^(٢).

ولم تكن حماسة البابا الصليبية المجردة هي سبب ذلك ، وإنما الصورة القائمة التي رسمها تقرير عموري الراهب aimery the Monk بطريرك بيت المقدس (١١٩٧-١٢٠٢ م)^(٣) إلى البابا في ١١٩٩ م/٥٩٥ هـ عن الوضع المتردى للكيان الصليبي في بلاد الشام ، ذلك التقرير الذي حفظه لنا فنسنت دي يفيه . فالإمارات الصليبية التي استطاعت أن تعيش طوال القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري تقريبا بدون مساعدات كبيرة من غرب أوروبا ، قد استعدت لدخول القرن التالي ويدها مملودة نحو أوروبا استجداء للعون . فسوانى الصليبيين في بلاد الشام دون عمق استراتيجي ، والطرق لم تعد مأمونة ، والمجاعة محدقة بالفرنج ، ولم يعد في مملكة بيت المقدس (في عكا) احتياطي من الطعام . كما أضرت الحملة الألمانية (١١٩٧ م/٥٩٣ هـ) بالزراعة وبالإتجار مع

(١) J.O. Prestwich, Ricard Cœur de Lion: Rex Bellicosus. (Ricardo Cour di Leone nella Storia e nella legenda). (- Accademia nazionale dei lincei no. 353). Rome, 1981, p. 15.

H. Mayer, The Crusades, p. 183

(٢)

(٣) تولى عموري رئاسة أسقفية ليمانية سنة ١١٨٠ م/٦٧٦ هـ وبقي بها حتى نزل بطريركية بيت المقدس .
أنظر :

B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, The Secular Church, London, 1980, p. 122.

المسلمين في مدن الشام الداخلية^(١) . وبالرغم من آراء إنوست الثالث السياسية وسياسته الصليبية ، فقد أثبتت زمام الحملة الصليبية الرابعة من يديه ، وأشرفت عن مسارها الصحيح^(٢) . واكتفى البابا باعتبار أخطاء قادة هذه الحملة وما نتج عنها من خسائر للعالم المسيحي بصفة عامة ، أمراً واقعاً "Fait accompli"^(٣) . وبالنسبة للكيان الصليبي في بلاد الشام ، فقد رأى البابا أن لهذه الحملة ثلاث فوائد . أولاً أن السلطان الأيوبي الملك العادل تحوّل من أن يؤدي سقوط القسطنطينية بسهولة في أيدي اللاتين إلى تقوية الصليبيين في الشام ، كما كان الحال أيام تدعيم الإمبراطور مانويل كومنين لهم ، فسارع العادل إلى عقد هدنة مع صليبي الشام لمدة ست سنوات (من سبتمبر ١٢٠٤ م/ صفر ٦٠١ هـ إلى سبتمبر ١٢١٠ م/ ربيع أول ٦٠٧ هـ)^(٤) . أما ثاني فائدة للحملة الرابعة ، كما رأها البابا إنوست الثالث ، هي توحيد كيستي القسطنطينية وروما تحت سيادته^(٥) . وثالث هذه الفوائد هي ما خشيته الملك العادل ، وهو أن قيام إمارة لاتينية في القسطنطينية يشكل سدا للإمارات الصليبية في بلاد الشام . ولم يكن البابا محقاً إلا فيما يخص الفائدة الأولى .

فبالرغم من عقد الهدنة مع الملك العادل ، فقد رحب كثير من صليبي الشام بدعوة بولدوين إمبراطور القسطنطينية اللاتينية للهجرة إلى القسطنطينية . وكان حدّد إرنول ، فقد ترك فلسطين ما يقرب من مائة فارس ، وعشرة آلاف من الفرنج راحلين إلى القسطنطينية . وكان ذلك في بدايات عام ١٢٠٥ م/ أواسط عام ٦٠١ هـ^(٦) ، حين كانت المملكة الصليبية في أشد الحاجة إلى الموارد البشرية للدفاع عنها . وكما رأى البابا إنوست ، أنه لذلك السبب لم يعد بمقدورنا الدفاع

(١) Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1969, Lib. XXIX, Ch. Lix.

ومن فنتت دي بينه وحياته وأعماله . أنظر : حنين عينية . مائة نطاكية الصليبية . والمسلمون ، ص ٤٨-٥٠ .

(٢) J. Gill, Franks, Venetians and Pope Innocent III, in S.V. 1970, pp. 87-88.

(٣) Chronica Regia Colonienas, in M.G.H., in Ussum Scholarum, p. 212.

(٤) ابن راسل : مفرج الكرب ، ج ٣ ، ص ١٦٦-١٦٧ ، راجع أيضاً :

Eracles, L'Estoire d'Eracles, empereur et la conquest de la Ttre d'Ostremer, in R.H.C.-H.Occ., pp. 259-263

H. Mayer, The Crusades, p. 205

Ernoul, p. 378.

عن ساحل فلسطين ، الى لا يزال في أيدي الصليبيين ، ضد هجمات المسلمين ، وبسبب النقص في عدد المقاتلين ، فاننا بالكاد ستمكن من الدفاع عن مملكة قبرص « (١) .

وهكذا أصبح من المؤكد أنه لن يكون في إمكان البابوية مساندة الصليبيين في انشام إلا بإيقاد حملة صليبية جديدة . ولما آل مصير من قاموا بحملة ١٢١٢ م/٦٠٩ هـ — حملة الأطفال — إلى الملاك والعبودية (٢) ، ولأنها لم تكن بالحملة التي يمكن الإعتماد عليها في الدفاع عن الكيان الصليبي ، واسترداد ما أخذه صلاح الدين ، فلم تستغرق أوروبا وقتا طويلا في الحزن عليها ، ولم تنشغل البابوية كثيرا في أنعيا للمجتمع الأوروبي ، بل بدأت تحث هذا المجتمع على القيام بحملة صليبية جديدة تخضع لسلطان البابا مباشرة . وحتى يوم ذلك ، كان على البابا إنوسنت الثالث أن يدلي بدلوه في استمرار أحد نماذج دبلوماسية الحروب الصليبية ، الذي بدأه من قبل كل من البابا ألكسندر الثالث والبابا لوكيوس الثالث . كان عليه الإتصال بالأوروبيين عنه يتمكن بالدبلوماسية من تحقيق ما فشلت فيه سياسته العسكرية .

فبحلول سبتمبر ١٢١٠ م/ربيع أول ٦٠٧ هـ انتهى أمد الهدنة بين العادل والصليبيين . ولم يعكر صفو العلاقات بين الطرفين شيء ذو أهمية . وعلى مشارف عكا ، عرض العادل على حنا ابين John of Iblen الوصي على مملكة بيت المقدس تعهد الهدنة ، على أن يرد إليهم عدة قرى تابعة لعكا ، إلا أن صلف جماعة الداوية أضاع على الصليبيين فرصة تسامح العادل (٣) . وكان على الفرنج أن يتعرضوا للتهديد الدائم . فبعد أن أخرج العادل ابنه المعظم عيسى للإغارة على ضواحي عكا (٤) ، شرع المعظم في بناء قلعة على قمة جبل الطور المطل على عكا ، الأمر الذي جعل للمسلمين اليد الطولى ، وجعل طرق الاتصال بين مدن

(١) R. Grousset, Histoire des Croisades, 3 toms., Paris 1934-36, t. 3, pp. 173-177.

(٢) Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H ss., vol. 27, pp. 18.

(٣) Eracles, pp. 315-316.

انبع أيضا معهد عاشر . الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ .

(٤) أبو شامة (شهاب الدين) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالنيل على نظرته لسعد عزت العظمى بيروت ١ ط ٢ ، ١٩٦٤ ، ص ٧٠ .

الساحل الصليبية تحت رحمة المسلمين^(١) . ودفع هذا التهديد بحثا بريون John of Brienne ملك بيت المقدس الجديد (١٢١٠-١٢٢٥ م) ، إلى السماح لقوات الداوية وأتباعه بإغارة فاشنة على مصر^(٢) . وكان أن اتجه العادل إلى الإسكندرية واعتقل من بها من تجار الفرج ، وصادر بضائعهم ، تمسبا للتعاون بين هؤلاء وبين والتر موتيليارد قائد الغارة الفاشلة^(٣) . فزارح حنا برين بتجديد الهدنة مع العادل لمدة ست سنوات^(٤) . إلا أن عقد الهدنة مع العادل لم يمه شعور الفرج بخطر وجود المسلمين على مشارف عكا في قلعة جبل الطور . وكما يتحيزنا ابن نطيف الحموي ، فإن الفرج سارعوا إلى الإستيغاثة بغرب أوروبا ، يعرفونهم بأن الطور يعمرونه وهو قوي به يملكون الساحل^(٥) . وأول من أدرك معنى ذلك هو البابا إنوسنت الثالث . فحتى يتمكن من إيفاد حملة صليبية لجددة فرنج الشام ، اتبع أسلوب التفاوض مع بني أيوب ، تبعا نهج أسلافه وسياستهم في التفاوض مع أولى الأمر في مصر والشام من الأيوبيين .

ففي هذه الفترة استغاث أسرى الفرج في مصر بالساحل إنوسنت الثالث ، فبعث إليهم أنه قد أصدر أوامره إلى بطريك بيت المقدس ألبرت أوف فيرسل

(١) ابن الأثير (عز الدين) : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، القاهرة (المطبعة الحسينية) ، ١٣١١ هـ ، ج ١٢ ، ص ١٣٨ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١-٩٥٢ .

(٢) وصلت هذه الغارة حتى مصب النيل عند فرع دسباط ولم تظفر بشيء ، أنظر : Eracles, p. 316

(٣) وكان ذلك في نهاية عام ١٢١٢ م /أوائل عام ٦٠٩ هـ حيث أسرع العادل بالفرار من الشام إلى الأمانسكية كما يحيطها الصقلاني لأنه اجتمع فيها من تجار الفرج ثلاثة آلاف رجل وملكان من موكبهم وعزما على أن يهربوا بأهل الأمانسكية فاستصطفى العادل أيولهم واعتزل الملكين وهاد إلى القاهرة ، وقد أورد القزويني نفس الرواية مختصرا على ذكر اجتماع التجار الإيطاليين بالأمانسكية دين الإشارة إلى عزيمتهم على القيام بالقتال . ولهذا يفرض تفويض الفرنسي جان بشار - الذي استشهد برواية القزويني فقد - بعرض أن والتر كان بأهل في أن يتور التجار الإيطاليين في الأمانسكية ويساعدونه على الإستيلاء عليها ، الأمر الذي تؤكد رواية الصقلاني . أنظر الصقلاني : (أبو البركات عز الدين) : شفاء الطوبى ل منقلب بني أيوب . عخطوط مكتبة المتحف الشيعاني ، رقم ٥٢٩٩ ، ورقة ٦٢ ، القزويني : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ . راجع أيضا .

J. Richard, p. 216.

(٤) ابن نطيف (أبو الفضائل الحموي) : التاريخ المنصري . وهو نهج شخص الكشاف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العبد ديبور ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٦٢ . راجع أيضا Eracles, 117

(٥) ابن نطيف : تاريخ المنصور ، ص ٣٦

Albert of Vercelli (١٢٠٥—١٢١٤ م) والأمراء المسيحيين في الشرق ، أن يجمعوا الأموال اللازمة لانقاذهم ، وقيل كل شيء أن يوافقوا على تبادل الأسرى مع المسلمين^(١) . وفي ٦ مايو ١٢١٣ م / ١٣ / ١٣ دى الحجية ٦٠٩ هـ ، بعث البابا برسالة إلى السلطان العادل في مصر ، يشرح له كيف أن سقوط مدينة بيت المقدس في أيدي أخيه صلاح الدين لم يكن بسبب فضائل الأيوبيين ، وإنما بسبب غضب الله على المسيحيين ، ثم يذكر البابا السلطان الأيوبي بأن في السماء رب يبدل الأزمان ، ويزادته بمنح ممالك هذا العالم لمن يشاء . ثم يلتمس البابا رحمة السلطان بالأسرى الفريج لديه ، ويسكان مملكة بيت المقدس للنعاء . ويترسل إليه أن لا يسبل مزيداً من الدماء ، وينصحه بأن يعيد مدينة بيت المقدس إلى الصليبيين ، مينا له كيف أن بقاء المدينة المقدسة في حوزة المسلمين لن يعود عليه بفائدة ، بقدر ما سوف يكلفه من تضحيات . ويتبع البابا نصيحته هذه للسلطان بطلبه أن يوافق العادل على إتمام عمليات فداء الأسرى مع الصليبيين ، وأن ينهي القتال معهم حتى يترجح الطرفان من عناء الصراع . ويعتتم البابا رسالته بحث العادل على حسن استقبال مبعوثيه إليه وعلى كرم وفادتهم^(٢) .

وربما يكون طلب البابا بإعادة مدينة بيت المقدس إلى الفريج أمراً غير مألوف في مكاتبات رؤساء كنيسة روما إلى بني أيوب من قبل . واتفقت مراسلات كل من ألكسندر الثالث ولوكيوس الثالث على طلبهم موافقة المسلمين على إتمام عمليات تبادل الأسرى مع الفريج ، وربما عقد الهدن معهم ، إلا أن أياً منهم لم

Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 214, col. 444

(١)

(٢) توجد عدة نسخ لرسالة البابا إينوسنت الثالث إلى الملك العادل والنسخة الوحيدة الكاملة هي النسخة التي رجعا إليها هنا ، والتي أوردها الفؤرج الإيطالي المعاصر نيشارد دي سان جرمان في حروبه التي تعالج الفترة من ١١٨٩ م إلى عام ١٢٢٣ م . ونقع في كتاب عامودا إحتلت أربعين صفحة : نظر .

Rywardus de San. Germano, Chronicon, in Muratori, R.I.S., vol. VIII, col. 985-986.

أما بقية النسخ ، فقد جاءت في شكل غنصر ، مما يوحي بأنها نسخت عن النص الذي أورده نيشارد :

Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 216, cols. 831-832; C.A.S. posthast, ed., Regeste Pontificum Romanorum, vols. 2, Berlin, 1873-75, vol. 2, no. 4719; Rohricht Regesta, no. 864, p. 232

راجع أيضاً ملحق رقم (٣) بأسر البحث .

يذهب إلى الحد الذي ذهب إليه إيبست الثالث . إلا أنه يتبع اتهامات هذا البابا بأحوال الصنيين في بلاد الشام ، ربما نقف على الدافع من وراء طلبه هذا .

ففي عام ١١٩٨ م/ ٥٩٤ هـ ، طلب البابا من كل من عموري بطريرك بيت المقدس وجود فرى دى دوجون مقدم الاستتارية وجلبرت دورال مقدم الداوية أن يعثوا إليه بتقاريرهم المسهبة عن أحوال المسلمين السياسية في مصر والشام ، حتى يتسنى له إعداد الحملة الصليبية التي يعتزم إيفادها إلى الشرق بشكل يتناسب وقوة المسلمين^(١) . وفي نوفمبر ١١٩٩ م/عمر ٥٩٦ هـ ، بعث البطريرك ومقدم الداوية والاستتارية بتقارير وافية عن أحوال بنى أيوب في مصر وسائر بلدان الشرق الأدنى ، إلى جانب وصف جغرافي دقيق لمصر وبلاد الشام ، تضمنه تقرير البطريرك . ولحسن الحظ ، فقد حفظ لنا ريتشارد دى سان جيرمان نص التقرير الذي بعث به مقدما الداوية والاستتارية في حوزته المذكورة^(٢) . إلا أنه بالرغم من دقة ووفرة المعلومات التي تضمنها هذا التقرير عن السلطان العادل وعلاقاته بأفراد أسرته من أحكام الشام والمراق ، وعن سائر حكام المسلمين في الشرق الأدنى ، فقد بعث مقدما الداوية والاستتارية إلى البابا ببعض المعلومات الخاطئة عن أمراء الشام من أبناء العادل^(٣) . فأبناؤه كما يزعم التقرير ، يتسبون إعادة الأراضي

(١) Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 214, cols. 737-738; potthast, Regesta Pontificum, vol. 1, no. 851; Rohricht, Regesta, no. 760, pp. 202-203.

(٢) Riccardus de San. Germano, Chronicon, cols. 986-988.

وقد أشرف كل من يوناث وهرشت ال تقرير البطريرك وبعثه ، في حين أشار هرشت إلى تقرير مقدمي الداوية والاستتارية عند الإشارة إلى رسالة البابا إلى السلطان . انظر :

Pothast, Regesta pontificum, vol. 1, no. 935, Rohricht, Regesta, no. 762, p. 201

كما ورد نص تقرير مقدمي الداوية والاستتارية في نسخة كتاب وليم العسوي (المنصوب خطأ إلى روتلان) إلا أن مؤلفه المجهول ينسب التقرير إلى عموري الراهب بطريرك بيت المقدس (١١٩٧-١٢٠٢ م) . انظر :

Reheln, Continuation de Guillaume de Tyr [texte du manuscrit de Rotheln (1229-1261), in R.H.C.-H.Occ., t. II, Paris, 1869, pp.520-522.

(٣) عند نزل العادل حكم الدولة الأيوبية . فقد استطاع في تنظيم دولته بأبنته وأبنت الكامل محمد لى حكم مصر ، وجعل المنظم حمسى في دمشق ، وأعطى الأشرف موسى حوران ، والأخوند ميخائيلين ، وبنا نزل حكم حلب المنظم غزالي ابن صلاح الدين ، وأخوه الأفضل ابن حميضاط ، وأقطع العادل حماة وأعطاهما للسلطان المنصو . ابن العادل سلطان مصر السابق . انظر : الفرجان : السفيك ، ج ١ ، رقم ١ ، ص ١٨٩-١٩٠

المقدسة إلى فخامة البابا ، وهي الأراضي التي يمنون عليها رغما عن
المسيحيين .

“Volunt isti libenter reddere in manus Domini papae Terram Sanctam,
quam tenent ad opus Christianorum” .^(١)

وهكذا خدع البابا بأمل كاذب^(٢) . فبالرغم من تسامح العادل واعتدال
سياسته تجاه الصليبيين^(٣) ، إلا أنه لم يكن هناك ما يدعوه إلى أن يقرط في
المكاسب التي حققها أخوه صلاح الدين . كما أنه لم يتوان في أي وقت عن صد
أي نشاط يقوم به فرنج الشام . كما أن علاقاته بأولاده قوية ومستقرة ساعدت على
استمرار وحدة الدولة الأيوبية في عهده ، دون أن يصيبها الاضطراب الذي أصابها
لتفوق كلمة أبنائه في عهد خلفه الملك الكامل . فكان العادل مسيطرا على زمام
الأمر في دولته لامتنان أبنائه لأوامره^(٤) . ولكن التقرير الذي وصل إلى البابا
إنوست كان مضللا ، ومن هنا جاء طلبه إلى العادل برد بيت المقدس إلى
الفليبيين ، تلك المدينة المقدسة التي كانت محور الصراع بين المسلمين واللاتين ،
والتي كفل صلاح الدين جهاده ضد الفرنج باستعادتها بعد توحيد الجبهة
الإسلامية في مصر والشام .

ومهما يكن من أمر ، فلم نقف على رد العادل على رسالة البابا في أي مصدر
تاريخي . وإذا كان ذلك قد تم ، فمن المؤكد أن هذا الرد سيبتضمن عدم الموافقة

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 987.

(١)

بعد أن يشير بهرشت إلى رسالة البابا إنوست الثالث إلى السلطان فإنه يلقى تبعة ضليل البابا على
جماعة القديسة فقط من جماعة الإسمانية . إلا أن بنشادر دي سان جيرمويل الذي أورد النسخة
لترجمة هذا التقرير ، والذي جمع إليها بهرشت ، ينسب هذا التقرير إلى قائد القديسة والإسمانية
معا أنظر :

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 986; Rohricht, Regesta, no. 864, p. 232.

(٢) وكان العادل لا يرى محاجة أعدائه ، ويستعمل ل مفاصله خدائد والخدع . فهادته الفرنج لقوة حرمه
بشدة يظنه وغزابة عقله قوة كيدية . أنظر : القرظي . السلوك . ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢٩ .

(٣) ويؤكد ذلك ما يورده كل من القرظي وابن تغري بردي فقد رأى العادل في أولاده ما ينبغي . وكان
كثيرا ما يتردد العادل في ممالك أولاده ، وأكثر أوقاته بصيف دمشق ، وبشبي مصر ، وكان للعادل
الإشراف التام على أنحاء الدولة الأيوبية ، بسا . يتنقل في ممالك أولاده ، والسعة في كل الممالك
عنه . أنظر : القرظي . السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن تغري بردي (جمال الدين أبو
الحساس) . السجون الزاهرة في مشرك مصر بالقاهرة . ج ٩ . القاهرة . مطبعة دار الكتب المصرية ،
١٩٢٩-١٩٤٢ ، ج ٦ ، ص ٢٢٧ .

على ذلك . أما بخصوص تبادل الأمرى بين المسلمين وفرنج النشاة ، وعقد معاهدة السلام بين الطرفين ، فرمما كثر العادى فى رده على إنوست الثالث ، شروطه التى أقرن بها رده على سلفه نوكيوس الثالث فى عام ١١٨٣ م ٥٧٨ هـ ، بأنه يوافق على هذا الطلب طالما التزم نصيبون بما يتم بين البابا والسلطان فى هذا الشأن .

وإذا كان البابا إنوست قد راسل العادل كما راسله سلفاه ألكسندر ووكيوس ، وإذا كان الأخيران قد تفاوضا مع بنى أيوب حفاظا على الكيان المتداعى لمملكة بيت المقدس الصليبية فى الوقت الذى لم يكن فى مقدور أوروبا ولا البابوية أن يبعثا بالمساعدة للإمارات الصليبية فى الشرق ، فبالنسبة لإنوست الثالث ، لم يقتصر الأمر على ذلك . فكما كان رد صلاح الدين والعادل على لوكيوس فى ١١٨٣ م ٥٧٨ هـ مهادنة مهماله حتى يتجسبا أى عائق ربما يأتى من غرب أوروبا من شأنه أن يوقف مشروع صلاح الدين الكبير ضد الفرنج ، فإن مفاوضة إنوست الثالث مع العادل — بالمثل — كانت مجرد مهادنة من البابا للسلطان حتى يتسنى للأولى أن يوفد الحملة الصليبية الأمولية . فقد كان إنوست يرقب المسلمين من البعد ، ويحرص دائما على الوقوف على أحوالهم^(١) . وهذا ما أكدته لنا تقارير بطربرك بيت المقدس وقادة الداوية والاستبائية إليه . كما يورد لنا المؤرخ العربى ابن نظيف أحموى نصا فريدا يوضح كيف كانت أحوال بنى أيوب فى مصر والشام محل اهتمام الفرنج . فيذكر ابن نظيف ، أنه فى عام ١٢١٠ م ٦٠٧ هـ قد « وصل إلى الديار المصرية كقيام التاجر الجنوى — لعنه الله — وقدم للسلطان الملك العادل الأيوبي ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والشرقية أشياء وصادقه ، فأحسن السلطان إليه ، وكان فى جملة إحسانه إليه ، أنه يأخذته معه إلى أين يتجه ، وكان الملعون فى ضمن ذلك يكشف الأحوال أولا بأول ويكتب بها الفرنج ، وقبل للسلطان فما التفت إلى كلام القائلين^(٢) . ومن هذا النص يمكن التأكد من أن هذا التاجر قد أجمع فى اكتساب ثقة السلطان ، حتى أنه كان يصطحبه معه فى كل جولاته ، وحتى التى تتعلق بأمن دولته . وكان ابن نظيف مهتما بحال هذا التاجر مع السلطان . فيخبرنا أن العادل ذهب إلى

Revue de Saint-Germain-des-Près, Cl. 986

(١)

(٢) نقل المقرئى بعض فدها نص من بعض نود أن جاده بالاسم . انظر : ابن نظيف أحموى : التاريخ النصوى ، ص ٦٥ - ٦٦ . تقرئى : سداد ، ج ١ ، ص ٢١ .

الأسكندرية في عام ١١٢١ م/٦٠٨ هـ . لكشف أحوالها وكليام صحبته . . . وفي نفس السنة ، نزل الملك العادل الشام ، وسار إلى الجزيرة ، رتب أحوالها . . . وعاد إلى دمشق وكل هذا وكليام الفرغبي صحبته ، . . . وعاد العادل إلى مصر في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ ، وكليام لا يفارقه^(١) . أى أن هذا الفرغبي قد رافق السلطان في تجواله في بلاد الشام والجزيرة لمدة ثلاث سنوات ، إطلع فيها على أحوال المسلمين ، وإجراءات العادل في ربوع دولته ، بالرغم من أنه ، كان في باطن الأمر عيناً للفرنج ، يطالهم بالأحوال^(٢) . ولما لم يجد ابن نظيف ولا المقرئ — الذى نقل عنه نفس الرواية — ما إذا كان هؤلاء الفرنج هم فرنج الشام أم غيرهم ، ولما كان من الصعب على هذا الجوى الاتصال بفرنج الشام وهو ملازم للسلطان وفي معيته ، حتى أنه آخر مرة شوهد فيها في مصر في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ نزل مع السلطان بدار الوزارة^(٣) ، فليس من المستبعد أن يكون كليام هذا مكلفاً من قبل البابا إنوسنت الثالث نفسه بمهمة كشف أحوال دولة السلطان الأيوبي ، خاصة أن هدف البابا من طلب التقارير عن أحوال المسلمين في ذلك الوقت ، كان لإعداد الحملة الصليبية المناسبة لقتالهم^(٤) . ولما كانت سيرة هذا التاجر الجوى تتوقف عند كل من ابن نظيف والمقرئ في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ ، فمن المحتمل أن يكون هذا الجاسوس قد عاد إلى أوروبا ، وأعلم البابا بكل ما وقف عليه من أحوال المسلمين في دولة السلطان العادل . وليس بعيداً أن تكون الصورة قد اتضحت أمام البابا ، وعرف مدى إمكانيات المسلمين ، فقرر إعلان قيام الحملة الصليبية التي كان يأمل في إيفادها لنجدة

(١) ابن بشير الجوى . المصدر السابق ، ص ٦٨-٦٧ ، ٧٠ ، المقرئ . المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٧ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢١٤ .

(٤) . كذلك لما كان البابا نفسه يريد أن يعرف أوضاع وقوة هؤلاء المسلمين الذين كان جيش المسيحيين ، يتم تجهيزه لقتالهم حسب أوامره شخصياً .

"Item scire volens ipse papa terras, mores, & vires Agarenorum, contra quos de ipsius mandato Christianorum exercitus Parahatur".

انظر

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 986; Arnold of Lubek, Chronica Slavorum, in M.G.H.ss., in Ussum Scholarum, Hanover, 1968, p. 215.

صليبي الشام ، وذلك في المجلس الكنسي الرابع الذي عقده في روما في ١١
نوفمبر ١٢١٥ م/٦ رجب ٦١٢ هـ - العام التالي لرحيل جاسوسه من مصر -
الذي كانت غالبية قراراته ضد الأيوبيين (١) .

وبذلك يكون البابا إنوسنت الثالث قد اتبع أسلوب التفاوض مع السلطان
الأيوبي مهادنة له ، وكسبا للوقت ، وحتى يحقق - بقدر الإمكان - ما يفيد
الإمارات الصليبية في بلاد الشام . فبالرغم من طلب البابا الذي يتسم بالغرابة
- أن يسلم العادل مدينة بيت المقدس للفرنج - فقد حاول أن يعيد للفرنج
أسراهم لدى السلطان وهم في حاجة إلى كل الموارد البشرية ، أو يحصل على
الأقل على موافقة السلطان بشأن عقد هدنة سلام مع الصليبيين حتى يتمكن
البابا من إعداد حملة صليبية ، يمكنها أن تنجز ما فشلت فيه الحملات التي
قامت من أوروبا بعد سقوط مملكة بيت المقدس عام ١١٨٧ م/٥٨٣ هـ ، تلك
هي الحملة الصليبية الخامسة .

كان من الطبيعي أن تتوقف الإتصالات الدبلوماسية التي تمت بين عدد من
بابوات روما وحكام مصر من بني أيوب بعد موت البابا إنوسنت الثالث
(١٢١٦ م/٦١٣ هـ) . فقد رحل هذا البابا دون أن تتحقق أغل أمانيه بقيام حملة
صليبية كبرى تحت إشراف البابوية . وخلفه في منصبه البابا هنريوس الثالث
Honorius III (١٢١٦-١٢٢٧ م) . ودون أن يبذل الأخير جهدا يمكن مقارنته
بجهد سلفه ، فقد قامت أثناء إقامته بالبرية الحملة الصليبية الخامسة
(١٢١٨-١٢٢١ م/٦١٥-٦١٨ هـ) على مصر (٢) . ولما كانت هذه الحملة
مشروعا بابويا ، فلم يكن من السهل أن يفسح العادل الصريح مجالا للدبلوماسية
بين البابا والسلطان الأيوبي وقتها العادل . لذا لم تحفظ لنا المصادر التاريخية ولا

(١) إن جانب قيام حملة صليبية ضد مصر ، فقد كان من أهم القرارات التي اتخذها المجلس الكنسي الرابع
هو تحريم الإتجار مع الأيوبيين في مصر على كل من المدن الساحلية في إيطاليا وأوروبا . كما قرأ بها في
هذا المجلس توقيع عقوبة الحرمان والقطع من الكنيسة على كل من عد الأيوبيين بالذات . فقد ...
لسن . وللمزيد عن قرارات هذا المجلس أنظر

Loise and F. Riley Smith. The Crusades, Idea and Reality (1095-1274), in Documents
of Medieval History, London, 1981, pp. 124-129.

J. Brundage. The Crusades: A Documentary survey, Wisconsin, 1976, p. 213.

(٢)

السجلات البابوية أى نوع من المراسلات مع أى من حكام الشرق الأدنى
إسلامى من بنى أيوب والبابا هنوريوس الثالث .

البابا جريجورى التاسع :

وكان للبابا جريجورى التاسع Gregory IX (١٢٢٧ — ١٢٤١ م) دور كبير فى
إعادة الإتصال بين رؤساء الكنيسة الغربية والأبوين فى مصر والشام . ويتمثل هذا
فى أحد خطابه إلى السلطان الكامل محمد فى مصر . ويبدو أن الفشل الذى
لازم الحملات الصليبية التى أشرفت عليها البابوية ، وأخراها الحملة الصليبية
الخامسة ، فى استعادة ما فقدته الصليبيون على يدى صلاح الدين ، إلى جانب
عدم رضاء البابوية وصليبي الشام عن إنجازات حملة الإمبراطور فريدريك الثانى
(الحملة السادسة) ، وحسن علاقات الإمبراطور — المحروم من الكنيسة — مع
السلطان الأيوبي الملك الكامل ، يبدو أن كل ذلك ترك بصماته على أسلوب
المفاوضات الذى انتهجه البابا جريجورى التاسع مع أولى الأمر من بنى أيوب .
فلمس فى مراسلاته إلى هؤلاء روحا جديدة وأسلوبا مغايرا لما اتبعه أسلافه من
البابوات ، وخاصة فى مراسلاته إلى حكام دمشق وحلب والخليفة العباسى فى
بغداد آنذاك^(١) . أما عن المفاوضات التى بدأها جريجورى التاسع مع السلطان
الكامل ، فإنها جاءت مختلفة تماما فى نوعها عن مراسلات البابوات السابقين .
فقد كتب البابا فى ١١ أغسطس ١٢٣١ م / ١٠ شوال ٦٢٨ هـ إلى السلطان
مبدئا له قلقه واستياءه الشديدين لموقفه من بعض التجار الغربيين . فعلى غير
عهده بالكامل قام السلطان باعتقال تجار مدينة أنكونا Ancona^(٢) الذين بقوا فى

(١) أنظر ما سبق ، ص ٢٥٧ ، حاشية رقم (٤١) .

(٢) كان لتجار مدينة أنكونا الإيطالية نصيب غير قليل من تجارة الشرق الأدنى زمن الحروب الصليبية . وتقع
تجار أنكونا بامتيازات كثيرة فى سواحل الإمارات الصليبية فى الشام مثل رحلاتهم تجارا جنوا وبيزا
واينديفة . فقد منحهم البابا إنوسنت الرابع حرية التجارة فى عكا ولى كل أنحاء مملكة بيت المقدس مع
إعفانهم من الرسوم المقررة على المصانع وذلك فى عام ١٢٤٥ م / ٦٤٣ هـ . وفى ١٢٥٧ م / ٦٥٥ هـ منح
بارونات المملكة إيجيا أنكونا حيا خاصا بهم فى عكا ، بالإضافة إلى كنيسة ويقدم بالقرب من ابياء
عظير المساهمة خدمة محيين قاربا للدفاع عن المملكة . وكانت سانية أنكونا فى عكا قد انقضت
جانب لغوية فى صدهم مع البادقة لى سواحل الشام فى أواسط القرن ١٣ م / ٧ هـ . أنظر :

Rohricht, Regesta, no. 1259, pp. 330-332 Cf. J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2,
pp. 354, 366.

ميناء الإسكندرية بعد التوعد المحدد لمغادرتهم الميناء ، ثقة منهم في تسامح السلطات المصرية آنذاك . كما تم مصادرة أموال وبضائع هؤلاء التجار ، الأمر الذى جعله البابا منافع لأخلاق السلطان وشيخه حيان التجار الأجانب في موافق دولته . ويرى البابا ، كما يذكر في خطابه إلى السلطان ، أن ما حدث هؤلاء التجار سيدفع إلى عدم الثقة في تعهدات السلطان . ويعتزم البابا رسالته إلى الكامل بحثه إياه على الإسراع بتدارك ذلك ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بإطلاق سراح التجار المذكورين ، ورد كل ما صادرت السلطات المصرية من بضائع وأموال إليهم ، حتى ينال السلطان رضا الرب وثقة البابا^(١) .

وبالإطلاع على نص رسالة البابا إلى السلطان الكامل — وكذلك سائر رسائله إلى أمراء الشام الأيوبيين — نلاحظ أنها لم تتضمن أى مطلب يخص الصليبيين في بلاد الشام . وهكذا ، فلأول مرة يتفاوض أحد بابوات روما — جريجورى التاسع — مع السلطان الأيوبي دون أن يتطرق في مخاطبته إياه إلى عمليات تبادل الأسرى بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ، أو يحثه على عقد هدنة معهم ، مع أن البابا جريجورى التاسع كان يسير على نهج البابا الأسبق إنوسنت الثالث فيما يخص الاهتمام بأحوال الفرنج في بلاد الشام^(٢) . وإلى جانب ذلك فلم تكن أحوال هؤلاء مستقرة بالدرجة التى لا يتهز البابا معها فرصة اتصاله بالسلطان الأيوبي ، ويطلب منه إيقاف عملياته العسكرية ضدهم^(٣) .

(١) قام رودنبرج بنشر النسخة الكاملة لمخطوطات البابا جريجورى إلى السلطان الكامل محمد ، بينا أشار إليها بإيجاز كل من زهرشت وأوبراي وبوليامست . وقد رجعا إلى نسخة رودنبرج . أنظر :

C. Rodenberg, *Epistolae saeculi XII le regis pontificum romanorum selectae*, 3 vols; Berlin 1883-1894, in M.G.H.s, vol. 1, no. 449, p. 362; Rohricht, no. 1025, p. 268; Gregory IX, Pope, *Les Registres*, ed. L. Auvray (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rouen, ser. 2, 3 vols. Paris, 1896-1955, vol. 1, no. 699; Pothast, *Regesta pontificum*, vol. 1, no. 8784

(٢) كان البابا جريجورى التاسع أشد صراحة من سلفه غريغوريوس الثالث فيما يخص ما للبابوية من سلطة إلمية وكان شبيهاً بابي عمه البابا إنوسنت الثالث فيما اعترض به من عقلية قانونية ، وما اتصف به من نقشفت دفعه إلى كره شخصية الإمبراطور فريديريك الثاني ، بفضل استبداده السبائى . ولم يحصل تلكم الإمبراطور في القيام حملته إلى الشرق ، فإذ يقطعه من الكنيسة في نوفمبر ١٢٢٧ م ، أنظر :

Runkman, *History of the Crusades*, vol. 3, 178

(٣) انقسم الفرنج في مملكة بيت المقدس على أنفسهم منذ عقد صلته بابا الكامل وفريديريك فيها أهد البيزانتية وفرسان القديس هذه لإغريقية . عرضها لملكها بقيادة إنوسنت ثم عارضها

والضيق الوحيد لكل ذلك ، هو أن العلاقات بين الصليبيين والمسلمين في مصر وبلاد الشام كانت انحساراً وتشكلاً — خاصة من جانب السلطان الأيوبي — إتفاقية ياقا (١٢٢٩ م / ٦٢٦ هـ) التي عقدت بين الإمبراطور فريدريك الثاني والسلطان الكامل (١) . وكان الكامل ملتزماً إلى حد كبير ببنود هذه الإتفاقية التي رأى أنها كانت في صالحه تماماً (٢) . ومن جهة أخرى فإن البابا الذي كان على خلاف دائم مع الإمبراطور ، كان على دراية تامة بطبيعة العلاقات بين فريدريك والكامل (٣) ، ويدرك تماماً أن حسن هذه العلاقات هو

الدوية والإستراتيجية . كما عارض الباريونات وجود بنشازد فيلانييري مندوب الإمبراطور في المملكة واستول الأحرار على بيروت وشكل تبارونات في عكا قوموا بفقاومة السلطة الإمبراطورية . واستمر النزاع بين الطرفين حتى عام ١٢٤٢ م . أنظر :

P.W. Edbury, The Ibelins Counts of Jaffa, in E.H.R., vol. 89, 1974, pp. 604-610.

(١) *Historia Diplomatica Frederici Secundi*, ed. Huillard Breholles, 7 vols., Paris, 1852-61. (١) vol. 3, pp. 86-87.

(٢) كما يذكر سبط ابن الجوزي فقد رد الكامل على اعتراض المسلمين على إتفاقته مع فريدريك بأنه لم يتنازل للفرنج إلا على « كنانيس أربدر خراب ، والمنجد على حاله ، وشجار الإسلام قائم ، ووالي المسلمين متحكم في الأعمال والنضاع » . وكما يرى ابن واصل فإن الكامل « رأى أن يرضى الفرج بمدينة القدس خراباً ويهادنهم مدة ، ثم هو قادر على انتزاع ذلك منهم متى شاء » . أنظر : سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ، العيني (بدر الدين) : عقد الجمال في تلويح أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ٢٣ ، رقم ٨٣٢ ، ج ٢١ ، ورقة ٢١٢ وما بعدها .

(٣) استمرت العلاقة بين الإمبراطور فريدريك وسلطين الأيوبيين حتى موت الإمبراطور نفسه (١٢٥٠ م) . وكان سفراء السلطان الأيوبي دائم الظهور في بلاد الإمبراطور . وكان تبادل الهدايا بين سلطان والإمبراطور من مظاهر تودد بينهما . ففي عام ١٢٢٢ م / ٦٢٠ هـ بعث الكامل إلى الإمبراطور هدية قيمة تابعة لتفتح ، بين تعديدها الداخلية حركة التوجيم في النساء . ورد الإمبراطور على هدية السلطان بأن أعداه دها قطياً . وفي نفس العام أقام الإمبراطور مأدبة لسفراء السلطان في بلاطه بمناسبة عيد الأضحى . وليس أدل على قوة الأتباط النفسى بين الإمبراطور والسلطان من قول فريدريك نفسه « إن صديقى السلطان المسلم أقم لدى من أى شخص آخر ما عندنا ولدى الملك كونراد » الذي كان لا يفتأ أن يردد أمام أصدقائه . أنظر :

Chronica Regia Colonienis, in M.G.H., in usum scholarum, p. 263

وقد أفرد الدكتور سعيد عاشور بحثاً وافياً عن علاقات فريدريك بنى أيوب . أنظر : سعيد عاشور الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ م ، ص ١١١-١٢٩

الخاجر الذي لا يمكن تحضيه بينه وبين السلطان الأيوبي . فنراه حين تضطره الظروف إلى الإسهام في إتمام عمليات فداء الأسرى الفرنج لدى المسلمين — وبالرغم من تعدد الرسائل التي بعث بها البابا إلى حكام مصر والشام من بني أيوب — فإنه يكف حكام الصليبيين في قبرص والشام بإجراء المفاوضات مع الأيوبيين بهذا الشأن^(١) مفضلا عدم القيام بذلك بنفسه ، مما يوحي بأنه مدرك تماما لمدى تأثير العلاقات بين فريديك والكمال في إقناع محاوكة التفاوض مع السلطان الأيوبي بشأن أمر يخص الفرنج في بلاد الشام ، وهذا ما ستؤكداه الصفحات التالية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن العلاقات بين البابا والإمبراطور — في ذلك الوقت — كانت قد تحسنت بعقد صلح سان جرمان St. Germano (٢٣ يوليو ١٢٢٠ م) بين الطرفين ، الأمر الذي قوى من سلطة فريديك في المملكة الصليبية في بلاد الشام . وبقي البابا حريصا على أن لا يتجاهل كون فريديك ملكا فعليا « de Facto » لمملكة بيت المقدس^(٢) . وإذا كانت هناك فرصة للتفاوض مع المسلمين بشأن صليبي الشام ، فلا بد وأن تكون عن طريق فريديك ، الذي من المؤكد أنه يفضل السلطان الأيوبي — صديقه — التفاوض معه عن التفاوض مع البابا . لهذا كله اقتصر خطاب البابا جريجوري التاسع إلى السلطان الأيوبي الكامل محمد على الاهتمام بأحوال التجار الإيطاليين في الإسكندرية دون الإهتمام بأحوال فرنج الشام^(٣) .

(١) ل ٢٣ ديسمبر ١٢٢٧ م ٢ جماد أول ٦٢٥ هـ بعث البابا جريجوري التاسع بمغفبات إلى كل من هنري الأول ملك قبرص وجرولد بطريرك بيت المقدس وبهيمند الخامس أمير أنطاكية يطلب منهم السعي لإطلاق سراح فرسان الدابية النفس أسرى مسلمي حلب وديار بكر حتى حلول الدابة فتح حصن ديساك في يونيو ذي الحجة من نفس السنة . انظر :

Gregory IX, Pope Registres, vol. 2, no. 4991-92, 96; p. 833. Albrecht des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H., vol. XXII, p. 942

(٢) بمعنى هذا الصلح يقع لنا في العزماء عن مدينة بيت المقدس وإلا فهو الذي كان قد أصدره بطريرك جنوة في عهد اتفاقية ياقا بين الكامل وفريديك . وبذلك اعترفت الكنيسة سلطة فريديك كحاكم للمملكة الصليبية في الشام بأنه عن ابنه كوزمان . انظر :

Historia Diplomatica Eudensis Secundi, p. 101; Frailes, p. 374, C.F. Also, J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2, p. 313; Riley, Smith, The Feudal Nobility, p. 167.

(٣) لم نغف في المقام السابق أو التاليفه عن ما بعد تعهد السلطان الكامل لخطاب البابا .

البابا إنوست الرابع .

وإذا كان تأثير اتفاقية يانا (١٢٢٩ م / ٦٢٧ هـ) على العلاقات بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام^(١) قد دام لمدة عشر سنوات نعم خلالها الطرفان بالأمان الذي منح كلا منهما الفرصة للتصريح لخلافاته الداخلية^(٢) ، وإذا كان لهذه الإتفاقية ، ولما قام به فريديك والكامل من علاقات خاصة ، تأثير على تحديد طبيعة العلاقات بين البابوية والأيوبيين ، فإن هذا التأثير استمر حتى نهاية الدولة الأيوبية^(٣) .

(١) انضمت الاتفاقية على المملكة الصليبية دون أن تشمل إمارة أضناكية وكرنتية طرابلس بما تضمناه من أملاك لجماعتي ندافية والأسبانية المتأثرتين للأمبرطور . انظر :

Historia Diplomatica Friderici Secundi, vol. 1, pp. 86-87.

(٢) بددت الخلافات الداخلية على الجانبين الصليبي والإسلامي بعد رحيل الإمبراطور إلى غرب أوروبا . فقد قامت الحرب الأهلية بين بواب الإمبراطور في قبرص ومكا وبين آل إبلين ، واستمرت المرحلة الأولى منها حتى عام ١٢٣٦ م / ٦٣٤ هـ ، وتورط فيها كل هؤلاء الفرج في الشام إلى جانب جهالات بغداد لتحاوية إيطالية . أما عن الجانب الإسلامي ، فقد بدأت نزاعات باتفاق الكامل والأشرف على اقتسام أملاك المص داود بن أخيها العظيم عيسى في دمشق . وانتهى الأمر بسيطرة الأشرف على دمشق والكامل على الجزيرة الأمر الذي تخوف منه بقية أقارب السلطان في الشام وتحالف الأيوبيون في حلب ودمشق وحمص مع صلاحية الروم ضد الكامل ، الذي مات في مارس ١٢٣٨ م / رجب ٦٣٥ هـ تركا الدولة الأيوبية منقسمة على نفسها . وتركز الصراع بين إبنه لصاح نجم الدين أيوب في مصر ، وعمه الصاخ إسماعيل في دمشق . انظر الصقلاوي (عز الدين) ، قضاء نفقوب في مناقب بن أيوب ، ورقة ٨٩ ب - ٨٨ ب ٤ من واصل : فرج الكروب ، ج ٥ ، صفحات منفردة ١ من تعيد أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٩-١٤٨ . أبو الفدا (الملك ثميد) ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٥ هـ ، ج ٦٣٦ - ابن الجديم ، كمال الدين : هذا الخلب من تاريخ حلب ، ج ٣ ، تحقيق صلي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ ، ج ٣ ، صفحات منفردة . جمع أيضا .

Genes des Chypriotes, in R.H.C.-Doc. Arm., vol. 2, pp. 700 ff. Amadi, Chroniques d'Cyprus d'Amadi et de Strambaldi, ed. R. de Mas Latrie, 2 toms., Paris, 1891-93, 1, pp. 123-124; Encyclo., pp. 361, 386-407. C.F. Alex. G.A., Hill, A History of Cyprus, vols. 3, Cambridge, 1948, vol. 3, pp. 143-154

(٣) استمر الوفاق بين فريديك والكامل حتى عهد مانفريد ابن فريديك (١٢٥١-١٢٦٦ م) وكانت التسويات متبادلة بين الطرفين . وجر ما نعرفه من هذه التسويات تلك التي حرج فيها مؤرخنا ابن واصل منعها عن المستطاب نقاد . يهوس إلى بلاد مانفريد في عام ١٢٦١ م / ٦٥٩ هـ ، حيث شهد إقامة صلاة الجمعة في إحدى مدن مانفريد التي يسكنها مسلمون من حقلية منذ عهد فريديك . انظر : ابن واصل : فرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٨ .

وبالرغم من ذلك ، فقد وصل اليابا إنوست الرابع (١٢٤٣—١٢٥٤ م) محاولات اسلافه من رؤساء الكنيسة الغربية في التفاوض مع سلاطين الأيوبيين لصالح فرنج الشام . ولم يدرك هذا اليابا ما أدركه سلفه (جريجوري التاسع) من تأثير العلاقات بين الامبراطور والسلطان . وبما أدرك إنوست هذا التأثير ، ولكنه حاول تحطيط الحاجز الذي تشكله هذه العلاقات بين البابوية والأيوبيين ، وأن لليابا في ذلك دوافعه . فبعد أن اعتلى إنوست الرابع الكرسي البابوي ، ووجد أن موقفه أمام الامبراطور غاية في الحرج^(١) كان موقف فرنج الشام أكثر حرجا . فقد انتهى أمد المعاهدة بين الأيوبيين وفريدريك في عام ١٢٣٩ م / ٦٣٧ هـ ، وانتهت معه فترة اتسليم بين المسلمين والصلبيين . ولتزامن انتهاء فترة الهدنة ، ووصول حملتي تيبالدكوت شامبانيا Tibald of Champagne (أول سبتمبر ١٢٣٩ م / ٦٣٠ هـ) ريتشارد كورنوال Richard Cornwall (١١ أكتوبر ١٢٤٠ م / ٢٢ ربيع أول ٦٣٨ هـ) إلى بلاد الشام^(٢) ، مع نشوب الخلافات بين بنى أيوب في مصر والشام^(٣) ، تمكن الصليبيون من استرداد ما يفوق كل ما تنازل عنه الكامل

(١) بالرغم من أن مساعي فريدريك الثاني هي التي أوصلت اليابا إنوست الرابع إلى منصبه البابوي إلا أن الأهم اكتشف أن عليه اتباع سياسة سلفه جريجوري التاسع ضد الإمبراطورية . وأخيرا هرب من روما إلى ليدن بفرنسا في نهاية عام ١٢٤٤ م أمام تهديد اتباع الامبراطور في إيطاليا له . انظر :

R.H.C Davis, A History of Medieval Europe p. 375, John LA Monte, The world of the Middle Ages, p. 426.

(٢) Eracles, pp. 413-418; Rothelin, *Commoition de Guillaume de Tyre de 1229-1261. Dit du* (٢) *Manuscrit de Rothen*, in R.H.C.-H.occ., vol. 2, p. 528; Matthew Paris, *Chronica Majora*, ed. H.R. Luard, in R.S., vols. 7, London, 1872-82, vol. 4, p. 139

(٣) تولت سلطة الأيوبية بعد موت الكامل ابنه العادل الثاني . واستولى ابنه الثاني الصالح نجم لدين أيوب على دمشق من عمه الصالح إسماعيل في يناير ١٢٣٩ م جمادى الآخرة ٦٣٦ هـ . ليستردّها الأخير في سبتمبر ١٢٣٩ م / أواخر ٦٣٧ هـ . فتصالح الصالح أيوب مع القائم داود صاحب الكرك واستولى الأيوبيون على معظم من أخته العادل الثاني في ١٩ سبتمبر ١٢٣٩ م / ٢٤ حتى تقعدت ٦٧٢ هـ . ولم يبق أمامه من طموح سوى استعادة دمشق من عمه الصالح إسماعيل مدة تجريب . انظر : ابن العديم . معراج الكوكب . ج ٥ ، ص ٢٣-٢٤ . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٤٠ . ص ٢٢٨-٢٢٩ . ابن عميد . أخبار الأيوبيين ، ص ١٤٤ . روضة الملك والمملوك في حقه سيرة من من مع من دمشق ، مطبوع بمطبعة النجف البريطانية رقم ٢٢٣٢٦ . ص ٥٩ . العسقلاني . خطط الهند . رقم ٩٩ . ص

لفريديريك من عشر سنوات مضت وأثار ضده العالم الإسلامي^(١). إلا أن ما حققه الصليبيون من مكاسب لم يكن يضمن لهم الأمان ، لأنقسامهم على أنفسهم ، ووصل بهم الأمر إلى حد التقاتل في شوارع عكا وصور ، الأمر الذي كان يندب بالخطر^(٢). وسرعان ما وصلت أبناء الشقاق بين صفوف الصليبيين إلى أوروبا^(٣).

ولابد أن أجوار الفرخ في بلاد الشام قد أثارت مخاوف البابا إنوسنت الرابع . فلم يكن باستطاعته أن يبعث بحملة صليبية إلى الشرق في ذلك الوقت . وربما يحدث تضايف مفاجيء بين بنى أيوب في مصر والشام من شأنه أن يعصف بما تبقى من رمق في الجسد الصليبي المنهار في المنطقة . وحتى يتسع المجال لاستعمال القوة المسلحة ضد المسلمين ، رأى البابا أنه من الأفضل أن يتبع الأساليب الدبلوماسية مع سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب . وربما كان يبعث الأمل لدى البابا في نجاح مساعيه لدى السلطان ما وصله من أبناء تقييد

(١) بناء على الإتفاقية النهائية التي عقدها الصالح أيوب مع بنشارد كورنويل ، أخذ الفرخ بيت المقدس ويصت لحم ويهدى بابا وعسقلان وشقيف أريون وإقليم الجليل بما فيه من حصون مثل قنس وهيرين وكوكب والطور وعضة ويوم يذكر هذه الإتفاقية من بين المؤرخين المسلمين سوى ابن أبيك ، إلا أنه جعل الفرخ منصفه القدس . وكل من صفد وطهية وهيرين فقط . أنظر : ابن أبيك الواردى : السر لمطرب في أخبار ملوك بنى أيوب ، وهو الجزء السابع من كتب السر وجامع الغرر ، تحقيق الدكتور سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٤٥ ، التوربي الكندي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط بدار مكتب المصرية ، ج ٥٥ ، تفسير خمس ، ج ٢٧ ، رقم ٧٩ وما بعدها . ارجع أيضا .

(٢) Erales, pp. 241-411; Rothelin, pp. 555-556; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 139-145

(٣) تضاربت مصالح جماعتي النابوية والأسيبانية . ويتوسط في الخلاف كل طوائف الفرخ في الشام ويوصل النابوية اعتناهم على المسلمين . ورفضوا الاعتراف بهده كورنويل مع السلطان بينا رأى الإسيبانية عكس ذلك . وحاول فيلا تيربي ناك الإسيباني أن يستفيد من ذلك الخلاف ، واتخذ جانب الأسيبانية . ولكنه فشل في الاستيلاء على عكا أو الاحتفاظ بمدينة صور لتعاقب الحوية والنادفة وهاهناك تسلطه وقوميين عكا ضده . وحملت أليس معكته قديس محل فريديك وابنه كورنوا في الوصاية على المملكة الصليبية . ولم ينته القتال بين الطرفين إلا في ١٢٤٣ م . في الصفحة ٦٤٠ هـ . أنظر .

Ann. T.S., ed. R. Röhrich et G. Raynaud, in A.O.L., vol. 2, p. 441; Erales, p. 422, C. F. J. also, Rumciman, vol. 3, pp. 220; Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col 1050; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 197

بتسابق كل من نصائح أيوب من جهة وعمه الصالح سماعيل ملك دمشق وحلفائه في الكرك وحلب وحمص من جهة أخرى ، على عقد الصلح مع الفرنج ، كل لحسابه الخاص . وعقد صليبو المملكة الرأى على اختيار جانب الصالح سماعيل ، وعقدوا معه الاتفاق في أواسط عام ١٢٤٣ م : أوائل عام ٦٤١ هـ . وربما تخشى البابا أن يكون رد فعل الصالح أيوب تجاه تحالف الصليبيين مع أمراء الشام الأيوبيين ، ضاراً بالمملكة الصليبية . وربما رأى البابا أن السلطان الأيوبي سيسارع إلى الإستجابة له إذا ما تفاوض معه بشأن فرج الشام ، حيث سينحرف تحالف هؤلاء مع منافق السلطان من بنى عمومته إلى تحالف معه هو . وإذا ما استجاب السلطان لما سيدعوه إليه البابا ، فإن إنوست سيكون قد كسب الوقت ، ونجح بالدبلوماسية في مهادة السلطان ، وضمن الأمان للمملكة الصليبية التي أنهكتها صراعات الفرنج فيها ، حتى يحين الوقت الذي تحل فيه القوة المسلحة محل الدبلوماسية ، مع ملاحظة أن الحديث عن حملة عسكرية جديدة يقوم بها الغرب الأوروبي ضد الشرق الأدنى الإسلامي كانت تحكمه اعتبارات عديدة تتعلق بتوازن القوى وقتها في الصراع بين الطرفين ، وكذلك الأحوال السائدة في كل من العالمين الإسلامي والمسيحي .

على أية حال ، من هذا المنطلق بعث البابا إنوست الرابع برسالة إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب يدعوه فيها إلى عقد هدنة مع الصليبيين في بلاد الشام ، وأن يعمل على أن يعل السلام بين الطرفين محل الصراع . وفي الحقيقة لم

١٦٦ جاء ذلك في رسالة التي بعث بها ألمان برنارد Armand de pengord مقدم الهدية (١٢٣٢ - ١٢٤٤) من بيعة روبرت صانغورد Robert Sandford في بحريف عام ١٢٤٣ م ٦٤١ هـ ، وهي أولها الموزع من التاريخ . انظر :
Matthew Paris. Chronica Majora, vol. 4, pp. 289-299.

عقد سلاماً بين مملكة وراء هضبة الدمامية الذين رأوا أن التحالف مع الصالح سماعيل يضمن لهم بلاد أمراء الشام في حالة دمشق والأردن . وقد نشأ الفجاءة الإسلامية إلى مساهم الصالح أيوب في التحالف مع الفرنج . أتفق ذلك رسالة مقدم الهدية إلى بيعة . ونفسى اتفاق الفرنج مع أمراء الشام الأيوبيين . سنة ١٢٤٣ م في القدس وطلبه وعمسلمان ٥٥٠ هـ . لإيجاد الصالح سماعيل الفرنج جزء من أممهم بعد رد ما يقصر لهم بها أحداهم من السلطان . وقد شاهد الموزع من أصل نفسه ما قام به الفرنج من تلك الطرقات مطبقة بين القدس وبلادها في طرفه من شهر في ١٠ يونيو ١٢٤٣ - ١٢٤٣ هـ . انظر : ابن أصل الموزع المذكور . ص ٥٥٠ - ٥٥١ .

نقف على نص هذه الرسالة في أي مصدر تاريخي ، كما لم تتضمنها السجلات خاصة بهذا البابا . وكل ما نعرفه عنها ، وعن فحواها يتضح لنا بالإطلاع على نص الرسالة التي رد بها السلطان على البابا في منتصف عام ١٢٤٥ م /أول عام ٦٤٣ هـ^(١) .

فسرعان ما اندلعت الحرب بين السلطان الأيوبي وعمه الصالح إسماعيل ، ولكن خلافات بني أيوب التي كانت مبرزة للفرج في عام ١٢٤١ م /٦٣٨ هـ ، أصبحت وبالا عليهم في عام ١٢٤٤ م /٦٤٢ هـ^(٢) فتورط صليبي مملكة بيت المقدس في هذه الخلافات ، ضاعَت منهم مدينة بيت المقدس إلى الأبد ، وضاع معها كل ما حققته الدبلوماسية من قبل ، ودُمِّر الجيش الصليبي كله في موقعة غزة (الاثنين ١٧ أكتوبر ١٢٤٤ م /١٤ جمادى الأولى ٦٤٢ هـ)^(٣) . وبعد أن استتبت الأمور للسلطان الصالح أيوب ، وأصبح هو سيد الموقف في مصر والشام^(٤) ، قام بالرد على رسالة البابا من منطلق القوة ، وذلك في ٤ يونيو ١٢٤٥ م /٧ محرم ٦٤٣ هـ . وفي رده على البابا ، ووفقا للعرف الدبلوماسي ، بدأ السلطان خطابه باستصوابه

(١) أنظر ملحق رقم (٤) بأحر البحث .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٤٢ .

(٣) يخالف الفرغ مع الصالح إسماعيل وفيه الأثر الأيوبي بالشام . استعان السلطان الصالح أيوب بالمواربية الذين اندفعوا من إقليم الجزيرة إلى بلاد الشام ، مدمرين كل ما سادفهم في طريقهم إلى فلسطين . وفتحوا مدينة بيت المقدس في ٢٣ أغسطس ١٢٤٤ م /١٥ ربيع أول ٦٤٢ هـ ، وانزعجوا من الفرغ بعد أن بذلوا قيم السيف . ثم نزل ذلك موقعة غزة التي تقابل فيها جيش السلطان وقوات المواربية مع قوات الفرغ وبمشق وحمص والكرك . وكانت كلمة الصليبي . أنظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٤٤-٧٤٦ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٢٧ ابن أبيك : القدر المغلوب ، ص ٣٥٣-٣٥٤ . راجع أيضا : أسامة ركني : الهدى المواربية ودورهم في الصنح الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب ، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، العدد ٣ ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ م ، ص ١٦٨ ، وما بعدها . راجع أيضا :

Eracles, pp. 429-431; Chronica Salernitana, in M.G.H.s.s., vol. 42, p. 177; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 307-311.

(٤) بعد موقعة غزة أصبح أوضاع أيوب متدنية من أمراء الشام الأيوبيين الذين تحالفوا مع الفرغ ضده ، وبنا ذلك بالإستيلاء على أقاليمهم في الكرك دمشق ثم قضى على المواربية . وفي ١٢٥٧ م /٦٥٥ هـ أخذ من الفرغ عساقا وطلبه في الوقت الذي كان سكان حمص يخشون الخروج من مدينتهم كما يذكر سبط الجوزي . أنظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٢ ، ٧٦٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٠ : ابن العسد : أحوال الأيوبيين ، ص ١٥٦-١٥٧ . راجع أيضا :

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 337; Ann. T.S., 440 (L. Assef C. Caban, La Syrie de Nord, Paris, 1950, p. 648.

لرغبة البابا في إحلال السلام بين المسلمين والصليبيين ، الأمر الذي لا يعارضه السلطان ، بل يرغب في تحقيقه أيضا . ولكن السلطان يشع ذلك بأن أكد للبابا أنه بمقتضى ما عقد بين والده الملك الكامل محمد وبين الإمبراطور فريديريك الثاني من اتفاق (اتفاقية يافا ١٢٢٩ م / ٦٢٧ هـ) ، فإن الصالح أيوب لا يتعين له التفاوض حول أى أمر يخص فرنج الشام إلا من خلال الإمبراطور نفسه . ثم يُعين السلطان بابا روما أن لخطابه الذي تسلّمه السلطان قد بعث به إلى السفير المصرى في بلاد فريديريك ، ليطلع الأخير على مطالب البابا . وأن التعليمات قد صدرت إلى هذا السفير بأن يتوجه إلى مقر البابا في مدينة ليون بفرنسا ، ويعرض عليه ما تم التوصل إليه مع الإمبراطور بشأن ذلك ، ثم يعود السفير إلى مصر ليعلم السلطان برأى البابا^(١) .

ولا تذكر المصادر التاريخية ما يفيد بأنه قد تم عقد أية هدنة أو اتفاقية سلام بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام قبل سبع سنوات منذ حرر الصالح أيوب رده على رسالة البابا ، وكان ذلك بعد نهاية عهد نبي أيوب^(٢) . وهكذا فشلت مساعي البابا إنوسنت الرابع في التفاوض مع السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين بشأن فرنج الشام . وكان السبب في ذلك هو نفس السبب الذي حدا بالبابا جريجورى التاسع إلى أن يتأى عن مخاطبة السلطان الكامل من قبل في ذلك الشأن ، وهو ما قام من علاقات بين السلاطين الأيوبيين وبين الإمبراطور فريديريك الثاني منافس البابا والكنيسة آنذاك^(٣) . ولما رأى البابا في علاقات الإمبراطور

(١) أورد نص هذه الرسالة عن البارزي ونشر صورة مطابقة له كل من روبرج وبربولز . وأشار إليها باختصار كل من هرشت ورجر أنظر .

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 563-568; Rodenberg, Epistolae Saeculi, vol. 1, no. 123, pp. 86-88; H. Breeholles, Historia Diplomatica, vol. 6, pp. 423-429; Rohricht, Regesta, no. 1142, p. 302; Berger, Registres d'Innocent IV (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, Ser. 2), vol. 4, Paris, 1884-1921, vol. 3, no. 1994, p. 296.

(٢) وهي الاتفاقية التي عقدها لويس التاسع مع المماليك في مايو ١٢٢٢ م . يقع أول ٦٥٠ هـ . أنظر : جوييف مسم يوسف : العيون الصليبي على بلاد الشام ، هذه هي من التاسع في الأرض المقدسة ، الأبيكندية ١٩٨٤ م . من ١٧٦ وما بعدها

(٣) بنفس بلد المراسلة . به الصالح أيوب على طلب البابا إنوسنت الرابع . نفس السلطان مساعي جماعته الدبلوماسية والإستراتيجية لانه لا يمتداه بلالهد الذي وقعها في أحد السلاطين في موقعة غرة ، والشريط السلطان لتعبد عليهم أن دافع الإله عنهم فريديريك نفسه علمه . ١٢٢٤ م . ذلك . فإن السلطان أهدى استعداده

والسلطان الأيوبي عاتقا لشاعيه من أجل تعضيد موقف الصليبيين في بلاد الشام . فقد أضيفت تلك العلاقات إلى الأسباب التي دعت البابا إلى إصدار قرار الحرمان ضد الإمبراطور — خالف المسيحية — في مؤتمر ليون الكنسي^(١) .

هذا وعن محاولة البابا إنوسنت الرابع مساعدة الصليبيين في بلاد الشام قدر استطاعته ، متبعا في ذلك أسلوب المفاوضات مع السلطان الصالح نجم الدين أيوب في مصر ، مهادنة له وكسبا للوقت — شأنه في ذلك شأن كل من البابا لوكيوس الثالث والبابا إنوسنت الثالث — حتى يتسنى له حث ملوك الغرب الأوروبي على الخروج في حملة صليبية تحقق الاستقرار والأمن لركائز أوروبا في الشرق الأدنى الإسلامي ، إن لم تستطع استرداد ما ضاع منها في عهد صلاح الدين الأيوبي . ولما فشلت مرامي البابا ، فلم يتبق أمامه — وأمام فرنج الشام — سوى انتظار خروج الملك الفرنسي لويس التاسع في حملته وفاء لنذره المشهور^(٢) .

لا أنه يتعلق برسالة البابا إنوسنت الرابع ، وبرد السلطان الصالح أيوب مشكلة تحديد متى بحث البابا برسالته إلى السلطان ، ومتى تم تحرير رد السلطان عليها ، الأمر الذي اختلف حوله المؤرخون الحديثون .

وبالنسبة لرسالة البابا ، فلا أنه تم تعيين الوقوف على نص هذه الرسالة في أي من مصادر تاريخية . فله بشر أي من المؤرخين الحديثين إلى التاريخ الذي راسل فيه البابا الساحل الأيوبي . وربما يتراءى للوهلة الأولى ، أنه من الأنسب أن يكون البابا قد قام بمراسلة السلطان بعد اندحار الجيش الصليبي كله في موقعة عزة وعوده يب معدم . من سيادة الإسلامية ، وخلو المملكة الصليبية من غالبية قلوبها وذلك في مدفعة عزة (١٧ أكتوبر ١٢٤٤ م / ١٤ جماد أول ٦٤٢ هـ)^(٣) .

١ - بطرس سراج مؤلف كتابه « وهاطبع » يتضمن التاريخ والإستراتيجية — نتاجين لبرهانك — من كتابه « وهاطبع » .

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 526

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 49-54 (١)

J. Rich. J. La politique Orientale de Saint Louis. La croisade de 1248. Paris, 1978 p. 129 (٢)

(٣) [١] هذه المعركة من الفرق بين عزة بيت المقدس وجلب مونتفويت مع ١٨ فرسان من أعدائه و ١٦ فارسا من ٧٠ شاهية ، ٣ فرسان من النوبت . وقد سطر ابن الجوزي الذي وصل إلى عزة

إلا أن أول نيا يصق إلى البابا عن الكارثة التي حلت بفرنج الشام كانت تلك الرسالة التي بعث بها روبرت أوف نانيس Robert of Nantes بطريرك بيت المقدس (١٢٤٠-١٢٥٤ م) إلى البابا مستنفا به لإتخاذ الإجراءات التي تكفل نجدة الفرنج . وقد حمل هذه الرسالة جالوان Galerand أسقف بيروت (١٢٤٤-١٢٤٥ م) . وحررت في ٢٥ نوفمبر ١٢٤٤ م / ٢٢ جمادى الآخرة ٦٤٢ هـ . وقد أبحر رسول البطريرك ، كما يذكر متى الباريزي الذي أورد نص الرسالة ، بصحبة بطريرك أنطاكية ألبرت دي ريزاتو Albert de Rizato (١٢٢٧-١٢٤٦ م) ، بعد يومين من تحريرها ، ووصلت البعثة إلى مدينة البندقية في ٢٥ مايو ١٢٤٥ م / ٢٧ ذى الحجة ٦٤٢ هـ^(١) . وحين قابل هؤلاء البابا في مدينة ليون — مقره المؤقت بعد طرده من روما على أيدي أتباع الإمبراطور — كان البابا على وشك عقد مؤتمر ليون الكنسي (٢٨ يونيو — ١٧ يوليو ١٢٤٥ م) . لذلك فمن المستبعد أن يكون البابا قد علم بما حل بالصليبيين من كوارث قبل شهر يونيو ١٢٤٥ م / محرم ٦٤٣ هـ ، ومن المستبعد أيضا أن يكون قد راسل السلطان الأيوبي بعد موقعة غزة ، وإنما في مستهل عام ١٢٤٤ م / أواسط عام ٦٤١ هـ ، بعد أن علم بأنباء الشقاق بين الأيوبيين في مصر والشام ، وتحالف الفرنج مع الصالح إسماعيل ملك دمشق ضد السلطان الصالح أيوب في مصر .

هذا عن تاريخ مراسلة البابا إنوست الرابع للسلطان الأيوبي الصالح نجم الدين . أما عن تاريخ تحرير رد السلطان على البابا ، فإن كل النصوص التي وقفنا عليها لرسالة السلطان إلى البابا تشير إلى أن هذه الرسالة قد حررت في اليوم السابع من شهر محرم دون ذكر للسنة الهجرية التي تضمنت هذا الشهر^(٢) ولما

[١] = صيغة اليوم التاريخي لسمكة عدد قتل الفرنج بأكثر من ٣٠ ألف مقاتل إلى جانب ٨٠٠ أسير نقلوا إلى مصر انظر: سبط ابن خريز: مرآة الزمان، ج ٨، قس ٢، ص ٧٤٤-٧٤٦. راجع أيضا:

Eracles, pp. 429-431; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 307-311; Chronica Salernbene, in M.G.H.ss., vol. 12, p. 177.

ومن عدد أسرى وقتل جماعة النورثون . انظر: حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان النورثون في الأراضى لفلسفة ، الإسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٢٥٢ .

Annales de Burton, ed. H.R. Luard, in Annales Monastici I (R.S. 36), [London, 1862], (1) pp. 257-263; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 337-345

(٢) انظر ما سبق ، ص ٥٤٣ حاشية رقم (١) . راجع أيضا ملحق رقم ٤ بأخر البحث

أورد المؤرخ الإنجليزي متى الباريزي ، الذي كان على علم تام بما جرى في الشرق من أحداث^(١) ، نص رسالة الصالح أيوب ضرس ما أورده من أحداث عام ١٢٤٦ م/ ٦٤٤ هـ ، فقد أخذ بذلك كل من رهشت وبرخزورببولز الذين رجعوا إلى نص متى الباريزي . وإذا كان الأمر كذلك فإن رد السلطان على رسالة البابا يكون قد دون في ٢٥ مايو ١٢٤٦ م/ ٧ محرم ٦٤٤ هـ . إلا أن هذا التاريخ يفترق إلى الدقة . وربما كان لإعتقاد هؤلاء المؤرخين الحديثين — فيما يخص العلاقات بين البابا والسلطان والإمبراطور أيضاً — كلية على حولية متى الباريزي ، أثر كبير في عدم توفيقهم في تحديد التاريخ الصحيح الذي حرر فيه السلطان رسالته .

فإذا رجعنا إلى بيان البابا نفسه ، والذي أصدر فيه قرار الحرمان ضد الإمبراطور في ختام اجتماعات مؤتمر ليون الكنسي (٢٨ يونيو — ١٧ يوليو ١٢٤٥ م/ ٢١ صفر — ٢١ صفر ٦٤٣ هـ) ، نجد أن البابا يشر إلى خطاب السلطان الذي وصله عن طريق الإمبراطور . ولقد أورد متى الباريزي — ضمن أحداث عام ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ — نص بيان البابا ضد الإمبراطور . ومن المؤكد أن رجوع إليه كثير من المؤرخين الحديثين . إلا أن هذا النص الذي أورده متى الباريزي قد سقط منه الجزء الذي أشار فيه البابا إلى خطاب السلطان بقرله (ومع هذا السلطان ، كان لفريدريك ، الذي تسلمنا عن طريقه خطاب السلطان ، علاقات أسرية وحب متبادل ووافق تام ، منذ عهد والد هذا السلطان ...)^(٢) . ومن هنا لم يقف المؤرخون الحديثون ، الذين حددوا ٢٥ مايو ١٢٤٦ م/ ٧ محرم ٦٤٤ هـ تاريخاً لتحرير رد السلطان على رسالة البابا ،

(١) اعتمد متى الباريزي ، لعب دير سان ألبان بإنجلترا ، في جمع ملته التاريخية خاصة فيما يخص الأحداث منذ ١١٣٦ م ٦٢٣ هـ على روايات من وفد من فرج الشام إلى كيبته ، وعلى ما كان يبحث به رجال الدعاية والإستراتيجية إلى مضمون هاتين الجماعتين في إنجلترا ، وعلى كل ما يبحث به حكام الإمارات الصليبية بالشام على سلاح الإنجليزي ، على جانب تقاير الموظفين الرسميين من الإنجليزي ثم جناب الذين لرهبان من النوميكان والفرنسيسكان . أنظر

Antonia Grandem, Historical writing in England, vol. 2, pp. 156. Et Richard Vaughan, Matthew, Paris, Cambridge, 1958, pp. 59-60.

(٢) "Cum quo soldani dictus Fredericus, prout ipsius soldani literis nuper accepimus, a tempore patris eiusdem soldani familiaritatem et dilectionem mutuam et concordantem perfectam habere dinoscitur".

Rudenberg, Epistolae Saeculi, vol. 2, p. 88.

والذين رجعوا إلى نص بيان البابا ضد الإمبراطور عن متى الباريزي ، لم يقفوا على التاريخ الصحيح لتحرير رسالة السلطان . وإذا كان البابا قد أشار إلى خطاب السلطان إليه ، بعد أن تسلمه من الإمبراطور ، وهذا ما يؤكد السلطان بنفسه في رسالته ، فإن البابا يكون قد تسلم خطاب الصالح أيوب قبيل انعقاد مؤتمر ليون في 28 يونيو 1245 م/حرة صفر 643 هـ . فلا بد إذن أن يكون رد السلطان على رسالة البابا قد حُرر في عام 1245 م/643 هـ . وإذا كان خطاب السلطان يرتبط بالشهور العربية أكثر منه بالشهور المسيحية ، فإن حرة شهر محرم توافق يوم السبت 19 مايو 1245 م ، بينما توافق يوم 7 محرم (يوم تحرير الخطاب) اليوم الرابع من يونيو من نفس السنة⁽¹⁾ . وبذلك يمكن الأخذ بأن التاريخ الصحيح الذي حُرر فيه رد السلطان الصالح نجم الدين أيوب على رسالة البابا إنوسنت الرابع هو يوم الجمعة 4 يونيو 1245 م/7 محرم 643 هـ . وكان من السهل والاتصال مستمرة بين سلطان والإمبراطور . يصل الخطاب على وجه السرعة إلى بلاد فريديك الذي يعثه بدوره إلى البابا قبل انعقاد المؤتمر . ولما كان رد السلطان مغيبا لآمال البابا ، ولما وجد البابا أن ارتباط السلطان بمنافسة الإمبراطور هو سبب ذلك ، فقد كانت هذه العلاقة بين الصالح أيوب وفريديك من ضمن الأسباب التي دفعت البابا إلى إصدار قرار الحرمان ضد الإمبراطور⁽²⁾ .

وإذا كان البابا إنوسنت الرابع قد فشل بالدبلوماسية في مهادنة السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين ، وفي مساعدة فرنج مملكة بيت المقدس على تجنب الخطر الإسلامي من مصر في وقت انقسموا فيه على أنفسهم ، مما أضاع مهم المدينة المقدسة إلى الأبد للأسباب التي أسلفناها فإنه لم يأس ، وعاود الاتصال بالسلطان الأيوبي ، إن لم يكن لصالح الصليبي ، فمن أجل القيام بواجبه ككس

(1) كان التاريخ الذي حقه خطاب سلطان إلى البابا هو أقرب التاريخ إلى الدقة . إلا أن
 - - - - - جعل يوم الجمعة 6 محرم 643 يوافق 3 يونيو 1245 - وأخذ هذا الرأي جاك بشارد .
 نظر .

Rodenberg, Epistolae Saeculi 1, 2, p. 86, J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2, p. 336.
 راجع أيضا محمد عثمان ، التوقيعات الإلهامية ، ص 272

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 566-568.

(2)

للكنيسة الكاثوليكية نحو مدينة بيت المقدس التي لم يعد في مقدور فرنج الشام — بعد اندحارهم في موقعة غزة ١٢٤٤ م/ ٦٤٢ هـ — الدفاع عنها وهي في أيدي المسلمين ، وفي وقت كان فيه مركز الثقل في الصراع بين الطرفين يميل بقوة لصالح المسلمين . ففي ١٥ أغسطس ١٢٤٦ م/ ٣٠ ربيع أول ٦٤٤ هـ بعث السلطان الصالح أيوب برده على رسالة بعث بها إليه البابا إنوسنت الرابع يشكو فيها الإعتداءات التي وقعت على مدينة بيت المقدس بعد عودتها إلى حوزة المسلمين . ويؤكد السلطان في رده على البابا أنه إذا كان شيئا من هذا قد حدث فإنه لم يكن له علم به ، وعندما توجه السلطان إلى الشام فإنه قد عاقب من قاموا بذلك^(١) . وكانت شكوى البابا إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب هي آخر ما وقتنا عليه من اتصال بين بابوية روما والسلاطين الأيوبيين لصالح الفرنج في بلاد الشام أو الأراضي المقدسة نفسها . فلم يلبث الغرب أن أرسل حملة لويس التاسع (١٢٤٨ م ٦٤١ هـ) ، وعاد العداء مكشوفاً بين المسلمين والصليبيين . وبالأمال المنعدودة على ما يأمل الملك الفرنسي أن يحققه ، لم تكن هناك حاجة بالبابوية أن تعاود الإتصال بالسلاطين الأيوبيين . وبعد أن أفاق أهل الغرب من الصدمة الروحية والمعنوية التي سببها فشل حملة قام بها ملك وصل في نظرهم إلى مرتبة القديس^(٢) ، عقدت البابوية الآمال على وهم آخر ، شكله العداء التتري للإسلام . وإكساح التار لأملك المسلمين حتى حدود مصر^(٣) . وقيام دولة

(١) ستر برجر نص رد السلطان على رسالة البابا ، وأشار إليه برشت . وما لم نقف على نص رسالة البابا ، وما لم يوضح من رد السلطان عليه ما يحدد التاريخ الذي يأسل فيه البابا السلطان ، فعلينا — لتحديد ذلك — أن نضع سير الأحداث . ففي ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ ، وبعد أن رفض الصالح أيوب السماح لفرسانهم بدخول مصر . ولم يكافأهم على تعاونهم معه ضد الفرنج وأمراء الشام الأيوبيين . فقد أغاروا على كل مدن فلسطين قبل أن يهزمهم السلطان ويضئ على خطرهم في عام ١٢٤٦ م/ ٦٤٤ هـ . من المؤكد أن تكررت انتهاكات الخوارزمية للحدائق في بيت المقدس ، الأمر الذي أشد إليه البابا في رسالته إلى السلطان . بذلك يكون أنسب تاريخ لمراسلة البابا للسلطان هو ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ . انظر : ابن وأصل . مفرج تكروب ، ج ١ ، ص ٣٥١-٣٥٠ ، القزويني . سنوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٢٤ . راجع أيضاً :

Berger, *Régistres d'Innocent IV*, vol. I, no. 3034, p. 455; Rohricht, *Regesta*, no. 1144 p. 302

P. A. Throop, Criticism of Papal crusading policy in Old French and provençal, in (٢) *Speculum*, vol. 13, pp. 400-404.

Paul Meysaert, An Unknown Letter of Hulayū, Il-Khan of Persia to King Louis IX of (٣) France, in *Vivator*, vol. 11, 1960, p. 243

الشماليك وإزاحتهم فندخضرتى من بلاد الشام ، لم يكن من السهل على البابوية أن تجد الفرصة أو الظروف لهيأة للإتصال بسلاطين المماليك . فلم يكن من السهل في الوقت ذاته أن يكون هؤلاء معتادين تجاه عدوين يواجهانهم في وقت واحد ، التتار في العراق ، والفرنج في بلاد الشام (١) . ولم يكن هناك مفر من تقبل ما قلتر للوجود الصليبي في ديار الإسلام من نشاء . وبعد أن أدركت البابوية عدم جدوى الحرب ضد المسلمين ، كان عليها أن تتلمس طريقا آخر ، بروج جديدة ، وبنمط جديد . إلا أن ذلك لم يجعل من إنجازات جودفرى دى بويون وبوهيمند النورماندى ومن حنفيهما لا أضر في كتب التاريخ .

(١) أدركت البابوية أنه من الصعب عدو مع سلاطين وحكام نظام المسلمين في أحواله تغايروا وصلت إلى أوروبا على أنه شهيد قسمة تجاه أعدائه . وكان ذلك في المغرب الذى بعث به إليه الظاهلي - أحمد الزهيرى للتعليق . ان كتابه من الشام جازموسر العادى ، ١٢٨١-١٢٨٧ م . على ذلك أيضا عدوى من أوضاع . ريل لإسراء أروج لعسنة في هذا من جديد . ان Willow of Uppiti, Tractatus de Statu Saracenicorum, ed. Hans Prutz in Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883, p. 587

الخاتمة :

لأن البابا أوربان الثاني لم يحدد مصر الأراضى التى يفتحها صليبو الحملة الأولى ، فقد أضاف هؤلاء إلى هدف الحملة الذى حددته البابوية — الإستيلاء على الأراضى المقدسة من المسلمين — هدفاً آخرًا . فأقاموا لأنفسهم — وغرب أوروبا — ركائز في ديار الإسلام . ولأنهم أقاموا في بلاد الشام أكثر من مائتى عام ، تطورت خلالها أحوالهم نتيجة للدخول أطراف عديدة أخرى إلى دائرة الصراع الصليبي الإسلامى ، من ييزنطين وأرمين وتار ، فقد كانت الغروب الصليبية مجالاً لقيام علاقات عديدة بين المسلمين وبين القرى الصليبية في بلاد الشام وغرب أوروبا . فإلى جانب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، فقد كانت هناك — وقبل كل شيء — العلاقات السياسية التى تضمنت الحرب ، كما تضمنت الدبلوماسية في ذات الوقت . وفى هذا المجال تمت اتصالات كثيرة بين حكام غرب أوروبا وبابوية روما من ناحية وبين حكام الشرق الأدنى الإسلامى من ناحية أخرى .

ولما حقق صليبو الحملة الأولى إنجازاتهم — التى لم تحققها أى من الحملات الأخرى — نتيجة لإنقسام الشرق الأدنى الإسلامى على نفسه سياسياً ومذهبياً . وما لم تتحد الجبهة الإسلامية ضدهم بصورة كاملة حتى نهاية عهد نور الدين محمود ، فلم تكن هناك حاجة بفرنج الشام إلى اتباع الوسائل الدبلوماسية مع المسلمين . وتركوا انتصاراتهم وفتاظتهم لتعبر عنهم . وبالتالي لم تكن هناك حاجة بحكام غرب أوروبا وبابوية روما — المشغولين عن ركائزهم في الشرق بخلافاتهم الخاصة — إلى اتباع نفس الأساليب . فقد كانت لغة السيف هى السائدة وقتها .

إلا أن شعور القرى الصليبية بدنو الخطر الإسلامى ممثلاً في شخص صلاح الدين موحد الجبهة الإسلامية ضدها ، وفي الوقت الذى لم يكن في مقدور أى من حكام غرب أوروبا أو رؤساء كنيسة روما أن يقدم المساعدة المباشرة لفرنج الشام — هذا الشعور — دفع بأولى الأمر في الغرب إلى التفاوض مع بنى أيوب بشأن الصليبيين في بلاد الشام .

ولأن الحركة الصليبية كانت — في النطاق الأول — مشروعاً بابوياً ، وإذا تقاعس حكام غرب أوروبا عن مساعدة فرنج الشام في أحيان كثيرة ، فقد قام رؤساء الكنيسة الغربية — دون عفاضة — بالإنصال بحكام الشرق الأدنى الإسلامي من بنى أيوب . واختلفت مطالب البابوية حسب الحال التي كان عليها صليبيو الشام ، وحسب أحوال غرب أوروبا ، ومدى استعداده لإستخدام القوة المسلحة ضد المسلمين من عدمه . كما اختلفت أيضاً ردود السلاطين الأيوبيين على مطالب البابوية وفقاً للظروف والإعتبارات الخفية .

وأول ما نصل إليه من نتائج هذه الإنصالات أنه في كل الأحوال كانت البابوية هي البائدة بالتفاوض ، ولى كل الأحوال أيضاً كان هدفها متاونة بنى أيوب حتى تتمكن هي من دفع الغرب الأوروبى إلى القيام بعمليات صليبية إلى الشرق .

وحرص بنى أيوب منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية دولتهم على بناء علاقاتهم الدبلوماسية برؤساء كنيسة روما — السبب الأول في الوجود الصليبي في ديار الإسلام — داخل نطاق اختصاصهم لذا كان مصير المراسلات والوثائق المتبادلة بين الطرفين هو صفحات الأرشيفات الأوربية دون أرشيفات ديوان إنشاء الدولة الأيوبية أو صفحات أعمال مؤرخيها أو من تبعهم من مؤرخي المماليك .

وكان من الطبيعي أن يكون صلاح الدين هو أول من تتفاوض معه البابوية بشأن فرنج الشام . فقد عرل لرجل الإمارات الصليبية في بلاد الشام برا وبحرا ، وضاق عليها حصاره في الوقت الذي مرتها فيه الخلافات الداخلية ، وعانت من النقص في المواد البشرية والمالية ، بينما اكتفت مجونه بأسراه من الصليبيين . فحدد البابا لوكيوس الثالث — كما حدد سلفه ألكسندر الثالث — طلبه من صلاح الدين — ومن شقيقه ونائبه في مصر الملك العادل — بالموافقة على إتمام عمليات فداء الأسرى مع فرنج الشام . ومن نفس المنطلق الذي راسل به البابا صلاح الدين وشقيقه كان رد السلطان نائبه متاونة للبابا ، مظهرين فيه الموافقة على مطلبه تجنباً لأي رد فعل أوروبى من شأنه أن يعرقل مشروع صلاح الدين الكبير ضد الصليبيين في بلاد الشام . وقتلت مساعي البابوية لدى صلاح الدين الذي سرعان ما أطاح بتسعين عاماً من الجهد الصليبي .

ولما لم تستطع الخمستان الصليبيتان الثالثة والرابعة أن تعيد لفرنج الشام ما فقدوه على أيدي صلاح الدين ، وحتى تمكن البابوية من إيفاد الحملة الصليبية التي تمكن من إنقاذ ذلك (الحملة الخامسة) ، فقد كرر البابا إنوسنت الثالث المطلب البابوي ، وزاد عليه دعوته إلى السلطان العادل للموافقة على عقد اتفاق سلام مع صليبي الشام ، ورد مدينة بيت المقدس إليهم . وكان البابا في أمل خادع أحاطته به تقارير فرنج الشام التي تفيد بميل أبناء العادل إلى تسليم الأراضي المقدسة إلى البابوية . وكما فشلت مساعي البابوية لدى صلاح الدين ، فقد فشلت أيضا مع خلفه العادل .

ولما لم يكن هناك إيد من إيفاد الحملة الصليبية الخامسة ، فقد أصبح العداء مكشوفاً بين البابوية والسلطان الأيوبي ، وكان من الطبيعي أن يقلع البابا هنريوس الثالث — الذي قامت الحملة الخامسة في عهده — عن مواصلة التفاوض مع بني أيوب طامنا حلت القوة المسلحة ، مرة أخرى محل الدبلوماسية .

ولما كان لما قام بين السلطان الأيوبي الملك الكامل ، وبين الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني من علاقات وطيدة نتجت عن التوافق الفكري السياسي بينهما ، وعن تشابه رد فعل رعايا كل منهما نحو نتيجة ما توصل إليه العاهلان من اتفاق (اتفاقية بافا ١٢٢٩ م/ ٦٢٧ هـ) ، ولما كان لهذه العلاقات من أثر في قيام حاجز سياسي بين البابوية والسلطان الأيوبي ، فقد نأى البابا جريجورى التاسع عن اتباع أسلوب التفاوض مع سلطان مصر بشأن فرنج الشام ، وعهد بذلك إلى حكام الصليبيين في قبرص وبلاد الشام ، واكفى هو بالتفاوض مع السلطان الأيوبي بشأن رعايا كنيسة روما من التجار الإيطاليين في ميناء الإسكندرية ، لإدراكه لعدم جدوى المحاولة مع السلطان الأيوبي صديق الإمبراطور وملك بيت المقدس كما يراه السلطان .

ولما استمرت علاقات فريدريك بخلفاء الكامل ، فقد بقي نفس الحاجز السياسي يعوق البابوية عن السجاح في التفاوض معهم بشأن فرنج الشام ، الأمر الذي جعل من الفشل مآلاً لمحاولة البابا إنوسنت الرابع لمهادنة السلطان الصالح نجم الدين أيوب — حتى تصل الحملة السابعة إلى مصر — بدفعه للسلطان إلى الموافقة على الترتق بالصليبيين في الشام وعقد اتفاق سلام معهم . وكان نفس

الأمل الخادع الذي دفع بابينا بنوست الثالث إلى التفاوض مع السلطان العادل هو نفسه الذي دفع بنوست الرابع إلى الاتصال بالصلاح أيوب .

كما كان مصر محاربه البابا الأحمر — الفشل — هو نفس مصر محاربه سلفه . واكتفى بنوست الرابع بمحت الصالح أيوب على رعاية مدينة بيت المقدس — التي فقدتها الصليبيون إلى الأبد — وكنيستها .

وبوصول حملة الملك الفرنسي لويس التاسع إلى مصر — وبفشل هذه الحملة — انتهت آخر فرصة توفرت للبابوية للاتصال بحكام الشرق الأدنى الإسلامي لصلاح الزكائن الأوروبية في بلاد الشام . فقد واكب فشل حملة لويس تولى السلاطين المماليك للسلطة في مصر ، ولم يكن بوسع البابا مهادنة هؤلاء بدبلوماسيتها المعهودة ، في الوقت الذي كان على المماليك مواجهة عدوين في وقت واحد ، الصليبيين في قلب الشام ، والأتراك على حدوده ، لذا توقفت البابوية عن اتباع الأسلوب الدبلوماسي مع حكام المسلمين بشأن فرج الشام قبيل نهاية الدولة الأيوبية . ولم يكن أمامها سوى أن تفعل ذلك

الملحق الأول

خطاب السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى البابا لوكيوس الثالث في عام
١١٨٣ م/٥٧٨ هـ نقلا عن :

Radulf de Decito, *Ymagines Historiarum*, vol. 2, p. 25.

النص اللاتيني

"Rex Salahadinus Omnium regum Orientalium potentissimus domino papae.

Præsentata fuit nobis cartulâ vestra, quoniam nos scimus et credimus quod sitis in majori officio de hoc mundo, et scimus quod Deus vobis tantam gratiam dederit ut sedeatis in tanta magnitudine. Scimus autem quod omnes Christiani vobis obediunt, et vos pertimescunt. Haec cartula nobis data et præsentata fuit per manum Oliveri Vitalis vestri legati, et ante nos in secreta camera venire fecimus, et quicquid sibi placuit dicere ex vestra parte diligenter audivimus: et vestra cartula per omnia placuit nobis, et eam accepimus bono animo et alacri vultu, et cognovimus magnum amorem quem apud nos habetis. Et quicquid vestra cartula et prædictus legatus locutus fuit de pace habere cum omnibus christianis et ut omnes captivos dimitteremus, et Christiani qui sub jugo nostro sunt dimittant omnes nostros captivos, et nos omnes captivos Christianos quos habemus vestra benignitate dimitteremus. Notum sit vestrae magnitudini quod Christiani qui a nobis detenti sunt, sunt gentiles et nobiles viri, ac milites nostri, qui a Christianis detenti sunt, sunt rustici et minimi atque vilissimi homines; et si placet vobis, nos appreciabimus captivos nostros quos habemus, et Christiani apprecient suos, et quae pars minus habuerit restituetur ei ab altera. Deus scit quod quando vestras Cartulas et Legatos a vestra magnitudine transmissos vidimus, per omnia gavisi sumus. Caetera secretiora præfato Olivero Commisimus, in quem multum confidimus, et valde super his bonam fidem eum habere cognovimus. Unde pro certo habeatis quod quicquid cum vobis ipse tractaverit, de mandato nostro et bona voluntate procedit".

الترجمة العربية

من الملك صلاح الدين ، أقوى ملوك انشرفُ جمعيين ، رى فخامة البابا .
تسلمنا رسالتكم . وانا على علم وثقة بأنكم فى قلق شديد بشأن هذا العام ،
ونعلم أن الله قد حياكم بفضل كبير إذ تبوأتم هذ المركز الكبير . ونعلم أن جميع
المسيحيين يدينون لكم بالضعاف ، ويرهبون جانبكم . وقد سلمنا رسالتكم من
مبعوثكم أوليفر فيتاليس ، وقد استدعيناه رى محاسن سر ، وسمعنا منه كل ما
أُعدنا من جانبكم وقد سرنا رسالتكم بكل ما جاء فيها . وتلقيناها بقى
منشرح وبقس راضية . وعلنا عظيم تقديركم لنا . وما جاء فى رسالتكم ، وما فانه
مبعوثكم ، وقفنا على رغبتكم فى أن نعقد معاهدة سلام مع المسيحيين⁽¹⁾ جميعا ،
وأن تبادل معهم كل الأسرى فيطلق المسيحيون سراح جميع أسرانا ، ونحن بدورنا
سوف نطلق سراح أسراهم لدينا نزولا على رغبتكم . ويكبر معلوما لضعافتكم أن
المسيحيين الذين فى أسراهم من طبقة النبلاء ، وأن حودنا الذين فى أسر
المسيحيين هم من طبقة المزارعين ومن أبط الناس حالا ، وإذا ارتضيتم ، فإننا
سوف نقدر قيمة أسرانا ، ولتقدر المسيحيون قيمة أسراهم ، وعلى الفريق الذى
يكون بحوزته أسرى أقل قيمة ، أن يعيد فى الفريق الآخر ما يساوى قيمة أسراه .
ويعلم الله كم شعرنا بالغبطة حين طالعنا رسالتكم ، واستقبلنا سفراءكم . وقد
عهدنا إلى أوليفر بأمر أكثر سرية ، مع علما بمدى إخلاصه بشأنها ، ونحن نتق
فيه ثقة كبيرة . ومن ثم ، فتكويوا على يقين من أن ما ينقله شخصا إليكم .
فانه صادر منا وبإرادة طيبة .

(1) المقصود به صلوات 1185

الملحق الثاني

خطاب الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، إلى البابا نوكيوس الثالث في أول أبريل ١١٨٣ م/٥ ذى الحجة ٥٧٨ هـ ، نقلا عن :

Radulf de Diceto, *Ymagines Historiarum*, vol. 2, pp. 25-27.

النص اللاتيني

"*Gratia universali Christianorum papae, excellentiori domino totius Christianitatis, ejus ditioni omnis Christianitas est subdita, a rege justitiae Sisdin, domino totius multitudinis Sarracenorum, haec carta dirigitur. In nomine Domini piissimi et misericordissimi, recepimus litteras vestras, per manus nunciu vestri Jani Danduli, quem nobis jussimus praesentari, et cum honoravimus, et diligenter litteras vestras inspeximus, et verba quae ex parte vestra nobis legatus vester retulit attentius intelleximus; ex ejus dictis accepimus vestrae voluntatis existere modis omnibus observare, quae cum beatae memoriae praedecessore vestro Alexandro Firmiter stabilivimus super negotio inter Christianos et Sarracenos ad redemptionem omnium captivorum quos in nostra servari fecimus captivitate. In litteris vestris vidimus contineri, quod omnis vobis Christianitas obediret, et nemo audeat vestris contraire praeceptis; Cognoscentes voluntatem vestram, quod praesens negotium circa dominum et fratrem meum debeam promovere, regem victoriosissimum, servatorem suae promissionis et auctorem justitiae Salahadin, dominum legis et omnium sarracenorum, suscitatorem legis sarracenorum, ejus dies Deus augeat et potentiam magnificet, et ut compositionem juxta petitionem vestram studeam perficere et executioni mandare. Cum pervenit ad nos legatus vester cum litteris vestris, erat frater noster rex victoriosissimus in partibus Tyri, ubi successit ei contra hostes suos volum suum, cui Deus tantam his temporibus victoriam contulit, quod omnem terram a Damaseo usque Niniven subjugavit; Cui omnes vicinitate loci propinqui, et sarracenorum universae potestates obediunt; ejus expeditioni volente Dec adhaeserunt infinitae nationum multitudines ut serviant ei; qui tanta manu hostes persequitur quanta nullus praedecessorum suorum inimicos suos valuit impugnare; nobis vestram aperuit voluntatem, et preces vestras nobis optulit, quibus*

incontinenti curavimus obtemperare, et quicquid petitioni vestrae expediat vestro intuitu circa fratrem nostrum studuimus obtinere, et transmissa vobis in fratre nostro responsione accepimus rege victorum. eius potentiam Deus exaltet: quod si Christiani qui habitant in Ierosolima cum rege suo, et in omni parte Tyri vestris obedierint praeceptis cum universa Christianitate, et ordinationem inter nos factam servaverint secundum voluntatem vestram pro facienda pace, et pro dimittendis captivis qui servantur in carceribus nostris compediti, et nos observare promittimus ea omnia quae ad istam faciendam pacem a nobis postulatis. Sed si praefati Christiani de partibus Tyri et Ierusalem vestris praeceptis non obedierint, nos immunes erimus a culpa, et quod pacem non servaverimus, nobis deinceps non poterit imputari.

Scripta fuit haec carta pridie kalendas Aprilis anno Machometi D LXX Octavo. Gratias agimus Deo soli, et Machometo prophetae magno."

الترجمة العربية

إلى صاحب العادة بابا العالم المسيحي ، الذى تخضع المسيحية جمعاء لسلطانهم : من الملك العادل سيف الدين ، سيد جميع المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . لقد تسلمنا رسالتكم من مبعوثكم جان داندولو الذى أمرنا بمشورته أمامنا ، وأكرمنا وفادته ، وقرأنا الرسالة بكل عناية ، ووعينا ما أبلغنا به مبعوثكم على لسانكم من طلبات ، ومن أقواله قبلنا رغبتكم فى الاهتمام باتخاذ كل الإجراءات ، التى وقفنا تمام الثقة فى رغبة سلفكم طيب الذكر (البابا) ألكسندر (الثالث) ، فى اتخاذها بشأن التفاوض مع المسيحيين (١) ، بخصوص فداء كل أسراهم الذين فى حوزتنا . ولقد لمسنا فى خطابكم تأكيدكم من طاعة كل المسيحيين لما جاء فيه من مبادرات ، وأنه ليس لأحد منهم أن يتجاسر على مخالفة توجيهاتكم . وإذا علمنا رغبتكم فى أن أستمح مولاي وشقيقى ، الملك الظاهر ، الحافظ لعهد وحمى العدالة صلاح الدين ، سيد البلاد ، وسيد المسلمين جميعا ناصر الإسلام ، أطال الله عمره ، وبارك سلطانه ، بشأن إتمام ذلك التفاوض ، وأن أهم بتحقيق رغبتكم بإنجاز التماسكم ، فحين حضر سفورك حاملا أكتابكم إلينا ، كان أخى الملك الظاهر فى (بوع صور) (٢) ، ينجز هناك نده ضد أعدائه ، وقد حياه الله آنذاك بالنصر العظيم ، إذ أخضع البلاد كلها من دمشق وحتى نيفيس (٣) ، وكل المناطق المحيطة بها ، ودان له ملوك الإسلام بالطاعة ، فإذا علموا بحمته أطاعوا الله ، وأمدوه (٤) بمشود هائلة من رعاياهم لتعمل تحت إمرته ، فسار بقواته العظيمة يطارد الأعداء ، واستطاع أن يقهر خصومه ، الأمر الذى لم يستطع إنجازه أحد من السابقين . ولقد عرض علينا (السلطان) رغبتكم التى حرصنا على تحقيقها . وحسب رغبتكم ، اهتمامنا بتحقيق ذلك لدى شقيقنا (السلطان) . ونقل إليكم على لسان شقيقنا ملك

(١) المقصود به صليبيبر الشام .

(٢) انظر ما سبق ، ا.ص ٢٦٣

(٣) وهى أنفة : بلدة على ساحل البحر شرق جبل صهيون اعطى بانوت الحموى ، معجم البلد : ٥٠٥
أجر . . بيروت ١٩٧٧ م ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٤) المقصود به صلاح الدين الأيوبي .

الظافرين ، بآرك الله في سلطانه : أنه لو أفتاح ملك ومسيحيو (مملكة) بيت المقدس ، ومسيحيو صور ، وجميع المسيحيين ، توجيهاًكم وحافظوا على جس الجوار معنا ، فإننا سبهم بتحقيق رغبتكم الثانية بشأن إبرام اتفاقية سلام ، وإتمام عمليات فداء الأسرى (الصليبيين) القابعين في سجوننا ، ونسمح لأنفسنا بتدارس كل ما تقدمت به من التماسات لعقد اتفاقية السلام . أما إذ لم يمثل المسيحيون المذكورون في ربوع صور وفي (مملكة) بيت المقدس لتوجيهاتكم فليسوف نكون في حل من الخطأ ، لأننا لن نعمل على حفظ السلام معهم ، ولن يكون في مقدورنا التفكير في ذلك .

حرر هذا الخطاب في أول أبريل ١١٨٣ م / الخامس من ذي الحجة ٥٧٨ هـ .
والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسوله محمد .

الملحق الثالث

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى السلطان العادل سيف الدين في ٦ مايو
١٢١٣ م/١٣ ذى الحجة ٦٠٩ هـ . نقل عن :

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, in Muratori, R.I.S., vol. VII,
Cols. 986-988.

النص اللاتيني

“Innocentius, nobili viro Sēphadino Soldano Demaschi, Babyloniae timorem Trini nominis, amorem. Daniele Propheto testant didicimus, quod est Deus in Caelo, qui revelat mysteria, mutat tempora, transfert Regna, cui voluerit dabit illud. Hoc autem evidenter ostendit, quando Jerusalem, fines ejus tradi permisit in manus fratris tui, non tam propter ejus virtutem, quam propter offensam Populi, Christiani, Deum ipsum ad iracundiam provocantis, magnitudinem tuam humiliter obsecramus, quatenus ne propter violentam detentionem praefatae terrae plus adhuc effundatur humani sanguinis, quam hactenus est effusus: restituas cam nobis, usus consilio; de qua forte detentione plus tibi difficultatis, quam utilitatis accrescit, dimissis utringue captivis, quiescamus a mutuis impugnationum offensis, ita quod apud te non sit deterior conditio gentis nostra, quam apud nos est conditio gentis tuae. Latores praesentium ad tuam praesentiam destinatus, rogamus benigne recipias, dignum eis responsum tribuens cum effectu. Datum Laterani 6 Kalen. Maji Pontificatus nostri anno 16”.

الترجمة العربية

(البابا) إنوست (الثالث) ، بعث بمعاوي نود والتجليل باسم الثالث ، و
الرجل النبيل سيف الدين^(١) سلطان دمشق^(٢) ومصر :

لقد علمنا بشهادة النبي دانيال أن الله في السماء هو الذي يكشف لأسرار ،
ويبدل الأزمنة ، والممالك ، وسوف يمتدك من يشاء^(٣) لكنه يظهر ذلك
بشكل واضح عندما سمح باستسلام (مملكة) بيت المقدس لأخيك^(٤) ليس
بسبب فضيلته بقدر ما هو بسبب خطيئة الشعب المسيحي الذي استثار الرب
ذاته ، فحل غضبه عليه . (ونحن) نتوسل إلى عظمتكم متواضعين ، ألا يسيل
مزيد من الدماء التي طافنا سالت بغزارة في الأراضي السابقة الذكر ، بسبب أعمال
العنف التي تحدث هناك :

وعين الصواب أن ترد إلينا الأراضي المقدسة ، وإذا رفضت ذلك فسوف تواجه
المزيد من الصعاب دون أن تمنى أية فائدة . لذا ، بعد تبادل الأسرى بين كل
الطرفين فلنستريح سويا من خناء القتال ، ولن تكون حالة شعبنا عندك أسوأ من
حالة رعاياك عندنا . ولقد أرسلنا مبعوثينا إلى فخامتكم ، ونسألكم أن تحسنوا
استقبالهم ، وأن تردوا عليهم بما يستحقون من تكريم .

اللاتيران ، في ٦ مايو من العام السادس عشر من بابويتا^(٥) .

(١) عرف الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ، وخطفه في حكم الغلاة الأيوبية في انطاكية اللاتينية

المعاصرة بهذا الاسم . ويرد اسمه في عدة أشكال منها Ssidin و Sephadin .

(٢) أوكل العادل بحكم دمشق إلى ربه اعظم عيسى . انظر ما سبق ، ص ٢٧٤ . حاشية (٣) .

(٣) ، أعاد دانيال وقال : يمكن اسم الله مباركا من لأن بين الأعداء أن له قبحه والخير مع بعد

الأوقات والأزمنة يعرض ملكا منعت ملكا . يعطى الحكماء حكمة ويعلم العاقلين فهما . انظر

العهد القديم ، سفر دانيال ، (٢ ، ٢٢-٢٣) .

(٤) يقصد به السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٥) ٦ مايو ١٢١٣ م ، ١٣٠٣ هـ ، حجة ٦٠٨ هـ .

الملحق الرابع

خطاب السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى البابا إنوسنت الرابع في ٤ يونيو ١٢٤٥ م / ٧ محرم ٦٤٣ هـ . نقلًا عن :

C. Rodenberg, *Epistolae Saeculi XIII regestis pontificum romanorum selectae*, vols. 3, Berlin, 1883-1894, in *M.G.H.*, vol. 2, no. 132, pp. 86-88.

النص اللاتيني

“Presentie pape., universalis loquele Christianorum, manu tenentis adoratores crucis, iudictis populi Christiani, ductoris filiorum baptismatis, summi pontificis Christianorum-confirmet eum Deus et dei sibi felicitatem—a soldano, potentissimo, regnante super colla nationum, continente duas virtutes, gladii et calami, possidente duo precellentia, scilicet doctrinam et iudicium, rege duorum marium, dominatore Austri et septentrionis, rege regionis Egyptii et Syrie et Mesopotamie, rege salech Belfei Ayob, Filio soldani Hamel Helmevaffar Mehamed, Filii soldani regis Hadel Bobecre, Filii Ayob, eius regnum Deus diligit.

In nomine Dei misericordis et miseratoris.

Presentate sunt scripture pape. et respeximus dictas scripturas studiose, et intelleximus capitula, que in eis inserta erant, et cerum contentia nobis placuit, et delectatus est auditus noster in relatu eorum. Et nuntius venit ad nos, quem misit sanctus papa, et ipsum prevenimus cum honore et dilectione cum devotione et reverentia, ipsumque convocavimus ad conspectum nostrum, sibi inclinantes intendimus a urem verbis eius.

Et de hoc, quod dicitis voc desiderare tranquillitatem et quietem et habere materiam convocandi populus ad pacem, similiter nos desideramus, nec volumus contraire, et hoc semper volumus et desideravimus. Sed papa, quem Deus confirmet, scit, quod inter nos et imperatorem iamdudum fuit familiaritas et dilectio magna et Concordia perfecta a tempore soldani patris nostri, quem Deus ponat in claritate, et inter nos et imperatorem predictum, est, sicut scitis. Unde non licet nobis aliqua compenere cum Christianis, nisi prius habuerimus super hiis ipsius consilium et assensum. Et nos scripsimus nuntio nostro, qui est in curia imperatoris, pro causis quas detulit nuntius pape, nuntiantes ei capitula et proposito

ment vestri. Ipse nuntius postea veniet ad presentiam vestram, et loquetur vobis, et renuntiabit nobis, ut postquam renuntiaverit, faciemus iuxta mandatum vestrum.

Nec discrepabimus ab eo, quod videbitur utile universis, ita quod possumus habere meritum a Deo.

Hic vobis annuntiamus, et bonum amplabitur in posterum, Deo dante.

Hic erat in septima die mens Maharram.

Laus Deo soli et benedictio eius super dominum nostrum Mahammetum et eius genus insulas. Ipsi sit pax nostra!!

الترجمة العربية

إلى حضرة البابا ، عاهل المسيحيين أجمعين ، الذى يخضع له كل المؤمنين بالصليب ، قاضى الشعب المسيحى ، وفائد أبناء المعمودية ، كاهن المسيحيين الأعظم . قواه الله وأسعده : من السلطان المقتدر الذى يحكم الأمم ، ويجمع بين الشجاعتين ، شجاعة السيف وشجاعة القلم ، وبين فضيلة العلم وفضيلة الحكم . ملك البحرين ، سيد الشمال والجنوب ، ملك مصر والشام والعراق ، الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أى بكر ابن أيوب . حفظ الله مملكته .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلتنا رسائل البابا^(١) ، واطلعنا عليها ، وفهمنا بنودها وفحواها . ولقد سعدنا ، وسرت أسماعنا بما جاء فيها . كما وصل إلينا أيضا مبعوث حضرة البابا واستقبلناه بالحفاوة والتكريم والاهتمام . وأمرنا بمشولة أمانتنا ، وأرليناه أسماعنا ونخصرص قولكم ، بأنكم ترغبون فى أن تحمل السكينة والسلام والاطمئنان ، ووجود أساس للتفاهم بين الشعوب من أجل السلام فنحن بالمثل نود ذلك ، ولا نحيل إلى رفض رغبتكم التى تتفق وما نرغب فيه . ولكن البابا ، أعانه الله ، يعلم أن بيننا وبين الإمبراطور (فرينريك الثالث) من أواصر الصداقة والاحترام المتبادل والوثام ، ما يرجع إلى عهد أبى السلطان (الملك الكامل) ، نزله الله منزلا حسنا ، ولا يزال بيننا وبين الإمبراطور ما تعلمونه . ومن ثم ، فليس لنا أن نعقد أى اتفاق مع المسيحيين^(٢) دون أخذ رأيه وموافقته أولا . ولقد كتبنا إلى مبعوثنا لدى الإمبراطور بشأن ما حملة إلينا مبعوثكم من مقترحات ، كى يطلع الإمبراطور على بنود هذه المقترحات . وسوف يتوجه مبعوثنا ذاته إلى فحامتكم ، ويتحدث إليكم ، ثم يعود إلينا ليطلعنا على بدمكم . وسوف يكون تصرفنا بموجب فحوى ذلك الرد . وسوف لا نعارض تنفيذ ما فيه الخير للجميع ، وما الخير إلا من عند الله .

(١) بعث البابا يومئذ رابع بعدة خطابات إلى الصالح نجم الدين أيوب ، كان أحدها هذا الخطاب أنظر ما سبق ، ص ٢٩٢ .

(٢) القصد بهم القوى الصليبية فى بلاد الشام .

هذه رسالتنا إليكم . وبإذن الله يعم خير .
حرر هذا الخطاب في سابع من اعمره
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله .

بيان المختصرات
الوارد ذكرها في حواشي البحث

- A.L. - Les Archives de L'Orient Latin.
Ann. T.S. - Annales de Terre Sainte.
B. - Byzantion.
B.I.H.R. - Bulletin of the Institute of Historical Research.
E.H.R. - English Historical Review.
M.G.H.S.S. - Monumenta Germaniae Historica Scriptores
P.L. - Patrologia Latina.
R.H.C. H.Occ. - Recueil des Historiens des Croisades Historiens
Occidentaux.
R.H.C.-Doc.Arm. - Recueil des Historiens des Croisades
Documents Armeniens.
R.I.S. - Rerum Italicarum Scriptores.
R.S. - Rolls Series.
S.V. - Studi Venziani.

أولاً : المصادر الأصلية
(أ) المخطوطات والمصورات العربية

- الصفدى (عاش في القرن ٦ هـ / ١٤ م) محمد بن عبد الله :
• نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وى مصر من الملوك ٢ مكتبة
المتحف البريطاني رقم ٢٣٣٢٦ .
- العسقلاني (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) أبو البركات عز الدين أحمد ابن براهيم
بن نصر الله الكناشي العسقلاني المصري :
• شفاء القلوب في مناقب بنى أئوب ٢ مكتبة المتحف ليطاني ، رقم
٥٤٤٩ .
- العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى :
• عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١ ، ج ٢٣ ، دار الكتب المصرية ، رقم
٨٢٠٣ ح .
- النويري الكندي (ت ٧٣٢٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد
الوهاب ابن محمد :
• نهاية الأرب في فنون الأدب ١ ، ٥٥ مجلدا ، دار الكتب المصرية ، رقم ٦٤٩
معارف عامة ١ تصوير شمسي ١ .

(ب) المصادر العربية المنشورة

— ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن بن أبي الكرم المنقّب
عز الدين : « الكامل في التاريخ » ، ج ١٢ ، القاهرة ، المطبعة الأزهرية ،
١٣٦١ هـ .

— ابن أبيك الدواداري (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٣٣ م) أبو بكر بن عبد الله :
« الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب » ، وهو الجزء السابع من كثر
الدر وجامع الدر ، تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ،
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

— ابن الجوزي (سبط) (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) أبو المظفر شمس الدين :
« مرآة الزمان في تلخيص الأعيان » ، ج ٨ في ٣ أقسام ، حيدر آباد ،
١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

— ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥-١٢٣٦ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف
رافع بن تميم :
« النوادر السنطانية والمحاسن اليوسفية » ، تحقيق جمال الدين الشيبان ، القاهرة
١٩٦٤ م .

— ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن
أبي جرادة :
« زبدة الحلب من تاريخ حلب » ، ج ٣ ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق
١٩٥١ م .

— ابن العميد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) جرجس أبو عبد الله بن أبي اليسر
المنقّب بالملكين :

« تاجه » نشره كلود كاهن تحت عنوان « تاريخ الأيوبيين » أنظر :

Cahen (Cláud), La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al Amid,
in Bulletin des Etudes Orientale, vol. 15, 1955-57, pp. 109-184.

— بن مظيف (عاش في القرن ٧ هـ: ١٣ م) أبو الفضائل الحموي :
التاريخ المنصوري ، وهو تلخيص الكشف والسك في حوادث الزمان ، تحقيق
أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١ م .

— ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ/١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سديد :
« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، ج ٥ ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق
الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ج ٤ ، ٥ ، تحقيق للدكتور
حسين ربيع . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ م .

— أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ/١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن
عثمان شهاب الدين :

« كتاب الروضتين في أخبار السنيين الثورية والصلحية » ، ج ٢ في مجلد
واحد ، القاهرة ، مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٧—١٢٨٨ ك .

— « تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالدليل على الروضتين »
نشره السيد عزت العطار ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م .

— أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل :
« المختصر في أخبار البشر » ، ج ٤ ، القاهرة ، المطبعة الحسبية ،
١٣٢٥ هـ .

— أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن
تقرى بردى :

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، ج ٩ ، القاهرة ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، ١٣٤٨—١٣٦١ هـ/١٩٢٩—١٩٤٢ م .

— الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :
« الفتح القسي في الفتح القدسي » : تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة
١٩٦٥ م .

— « البرق الشامي » ، ج ٣ ، ج ٥ ، تحقيق مصطفى الحيازي ، عمان
١٩٨٧ م .

- انقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقى الدين ابو العباس أحمد :
 نسبوته لمعرفة دول الملوك « ، الجزء الأول فى ثلاثة أقسام ، نشره محمد
 مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ م — ١٩٤٢ م .
- السوى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) شهاب الدين محمد بن عبد الواحد المنشىء
 السوى :
 « سير السلطان جلال الدين منكبرتي » ، نشره حافظ حمدى ، القاهرة
 ١٩٥٣ م .
- ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد
 الله الملقب شهاب الدين :
 « معجم البلدان » ، ج ٤ ، وفهرست ، ليزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ م .

(ج) المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana*, in R.H.C.-H.Occ., IV, (pp. 265-713).
- Albéric de Trois Fontaines, *Chronicon*, in M.G.H.ss., Vol. XXIII.
- Amadi, *Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi*, ed., R. de Mas Latrie, 2 Tomes, Paris, 1891-1893.
- *Annales de Burton*, ed. H.R. Luard, in *Annales Monastici*, (R.S.36), London, 1864.
- *Annales de Salimbene*, in M.G.H.ss., Vol. XXXII.
- *Annales de Teric Sainte (1095-1291)*, Publiées par R. Rohricht et G. Raynoud, in A.O.L., t. II, (pp. 427-267).
- *Anonymi Gesta Francorum et Aliorum Hierosolimitanorum*.

وقد رجعنا الى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم « أعمان الفرنج وحجاج بيت المقدس » ، ترجمة الدكتور حسن حشيش . القاهرة ١٩٥٨ م .

- Arnold of Lubeck, *Chronica Slavorum*, in M.G.H.ss., in *Ussum Scholarum*, Hanover, 1868.
- Benedict of Peter brough, *Gesta Regis Henrici Secundi*, ed. W. Stubbs, 2 vols, in R.S., London, 1867.
- Chronica Regia Coloniensis*, in M.G.H.ss., in *Usum Scolarum*, Hanover, 1880.
- Chronica Regia Coloniensis*, in M.G.H.ss., Vol. XXVII.
- De Expognatione Terrae Sanctae Par Saladinum Libellus*, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1871
- Epistolae Saeculi XIII. F. Regestis Pontificum Romanorum*, ed. Carolus Rodenberg, 2 Vols, in M.G.H.ss., Berlin, 1887.
- Eraclès, L'Estoire d'Eraclès, empereur et la conquête de la Terre d'Outremer*, in R.H.C.-H.Occ., Vol., I, II.
- Frisoul, Chronique de Frisoul et de Bernard le Trésorier*, éd. J. de Mas Latrié, Paris, 1871

- Gregory IX, Pope, *Les Registres*, ed. L. Auvray (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, (sér. 2) 3 tomes, Paris, 1896-1955.
- Historia Diplomatica Friderici Secundi*, (ed. J. L. A. Huillard-Breholles), 7 Vols, Paris, 1851-1862.
- Innocent III, Pope, *Regesta*, in P.L. Vol. 214-216.
- Innocent, IV, Pope, *Registres*, ed. Berger, (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, (sér. 2) 4 tomes, Paris 1884-1991)
- Itinerarium Peregrinorum et gesta regis Ricardi*, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1865.
- Les Gestes des Chiprois*, in R.H.C.-Doc. Arm.
- Matthew Paris, Chronica Majora*, ed. H.R. Luard, in R.S., 7 Vols, London, 1872-1882.
- Radulph de Diceto, Ymagines Historiarum*, 2 vols, ed. W.S. Stubbs, in R.S., London, 1876.
- Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, in R.H.C.-H.Occ., Vol III.
- Radulf Niger, Cronica Universali*, in M.G.H.ss., Vol. XXVII.
- Regesta Pontificum Romanorum*, ed. C.A.S. Potthast, 2 Vols, Berlin, 1873-1875.
- Regesta Regni Hierosolymitani*, ed. R. Rohricht, 2 Vols, Innsbruck, 1893-1904.
- Rycardus de San. Germano, Chronicon* (ed. L.A. Moratorius), in R.I.S., Vol. VII.
- Rothelin, Continuation de Guillaum de Tyr de 1229 à 1261, dite du manuscrit de Rothelin*, in R.H.C.-H.Occ., Vol. 2.
- Vincent de Beauvais, Speculum Historiale*, Graz-Austria, 1968
- William of Tripoli, Tractatus de status Saracenorum*, ed. Hans Prutz, in *Kulturgeschichte de Kreuzzuge*, Berlin, 1883.
- William of Tyré, A History of Deeds Done Beyond the sea*, 2 Vols, trans. and annotated by Emily Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

ثانيا : المراجع الثانوية
(أ) المراجع العربية

أسامة زكى زيد (الدكتور) :

- الخوارزمية ودورهم في الصرخ الصليبي الإسلامى في عصر بنى أيوب ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣ ، الأسكندرية ١٩٨٢ م .

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :

- العدوان الصليبي على بلاد الشام ، الأسكندرية ١٩٨٤ م .
- دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الأسكندرية ١٩٨٨ م .

حسن عبد الوهاب (الدكتور) :

- تاريخ جماعة الفرسان النيوتونى فى الأراضى المقدسة ، الأسكندرية ١٩٨٩ م .

إحسين محمد عطية (الدكتور) :

- إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية باندول الإسلامى المجاورة ، ١٠٩٨-١١٧١ م/٤٩٢-٥٦٧ هـ ، رسالة ماجستير لم تشر بعد ، الأسكندرية ١٩٨١ م .
- إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ١١٧١-١٣٦٨ م/٥٦٧-٦٦٦ هـ ، الأسكندرية ١٩٨٩ م .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربى في العصور الوسطى ، جزأين ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- الإمبراطور فريديريك الثانى والشرق العربى ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٩٧٧ م .

محمد ماهر حمادة :

« نوثائق سياسية وإدارية للمعهد الفاطمية والأتابكية والأيوبية » ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

محمد محمد مرمي الشيخ (الدكتور) :

« جهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها » ، ١٠٩٧-١١٤٤ م ،
الأسكندرية ١٩٧١ م .

محمد مختار :

« كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الضحيرة بالسنين الأفرنجية
والقبطية » ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣١١ م .

(ب) المراجع الأجنبية

- Antonia (G.), *Historical Writing in England C. 550 to C. 1307*, 2 Vols, London, 1974.
- Brundage (J.), *The Crusades: A Documentary Survey*, Wisconsin, 1976.
- Cahen (C.), *La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la Principaute Franque d'Antioche*, Paris, 1940.
- Davis (R.H.G.), *A History of Medieval Europe from Constantine to St. Louis*, London, 1957.
- Edbury (P.W.), *Feudal Obligation in the Latin East*, in B., Vol. 97.
- *The Ibelins Counts of Jaffa*, in E.H.R., Vol. 89, 1974.
- Gill (J.), *Franks, Venetians and Pope Innocent III*, in S.V., 1970.
- Green Way (D.E.), *The Succession to Ralph de Diceto Dean of St. Paul's*, in BIHR, Vol. 39, 1966.
- Grousset (R.), *Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem*, 3 toms. Paris, 1934-36.
- Hamilton (B.), *The Latin Church in the Crusader States, The Secular Church*, London, 1980.
- Hill (G.A.), *A History of Cyprus*, 3 Vols, Cambridge, 1948
- Holt (P.M.), *The Age of the Crusades*, London, 1986.
- La Monte (J.L.), *The World of the Middle Ages*, New York, 1949.
- *From Crusading Kingdom to Commercial Colony*, in B.P.I.A.S.A., Vol. 3, 1944-45.
- Louise and J. Riley Smith, *The Crusades, Idea and Reality*, in *Documents of Medieval History*, London, 1981.
- Mayer (H.), *The Crusades*, English trans. by John Gillingham, Oxford, 1972.
- Meynert (P.), *An Unknown Letter of Hulgu, B Khan of Persia to King Louis IX of France*, in Viator, Vol. II, 1980
- Michaud (J.F.), *Histoire de Croisades*, Paris, 1970.

- Prestwich (J.O.), *Richard Coeur de Lion: Rex Bellicosus. (Ricardo Cour di leone nella storia e nella leggenda)*. (- *Accademia nazionale dei lincei* no. 253), Rome, 1981.
- Prutz (H.), *Kulturgeschichte der Kreuzzuge*, Berlin 1883.
- Richard (J.),
 - *La Politique Orientale de Saint Louis, La Croisade de 1248*, Paris, 1976.
 - *The Latin Kingdom of Jerusalem*, trans. by J. Sheuiley, 2 Vols, Oxford, 1979.
- Runciman (S.), *A History of the Crusades*, 3 Vols, Cambridge, 1968.
- Smith (J.R.), *Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem, 1174-1277*, London, 1973.
- Throop (P.A.), *Criticism of Papal crusading policy in Old French and Provençal*, in *Speculum*, Vol. 13.
- Vaughan (R.), *Matthew, Paris*, Cambridge, 1958.

قسم الجغرافيا

التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية
في إنشاء الخريطة الكنتورية بالحاسب الآلي

دكتور

أحمد أحمد مصطفى

مدرس الجغرافيا الطبيعية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

صادفت محاولات التحليل الرمزي Symbolic analysis للبيانات الجغرافية المكانية Geographical spatial data باستخدام الحاسب الآلي نجاحاً محدوداً عندما تبين عدم إمكانية استعمال التحليل العددي Numerical analysis للقيام بكل أشكال التحليل المكاني . وإحدى المشكلات التي واجهت الباحثين مشكلة ترجمة البيانات الرمزية Symbolic data إلى نظام بيانات عددي Numeric data structure . وترجع تلك المشكلة إلى صعوبة الترجمة من ناحية ، وإلى النقص الواضح في معرفة وفهم الرموز المستعملة في لغات الحاسب الآلية من ناحية أخرى . ويهدف هذا البحث إلى توضيح أن نجاح التحليل الرمزي في إنشاء الخريطة الكنتورية يعتمد بالدرجة الأولى على التعريف بلغة البيانات الرمزية عن طريق عرض نموذج بيانات لوصف ظاهرات جيومورفولوجية بسيطة والعلاقات بينها مثل قمة ، ضلع جبلي ، وأدى ... ، ومنها تبين إمكانية تلك اللغة في وصف بيانات جيومورفولوجية أكثر تعقيداً .

الإطار العام للبيانات الرمزية

يتضمن هذا الإطار العام التعريف بمفردات لغة الرموز المستخدمة في الحاسبات الآلية . وتنحصر مفردات هذه اللغة في رموز العقدة Node ، العنصر الخطي Segment ، الخلية Cell . وتستخدم تلك الرموز في ادراك الأشياء Entities وخصائصها Attributes التي تكوّن الظاهرة ، وفي ادراك العلاقات Relationships وملاعقها Features التي تربط بين صفات وخصائص الشيء ، وبين صفات وخصائص مجموعة الأشياء التي تكوّن الظاهرة . وهذا يعني أن كل رمز من هذه الرموز الثلاثة يمكن استخدامه في ادراك الأشياء وخصائصها ، كما يمكن استخدامه في ادراك العلاقات وملاعقها .

والظاهرة الجغرافية ما هي إلا مجموعة كائنة| من شيء يمكن ادراكه وتمييزه ولها خصائص عامة مشتركة وتربط بينها علاقات تصل بين الشيء وخصائصه وبين مجموعات هذا الشيء . فظاهرة البحيرات Lakes على سبيل المثال عبارة عن مجموعة لشيء واحد هو البحيرة Lake . ويمكن ادراك أية بحيرة وتمييزها عن طريق صفاتها وخصائصها كالشكل والمنسوب والطول والعرض والمساحة والعمق وحجم المياه وطبيعتها الفيزيائية والكيميائية وحركاتها وشكل الساحل

والكائنات الحية التي تعيش فيها والرواسب المتروكة على قاعها ... الخ .
 ويمكن التعبير عن كل خاصية من تلك الخصائص بقيمة : قيمة لمسوب ، قيمة
 الطول — قيمة العرض — قيمة المساحة — قيمة العمق — قيمة حجم الكتلة
 المائية — قيمة درجة ملوحة المياه — قيمة كثافة المياه — قيمة درجة حرارة
 المياه ... الخ . وترتبط تلك الخصائص بعضها بعلاقات منطقية كالعلاقة بين
 الأبعاد والمساحة ، والعلاقة بين المساحة والعمق وحجم كتلة المياه ، والعلاقة
 بين العمق وطبيعة الكائنات الحية وأنواع الرواسب على القاع ونوع المياه ،
 والعلاقة بين شكل الساحل وجيولوجيته والظروف المناخية المحيطة ... الخ . كما
 ترتبط صفات البحيرة وخصائصها بصفات البحيرات الأخرى وخصائصها
 بعلاقات متشابهة تكوّن في النهاية ظاهرة البحيرات موضع الدراسة ، وتكوّن
 في نفس الوقت عناصر نموذج بياناتها الذي سوف يقوم الحاسب الآلي بترميزه
 في نظام بيانات حتى يمكن تحليله .

والقيم التي يتحدد على أساسها صفات وخصائص الشيء ، وعلاقتها إما أن
 تكون قيم عددية متدرجة ومنصلة ومتراصة Scalar مثل سلسلة احداثيات
 كارتيزية على امتداد خط ما ، أو قيم اتجاهية غير عددية Non-Scalar لا ترتبط
 بتصنيف معين .

أنواع الرموز المستخدمة في الحاسبات الآلية :

من المعروف أن الخريطة عبارة عن رمز Symbol للحقيقة التي تعرضها .
 والرموز المستخدمة في الخرائط نوع من القواعد العامة المنطق عليها يستطيع
 الكارتوجرافى عرض ما يريد تصويره من حلالها . وتتنحصر تلك الرموز في
 رموز الموضع النقطية Point Symbols ورموز الخط Line Symbols ورموز
 المساحة Area Symbols ، وهناك أنواع شكلية عديدة داخل كل رمز من تلك
 الرموز . كما تنقسم تلك الرموز من حيث دلالتها إلى رموز نوعية Qualitative
 تبيّن الاختلاف في النوع ، ورموز كمية Quantitative توضح الاختلاف
 والتباين في الدرجة أو في الكمية .

والرموز المستخدمة في لغة حاسبات الآلية تشبه لم يرموز المستخدمة في الخرائط
 فالعقدة Node تقابل النقطة ، والعنصر الخطى Segment تقابل الخط ، والتجاو

Cell تقابل مساحة . وكما ذكرنا من قبل فإن هذه الرموز تستخدم في إدراك الأشياء وخصائصها وفي إدراك العلاقات وملاحظتها . وفيما يلي عرض موجز لهذه الرموز .

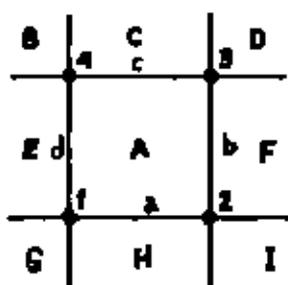
العقدة Node : وهي نمط نقطي Point type يمكن استخدامها في إدراك الأشياء وصفاتها ، وتحدد بأحداثياتها السينية والصادية (x , y) ، وبعدة صفات تميزها . ويمكن أن تكون الصفة إحدى خصائص العقدة أو لها علاقة بإحدى الخصائص . فالنسوب وهو الأحدثى الرأسي (z) خاصية مميزة تميز صفة الارتفاع والانخفاض ، وهذه الصفة بلغة الرموز قيمة عددية غير اتجاهية .

أما في حالة استخدام رمز العقدة في إدراك العلاقات وملاحظتها ، فإن هذه العلاقات يوضحها الاختلاف في موقع العقدة وفي صفاتها المميزة (النسوب مثلاً) . ويتحدد هذا الاختلاف إما بالتغير النسبي أو المطلق للقيم غير الاتجاهية . فقد تكون العقدة نقطة تقاطع عنصرين خطيين ، أو نقطة التقاء عنصرين خطيين أى نقطة اتصال العناصر ، وقد تكون العقدة نقطة تغير في إتجاه العنصر الخطي أى نقطة تغير في صفة العنصر أو صفة الخلية ، كما قد تكون نقطة نهاية عنصر خطي .

العنصر الخطي Segment : وهو نمط خطي Lineal type يمكن استخدامه في إدراك الأشياء وصفاتها ، ويحدده عقدتان مرتبطتان ببعضهما ، ولكل عقدة أحداثياتها السينية والصادية . ويوصف العنصر الخطي بمجموعة من الصفات المميزة هي في الواقع الأحداثيات الكارتيزية لكل نقطة على الخط ، ولكن بشرط أن تتسلسل قيم تلك الأحداثيات من قيمة عقدة البداية حتى تنتهي منطقياً إلى قيمة أحداثيات عقدة النهاية أو الطرف الآخر للخط . أو بمعنى آخر أن تتسلسل قيم الأحداثيات من العقدة الدنيا Low node إلى العقدة العليا High node ، وبذلك يظهر العنصر الخطي في شكل ياتي اتجاهي . وقد تكون الصفة مميزة للعنصر الخطي إحدى خصائصه كمنسوب نقطة عليه . ويجب أن نضع لعنصر الخطية دالة Function على امتداد كل بعد من أبعادها حتى لا تتداخل خطوط إحدى خصائص الظاهرة مع بعضها . ويعني هذا أن الصفات يجب أن تكون متجانسة غير لعنصر الخطي .

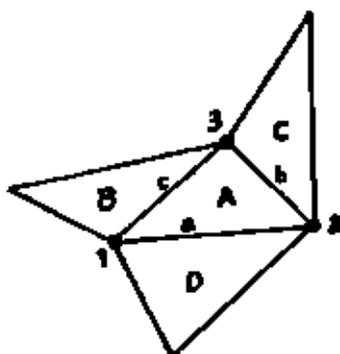
أما عند استخدام رمز العنصر الخطى في ادراك العلاقات وملاحظتها ، فإن
 هذه العلاقات يعيها الاختلاف في موضع العنصر الخطى وبين هذا
 الاختلاف إما بالتغير النسبي أو بالفعل لقيم غير الاتجاهية . كما تظهر معالم
 العلاقة عند تقاطع خطيتين أو عند حدوث انقطاع أو وجود ثغرات في العنصر
 الخطى يتم وصفه كأحد مميزات الخلية . ويحدث الانقطاع عندما توجد خلية
 واحدة على أحد جانبي العنصر الخطى بينما يخلو الجانب الآخر من الخلايا . أما
 الثغرة فتوجد حيث يكون الحد بين خطيتين متجاورتين جزء من عنصر خطى له
 نفس النقط الاحداثية ولكن بقيم احداثيات سينية ومصادية مختلفة . ويعنى هذا
 وجود جزء من عنصر خطى له قيمتين احداثيتين . وهذا مخالف للوضع
 العادى . وفي هذه الحالة نقى على القيم الاحداثية لهذا الجزء من العنصر الخطى
 بحيث تتفق مع تسلسل القيم الاحداثية للنقط المحدد لإحدى الخليتين ، وبالتالي
 ينقطع التسلسل الأحدثى لخط الخلية الأخرى . ويسمى مكان الانقطاع
 بالثغرة .

الخلية Cell : وهي عبارة عن لمط مساحى Area type يمكن استخدامها في
 ادراك الأشياء وصفاتها ، ويحددها مجموعة من العناصر الخطية التي تصف
 شكلها الخارجى وتحدد علاقاتها بالخلايا المجاورة . ويمكن أن تكون العلاقة
 الارتباطية بين الخلية وما يجاورها من خلايا واضحة وصريحة يتم تسجيلها في
 نظام البيانات كاليانات نفسها ، أو تكون ضمنية يشار إليها بالوضع النسبي
 لمفردات البيانات (أشكال ١ ، ٢ ، ٣) . ويحدد الخلية صفة مميزة تستخدم
 كدليل لها وقد تكون في نفس الوقت حاسمية من خصائصها . وكما أشرنا من
 قبل في رموز العقدة والعنصر الخطى يمكن اختيار منسوب أى نقطة داخل
 الخلية كدليل لها أى صفة تميزها ودالة توضحها . ويجب أن تتبع العناصر
 الخطية المحددة للخلية دالة واحدة حتى لا تتقاطع في عند . كما أن كل صفة
 اتجاهية ينبنى أن تكون متجانسة في قياسها غير الخلية .



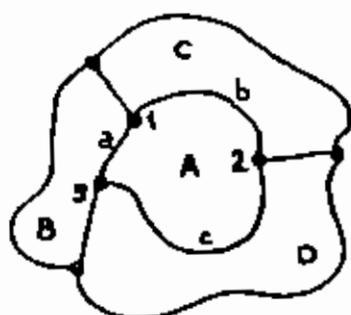
شكل (١)

خلية من شبكة مربعات احداثية ، تتكون من العقد 1 ، 2 ، 3 ، 4 ،
 ويحددها العناصر الخطية a ، b ، c ، d ، وتصل الخلية A بالخلايا المجاورة
 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، C ، B .



شكل (٢)

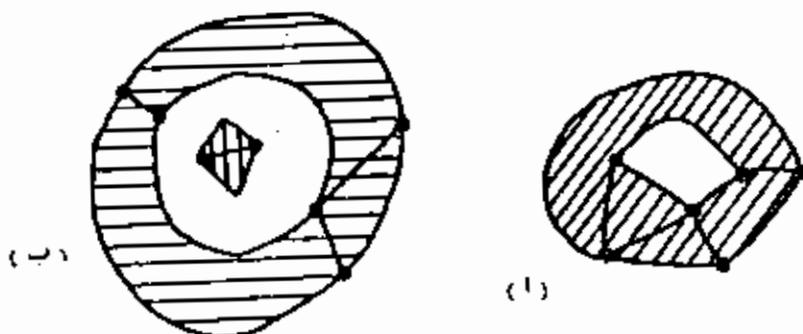
خلية مثلثة الشكل ، وهي جزء من شبكة موزيكية غير منتظمة ، وتتكون
 من العقد 1 ، 2 ، 3 ، ويحددها العناصر الخطية a ، b ، c ، وتصل
 الخلية A بالخلايا المجاورة D ، C ، B .



شكل (3)

خلية من شبكة متداخلة Nested ، تتكون من العقد 1 ، 2 ، 3 . ويحددها العناصر الخطية a ، b ، c ، وتصل الخلية A بالخلايا المجاورة B ، C ، D .

أما في حالة استخدام رمز الخلية في إدراك العلاقات وملاحظتها لمساحية Area Features ، فإن هذه العلاقات أيعينها لاختلاف في موقع الخلية ويبرهن هذا الاختلاف إما بالتغيرات النسبية أو الفعلية من خلية إلى أخرى في القيمة غير الاتجاهية أو بمجموعة رموز اتجاهية . ويتكون من نشأته خلايا المتجاورة والمتشابهة رقعة مساحية Patch يمكن وصفها كمجموعة من الخلايا المترابطة بعلاقات الموقع أو أية صفات مميزة أخرى تعتبر ملاحظ دسحية أو نظام علاقات هرمي . وقد يكون بداخل الرقعة مساحة أو مساحت غير معرفة of no definition تسمى فجوات holes (شكل 4) .



شكل (4)

أ - رقعة مساحية بداخلها فجوة .
ب - رقتان مساحتان تفصل بينهما فجوة ، ويحدد كل منهما عناصر خطية مقطوعة

التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية

اختار الباحث منطقة تجمع Catchment area أعد لها قاعدة بيانات data base كمثال لتوضيح عملية التحليل الرمزي في انشاء الخريطة الكنتورية باستخدام الحاسب الآلي . وقد تم بناء شبكة مثلثات غير منتظمة Irregular triangulated network كنظام بيانات لانشاء الخريطة الكنتورية للمنطقة (شكل ٥) . كما تم اختيار ست ظاهرات جيومورفولوجية بسيطة توجد داخل المنطقة ووضع لها تعريف بسيط يناسب الحاسب الآلي . وقد سار العمل على النحو التالي :

- ١ - ترجمت البيانات طبقاً لمفهوم الإطار العام الذي أشرنا إليه من قبل .
 - ٢ - وضع تعريف بسيط لكل ظاهرة من الظاهرات الست وترجمت إلى لغة رمزية حتى يمكن استخدامها في التحليل الرمزي .
 - ٣ - خزنت البيانات في نظام بسيط مرن . وقد أدخلت البيانات الخاصة بصفات الظاهرة وبيانات العلاقات باستخدام رموز : العقدة ، العنصر الخطي ، الخلية على النحو التالي :
- العقدة : الأحداثيات السنية والصادية والمنسوب .
قائمة الخلايا المشتركة في العقدة .
رقم العقدة .

node : x, y, z location

list of triangle cells using this node

node number.

- العنصر الخطي : قائمة عقد بداية ونهاية العنصر الخطي .
قائمة الخلايا المثلثية المشتركة في العنصر الخطي .
رقم العنصر الخطي .

Segment : list of end nodes

list of triangle cells using segment

segment number.

الخلية : قائمة العقد

قائمة الخلايا المتثلثة المجاورة .

قائمة العناصر الخطية المحددة للخلية .

قائمة البيانات التي تنساب إلى الخلايا المجاورة (شكل ٦) .
رقم الخلية المتثلثة :

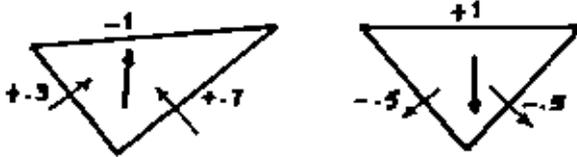
Cell : list of nodes

list of adjacent triangle cells

list of bounding segments

list of flow to adjacent cells

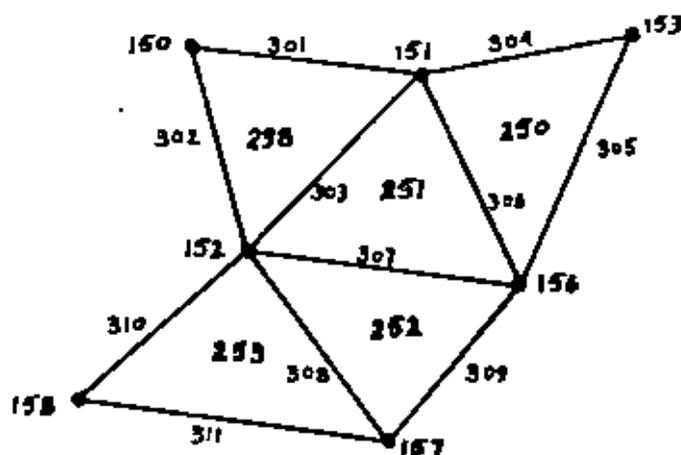
triangle cell number.



شكل (٦)

يشير السهم إلى إتجاه أسافل التحلو ، وتبين الأرقام نسبة الانحدار التي تعبر كل ضلع من أضلاع الخلية المتثلثة . فإذا كانت الإشارة موجبة فإن ليم الانحدار سوف تدخل الخلية من هذا الضلع . أما إذا كانت الإشارة سالبة فإن ليم الانحدار سوف تخرج من هذا الضلع . وتسمى ليم الانحدار الداخلة أو الخارجة أو أى بيانات تدخل الخلية أو تخرج منها بالانسياب . Π_{on} .

وبين الجدول التالي جزء من البيانات التي استخدمت في تمثيل نظام البيانات المين لى (شكل ٧) .



شكل (٧)

جزء من نظام البيانات المبين في الجدول

جدول يمثل البيانات الموضحة في شكل (٧).

```

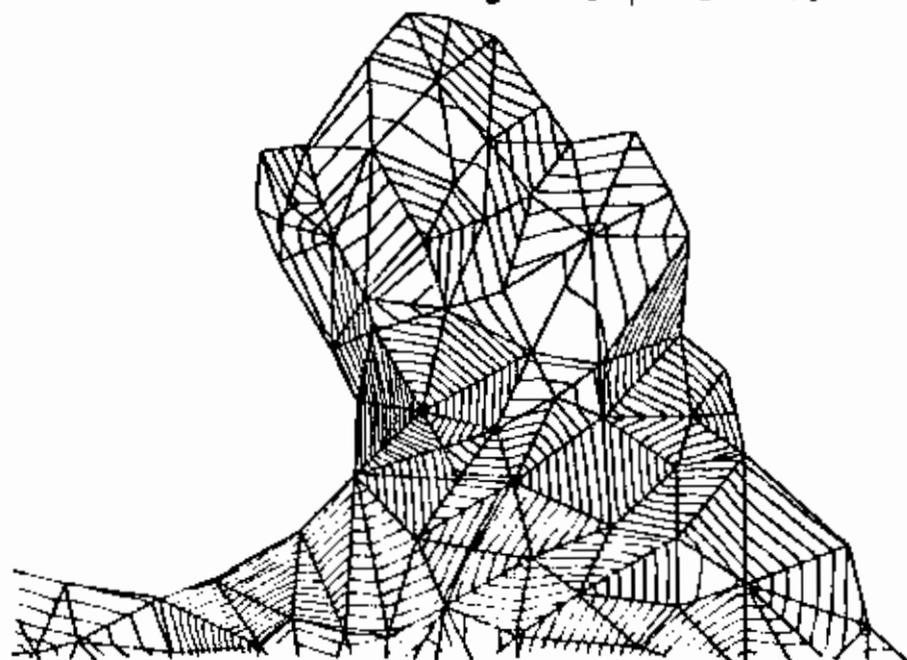
node ( 150, 6987, 2152, 1010, [238] );
node ( 151, 8482, 1861, 1240, [238, 251, 250] );
node ( 152, 7344, 1345, 910, [238, 251, 252, 253] );
node ( 153, 9562, 1928, 1200, [250] );
node ( 156, 9675, 510, 1387, [250, 251, 252] );
node ( 158, 6980, 24, 1255, [253] );
segment ( 301, [150, 151], [238, 0] );
segment ( 302, [150, 152], [0, 238] );
segment ( 303, [152, 151], [238, 251] );
segment ( 304, [151, 153], [250, 0] );
segment ( 305, [153, 156], [250, 0] );
segment ( 306, [151, 156], [250, 251] );
segment ( 307, [152, 156], [251, 252] );
segment ( 308, [152, 157], [253, 252] );
segment ( 309, [156, 157], [252, 0] );
segment ( 310, [152, 158], [253, 0] );
segment ( 311, [158, 157], [253, 0] );
cell (238, [150, 151, 152], [ 0, 251, 0], [301, 303, 302], [ 1, 3, 2] );
cell (250, [151, 153, 156], [ 0, 0, 251], [304, 305, 306], [ 7, 0, 0] );
cell (251, [151, 156, 152], [250, 252, 238], [306, 307, 303], [ 1, 3, 0] );
cell (252, [152, 156, 157], [251, 0, 253], [307, 309, 308], [ 8, 2, 0] );
cell (253, [152, 157, 158], [252, 0, 0], [308, 311, 310], [ 6, 0, 0] );

```

ويجب بعد ترجمة البيانات إلى بيانات رمزية طبقاً للإطار العام ، تترجم التعاريف البسيطة إلى رموز . ويجب أن يكون مفهوماً قبل تكويد تلك التعاريف أن أساس التحليل يقوم على تحديد أي التقاطعات المحددة للعنصر الخطي أعلى متسوية من الأخرى ، لذا يجب مراجعة كل عنصر خطي لتحديد منسوب عقديته وتعيين أيهما أكثر ارتفاعاً . ويتم ذلك بإصدار أمر إلى الحاسب الآن لعرض بيانات عقد العناصر الخطية في ترتيب تنازلي بالنسبة لكل عنصر خطي على حده . فإذا كانت إحدى النقط في وضع غير صحيح سوف تظهر على شاشة الحاسب ومضه تشير إلى الخطأ . ويتم المراجعة على النحو التالي :

```
node switch ( N ) = segment ( N, [ V1, V2 ], T ),
node ( V1, . . . , Z1, . . . ),
node ( V2, . . . , Z2, . . . ),
Z2 < Z1,
refract ( segment ( N, . . . ) ),
asserta ( segment ( N, [ V2, V1 ], T ) ).
check_all_node . node .. switch ( X ), fail.
```

وبهذه الطريقة يتم مراجعة كل العقد .



شكل (٥)

شبكة المثلثات غير المنتظمة وخطوط الكنتور لمنطقة التجميع المختارة

القاع Pit :

تعتبر قاعدة تمثيل القاع على العكس من قاعدة القمة . فالعقدة التي تحتل رأس الترتيب التنازلي لمناسيب عقد العناصر الخطية لا يمكن أن تكون قاعاً ، ولكن العقدة التي تحتل مؤخرة الترتيب هي التي تحتل القاع بشرط ألا تتصل بأى عقدة أدنى منها في المنسوب عبر عنصر خطي . وذلك على النحو التالي :

```
Pat = N > node( N, ... , )
node( segment, ... , [N, ... , ] )
```

انسياب البيانات Flow :

لتحديد اتجاه انسياب بيانات نحو العنصر الخطي أو بعيداً عنه ، فمن الضروري اخراج معلومات من الخلية المعنية وفحصها بالنسبة للعناصر الخطية التي تحدها . وتتبع القواعد التالية لتحديد أي تلك العناصر له علاقة بالانسياب :

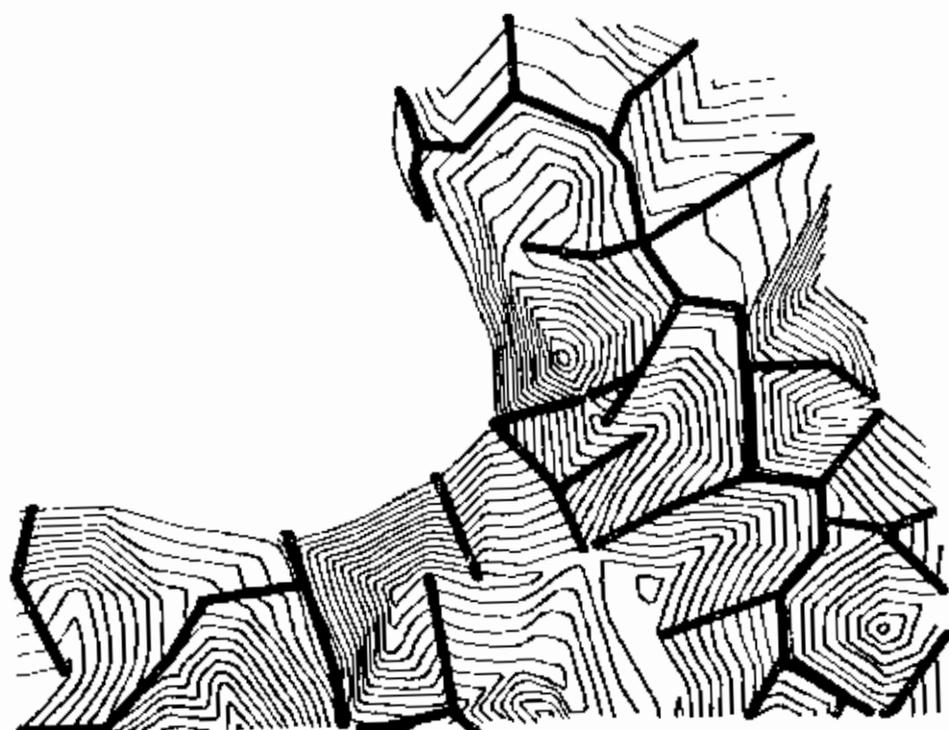
```
cell_flow( C, S, F ) : cell( C, ... , [S, ... , ], ... , [F, ... , ] )
cell_flow( C, S, F ) : cell( C, ... , [S, ... , ], ... , [F, ... , ] )
cell_flow( C, S, F ) : cell( C, ... , [S, ... , ], ... , [F, ... , ] )
```

الوادي Valley :

يعتبر الوادي عنصراً خطياً تنساب نحوه البيانات من الجانبين . ويحدد هذا الانسياب ما نحتاج إليه من بيانات عند مراجعة العنصر الخطي ، فإذا كان التدفق من كلا الجانبين إشارته سالبة فإن هذا العنصر الخطي يعتبر وادياً . وتضع القاعدة التالية في تحديد الأودية :

```
valley( S ) : segment( S, ... , [C1, C2] )
cell_flow( C1, S, F1 ) , F1 > 0
cell_flow( C2, S, F2 ) , F2 > 0
```

وتمثل الخطوط السميكة في (شكل ٩) الأودية في منطقة التجميع المختاره .



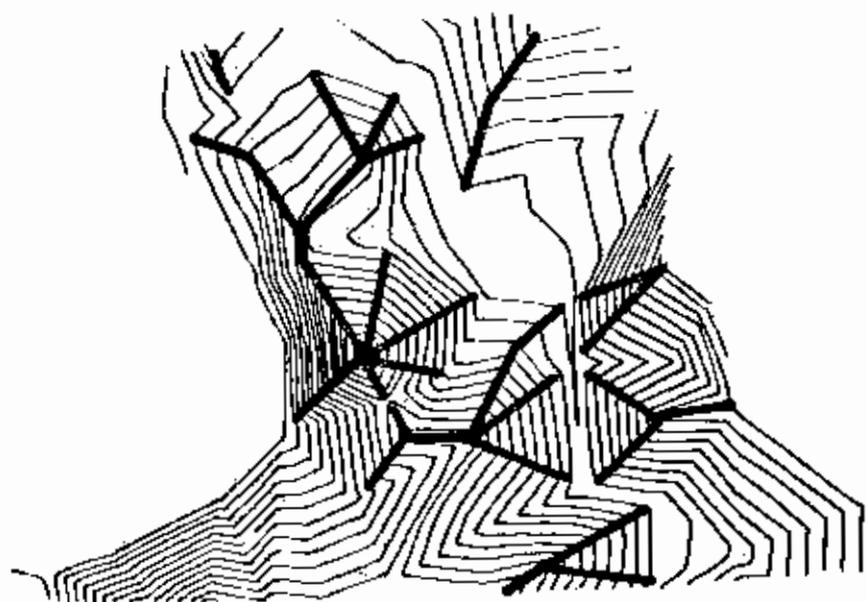
شكل (٩)
الأودية في منطقة التجميع

الضلع الجبل Ridge :

يعتبر الضلع الجبل عنصراً خطياً تنساب منه الينانات إلى الخارج ، وهو بذلك عكس الوادي . فإذا كان تدفق الينانات من جانبي العنصر الخطي اشارته موجبه ، فإن هذا العنصر يعتبر ضلعاً جبلياً . وتتبع القاعدة التالية في تحديد الضلوع الجبية :

```
ridge ( S ) :- segment ( S, _, [C1, C2] ),
                scil_flow ( C1, S, F1 ), F1 <= 0 !,
                scil_flow ( C2, S, F2 ), F2 <= 0.
```

وتمثل الخطوط السميكة في (شكل ١٠) خطوط الضلوع الجبية في منطقة التجميع .



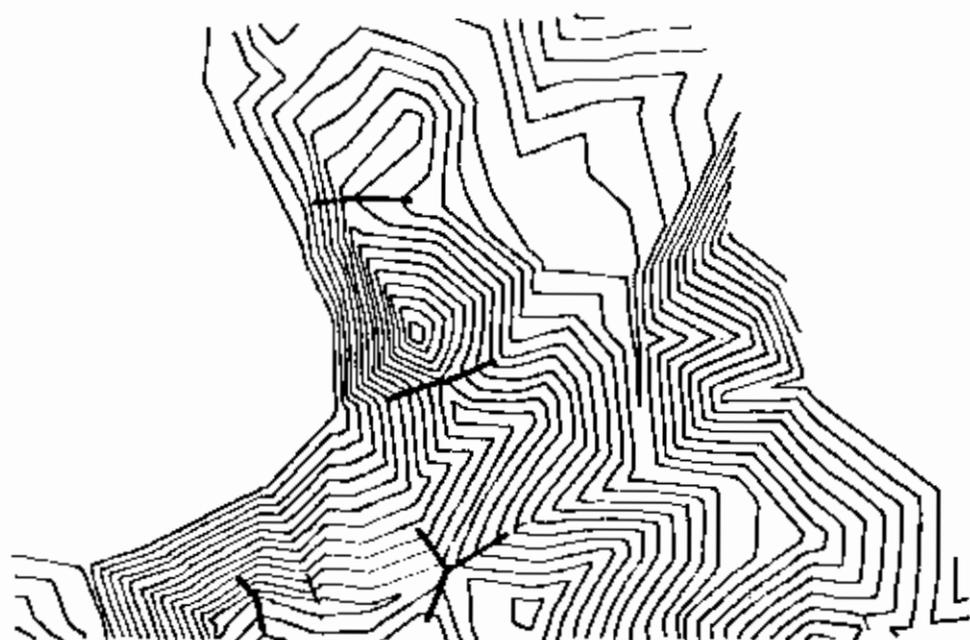
شكل (١٠)
الطروع الجبلية في منطقة التجميع

الأحباس العليا Top reaches :

يستخدم هذا المصطلح أحياناً للتعبير عن المنابع العليا للوادي فتسمى بالأحباس العليا للوادي ، وأحياناً أخرى في التعبير عن مصاعد النهر upstream فيسمى بالأحباس العليا للمجرى . لذا يجب التمييز بداية بين الوادي والمجرى حتى يمكن تحديد المقصود بمصطلح الأحباس العليا . ويشيع في البيئات الجافة استخدام كلمة وادي مرادفة للمجرى الجاف وبذلك يقصد بالأحباس العليا مصاعد المجرى الجاف . وفي هذا البحث من أجل تبسيط قواعد التحليل الرمزي باستخدام الحاسب الآلي يقترح الباحث اعتبار الأحباس العليا للوادي هي نفسها الأحباس العليا للمجرى إذا كانت نقطة بداية المجرى الذي يجري في قاع الوادي عبارة عن عقدة node يبدأ منها مجرى آخر ينحدر في قاع وادي في الاتجاه العكسي . وبذلك يمكن استخدام القاعدة التالية في تحديد الأحباس العليا في منطقة التجميع المختارة :

top_reach (S) valley (S) ,
 segment (S , [U , .] , .) ,
 segment (O , [U , .] , .) , S >= 0 ,
 valley (C)

وتبين الخطوط السميكة في (شكل ١١) مواقع الأحباس العليا في منطقة التجميع .



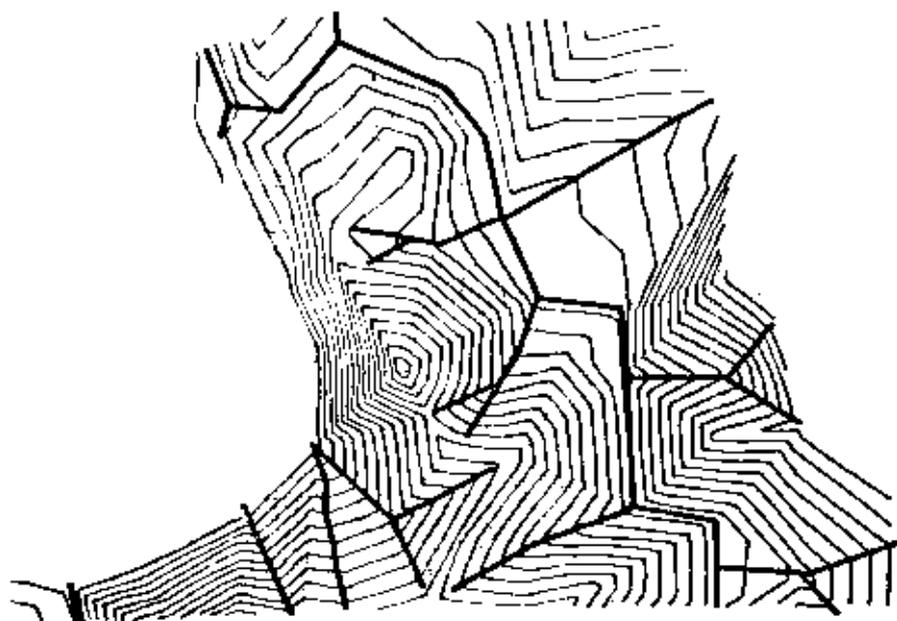
شكل (١١)
 الأحباس العليا في منطقة التجميع

المجرى Stream :

يمكن استخدام القاعدة التالية في تحديد المجرى :

stream (S) :- valley (S) ,
 not (top_reach (S)) .

وتوضح الخطوط السميكة (شكل ١٢) المجرى النهرية في منطقة التجميع .



شكل (١٢)
خطوط انجراف النهرية في منطقة التجميع

خاتمة :

استخدمنا نظام تكويد لغة الفورتران في تقديم هذا النموذج المبسط لتحليل الرمزى لبعض الظواهر الجيومورفولوجية البسيطة باستخدام الحاسب الآلى . ويشير هذا النموذج إلى امكانيات التحليل الرمزى للبيانات الجغرافية المكانية في انشاء الخرائط الكنتورية وخطوط ظواهرها الجيومورفولوجية بشرط تصميم إطار تعريف رمزى مناسب يقوم على فهم واضح ومحدد للظواهر الجيومورفولوجية ومصطلحاتها ، وعلى ادراك أن الخريطة الكنتورية خريطة وصفية بالدرجة الأولى وليست خريطة أصولية . لذا يجب استعمال عبارات وصفية والابتعاد عن العبارات الأصولية عند صياغة التعريفات الرمزية .

كما يشير هذا النموذج إلى مرونة التحليل الرمزى في معالجة ظواهر أكثر تعقيداً تضم عناصر متعددة وعلاقات متشابكة وتمثيلها على الخريطة الكنتورية وفي انشاء الخرائط الجيومورفولوجية . إذ يمكن اعتبار الخريطة الكنتورية مجموعة من الرقع المساحية المتداخلة تضم قيم متعددة ومركبة من إحداثيات سينية وصادية ورأسية في نظام هرمى . والخريطة الجيومورفولوجية تضم أيضاً ظواهر خطية ومساحية متداخلة ومترابطة ، فخط تقسيم المياه المحدد للحوض النهري هو في نفس الوقت محور الكتلة الجبلية ، وخط المجرى النهري — خط تجميع المياه — المحدد للكتلة الجبلية هو محور الحوض النهري . وكذلك جانب الوادى هو سفح المرتفع المجاور ، وواجهة المصبطة العليا هي مؤخرة المصبطة الأحدث منها . كما يحوى المجرى النهري على جزر نهرية مختلفة الشكل والمساحة ، ويضم السهل الكارستى أشكال مساحية مختلفة من الدولينات Doline والأوفالات Uvala وأقماغ الإذابة Sink Hole ومجارى مائية وقيعان جافة مجارى نهرية غائرة Sniking Creek . وهذه أمثلة لتداخل الظواهر الجيومورفولوجية في بعضها البعض . ويمكن معالجتها — إذا وضع تعريف مناسب لها — في قيم مركبة من إحداثيات كارتيزية وتمثيلها في خرائط باستخدام الحاسبات الآلية .

References

- 1 - Board, C., "How Can Theories of Cartographic Communication Be Used to Make Maps More Effective ?" *International Yearbook of Cartography*, 18, PP. 41-49, 1978.
- 2 - Clark, S., "Dynamic Cartography - The Moving Map". Computer generated dynamic maps on video tape, Geographic Information Systems Laboratory, State Univ. of New York at Buffalo, 1982.
- 3 - Freeman, H., "Map Data Processing and the Annotation Problem", *Proc 3rd. Skandinavian conf. on Image Analysis*, Copenhagen, Denmark, 1983.
- 4 - McKellar, H.N. & Homer, M. & Pearlstine, L. & Kitchens, W., "Preliminary Analysis of Energy Flow Impacts of River Diversion". W.R. Mitsch, Bosserman & J. Klopatek (eds.) *Energy and Ecological Modelling*. PP. 315-326, New York, 1981.
- 5 - Moellering, H., "Winds : A Computer Program for the Analysis of Geographical Interactions". Cartography Laboratory, Univ. of Michigan, 1975.
- 6 - Olson, J.M., "Spectrally Encoded Two-Variable Maps". *Annals Association of American Geographers*, Vol. 71, No. 2, PP. 259-276, 1981.
- 7 - Yoeli, P., "The Logic of Automated Map Lettering". *The Cartographic Journal*, 9, PP. 99-108, 1972.

نظم البيانات الجغرافية المكانية باستخدام الحاسب الآلي

دكتور

أحمد أحمد مصطفى

مدرس بقسم الجغرافيا

جامعة الاسكندرية

مقدمة :

منذ أكثر من ثلاثة عقود تم تصميم نظم كمبيوتر لتخزين وتحليل البيانات الجغرافية ، نتيجة اتجاه معظم الدول إلى الأخذ بأسلوب التخطيط السليم لاستخدام الأرض وتنمية الموارد الطبيعية والحفاظة على البيئة . ويتطلب هذا الاتجاه بيانات كثيرة تفصيلية ودقيقة لكثير من المواقع والأنشطة بغرض تقييمها ، وبشرط أن تكون تلك البيانات جاهزة عند الطلب للمخططين ولتخذى القرار . وقد تطورت تلك النظم نتيجة إدراك الحاجة تقديراتها وكفاءتها من ناحية ، ونتيجة لقيود المنهج والتوثيق العلمى من ناحية أخرى . وقد أعطى التقدم العلمى والتكنولوجى فى تصميم أجهزة وبرامج الحاسب الآلى فرصا مناسبة للنظر اليه كمقدم معلومات يمكن ملؤه بالمعرفة والخبرة والبرامج عالية الكفاءة أكثر منه أداة حاسبة ، وأصبح هو الأداة العيانية لنظم المعلومات . ومن ثم تزايدت أعداد الكوادر المدربة تدريباً جيداً على العمل بأجهزة ونظم الحاسبات الآلية .

ونتيجة للتقدم المذهل فى طرق وأساليب جمع المادة العلمية أصبح لدى الباحث الجغرافى كم هائل من البيانات الخام تبدو فى ظاهرها غير مترابطة ، وعند إخضاعها للتحليل العلمى الدقيق باستخدام مناهج وأساليب بحث متقدمة لم تكن مستخدمة من قبل^(*) ، تولدت الفئاعة بأن هناك حقيقة نغف وراء تلك البيانات ينبى المسعى لتوصول إليها وتفسيرها وتحليلها . وللوصول إلى تلك الحقيقة يجب تنظيم تلك البيانات الضخمة فى شكل مناسب حتى يمكن التعامل معها . وقد كانت هذه النظم فى البداية محدودة الاستخدام متخصصة الغرض ، إلا أنه نجح بها كمية ضخمة من البيانات الجغرافية فى صورة رقمية . وفى نفس الوقت نشأت مشكلة منهجية تتلخص فى وجود نظم معلومات جغرافية تحتوى على بيانات شتى تحتاج إلى الاتفاق العلمى لوضعها تحت عنوان أو مسمى مناسب .

^(*) من أساليب التمثيل : التمثيل بالحساب ، والتمثيل بالنقطة ، وأساليب الخنقطة ، وأساليب جوت معدومة ، أساليب التصرفات ، التمازج ، وطريقة النظم ، نظرية الشبكات وتحليلها ، نظرية المناهات ، معاييرها ، وتبويبها فى اتجاه التفرز ، نماذج تصديده ، أسلوب المحاكاة ، نظرية الصفوف أو عصبط لانتظ ، النظرية الخربية التى تقوم على مبدأ تعاقب الحركة المفردة للمرجحات

وقد استشعرت أقسام جغرافيا في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان ضرورة تدريب طلابها على استخدام الحاسب الآلى في تخزين ومعالجة البيانات الجغرافية وتخيلها . ومن هنا نشأت الحاجة إلى إدخال مقررات خاصة بالحاسبات الآلية في برامج التدريس^(*) . بل إن جامعة ولاية نيويورك في مدينة بفالو State University of New York at Buffalo بالولايات المتحدة الأمريكية عدلت مسمى قسم الجغرافيا بها إلى قسم الجغرافيا وعلوم الكمبيوتر Dept. of Geography and Computer Sciences . كما شجع انخفاض أسعار تلك الأجهزة كثير من أقسام الجغرافيا في دول العالم التامى بل والباحثون أنفسهم على اقتنائها وانتهافت على شراء البرامج الخاصة بالتحليل الجغرافى واستخدامها في البحث العلمى .

وقد ظهر في أقسام الجغرافيا في أوائل الثمانينات أسلوب جديد في البحث الجغرافى يعرف بتقلم المعلومات الجغرافية GIS وهو اختصار لـ Geographical Information Systems . ويقوم هذا الأسلوب على ثلاثة عناصر :

العنصر الأول : نظام معلومات جغرافية خرائطية :

: Geographical Information Mapping (GIM)

ينظر الى الخريطة الطبوغرافية باعتبارها مخزن أو بنك للمعلومات تحتوى على بيانات جغرافية في العمران - الطرق - الزراعة - شبكة الرى - شبكة الصرف - الحدود الإدارية - شبكة المجارى المائية - أشكال سطح الأرض والمنحدرات كما تبيها خطوط انكتور ورموز الهاشور وغيرها . ويمكن تخزين بيانات كل عنصر في ملف خاص في شكل بيانات وصفية أو بيانات رقمية أو بيانات تصويرية .

(*) على سبيل المثال أقسام الجغرافيا في جامعات أوكينا - جامعة يوريج سيوس ، جامعة لويد بالسيهيد ، جامعة موسسو بأنتانيا ، جامعة دام بالعموا ، أقسام الجغرافيا من الجامعات الأمريكية مثل جامعة ولاية نيويورك في مدينة أمان ، جامعة جنوب أوكينا ، جامعة كونيتيكت ، جامعة جنوب غرب تكساس ، جامعة واشنطن ، سياتل - قسم الجغرافيا والاستشعار من بعد جامعة ولاية أوكلاهوما ، قسم الجغرافيا والاندوجوجيا ، جامعة ولاية لويزيانا ، أقسام الجغرافيا بجامعة أكندا ، جامعة غرب أونتاريو ، جامعة هينج

العصر الثاني : نظام تحليل معلومات جغرافية :

: Geographical Information Analysis (GIA)

وفي هذا النظام تصنف البيانات الجغرافية في مجموعات تعطى لها أولويات تبعاً لظاهرة الرئيسية موضع الدراسة ، وبيان العلاقات بين عناصر بيانات الظاهرة ومعالجتها في نماذج الامتداد والانتشار والاتصال والتكامل .

العصر الثالث : نظام نمذجة المعلومات الجغرافية :

: Geographical Information Modelling (GIM)

ويتم هذا النظام ببناء نماذج ونظم البيانات وطرق تناولها لحاسب الآلي . وقد كان تناول هذا العصر حتى وقت قريب قاصراً على المشتغلين بعلوم الكمبيوتر من مصممي البرامج ، إلا أن بعض الجغرافيين القلائل في الجامعات العربية قاموا بمحاولات كان الهدف منها إثبات قدرة الجغرافي على مواكبة هذا الأسلوب الحديث في البحث الجغرافي(*) .

وقد شهد النصف الثاني من عقد الثمانينات تقدم ملحوظ في سرعة وسهولة ومرونة تناول البيانات الجغرافية للكمبيوتر ، أدى إلى بروز تساؤلات عن طبيعة البيانات التي يحتاج إليها الباحث الجغرافي حتى يستطيع استخلاصها من هذا الحشد الهائل من البيانات الخام المجمعة واختلفة في درجة أهميتها ودقتها وكيفية ترطيبها . ما الذي يحتاج إلى وصفه وشرحه وتقويمه ؟ ما الذي يغير ويعيد من تلك البيانات المطلوبة ؟ هل نظم البيانات المتاحة حالياً على مستوى هذا الحجم النضخم من البيانات وكيفية التعامل معها ؟ ويهدف هذا البحث عرض ومناقشة سريعة لنظم البيانات الجغرافية المكانية وعلاقتها بنماذج البيانات لإزالة الرهبة من نفوس الباحثين الجغرافيين الشباب ، وتحفيز البحث الجغرافي العربي للأخذ بهذا الأسلوب الحديث ، ولندخول في عصر صناعة وتكنولوجيا المعلومات .

(*) حين عيّن في سنة ١٩٨٤م في برنامج الدكتوراه في الجغرافيا في جامعة القاهرة لدراسة العلاقات الجغرافية بين المدن باستخدام حاسب الآلي . مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ، العدد ٣٠ ، ص ١٦٩ ، ١٩٨٤ .

نموذج البيانات :

نموذج البيانات data model عبارة عن مجموعة اشياء things أو عناصر خاصة بظاهرة ما ترتبط ببعضها بعلاقات ، كما ترتبط بين خصائصها علاقات منطقية ، وتكون تلك العناصر والعلاقات ملخصة في نظام يصلح للمعالجة بالكمبيوتر ، وتعتبر وحدة تخزين رئيسية في نظامه . والظاهرة عبارة عن مجموعة كائنة من شئ يمكن إدراكه وتمييزه ولها خصائص عامة مشتركة وترتبط بينها علاقات relationships (Ullman, 1983) . فظاهرة الأردية النهرية عبارة عن مجموعة لشئ واحد هو الوادي النهري ، وظاهرة البحيرات مجموعة لشئ واحد هو البحيرة ، وكذلك ظاهرة الجبال مجموعة للجبل . ويمكن أن يكون لكل من الظاهرة والعلاقات صفات مميزة أو عناصر تعتبر وحدات أساسية فيها . فالوادي النهري — أى وادي نهري — له صفات تميزه وعناصر تحدد خصائصه الشكلية ، وخصائصه التضاريسية ، وخصائص مورفومترية شبكته المائية . وترتبط تلك الخصائص ببعضها بعلاقات متشابهة منطقية . وتعريف النموذج بهذا الشكل هو مفهوم بشري human concept يمكن تكيفه عند التطبيق ، ويختلف هذا التكيف باختلاف مستخدم النموذج . وتعتبر الخريطة الطبوغرافية مخزن للظواهر الجغرافية ، وكل ظاهرة بها يمكن وصفها في نموذج بيانات . وتستخلص مجموعة بيانات أى ظاهرة وعلاقتها في ملف خاص File كالعمران — الطرق — الحدود الادارية — شبكة الري والصرف — المناطق الزراعية — المزارى المائية — التضاريس كما تبينها خطوط الكنتور والماشور . وبمضى آخر فإن الخريطة الطبوغرافية عبارة عن بنك معلومات يمكن أن نستخلص منها نماذج بيانات عديدة (شكل ١) . ويوضح كل نموذج حقيقة واقعة يعتمد تحليلها على مستوى التحليل أو على المقياس المستخدم في التحليل .

وهي كثير من مسمى النماذج أن البيانات يجب دراستها في عدة مستويات levels ، وتقديمها في ملخص حقيقي ، وفي نظام بنائي محدد يمكن تمثيله آليا (Klinger, Fu & Kuni, 1977; Martin, 1975) . وبداية يمكن القول أنه مازال هناك عدم اتفاق بين الجغرافيين على عدد المستويات التي يجب على الباحث أن يدرس من خلالها الظاهرة الجغرافية . وقد اقترحت دونا يكو عام ١٩٨٤ (Donna J.

(Peuquet, 1984) أربعة مستويات يمكن دراسة أية ظاهرة جغرافية عن طريقها (شكل ٢) هي :

١- معرفة الصورة الحقيقية أو الواقعية للظاهرة reality متضمنة كل سماتها الظاهرية التي يمكن ادراكها عن طريق ملاحظة مفردات عناصرها .

٢- نموذج البيانات data model وهو ملخص يوضح الخصائص التي يظن أنها وثيقة الصلة بالظاهرة .

٣- نظام البيانات data structure وهو عملية بناء نموذج البيانات أي تمثيل لنموذج البيانات في هيئة يانية هي في الغالب جداول ومصروفات ، بمعنى تنظيم البيانات في كود آلي computer code في نمط من الخانات الأساسية التي يصمم الكمبيوتر تمييزها كمعطيات .

٤- نظام ملف البيانات file structure وهو عبارة عن أي شكل من الأشكال المختلفة لتنظيم البيانات في هيئة يمكن تخزينها في أجهزة ووحدات الحاسب الآلي hardware .

وعند فحص المستويات الثلاثة الأخيرة نلاحظ أنها خطوات تتبع عند تصميم قاعدة بيانات data base ووسائل تنفيذها^(*) . ولكن يجب الإشارة إلى أن تصميم نظم البيانات نوجب مراعاة أن تتم من خلال مستويات متتابعة توضح الأسس الضرورية في تحديد كل مستوى . وفي الواقع ، أن تحديد إجمال العملية عبارة عن صياغة العبارات العامة في عبارات أكبر تحديداً .

وقد استخدم مصطلح نموذج البيانات في حدود ضيقة عندما دعا الجغرافيون إلى استخدام النماذج في معالجة الموضوعات التي تتناول تنظيم المكان . ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد جهود نشورلي R. Chorley وهاجيب P. Hagget في

(*) قاعدة البيانات : أحد مصطلحات علم المعلوماتية Informatic ، ويقصد به كمية ضخمة من بيانات منسقة ومنظمة تحت في ذاكرة الكمبيوتر بحجم منسقى معين ، وبشكل رمزي له مفاتيحه الخاصة التي تسمح بالبحث عن البيانات وتخزينها ، «مترجمتها لاستخدامها أو لتطورها ثم إعدادها فكانها المحد في ، المدونة» (المصدر)

دراساتهما القيمة هذا الموضوع تحت اسم نموذج في الجغرافيا Models in Geography (*) . وربما يرجع التقصير من جانب الجغرافيين في استخدام النماذج إلى التقدم السريع غير المنتظم في فن تالون الكمبيوتر وعمليات الترميز image processing ، وكذلك انتشار التلويح في استخدام الحاسب الآلي في الدراسات الجغرافية . أما مصطلح نظام البيانات data structure فقد تطور استخدامه مع تطور نظم وتقنيات تصميم البرامج واللغات والبرامج software حتى تتحكم في عمليات الحاسب الآلي . وكذلك نتيجة تقدم تكنولوجيا صناعة عتاد الحاسب ووحداته المختلفة hardware ولدى يمثل في أجياله المتتالية . ومنذ السبعينيات الأولى من عقد الثمانينات فإن مصطلح نموذج البيانات قد أقر كمصطلح أحسن ليدل على أن ادراك عناصر الظاهرة وتنظيمها في شكل ما ، أي صياغتها بطريقة ما هي عملية نمذجة modelling process

ويقوم نظام البيانات أي بناء النموذج على نموذج البيانات نفسه وطريقة ترتيب جزئيات وعناصر البيانات به ، والعلاقات القائمة بينها . ويتم ترتيب الجزئيات والعناصر في قوائم lists ومصفوفات arrays ، أما العلاقات التي تربط تلك الجزئيات والعناصر بعضها فتكون في صورة نماذج رياضية تؤدي إلى استبعاد العلاقات اللغوية أو الوصفية والتعبير عنها بصورة صريحة أو صورة ضمنية . ويعادل هذا المفهوم التعريف الرياضي للرسم البياني بمعناه الواسع (Mark, 1979) . وتسجل العلاقات الصريحة في نظام البيانات بنفس طريقة تسجيل جزئيات وعناصر البيانات نفسها . أما العلاقات الضمنية فيشار إليها بالوضع النسبي لمفردات عناصر البيانات ، وقد يتطلب ذلك تحليل بعض أو كل البيانات . مثال تحديد نقطة وسط مجموعة من النقاط موزعة بدلي نظام في الفراغ .

أما نظام ملف المعطيات File structure فإنه يعني ببساطة نموذج تخزين أي تحديد وسائل العملية الميكانيكية لتعيين البرامج بطريقة تغذيها أو تعديلها ، وطرق تشغيل أجهزة الحاسب الآلي لاستخدام تلك البرامج واسترجاعها .

* Hagget, P. 'Geography: A modern synthesis' pp. 16-24 London, 1972.
 Chorley, R.J. & Hagget, P. 'Socio-Economic Models in Geography' pp. 21-26.
 London, 1973

العلاقة بين تصميم نموذج البيانات وتصميم نظام البيانات :

تعتبر عملية تصميم نموذج البيانات عملية تلخيص ، فالنموذج هو تمثيل للواقع يحاكي تفسير ظاهرة ما من ظواهر هذا الواقع ، أو هو نظير أو شبه أو تمثيل دقيق لجميع خصائص الظاهرة وعلاقاتها . ولا يوجد نموذج لحقيقة ما يجمع كل جزئياتها وعناصرها وعلاقاتها ، وبالتالي لا يمكن تصميم نموذج بيانات عام الغرض لاستعماله في كل الحالات . ويتضح ذلك عند معالجة الظواهر الطبيعية المركبة (تشمل دراسة منحدر ما على ٤٢ متغيراً على سبيل المثال) . وكذلك الحال بالنسبة لبيانات المكانية spatial data إذ لا يمكن بناء نظام بيانات يعنى بكل أغراض تناول تلك البيانات . وهناك نظم بيانات مكانية spatial data structure صالحة للتوقيع plotting ولكنها لا تصلح في نفس الوقت لأغراض التحليل . كما أن نظم البيانات المصممة لأغراض التحليل الجغرافي لا تصلح إلا للجوانب معينة وليس كل الجوانب المطلوبه ، مما يستلزم انشاء نظم بيانات عديدة تفي بكل جوانب التحليل الجغرافي المطلوب . وكذلك نظم البيانات الخاصة بالتحليل لا تكفي لإنتاج رسوم وأشكال بيانية ، مما يجعلنا نقول أن أي نظام بيانات لا يخدم إلا غرضاً واحداً محدداً .

ويتبع مصممو نماذج البيانات طرقاً مختلفة في تصميم نماذج البيانات المكانية . ويمكن تلخيص تلك الطرق في طريقتين تقفان على طرفي نقيض :

الطريقة الأولى وتعرف بطريقة باولي Bouille وفيها حاول صاحبها بناء نموذج بيانات يشتمل على كل المتغيرات والعلاقات التي تربط بينها في محاولة تمثيل كامل ومطابق للحقيقة أطلق عليه اسم « النموذج المطابق للظاهرة phenomenon-based design » . ثم عاد وأطلق عليه اسم « نظام بيانات الظاهره phenomenon structure » (Bouille, 1978) . ولما كانت الحقيقة مركبة وغاية في التعقيد فقد جاء نموذج البيانات معقداً لا يمكن معه بناء نظام بيانات مناسب للكمبيوتر ، ويختوى على جزئيات وعناصر وعلاقات ليست ضرورية لأغراض التحليل وغير مناسبة للتطبيق . وفي الواقع فإن الحقيقة الكاملة للظاهرة غير معروفة . إذ تحتوي من عناصر وعلاقات لا يدركها الباحث تبعاً للموقف العلمي والامكانيات التكنولوجية المتاحة حالياً ، ولا نغالي إذا قلنا حتى في المستقبل وس

هنا جاءت فكرة الخطأ والخطأ المسموح به وغير المسموح به . وعندما يتعامل الباحث مع ظاهرة طبيعية فإن العلم يوفر له أدوات معرفة ليقدم فرضية بشأنها لأنه لا يمكن الادعاء بالمعرفة النهائية لها . وعلى ذلك فإن « النموذج ينبغي ألا يعنى تمثيل جميع عناصر وخصائص الظاهرة وعلاقتها ، إنما يجردها من بعض مظاهرها التي تساعد على تبسيطها»^(*) .

أما الطريقة الثانية وقد أشار إليها مارك عام ١٩٧٩ (Mark, 1979) فتقوم على قاعدة أن تصميم نموذج البيانات وبالتالي بناء نظام للبيانات يجب أن يؤدي إلى تحقيق الفائدة عن طريق استبعاد أية عناصر أو علاقات غير مناسبة . وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تهدف إلى إنتاج نماذج غير معقدة وسهلة التناول إلا أنها بعيدة إلى حد ما عن التمثيل الكامل للحقيقة ، لأنها تختص فقط على العناصر الرئيسية والعلاقات الضرورية لدراسة الظاهرة . والنماذج المصممة تبعاً لتلك النظرة تنصف بالقوة والمرونة وإمكانية استخدامها في التخزين الأحصائي . وبناء على ذلك فإنه لا يمكن الجزم بأن كل النماذج ناجحة من الناحية التطبيقية ، إذ يتوقف نجاحها على مقدار مطابقتها للواقع لذا فإن مرحلة التجريد تعتبر من أهم المراحل وأدقها في إنشاء النموذج . فالتجريد يفقد النموذج — أحياناً — قيمته العملية إذا أبعد كثيراً عن الواقع والحقيقة الملموسة وخانه التعبير عن أفكارنا وآرائنا عن هذا الواقع .

وبالنسبة لمصممي أنظمة البيانات الجغرافية geographic data systems فإن طبيعة الظاهرة الجغرافية تحتم الأخذ في الاعتبار عمليات معالجة ميكانيكية تكون قادرة على التعامل مع بيانات ذات طبيعة مختلفة . إذ تعالج موضوعات الجغرافية الطبيعية والعوامل الطبيعية في الظاهرة الجغرافية البشرية على أساس مبدأ السببية (السبب والنتيجة) ، وتصاغ العلاقات في صورة معادلات رياضية تؤدي إلى استبعاد العلاقات اللفظية أو الوصفية والاستعاضة عنها بالنماذج الرياضية التي تستخدم للمعالجة الإحصائية أو غيرها من المشاكل التي تتعلق بقياس المتغيرات وتعليلها . أما موضوعات الجغرافية البشرية بصفة عامة والعوامل البشرية في الظاهرة الجغرافية الطبيعية فإنه من الصعب إخضاع الإنسان وسلوكه إلى قانون

(*) اللجنة الرسمية لتعدد الاجزئية — عدد يوليو ١٩٦٨ .

واحد وظروف واحدة ، فالإنسان تختلف استجاباته لظروف والمؤثرات بحسب الزمان والمكان ، لذا فإن نشاطه يخضع للاحتيال . وعليه فإنه يجب على مصممي نماذج وقواعد البيانات الجغرافية geographic databases مراعاة توازن دقيق بين منهج الختمية ومنهج الاحتمالية في سبيل الوصول الى نموذج بيانات جغرافي وبالتالي انشاء نظام بيانات جغرافي له صفة خاصة . ومن أسف فإن هذا الضابط المنهجي في الجغرافيا لم يقطن formalize حتى الوقت الحاضر حتى في الإطار النظري ناهيك عن الإطار الآلي .

طبيعة البيانات الجغرافية المكانية :

الجغرافيا باختصار هي علم المكان place والفرغ space ومادتها الظاهرات الطبيعية والبشرية التي تُشكل بيئات العالم ، وهدفها وصف وشرح وتفسير وتعليل الظواهر الطبيعية والحضارية في بيئاتها على سطح الأرض ، ووسيلتها الكلمة والرقم والصورة والخريطة . ويستخدم مصطلح مكاني spatial في وصف أية بيانات خاصة بظاهرة تتوزع في بعدين أو ثلاثة أبعاد أو أى عدد من الأبعاد (١ من الأبعاد) . وتعتبر البيانات الجغرافية بيانات مكانية لأنها تتصل ببيانات خاصة بالأرض . وهذه البيانات يمكن ان تكون ذات بعدين عند تمثيعة modelling سطح الأرض كسطح مستو plane ، أو تكون ذات ثلاثة أبعاد عند معالجة ووصف ظواهر تحت سطحية أو ظواهر جيومورفولوجية أو ظواهر جوية . ويمكن إضافة البعد الرابع في هيئة سلاسل زمنية .

وهناك عدة انماط للبيانات المكانية يمكن التعرف عليها بعرضها كارتوجرافيا (شكل ٣) :

النمط الأول : بيانات نقطية point data حيث يمثل كل عنصر ياتي data element بموقع position (نقطة) واحد في فراغ ذي بعدين أو ذي ثلاثة أبعاد مثل مواقع عواصم المراكز الإدارية في الدلتا (شكل ٣ أ) .

والنمط الثاني : بيانات خطية line data ويوصف الخط في هذا النمط باعتباره محل هندسي لنقطة متحركة . وترسم تلك النقطة عند تحركها خطا له اتجاه معين . اتجاهات كثيرة . وعند تحرك تلك النقطة يكون لها قيم احداثية سينية وصادية في كل محل location تحتله . أو بمعنى آخر يوصف موقع الخط بسلسلة أو خيط

string من احداثيات مكانية spatial coordinates . ويتخذ الخط أوضاعاً وهيئة مختلفة :

(أ) خطوط منعزلة لا تشترك في هيئة منتظمة كخطوط الانكسارات أو خطوط محاور الالتواءات (شكل ٣ ب) .

(ب) خطوط تدخل كعناصر في نظام معين مثل خطوط المجارى المائية أو خطوط محاور الأودية الجافة في نظام تصريف نهري (شكل ٣ ج) .

(ج) خطوط تدخل كعناصر في نظام شبكة network مثل خطوط شبكات الطرق (شكل ٣ د) .

والنقط الثالث : بيانات الأشكال المساحية ويعرف ببيانات المضلعات polygon data وتمثل مواقع عناصر البيانات بخط احداثيات مكانية مقفل (ترانزيس مقفل) . وتختص بيانات المضلعات بالمساحات في فراغ معين ، وتمثل في :

(أ) مضلعات مفردة isolated polygons حيث لا يشترك أى ضلع من أضلاع المضلع أو أى جزء منه مع ضلع أو أضلاع مضلعات أخرى (شكل ٣ هـ) .

(ب) مضلعات متجاورة adjacent polygons حيث يشترك بين ضلع من أضلاع المضلع أو أى جزء منه مع ضلع آخر على الأقل (شكل ٣ و) .

(ج) مضلعات متشابكة nested polygons حيث يقع مضلع أو أكثر داخل مضلع آخر . وتعتبر خطوط الكنتور من أبرز الأمثلة لهذا النوع من المضلعات (شكل ٣ ز) .

والنقط الرابع : خليط من الأنماط الثلاثة السابقة . فقد يشمل على أنواع خطية مختلفة يختلط بعضها بعض ، وخطوط تختلط بمضلعات مع عناصر نقطية . ويمكن اعتبار خريطة افريقيا السياسية مثال لهذا النمط ، فالوحدات السياسية اشكال مساحية مشتركة الحدود ، وقد يفصل بين وحدة سياسية وأخرى مجرى نهري يعتبر عنصراً لخط خطى لشبكة تصريف مائى شجرى ، وقد تقع وحدة سياسية بحدودها الكاملة داخل وحدة سياسية أخرى بالإضافة الى مواقع العواصم والمدن والموانئ الرئيسية .

وتعرف الأتماط الأربعة للبيانات المكانية بالبيانات الاحداثية coordinate data أو البيانات الرمزية image data (I.G.U., 1975 & 1976). وتتلخص شديد يمكن القول بأن هذه البيانات المكانية تصف التوزيع المكاني والوضع النسبي للعناصر الداخلة في الظاهرة الجغرافية باستخدام رموز على شكل نقطة أو خط أو مضلع مساحي أو خليط من هذا كله. ولكل رمز من تلك الرموز خصائصه التي تميزه ووظيفته المحددة. فالاحداثى الفلكى لمدينة الاسكندرية يعتبر جزء من بيانات مكانية وصفية بينما خطوط كثافة سكانها جزء من بيانات مكانية تصور إحدى خصائصها السكانية، وإحداثيات حدود محافظتها بيانات وصفية تين الشكل والامتداد والمساحة.

وتتميز نماذج البيانات المكانية عن نماذج القوائم الاحصائية أو النماذج ذات البعد الواحد بالخصائص التالية:

١- للعناصر المكانية حدودها الداخلية التي تميزها وتبين موقعها في الفراغ. وبالنسبة للبيانات الجغرافية فإن هذه الحدود عادة ما تكون معقدة تين نزعاً المظاهر الجغرافية إلى تماط غير منتظمة. وتسجل تلك الحدود في نظام احداثيات coordinate system قد يكون على شكل احداثى فلكى (درجة عرض ودرجة طول) أو نظام احداثى كارتيزى (شماليات وشرقيات) أو نظام الاحداثيات العالمى المعروف باسم UTM أو نظام احداثى رقمى ليس له قيمة عددية كأرقام الشوارع في المدن التي تحتفظ تبعاً لنظام احداثيات خاص بها.

٢- تتميز العناصر المكانية بكثرة علاقاتها التي تين طبيعة الظاهرة الجغرافية أو تين درجة إدراكنا وفهمنا. وكما ذكرنا من قبل انه من الصعب عند بناء النموذج جمع كل الجزئيات والعناصر في نموذج واحد. فالبيانات الجغرافية تميل إلى أن تكون مستقلة وتابعة في نفس الوقت بالنسبة لبعضها البعض. فقد يضم النموذج متغيرين أحدهما تابع والآخر مستقل يرتبطان في علاقة خطية. وقد يحتوى النموذج على متغيرين مستقلين أو أكثر، وفي هذه الحالة يصلق على العلاقة اسم الانحدار المستقيم المتعدد. وكلمة اكثر هنا لا تعنى الإطلاق بل تعنى أن النموذج يمكن أن يضم متغيرات مستقلة ولكنها محدودة

بمكمنها قدرة نماذج الرياضية المستنبطة على التعبير عن الحقيقة الجغرافية وتفسيرها . وقد تكون العلاقات بين العناصر المكانية لفظية مثل بالقرب من أو بعيد عن ، إلى اليمين أو إلى اليسار ، ومثل هذه العلاقات يصعب جمعها مع علاقة عددية في نموذج حتمي deterministic أو في نموذج احتمالي stochastic . والخلاصة أن عملية ضم هذه العناصر وعلاقتها في نموذج واحد عند بناء نموذج بيانات جغرافية عملية صعبة ومعقدة ولكنها ليست مستحيلة ، بل إن ملف البيانات يميل إلى أن يكون معقد بدوره .

٣- تميز البيانات المكانية بأنها ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد ، ولذلك تنشأ مشكلة عند تحويل نموذج البيانات إلى نظام بيانات ونظام ملفات صالحة لأجهزة الحاسب الآلي وأجهزة الترميز digitizers التي تحول النقط والخطوط والمساحات إلى رموز رقمية يمكن قراءتها بالحاسب عن طريق تسجيل الأحداثيات المكانية . فمن المعروف أن ذاكرة الحاسب ذات طبيعة خطية أي ذات بعد واحد يمكنها تخزين البيانات على شكل قوائم لي يجرى خط متصل ، وإذا كان من السهل في الوقت الحاضر بالنسبة لأجهزة الجيل الأحدث للكمبيوتر تخزين بيانات ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد في نمط خطي على شكل قوائم ، فإن أحداثيات العناصر لا تحتوي على الطوبولوجيا الأساسية في شبكات الخطوط أو الأشكال المساحية المتجاورة ، ولا على العلاقات الضمنية (فرق ، إلى اليسار ، قرب من) ، تلك العلاقات التي يمكن النظر إليها على أنها بيانات لها أهمية بالنسبة للجغرافيا عند وصف وتحليل البيانات المكانية (Dacey & Marble, 1965) .

الشرط (الضوابط) التي يجب مراعاتها عند إنشاء نظام بيانات مكانية :

وتعرف تلك الضوابط بـ " دالة VSAM " وتطلق (VEE SAM) وهي اختصار لـ " Virtual Storage Access Method " . وقد جاء في معجم مصطلحات الكمبيوتر أنها تعني (أسلوب نيل تكون فيها السجلات ذات الأطوال الثابتة والمتفرقة مخزونة على جهاز تخزين للنيل المباشر في تسلسل معلني أو تسلسل إدخال أو تسلسل حسب إرقام السجلات . ويتم نيل السجلات المخزونة من التسلسل المعلن وفقا لمعلم فريد مثل رقم موظف ، ويتم نيلها في التسلسل

الأدخال وفقاً لترتيب الذي تم تخزينها به ، ويتم فيها حسب أرقام السجلات بواسطة رقم سجل منسوب إليها^(*) . ومن وجهة نظر الباحث فإنها تعنى الطريقة العملية لحزن البيانات واسترجاعها بسهولة . ومن نافذة القول أن الطرق المتاحة حالياً لحزن البيانات واسترجاعها يجب مراعاتها عند إعداد نظام البيانات data structure ونظام ملف البيانات File structure ، كما أن أسلوب التخزين يؤثر في خصائص الحزن storage والمعالجة manipulative والاسترجاع retrieval . ولقد اتفق المشتغلون بعلم الكمبيوتر على أن أسلوب حزن واسترجاع البيانات يجب أن يحقق شروط الاكتمال completeness ، القوة robustness ، الكفاءة efficiency ، سهولة التوليد ease to generation ، تعدد الاستعمال versatility .

ويقصد بالاكتمال كفاءة طريقة التخزين في تحويل المصطلحات النسيية الوصفية إلى قيم وإشارات رقمية . كما أن القوة robustness تعنى مدى القدرة على حزن البيانات غير العادية كبيانات المضلعات بكل ما فيها من عناصر وعلاقات . وتعنى الكفاءة كفاءة التخزين وكفاءة الوقت عند الاسترجاع ، وسهولة التوليد هو مقدار الجهد المطلوب لاستنتاج ما تقضى به البيانات في أشكال أخرى كالرسوم البيانية أو الخرائط أو الجسومات التي يمكن عرضها من زوايا مختلفة .

والأهمية النسبية لكل شرط (معيار) من الشروط الخمسة السابقة هو دالة function لأية بيانات سوف ينشأ لها نموذج data model ، والعمليات المطلوبة لإنشاء نظام data structure مناسب لها . على سبيل المثال إذا كانت المادة الخام لموضوع جغرافي عذبة يلزم لها إنشاء قاعدة بيانات كبيرة ، ويجب أن تعمل في انسجام بين كفاءة المعالجة وسهولة الاسترجاع ، فإن ذلك يحتم الأخذ في الاعتبار تحقيق الشروط الثلاثة الأولى .

ومن السهل وضع هذه الشروط (المعايير) في صورة كمية مثل طاقة التخزين وسرعة الاسترجاع ، ولكن من الصعب — حتى الوقت الحاضر — تقديم مقاييس كمية لشرط (معيار) كفاءة طريقة التخزين وتعدد الاستعمال versatility .

^(*) مزسه الأبحاث المعرفية معجم مصطلحات الكمبيوتر — نيجوسيا — فيوس ، ١٩٨٥ ، مترجمه عن :

Webster's New World, "Dictionary of Computer Terms" Simon & Schuster, INC New York, 1981.

وتتبع هذه الصعوبة من حقيقة معرفتنا المحدودة كجغرافيين بخصائص نظام العد (الحساب) العشري وكيفية تفاعله مع النظم العشرية الأخرى . كما أن عملية نمذجة البيانات المكانية مازال ينظر إليها كعملية فنية أكثر منها علمية . وستظل خبرة الباحث هي العامل الأساسي في تفسير نظام جغرافي يلزم نمحيده أولاً كي ينشأ له نموذج يلائم نظام معيومات جغرافية متكامل

نماذج البيانات الجغرافية

يستخدم الجغرافيون الذين يعتمدون على الكمبيوتر في تخزين وتحميل البيانات الجغرافية أنماطاً مختلفة من نظم البيانات بعضها تقيدى نشأ مع البدايات الأولى لاستخدام الكمبيوتر في تحليل وعرض البيانات والآخر حديث . ومازالت هناك محاولات لإنشاء نماذج تناسب مع بيانات الموضوعات الحديثة التي تعالجها الجغرافيا في الوقت الحاضر ، ومع مناهج وأساليب البحث المستحدثة . على سبيل مثال جغرافية السلوك البشري والمكانى والجغرافيا الصحية والجغرافيا الحضرية والتي تتطلب توفير بيانات خام من نوع جديد تتصل بعلوم إنسانية عديدة كالاجتماع وعلم النفس والانتروبولوجيا الحضرية والثروة والاقتصاد والجريمة والصحة العامة والسلوك الحضارى . ويتم لتعبير عن كثير من هذه البيانات بمسطوحات والفاظ وصفية نحتاج الى الاتساق على وسيلة تعبير بقى أو يرمى حتى يمكن إدخالها في نموذج بيانات ومن ثم إنشاء نظام بيانات يستطيع إدخالها في الحاسب الآلى لمعالجتها .

وتقدم البيانات الجغرافية التقليدية للتحليل عن طريق نماذج ذات بعدين كالجرائط (Boudr, 1967) ويمكن النظر الى الخريطة على أنها أسلوب تخزين بيانات مكانية سهلى استرجعها وتحديثها يدويا كى نستخدم في عمليات قياس وتحليل أخرى . وعملية تحديث الخريطة للحصول على بيانات خام منها أو لعرض نتائج تحليل بيانات عليها عملية شاقة وتتطلب وقتاً طويلاً فضلاً عن متطلبات المهارة والدقة في رسم الخريطة نفسها .

وهناك نمطان آخرين لنماذج البيانات النكائية يتم تطويرهما تحت الأسماء في صورة رقمية هما: تعد النجوى Vector وعط مودى Tesselation (شكل ٤) . والنمط الأجهى عبارة عن ترتيب عنصر الظاهرة الجغرافية ل بعد

وحدته تجاه في الفرع مثل خط الكنتور أو خط مجرى المائي أو خط الطريق أو خط حدود . وتسجل هذه الخطوط على شكل سلسلة من نقاط احداثية ، أو بمعنى آخر تقسيم الخط إلى أجزاء طول كل جزء يساوي صفر (نقطة) يمكن تسجيلها باحداثيات . أما النمط الموزايكي فهو عبارة عن نظام يتكون من شبكة من عيون mesh أو شبكة من الخلايا ، وكل خلية عبارة عن وحدة مساحة في الفرع مثل حوض مجرى مائي من الرتبة الأولى أو بلوك من المباني تحدهه الشوارع المحيطة به .

ويمكن تسجيل خطوط الاتجاه أو حدود الخلية بواسطة خطوط المسح الأفقية على شاشة انيروب الكاثود scanner في جهاز الكمبيوتر ، أي يمكن إدخال البيانات بحيث يضيء شعاع الانيروب النقاط الصحيحة على الخطوط لتشكيل الرموز والمنحنيات لإنتاج الخطوط المطلوبة (سواء خطوط اتجاهية أو خطوط حدود الخلية في شبكة الموزيك) ، كما يمكن استخدام الـ light pen الحديث . ونماذج البيانات التي تستخدم النمط الاتجاهي أكثر شيوعاً من نماذج البيانات القائمة على تخطيط شبكة الموزيك ، سواء كانت شبكة من أشكال منتظمة كالترابيع أو المستطيل أو الشكل السداسي ، أو كانت شبكة من أشكال غير منتظمة . كما أن تخطيط شبكة موزيك من مصلعات ذات خطوط منتظمة أكثر استخداماً من تخطيط مصلعات من الخطوط الأخرى (Coxeter, 1973) .

وهناك نمط ثالث لنموذج البيانات المكانية يعكس تطور حديث في المعالجة بالحاسب الآلي يجمع بين النمط الاتجاهي والنمط الموزايكي .

وفيما يلي عرض للخصائص كل من نموذج البيانات الاتجاهي ونموذج البيانات الموزايكي وكيفية العمل بهما في تمثيل البيانات الجغرافية المكانية .

أولاً : نموذج البيانات الاتجاهي Vector data model :

توجد عدة نماذج بيانات من هذا النمط يبرز منها النماذج الأربعة التالية والتي تعتبر أكثر استخداماً ولربما لدى الجغرافيين :

- | | |
|-----------------|-------------------------|
| Spaghetti | ... النموذج غير المنتظم |
| Topologic model | ... النموذج الطبولوجي |

- ٣- النموذج العاكس لوضع المضلعات Polyvert model
٤- نموذج السلاسل المتكودة Chainodes model

١- النموذج غير المنتظم Spaghettl model :

وهو نموذج كارتوجرافي حقيقي وفيه ينظر إلى الخط على أنه أبسط نموذج بيانات اتجاهي للمعلومات الجغرافية أي ترجمة خطية للخريطة . وبين (شكل ٥) أن أي عنصر خطي بالخريطة عبارة عن سجل في الملف الرقمي ، ويعبر كسلسلة من نقط إحداثيات سينية وصادية . وهذا النظام بسيط لأن الخريطة في جوهرها عبارة عن نموذج بياني . ويعتبر ملف الإحداثيات السينية والصادية نظام بيانات data structure . وترجم نموذج الخريطة وهي مستوى بلايمتري أي ذات بعدين في قائمة list أي في نموذج ذي بعد واحد . وهذا يعني أن أي عنصر مكاني على الخريطة : محلات عمرانية ، طرق ، ترع ومصارف ، حدود ، خطوط كتور ، نقط مناسب ... الخ سوف يترجم في قائمة . ويعتبر ملف البيانات الكارتوجرافية الرقمي الذي ينشأ بهذا الأسلوب ملف غير منتظم spaghetti file لأنه يهبط عبارة عن تجميع لسلاسل إحداثيات مكونة بعضها فوق بعض بدون نظام . أما المضلعات المسجلة بهذا الأسلوب فهي عبارة عن سلسلة إحداثيات سينية وصادية مغلقة تحدد حدودها . وبالنسبة للمضلعات مشتركة الحدود فتسجل إحداثيات نقط الضلع المشترك مرتان أي مرة لكل مضلع .

والتنظيم غير المنتظم غير مناسب للتحليل المكاني حيث أن كثير من العلاقات المكانية علاقات حسية أو مشتقة من معادلات رياضية لا يمكن تسجيلها في النموذج بإحداثيات سينية وصادية (على سبيل المثال : كثافة المحلات

العمرانية = $\frac{\text{عدد المحلات العمرانية في الوحدة الإدارية}}{\text{مساحة الوحدة الإدارية}}$ أو معدل التسبيح لحوض

تصريف ما = $\frac{\text{مجموع الترتبات البارزة في أي خط كتور بالحوض}}{\text{طول محيط الحوض}}$ ويمكن

القول أن أوجه النقص في تخزين العلاقات المكانية ونتائجها ليس لها قيمة جوهرية في عملية إعادة إنتاج الخريطة مما يجعل هذا النموذج البسيط مناسباً في التطبيقات

التي تصل بانتاج الاشكال كما تتحرفه بسيطة بمساعدة الحاسب الآلي . ولكن يجب الإشارة إلى وجوب المراجعة البصرية للمخرجات البانية خاصة في عملية تحديث بيانات الخريطة .

٢ - النموذج الطبولوجي Topologic model :

يعتبر تسجيل المعلومات ذات العلاقة بالظاهرة في نموذج بيانات طبولوجي Topologic data model من أبسط الأساليب لحفظ العلاقات المكانية بين عناصر الظاهرة موضع الدراسة ، وبين (شكل ٦) مثال بسيط لهذا النموذج . والعنصر الأساسي في ذلك النموذج عبارة عن خط مستقيم يبدأ أو ينتهي عند نقطة تقاطعه أو التقائه بخط آخر أو عند بداية منحنى فيه . ويسجل كل عنصر خطي مستقل باحداثيات نقطتي البداية والنهاية ، بالإضافة الى تسجيل أسماء أو أرقام المصنعات التي تجاور الخط من جانبيه . ويحفظ هذا الأسلوب كثير من العلاقات المكانية بطريقة واضحة حتى يمكن استخدامها في اغراض التحليل . كما يتيح هذا النموذج تخزين التحديد المكاني للنقط والخطوط والمضلعات بطريقة مختصرة تناسب المضلعات المتجاورة كما هو واضح في (شكل ٦) ، والذي يلاحظ فيه أن كل عنصر خطي خاص بتحديد المضلعات والمعلومات المتألفة لها من الجانبين قد تم تسجيله مرة واحدة فقط بعكس الحال في النموذج غير المنتظم .

وقد ابتكر مكتب احصاءات السكان بالولايات المتحدة الأمريكية U.S. Census Bureau نموذج طبولوجي لترقيم وحفظ خرائط الشوارع للمساعدة في جمع وجدولة بيانات التعداد السكاني عن طريق تجهيز مرجع جغرافي للعناوين باستخدام الحاسب الآلي (U.S. Census, 1969) اطلق عليه اسم نموذج ال GBF/DIME . ويقصد بالمختصر GBF ملف قاعدة بيانات جغرافية Geographic Base File ، وبالمختصر DIME الترميز الخرائطي المزدوج المستقل Dual Independent Map Encoding . وقد ظهرت ملفات ال GBF/DIME في أوائل السبعينات بعد التحسينات التي أدخلت على كود دليل العناوين .

هذا تم تسجيل كل شارع في ملف GBF/DIME على شكل سلسلة عناصر مستقيمة ، وينتهي كل عنصر عند نقطة تقاطع خطين أو عند نقطة تغير

في اتجاه الخط . وقد تكونت عند تلك النقط ونقط نهايات خطوط عقد nodes (شكل ٧) .

ويتضمن تسجيل كل عنصر خطي احصاءات المواقع والبلوكات السكنية المحددة للمضلع (شكل ٨) . ويعتبر هذا النموذج في تلك الحالة تطوير لنموذج البيانات الطوبولوجي البسيط العام . والاختلاف الوحيد هو أن كل عنصر خطي يتم تعيين اتجاهه عن طريق تسجيله من عقدة سفلى Low node الى عقدة عليا high node ، والنتيجة خط ياتي باتجاهي يمكن مراجعته وملاحظة أى عنصر مفقود أو أية أخطاء في الملف يتبع الخط الذي يعين حدود كل بلوك (مضلع) احصاءاً في الملف . ويتم ذلك بالسير حول الخطوط المحددة للمضلع ومطابقة العقدة العليا المحددة لاتجاه الخط بالعقدة الدنيا المحددة للخط المجاور عن طريق الملف . وعند عدم التمكن من العثور على تسجيلات خط ما لإكمال السلسلة حول المضلع فإن الخط إما أنه مفقود أو أن العقدة غير صحيحة .

ويتميز هذا النموذج بأن كل خط يمكن تعيينه مكانياً باستعمال أى من اسماء الشوارع أو نظام الاحداثيات الجهلي (الكارتيزي) أو العالمى (UTM) . ففى بعض الدراسات الجغرافية التطبيقية على المستوى الميكروسكوبي لا يمكن استخدام نظم الاحداثيات المعروفة في التحديد المكاني للظاهرة .

والمشكلة الرئيسية التي تقابلنا في نموذج GBF/DIME هي أن العناصر الخطية لا يمكن تسجيلها في ترتيب مسلسل sequence order ، لذا يجب عند استرجاع نقط احداثيات أى خط القيام ببحث شامل وبصورة متتابعة من خط الى خط داخل الملف . وكذلك لإسترجاع خطوط مضلع ما يجب إجراء بحث شامل يحدد الأضلاع المحددة للمضلع وهذه عملية شاقة .

ويعتبر ملف ال GBF-DIME ملفاً كارتوجرافياً لإنتاج خرائط ال ADICA (Automated Display of Information Coded by Adress) . وقد أمكن إنتاج حوالي ٥٥٠ خريطة تفصيلية بقياس ١ : ١٢٠٠ باستخدام البرنامج الخاص بهذا الملف استعملت كقاعدة بيانات لقياس دقة التسجيل في ملف الاحداثيات ومراجعة نقط نهايات end-points لعناصر الخطية المستقيمة .

٣- النموذج العاكس لوضع المضلعات Polyvert^(*) :

ين من استخدام نموذج البيانات الطبولوجي العام ، ونموذج الـ GBF/DIME المنطور عنه صعوبة استرجاع البيانات لمراجعتها وتصحيحها أو إضافة بيانات حديثة مكتملة ، وقد اتجه الجغرافيون من مسمى نماذج البيانات المكانية ونظمها إلى تطوير نموذج جديد للتغلب على تلك المشكلة . ويعرف هذا النموذج باسم الـ Polyvert الذي يتميز ببساطته ووضوحه وإمكانية تخزين البيانات الاحداثية لكل عنصر خطي يبدأ وينتهي عند عقده node التي هي نقطة تقاطع أو التقاء سلسلتين احداثيتين . وفي هذا النموذج لا تخزن البيانات الاحداثية للعقدة كجزء من سجل سلسلة الاحداثيات ولكن يعطى لها مؤشر (***) (رمز) خاص وتسجل في ملف منفصل خاص بتلك العقدة . وبذلك يمكن استرجاع بيانات أى عنصر خطي عن طريق احداثيات عقدة بدايته المسجلة في ملف العقدة . أما بالنسبة لسلسلة بيانات العناصر الخطية الفردية التي لا تشترك في مضلع واحد فإنها تخزن في ملف المضلعات التي يتضمنها . ويلاحظ أن سجلات السلاسل الفردية تحتوى على نفس الاتجاه البسيط ونفس المعلومات الطبولوجية المستخدمة في نموذج الـ GBF/DIME ، أى تبدأ من عقدة وتنتهى عند عقدة ، وكذلك المعلومات الجغرافية لها من الناحيتين اليمنى واليسرى . وكذلك يشار إلى المساحة الخارجية التي تجاور هذا العنصر الخطي الفردى بالمضلع صفر مثل سلسلة بيانات العنصر الخطي ١٣ في (شكل ٩) .

ويحقق هذا النظام عدد من المزايا في الاسترجاع والمعالجة اليدوية تلخص فيما

يلي :

(أ) يتيح التركيب الهرمي للبيانات استرجاع أى مستوى بيانات بسرعة .

(*) ابتكر هذا النموذج بولكر Peucker وكريمان Christman عام ١٩٧٥ ، واستخدم في معمل جامعة هارفارد في اواخر السبعينات . ويتكلم مصطلح Polyvert من مقطعين Poly وتعنى Polygon أى مضلع ، Vert وتعنى converter التي العاكس لوضع ما .

***) مؤشر عبارة عن عدد لا يشير إلى موقع العنصر الذي يمكن تخزين البيانات فيه أو استرجاعها منه ، يمكن اعتبار أى عنوان بمثابة مؤشر لأنه يشبه إلى موقع عنصر معين . وفي أغلب الأحيان فإن كلفة مؤلف بعض عناوين تخزين السجلات أو قواعد البيانات (سجل آخر لملف (معجم مصطلحات للكمبيوتر)

(ب) أن الملفات الخاصة بالبيانات المتاحة لحدود مضلع ما لا يلزمها إلا تسجيل جزء يسير من بيانات سلاسل الخطوط المحددة للمضلع وبذلك يسهل استرجاعها .

(ج) لا تسترجع الاحداثيات الفعلية للخطوط عند حساب المسافات أو تحديد الانحماحات .

(د) يعتمد عند تسجيل بيانات الخط على عدد المضلعات وليس على تفاصيل حدودها .

(هـ) يسمح الفصل بين بيانات العناصر الخطية وبيانات النقاط العقدية بفعالية أكبر للذاكرة المركزية في الحاسب الآلي . ويعتبر هذا الفصل ميزة رئيسية عند التعامل مع مضلعات ذات حدود معقدة مثل حدود احواض بحارى الرب المختلفة أو حدود حوض التصريف الرئيسى .

(و) يمكن استخدام هذا النموذج في مجالات جغرافية متعددة . إذ يمكن إضافة مستوى بيانات مختلف النوع الى النظام الهرمى لنظام البيانات دون الاخلال بأساس النموذج مثل إضافة عدد آخر من المضلعات . ومن أوضاع الأمثلة على ذلك استخدام هذا النموذج في تمثيل خريطة جمهورية مصر العربية والتي تمثل المستوى الأعلى وحدود المحافظات ثم حدود المراكز وأخيراً حدود النواحي الإدارية في مستويات تالية ، بل ويمكن تعديل أى مستوى وإضافة مستوى جديد عند إنشاء مراكز جديدة أو محافظة جديدة . كما يمكن إضافة حدود الأقاليم الزراعية وحدود الأقاليم الصناعية وحدود الأقاليم السكانية وكذلك الأقاليم التخطيطية .

(ز) يقدم هذا النموذج إمكانية تحيط المضلعات من نفس المستوى داخل الترتيب الهرمى عن طريق إضافة بادئة perfix ، وكذلك ترميز بيانات إضافية للمضلعات ، بل وإضافة عناصر خطية وتعد مستحدثة داخل المضلع .

(ح) يمكن استخدام هذا النموذج في الدراسات الجيومورفولوجية عن طريق ترميز خطوط الحافات . وخطوط تقسيم المياه ، وخطوط البحارى المائية ،

الأودية الجافة وخطوط السواحل وحدود البحيرات كسلاسل خطية . كما يمكن ترميز النعم والممرات والسروج والمنخفضات والبالوعات كنقط عقدية . وكذلك في أعمال المساحة كخطوط شبكات المثلثات والتراتقيرسات ونقط المثلثات وخطوط الميزانيات الشبكية ونقط مناسب أركانها . كما يقدم هذا النموذج مساعدات قيمة في معالجة بيانات ذات بعدين (مساحة) مع بيانات ذات ثلاثة أبعاد (حجمية) .

وإذا كان هذا النموذج يحقق هذه المزايا العديدة فإن له عيوبه ولكنها — في رأي الباحث — لا تقلل بأي حال من إمكاناته في البحث الجغرافي . ويمكن إيضاح تلك العيوب في :

(أ) يؤدي الفصل الطبيعي بين بيانات العناصر المخطوية (بيانات الخطوط وبيانات النقط العقدية) الى الحاجة الى نظام ربط أو نظام مؤشر محكم ، وعادة ما يكون هذا المؤشر عنصر غير يائي non-data ، وتضيف عناصر المؤشر حجم زائد الى النموذج . ولو الواقع لا تستطيع قواعد البيانات databases تحمل هذه الكمية من العناصر غير اليانية لأنها في الأصل تحتوي على عدد كبير من بيانات العناصر الخاصة بالظاهرة موضع الدراسة .

(ب) صعوبة اكتشاف أو تصحيح المؤشرات غير الصحيحة .

٤ — نموذج السلاسل المتكودة Chain codes^{1*} :

تعتبر أساليب السلاسل المتكودة طريقة احداثيات اكثر منها نموذج بيانات ، وهي ترمي الى تحسيس وتطوير امكانيات التحليل ومعالجة البيانات المكانية داخل نماذج البيانات ، ولكن عادة ما ينظر اليها على أنها نموذج بيانات قائم بذاته .

ويعرف أسلوب السلاسل المتكودة بسلاسل فريمان — هوفمان Freeman-Hoffman chain codes (Freeman, 1974) . ويتكون هذا الأسلوب من اختيار كود من صفر الى سبعة لكل ثمانية اتجاهات طولية (شكل ١٠) ، وهذه

*١ السلسلة chain : مجموعة من اليات متصلة بعضها ببعض والتي تربط بعضها ببعض الآخر مؤشر منحرفة في كل جزء من اليات . (معجم مصطلحات الكمبيوتر) .

الإتجاهات هي الإتجاهات الأفقية والفرعية المعروفة . وعند استخدام هذا الشكل لتكويد بيانات عنصر خطى على شبكة وحدة معطية فإنها تخرج في شكل رقمى مندرج . وكما يظهر في (شكل ١٠) فإن بيانات الأحداث لسى الصادى (X.Y) لنقطة بداية العنصر الخطى هي التى تسجل فقط . وتقدم هذه الطريقة تبسيط يميز لرسم البيانات الإتجاهية المجرى مائى أو شبكة طرق .

ويمكن تحديد المواضع الطبولوجية المختلفة مثل نقط تقاطع الخطوط أو نقط التقاء أو تفرع المجرى الثانية من خلال استخدام تتابع كودى معين يصنع في نفس الوقت في تحديد طريقة ترميز النظام ، وبذلك تتفى الحاجة الى كود آخر خاص بالخطوط المنتظمة والظواهر المجاورة لها . وهناك شكلان لهذا النظام الكودى :

الشكل الأول :

يستخدم ٤ أو ٨ أو ١٦ أو ٣٢ اتجاه ترميزى لشبكة المربعات (Freeman, 1979) . يسمح نظام ترميز الإتجاهات الأربعة بتسجيل كل كود في حقلين ، ويكفى هذا في تمثيل بيانات الخطوط المتعامدة على بعضها مثل خطوط التصريف في نظام التصريف المتشابك أو عند تمثيل مدينة ذات خطة شعرنجية أو بعض العمليات المساحية كشبكة مربعات الميزانية الشبكية . أما نظم ترميز الإتجاهات الستة عشر والأثنتان والثلاثون فإنها تلائم المنحنيات والخطوط ذات الإتجاه العشوائى مثل خطوط التصريف في نظام شجرى أو نظام حلقى ، إذ تسمح هذه الطريقة بتقسيم خط المجرى إلى خطوط قصيرة يمكن تحديد اتجاهها التقريبى بدقة مقبولة من خلال تلك الإتجاهات (شكل ١١) .

والشكل الثانى :

هو سلاسل خطوط المسح المكوّده Raster chain codes أو كما تسمى "RC code" . وقد توصل إلى هذا الأسلوب سدادج عام ١٩٧٩ (Cederberg, 1979) . وهي نمط من خطوط المسح الأفضية عن شاشة الحاسب الآلى من خلال التوبة أشعة الكائنات ، حيث نجعل معطيات الإدخال لتتابع الأنيوب يضىء المقط الصالحة على خطوط المسح الشبكية الشبكية . فخلود الإتجاهات المتعددة

ويستخدم هذا النظام نصف عدد الاتجاهات التيزية القياسية ، فالإتجاه الغربى هو نفس الوقت مقنوب لإتجاه لشرق ، والاتجاه الشمالى الغربى مقنوب للاتجاه الجوى الشرق وهكذا (شكل ١٢) . وقد صمم هذا النظام لمعالجة خط المسح فى نظام الـ raster لأنتاج سق بيانات إتجاهية على شكل سلاسل متكودة بحيث يه ترتيب الخطوط من أعلى الى أسفل ومن اليسار إلى اليمين ، بحيث لا تقابل إتجاهات عائدة back wards vectors . وبذلك فإننا لا محتاج إلا الى نصف عدد لإتجاهات الثانية القياسية أى أربعة إتجاهات فقط . وهذه الطريقة فى الواقع ما هى إلا عملية قلب flipping أو عكس reversing لسلاسل فريمان — هوفمان لاجزاء مختارة من العناصر الخطية . أما بالنسبة للمضلععات المقنولة فإن اختيار لأجرء التى سوف تعكس تعتمد على الخط العمودى الذى يصف المضلع بحيث تكون مجموعة قيم التقط الموجية على يمين الخط مساوية لمجموع قيم التقط السالبة على يساره (Chakravarty, 1974) . وتستخدم تلك الطريقة فى شبكة الاشكال لعدسية أكثر من استخدامها فى شبكات المربعات (Scholton & Wilson, 1983) .

وتتميز اسلوب السلاسل المتكودة بما يلى :

- (أ) إمكانية دمج نماذج السلاسل المتكودة فى نماذج أخرى للحصول على مزيا كل منهما .
- (ب) يعتبر الكود الإتجاهى أكثر كفاءة من الأحداثيات الكاريزية خاصة عند استخدامه فى النموذج غير المنتظم ، لأن طريقة توقيع أى إتجاه هى الرسم عن طريق عناصر خطية قصيرة متتابعة باستخدام ثمانية إتجاهات أو نصفها .
- (ج) يعتبر الكود الإتجاهى أكثر ملائمة لعمليات القياس وتحليل لإشكال .
- (د) لا نتاج المخرجات البينائية الناتجة عن هذا الاسلوب الى ترجمة أحداثية للقط (X.Y) .

أما عيب الرئيسى لنماذج السلاسل المتكودة فهو عدم كفاءتها فى عمليات حساب انعكاس الخطوط reflection ودورانها حول نقطة rotation ، كما أنها

تحتفظ بالعلاقات المكانية ولا يمكن استرجاعها بسهولة . بالإضافة إلى أنها تحتاج ملف سلسالي chained file يتم فيه ربط كل السجلات في معلم ما بمؤشر موجود في كل سجل ، وتؤمن تلك السجلات استرجاعاً أسرع من الملفات المتعاقبة لكنها تتطلب حيز تخزين كبير للمؤشرات وللفهرس .

ثانياً : نموذج البيانات الموزيكي Tesselation model :

تمثل نماذج الموزيك أو نماذج شبكة المضعات أسلوب التجهيز مزدوج ، إذ يعتبر المضلع خلية يسجل بها البيانات المكانية في نماذج اتجاهية ، ومن هنا جاءت صفة الأزدواجية . وينظر إلى المضلع باعتباره وحدة بيانات أساسية Basic data unit . وهناك عدة نماذج موزيكية تصلح لمعالجة البيانات الجغرافية المكانية .

١- نماذج موزيك شبكة الاحداثيات والمضعات المنظمة الأخرى :

Grid & other regular tessellations:

تستخدم هذه النماذج اشكال المربعات والمثلثات والسداسيات كأساس لنماذج البيانات الموزيكية (شكل ١٣) . ويتميز كل شكل من تلك الأشكال بخصائص وظيفية تختلف عن الآخر تبعاً للاختلافات الهندسية بينها . (Ahuja, 1983) .

وتأتي شبكة المربعات الاحداثية في المركز الأول من حيث الاستخدام لتوافقها مع بناء نظم البيانات في برامج لغة الفورتران Fortran programming language ، بالإضافة إلى ملائمتها لكثير من أجهزة الحاسب الآلي التي تقوم بحزن البيانات المكانية وإخراجها . وكذلك قابليتها لمزج عدة لغات حاسوبية في برنامج واحد مما يسهل عملية البرمجة بصفة عامة .

وفي المحاولات الأولى لإنشاء الخرائط بالحاسب الآلي أدت لطباعة السطرية line printer هي الأداة المتاحة لتمثيل المخرجات البيانية graphic output . (Tobler, 1959) وكان ينظر إلى كل نقطة احداثية (رمزية) على العنصر الخطي على أنها خلية cell في شبكة مربعات . وعلى الرغم من الإضافات التكميلية التي جاءت بعد ذلك إلا أنها لم تغير من هذا النظام ، إذ كان الهدف من تلك

لأصوات زيادة سعة الحزن وزيادة سرعه الاسترجاع حتى يمكن التعامل مع بيانات كبيرة الحجم . بالإضافة إلى تحسين انفراجات البيانات باستخدام الحاسبات الخطية raster scanners والمزققات digitizing devices ، وإحلال ثيوب أشعة الكاثود CRT* محل الطابعة السطرية . كما أن أجهزة الاستشعار من بعد مثل Landsat Mss تعالج البيانات في نظام شبكة إحداثيات (Peuquet & Boyle, 1984) . وقد تولد من كمية البيانات الضخمة لجمعية باسنوب شبكة الإحداثيات الموجهة وأجهزة إدخال البيانات قصوراً ذاتياً محدوداً تجاه تناول تلك البيانات - هذا الأسلوب .

وتتميز الأشكال السداسية المنتظمة بتساوي المسافة بين مركز الخلية والخللايا المجاورة لها ، وكذلك تساوي المسافات بين المركز والنقط المحددة لمحيط الخلية . بالإضافة إلى التناسق الأشعاعي من مركز الخلية مما يجعل البحث عن البيانات الأحداثية واسترجاعها أكثر سهولة . بعكس الحال بالنسبة للمربع فإن المسافات بين نقطة المركز ونقط المحيط غير متساوية .

أما الأشكال المثلثية سواء كانت منتظمة أو غير منتظمة فتتميز بأنها حرة التوجيه مما يجعل عملية ربط الخلية المثلثية بخلايا مجاورة من نفس الشكل أو من أشكال أخرى رباعية أو سداسية عملية سهلة . ويعتبر الشكل المثلثي مناسباً لتمثيل البيانات الجيومورفولوجية الخاصة بدراسة خصائص شكل سطح الأرض . إذ تستخدم رؤوس المثلث في تعيين المنسوب (شكل 15) أي قيمة الأعدائ Z ، كما أن الأضلاع تستخدم في تسجيل بيانات اتجاه المنحدر وقيمه . ويعتبر موزيك المثلثات غير المنتظمة (غير متساوية الأضلاع وغير متساوية الزوايا) أكثر شيوعاً ل نماذج بيانات الدراسات الجيومورفولوجية من المثلثات المنتظمة ، لأن بيانات الأشكال الجيومورفولوجية عادة لا تجمع في شبكة عينات منتظمة . ويفضل استخدام موزيك المثلثات المنتظمة في تسجيل البيانات الخاصة بإنشاء الخريطة الكنتورية لأنه أكثر سهولة وملاءمة لطبيعة بيانات نقط المناسب خاصة في الميزانيات الشبكية (Bengtsson & Nordbeck, 1964) . وعند تطبيق معيار الكفاءة

* أشعة الكاثود عبارة عن شاشة نشبه التليفزيون لمشاهدة بيانات عليها ، وهي تعرض عادة من 24-25 سطرًا من البيانات . ويخوى كل سطر على ما يتراوح بين 60-80 بيترًا

على نظم البيانات المصممة لاستخدام شبكة المربعات الاحداثية والمعدة لحساب الخصائص المكانية للظاهرة مثل المساحة ، المركزة ، الشكل ، نلاحظ امكانية تعديلها لاستخدامها في نظم شبكات المثلثات والسداسيات (Ahuja, 1983) .

٢- نماذج الموزيك المتداخل Nested tessellation models

عندما يكون لدى الباحث الجغرافي كمية من البيانات فإنه يسجلها من ملف بيانات أو عدة ملفات ويخزنها على اسطوانة ويخصص لكل ملف مسار track من مساراتها . ولكن عندما يكون لديه كم هائل من البيانات مسجله في عدد كبير من الملفات لا يمكن تخزينها على اسطوانة واحدة حتى لو كانت من نوع الاسطوانات ذات سعة التخزين العالية جدا مثل الاسطوانة الثابتة fixed disk ، لأن ذلك يحتاج إلى تخصيص عدد من المسارات مساو لعدد تلك الملفات . ويرتب على هذا هبوط في كفاءة البحث عن ملف ما ضمن هذا الكم الكبير من الملفات ، ومن هنا جاءت فكرة نماذج الموزيك المتداخل .

ويمكن تقسيم موزيك شبكة المربعات الاحداثية وموزيك شبكة الاشكال المتضبة الى المستوى البلايمتري الى خلايا أصغر لها نفس الشكل (شكل ١٤) . ولكن هناك فروقا أساسية عند تقسيم كل من المربع والمثلث والسداسي . إذ يمكن تقسيم المربع الواحد الى مربعات أصغر لها نفس الشكل ونفس التوجيه . وكذلك يمكن تقسيم المثلثات الى مثلثات أصغر لها نفس الشكل ولكن ليس لها نفس التوجيه . بينما لا يمكن تقسيم الشكل السداسي إلى أشكال سداسية أصغر ، ولكن يمكن تقسيمه إلى شكل ورده سداسية مستنة الأحرف وهي شكل تقريبي للشكل السداسي الأساسي (شكل ١٣) .

وتتميز هذا الموزيك المقسم كنموذج ونظام للبيانات المكانية بعدة مميزات تجعله مقبولا لدى الباحثين الجغرافيين ولدى المستخدمين بالحاسب الآلي . ويتلخص هذا النظام — بداية — في تقسيم مساحة الاسطوانة الثابتة إلى مجموعات متشعبة ومتصلة ببعضها البعض بواسطة أذرع حتى يسهل التحرك والانتقال من خلالها . ولكل مجموعة من تلك المجموعات فهرس يصف ما تحويه من ملفات وبيانات ، ومن خلال هذا الفهرس يتم التعامل مع تلك المجموعة . ويطلق على الأذرع التي تربط المجموعة اسم المسارات path ، ويسمى هذا الهيكل العام لتنظيم البيانات

بالنظام الشجرى Tree System أو نظام شجرة الملفات . ويعتبر نموذج الشجرة الرباعية Quadtree الذى يقوم على تقسيم شبكة المربعات الاحداثية الى شبكة مربعات أصغر أكثر انماذج استخداما (شكل ١٦) . ذلك لأنه يتناسب مع كمية البيانات الضخمة عند دراسة الظواهر الجغرافية ، بالإضافة الى المزايا القياسية الأخرى لنماذج الموزيك . ويتضح ذلك فى :

(أ) ينتج عن التقسيم الفرعى للمربع بنية شجرية رباعية متوازنة ومنظمة . ويعتبر هذا التقسيم فى حد ذاته نموذج بيانات هرمى ، حيث كل عقدة فى مركز المربع لها أربعة أفرع مما يسهل عملية تخزين البيانات وعملية البحث عن أى بيان لاسترجاعه ، إذ يعطى لكل عقدة عنوان مميز ، وتحفظ تلك العناوين فى ملف خاص بالعقد .

(ب) من وجهة النظر الكارتوجرافية فإن هذه الأشكال الناجمة عن تقسيم الشكل الأصل ذات مقاييس أو رتب مختلفة تقوم على أساس متوالية هندسية تتقدم بقوة ٤ (١-٤-١٦-٦٤-٢٥٦-١٠٢٤) وتتسق مع نظام الاحداثيات الكارتيزية . ويترتب على تغيرات المستوى فى هذا النظام ضرورة اتباع اسلوب تخزين مناسب وسهل حتى يمكن استرجاع بيانات مخزونة من مستوى قاعدة الشجرة حتى مستوى قممها . ويسر نظام ملفات العقد عملية الاسترجاع هذه ، ومن هنا جاءت الميزة المذكورة من قبل . كما يمكن استخدام بيانات مخزنة فى مستويات ومن رتب مختلفة عند تقسيم المربع الصغير الى أربعة مربعات أصغر ، وهذا الأصغر يمكن تقسيمه الى أربعة أقسام وهكذا ، ولكن ذلك يحتاج الى نظام ملفات ضخمة ودقيق تبعاً لحجم التخزين .

(ج) يقدم هذا النظام الشجرى تسهيلات ملموسة فى عملية التخزين وعمليات العرض خاصة إذا كانت الظاهرة الجغرافية موضع الدراسة يتطابق شكلها أو طبيعتها الى حد ما مع فكرة هذا النموذج . كما يتلاءم هذا النموذج الشجرى مع استخدام قواعد بيانات ضخمة .

والميزتان الأولى والثالثة تتعلقان أيضا بنمطى الموزيك المتداخل الآخرين :

الشكل المثلثي والشكل السداسي مع الأخذ في الاعتبار أن المضلع السداسي يقسم إلى سبعة اجزاء بدلاً من أربعة .

وقد اكتسب مصطلح الشجرة الرباعية Quadtree معنى أصوليا خاص بتحديد المستويات أو الرتب الداخلية لنظام البيانات الهرسي الذي يقوم على فكرة التقسيم المتتابع . وأول من وصف نظام الشجرة الرباعية Klinger عام ١٩٧١ في بحثه « نماذج البيانات المكابية » (Klinger, 1971) . (Klinger & Dyer 1976) واطلق عليه اسم Q-tree . كما استخدم هذا النظام كل من فينكل Finkel وبتلي Bentley عام ١٩٧٤ عند تقسيمهما لتمستطيل تقسيماً رباعياً يقوم على اختيار نقطة معينة يبدأ منها التقسيم وليس على أساس تقسيم رباعي منتظم للمستطيل (شكل ١٧) . وعلى الرغم من أن هذا النموذج اطلق عليه صاحبه اسم Q-tree أيضاً إلا أنه عرف فيما بعد باسم نموذج نقطة التقسيم الرباعي Point Quadtree تفادى الخلط بينه وبين نموذج الشجرة الرباعية الأصلي (Finkel & Bentley, 1974) . ويعتبر هذا النموذج من وجهة نظر الباحثين عدداً خاصاً لشجرة بحث ثنائية الأبعاد (Knuth, 1975) . أما هنتر Hunter فكان أول من استخدم للمصطلح بصورته الحالية Quadtree (Hunter, 1978) .

ونموذج بيانات الشجرة الرباعية يرتبط بالشكل الهرسي ، والمهم ببساطة عبارة عن تراكب أسى متناقص لمصفوفات منفصلة ، وطول كل مصفوفة $\frac{1}{4}$ طول المصفوفة السابقة لها ، ولا يوجد ربط بين مستوى مصفوفة ما ومستوى المصفوفة التي تعلوها . ويتيح هذا النظام اكتشاف وتحديد أى مصفوفة لا تقوم على التقسيم بقوى ٤ عند المراجعة .

وفيما يلي مناقشة موجزة للأشكال المختلفة لنظام بيانات الشجرة الرباعية .

(أ) شكل الـ Area Quadtree : يمكن من مفهوم الشجرة الرباعية ونظام العد العشري المرتبط به إلى البيانات ذات الطبيعة المكانية . وأفضل مثال لهذا النوع من نظم البيانات نظام الشجرة الثمانية Oct tree (ذات الثمانية أفرع) ، أنه في بعض الأحيان بالشجرة الرباعية ذات الأبعاد الثلاثة «الشجرة الرباعية» يوجد عدداً على رتب (مستويات) مختلفة من البيانات في المستوى الثلاثي ، وهذا

تحسينها بيانات خاصة بالبعد الثالث مثل المنسوب أو العمق أو حمليها بيانات خاصة بالأحسام أو خصائص الشكل في الفراغ ينتج عنها غابة forest من الأشجار الرباعية . ونوقع أن هذا النظام نراه في قاعدة البيانات الاحداثية gridded database التي تحمل احداثيات سينية وصادية واحداثيات البعد الثالث (Reddy & Rubin, 1978) ، (Jacking & Tanimoto, 1980) ، (Jackins & Tanimoto, 1983) .

ويمكن تقسيم المضلع السداسي الى شجرة سباعية Septree (ذات سبعة أفرع) ، ولا ذكرنا من قبل أن الشكل السداسي لا يمكن تقسيمه الى أشكال سداسية أصغر ، ولكن يمكن تقسيمه الى شكل ورده سداسية منه . وهذا يستدعي أن يكون الشكل السداسي الأصغر الداخل الذي يقوم على أساسه التقسيم مسبق التحديد . ويعنى ذلك أن المستوى الأعلى من البيانات والذي ينتج من تجميع أشكال سداسية أصغر سيكون على شكل سداسي تقريبي (شكل ١٤) . وقد قام جيبسون Gibson ولوكاس Lucas عام ١٩٨٢ بتطوير نظام حساب خاص بالشجرة السباعية يقوم على خاصية التناسق الاشعاعي للمضلع السداسي . وتقوم عمليات تنفيذ هذا النظام على اختيار سبعة عناوين ، ولكل مجموعة فرع عنوان address أو اسم خاص بها بشرط أن يكون هذا العنوان مناسب لما يحتويه الفرع من ملفات^(*) . ويسمى هذا النظام GBT اختصار لـ Generalized Balanced Ternary (شكل ١٨) . ويمكن تسجيل ملفات بيانات الاتجاه والمسافات والبيانات الأخرى على عناوين الـ GBT مباشرة .

ويعتبر تقسيم المضلعات مثلثية الشكل نوع آخر من أنواع الشجرة الرباعية ، ويسمى بالشجرة المثلثية triangular quadtree حيث يقسم المثلث الى ثلاثة مثلثات أصغر بحيث ينتج في النهاية شجرة ذات ثلاثة أفرع . ويحتفظ هذا النظام بكل مزايا ومساوىء الموزيك المثلثي المنتظم بالإضافة إلى المزايا المرتبطة بالبنية الهرمية . وعلى الرغم من أن نظام العنوان المؤشر مناظر لنفس نظم العناوين الشبكية

(*) على سبيل المثال يمكن اعطاء عنوان (CAD) لملفات مائات تصحيح الرسع الجانية والخرائط ، وعنوان (db 3 PLUS) لملفات قاعدة البيانات رقم ٣ ، وعنوان (WP) لملفات بيانات معالجة النصوص وهكذا .

في مصنوعات المربع والسدس ، إلا أنه يسمح بالترجع بيانات ملفات عشوائية بصورة أسرع .

وهكذا نرى بصفة عامة أن معظم مبادئ وعظم البيانات المتطورة عن نمط الشجرة الرباعية المرتبط بنظام تعد العشري قد قامت على نظام التخزين الشجري وعنوان فهرس الملفات الذي يعتبر كمؤشر لسهول عميقة لاسترجاع . ولكن يشترط بصفة أساسية أن تنظم البيانات في ملفات في شكل قائمة list .

(ب) نموذج نقطة التقسيم الرباعي Point Quadtree : يقوم هذا النموذج على اختيار نقط بيانات أساسية تقسم منها المنطقة إلى أربعة أقسام حول كل نقطة (شكل ١٧) ، وينتج عن هذا نظام شجرة من الدرجة الرابعة . وليس من الضروري أن تحتل هذه النقط مراكز المربعات أو المثلثات . لذا كان تنظيم البيانات في الشجرة يتم على أساس الموقع النسبي للنقط المختارة ، فإن هذا يعكس على عملية الاسترجاع فتصبح أسرع ، كما أن العنصرات لحماية الخاصة بالعلاقات بين العناصر المتجاورة تتم بسهولة .

ويجب هذا النموذج أن نظام شجرة البيانات يعتمد إلى حد كبير على كفاءة التوزيع النسبي للنقط المختارة ، وبالتالي يمكن إضافة نقط جديدة أو إزالة نقط كانت موجودة عند تنفيذ نظام البيانات . كما يؤدي سوء توزيع النقط إلى امتداد بعض فروع الشجرة لمسافات بعيدة دون بقية الفروع مما يجعل الشجرة غير متوازنة .

وقد طور Bentley عام ١٩٧٥ هذا النموذج لتفادي ضخامة الفروع عن طريق تقسيم المنطقة حول نقط البيانات المختارة إلى قسمين بدلاً من أربعة ، ونتج عن هذا الأسلوب شجرة من الدرجة الثانية (شكل ١٩) (Bentley, 1975) . وتطور محور التقسيم حول احدائيات النقط المختارة في المستويات المختلفة في الشجرة ، بحيث يقسم المحور السيني إلى أقسام متساوية ، والمحور الصادي إلى أقسام غير متساوية حسب طبيعة البيانات المراد إدخالها في النظام . وهكذا نرى أن الأسلوب الثاني ليشتمل يمكن التحكم فيه على الأقل في اتجاه المحور السيني لمسافات يحددها الباحث نفسه ، وبالتالي استطاعة الفرع ينحصر في اتجاهات المحور الصادي .

وهذا على العكس من النموذج الرباعي الأصل الذى يمكن أن تذهب فيه الفروع الأربعة كلها لمسافات بعيدة داخل نظام البيانات .

٣- الموزيك غير المنتظم Irregular tessellation :

هناك اشكال عديدة لشبكة الموزيك غير المنتظم يبرز منها اشكال المربع والمثلث وخلاها الاشكال الرباعية . والميزة الاساسية لهذا النمط من الموزيك تمثل ل إمكانية استبعاد البيانات الزائدة عن الحاجة أو التخلص من بعض البيانات المتوفرة لتيسر عملية التحليل . كما يقدم إمكانية تشكيل شبكة تتوافق مع شكل التوزيع المساحى للبيانات . ومعنى آخر أن هذا النموذج يعتبر بمثابة مشروع يمكن تعديله من حين لآخر اثناء القيام بالتحليل تبعاً لإدراك الباحث لحجم الظاهرة وتوزيعها وكثافتها ، ومن ثم يعطط المضلعات المناسبة لها . إذ يمكن تخليط خلاها المضلعات بحيث تعكس كثافة البيانات داخل كل خلية باعتبار أن الخلية ما هي إلا حاوية تحمل عدد مرات ظهور البيانات . وعلى ذلك يمكن أن تكون الخلية ذات مساحة اكبر لتعكس مدى تعذر الظاهرة أو ذات مساحة صغيرة عندما تكون البيانات كثيفة . أى أن حجم وشكل وتوجيه الخلايا انعكاساً لحجم وشكل وتوجيه عناصر البيانات نفسها . كما أن هذا النموذج يتيح عرض نتائج التحليل بصورة مرئية ، ومن هنا جاءت الفرض امام الباحث ليغير ويعدل من شكل الشبكة دون التقييد بشكل هندسى منتظم .

وتعتبر شبكة المنشآت غير المنتظمة والتي تعرف باسم TIN (Triangulated Irregular Network) وتسمى احياناً باسم Delunay Triangles اكثر استخداماً من غيرها كنموذج بيانات جغرافية مكانية ، خاصة ل تمثيل بيانات سطح الأرض وتحليل الاشكال الجيومورفولوجية وتظليل التضاريس والدراسات الهيدرولوجية ، إذ يمكن اعتبار رؤوس المثلثات كنقط مناسب تحدد قيمتها (شكل ٢٠) . وذلك لما لى :

(أ) تجنب مشكلة نقطة السرج saddle point problem المعروفة والتي تظهر عند انشاء خطوط الكنتور عن طريق موازنة شبكة رباعية الأضلاع ، أو عند انشاء أى خطوط تساوى .

(ب) تيسر حساب قيم المنحدر المنحدرات والقياسات الأخرى الخاصة بشكل سطح الأرض ، وكذلك معدل التغير في الظاهرة على امتداد أضلاع المثلث .

(ج) تتيح توزيع النقط توزيعها يرتبط بموضوع البحث وتسجيل البيانات الخاصة بكل نقطة ، مثل نقط محطات قياس التصريف النهري على مجارى شبكة تصريف ، أو نقط محطات رصد العناصر الجوية خاصة سقوط الأمطار داخل حوض التصريف ، أو عدد مرات حدوث العاصفة الرعدية عند محطات معينة لأمكان التنبؤ بوقوع سيون مدمرة في المناطق الجافة وشبه الجافة .

وتواجه شبكة الـ TIN مشكلة رئيسية تتمثل في إمكانية انشاء شبكة مثلثات يختلف شكلها من باحث لآخر لنفس مجموع النقط . بالإضافة الى ان هناك طرقاً مختلفة لحسابات التمثيل التي قد تتطلب وقتاً أطول بكثير من الوقت اللازم للتعامل مع مجموعة نقط موزعة توزيعاً منتظماً .

وهناك شكل آخر من اشكال الموزيك غير المنتظم يعرف بمضلعات Thiessen وقد ابتكرها الأستاذ Thiessen, A.H. عام 1911 عند دراسته لكمية الأمطار الساقطة على أحواض التصريف الواسعة ولذلك سميت باسمه . ويتم تخطيط تلك المضلعات على أساس المثلثات غير المنتظمة (شكل ٢١) . وقد استخدمت شبكة هذا النوع من المضلعات لبناء نظم بيانات خاصة بالجغرافيا الاقتصادية . إذ يتم تخطيط الشبكة على أساس تحديد وزد كل نقطة ، أى قوة كل نقطة كى تؤثر في المنطقة المحيطة بها . وقد استخدم Boots عام 1979 هذا الأسلوب بنجاح في دراسته لجغرافية التصريف ومشكلة اختيار مواقع الاسواق .

وعلى أى حال ، يرى الباحث أن شبكة الموزيك غير المنتظم لا تتناسب مع معالجة البيانات الجغرافية المكانية بصفة عامة ، ولذلك تعدد أشكالها والشكل الذى يتناسب مع بيانات معينة لا يتناسب مع أخرى . كما أن تشكيل الشبكة عملية معقدة وتستغرق وقتاً طويلاً ، إلا أنها مناسبة تماماً للدراسات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية وتطبيقاتها .

٤- نموذج خط المسح Scan-line model :

يعتبر هذا النموذج حالة خاصة في نظم شبكات خلايا المربعات . ويمثل الاختلاف الرئيسى بينه وبين تلك النظم ل أن خلاياه تنظم في صفوف متلاصقة — غير مسطح البيانات — في اتجاه المحور السيني ، ولا ترتبط ببعضها برابط منطقي في اتجاه المحور الصادي . وهذا يعنى أن الخلية بمفهومها الدقيق غير موجودة في هذا النظام الذى يسمى أحيانا بنموذج خطوط المسح raster . ويرجع ذلك الى طبيعة طريقة تكوين خطوط المسح التى تأخذ اتجاهها واحداً من اليسار الى اليمين . ويستخدم هذا الأسلوب عدد من أجهزة الترميز مثل جهاز scitex drum scanner .

وعلى الرغم من أن هذا النموذج أكثر إحكاما من شبكة الاحداثيات ، كما لا يترتب عليه اعباء اجراء عمليات حماية ، إلا أن به عدة قيود تواجه عملية بناء نظامه . يأتي في مقدمتها عدم توافر الشرط الخامس من الشروط الواجب توافرها عند إعداد نظام بيانات وهو شرط ال versatility أى سهولة تحويل نموذج البيانات من نظام الى آخر . اذ تحتاج معالجة البيانات الخاصة بالعلاقات بين العناصر المتجاورة الى تحويلها لشبكة مربعات احداثية أولاً . وعلى ذلك فإن هذا النموذج غير شائع الاستخدام .

٥- نموذج خطوط بينو Peano scans :

ينسب اسم هذا النموذج الى عالم الرياضيات Giuseppe Peano الذى اكتشف عام ١٨٩٠ المفهوم الهندسى للمنحنى . فالمنحنى عبارة عن مسار خلال فراغ له أى عدد من الأبعاد (ن بعد) في اتجاه ما . ومن وجهة نظر الحاسب الآلى فإن هذا المفهوم يحقق الترابط المكافئ لخط المسح الذى يتشكل في بعد واحد (خط المسح يكون في اتجاه واحد على شاشة انبوب الكاثود من اليسار الى اليمين) . كما أن هذا المفهوم يسمح بالانتقال من خط مسح الى آخر في نفس المستوى أو في أى مستوى من مستويات الفراغ . ولذلك تسمى منحنيات بينو Peano Curves منحنيات حشو الفراغ space-filling curves . وبين (شكل ٢٢ أ) مثال لمنحنى بنو بسيط ل بعدين . وكل تعبير في الاتجاه يأخذ مسار الزاوية القائمة .

كما بين (شكل ٢٢ ب) منحنى بينو في ثلاثة أبعاد يتم فيه الانتقال من مسار في المستوى الأفقى الى مسار في المستوى الرأسى في زاوية قائمة .

وتتميز خطوط بينو بعدة خصائص تفيد في معالجة البيانات الجغرافية المكانية هي :

(أ) يمر المنحنى بكل نقطة بيانات في فراغ القاعدة dataspac مرة واحدة فقط أبا كان موقع هذه النقطة وفي أى مستوى .

(ب) أن نقط البيانات القريبة من بعضها البعض في الفراغ قريبة لبعضهما البعض في المنحنى والعكس صحيح .

(ج) يقوم المنحنى بتعديل نفسه كى يتوافق مع البيانات الخاصة به ومع أية عدد من الأبعاد في الفراغ .

ويعتبر الفهرس المساحى في نظام المعلومات الجغرافية الكندى CGIS (Canada Geographic Information System) أول تطبيق عملي لخطوط بينو

المسحية كنموذج بيانات جغرافى (Tomlinson, 1973) . إذ قسمت البيانات المساحية الاحداثية في قاعدة بيانات هذا الفهرس الى وحدات هيكلية unit

frames يتلامس حجمها مع عمليات المعالجة والاسترجاع . ولكل إطار هيكل في النظام رقم شفرى معين يبدأ من نقطة أصل النظام الاحداثى الخاص به . وقد

تناهت تلك الوحدات في نظام ينتشر على شكل العلامة  (شكل ٢٣) اطلق عليه اسم نظام مصفوفة مورتون Morton matrix على اسم مصممها

(Morton, 1966) . وفي نموذج خطوط مسح بينو تغير ترتيب الوحدات الى شكل حرف Z (شكل ٢٤) . وقد استخدم مخطط الفهرس المكانية طريقة

العنوان (مؤشر) كفاصل بين الوحدات المتجاورة في ملف الأرقام ، يعمل على زيادة سرعة الاسترجاع خاصة في المناطق المحدودة . ويمكن توظيف تلك العناوين

في فصل التمثيل الثنائى للاحداثيات الجغرافية السينية والصادية (شكل ٢٥) .

وبلاحظ عند فحص خطوط بينو انها تتشابه مع نظام الشجرة الرباعية فيما عدا انها تأخذ ترتيب شكل حرف Z . ولكن يجب ملاحظة أن مخطط عناوين الشجرة الرباعية يختلف عن مخطط عناوين مصفوفة مورتون على أساس أن

المصفوفة يمكن التعرف على مستوياتها من ملف العناوين مباشرة ، بينما لا يمكن تحديد مستوى نظام الشجرة الرباعية من كود العناوين إلا باستخدام كود إضافي . وقد استطاع كل من Smith ، Adel ابتكار مخطط يتطابق فيه ارقام العناوين مع مستويات نموذج الشجرة الرباعية (شكل ٢٦) .

ومن مميزات منحنيات بينوف المجال التكنولوجي لأجهزة الحاسب الآلي انها تساعد لعمليات الترميز وحفظ البيانات في النطاق الفراغي والطيفي وعرض الصورة في المجال متعدد الأطياف . ذلك لأن التقنيات الحديثة في معالجة وتحليل البيانات المصورة تم داخل انبوب واحد فقط (انبوبة أشعة الكاثود) أى ذى طبيعة خطية ، ومنحنيات بينو تسمح باختزال البيانات متعددة الأبعاد داخل بعد واحد ، كما تسمح بالحفاظ على كثير من العلاقات المكانية داخل خطوط المسح ذات البعد الواحد .

تقييم عام ...

من العرض السابق لنماذج ونظم البيانات الجغرافية المكانية الثلاثة السابقة الخريطة والنموذج الاتجاهي والنموذج المونوكي يمكن أن نتلمس بعض من المزايا والعيوب تتصل بالنموذج ذاته . ونموذج الخريطة يمكن التغلب على عيوبه باستحداثها بصورة دورية والبحث عن تقنيات تيسر عملية سلخ كل ظاهرة منها على لوحة مستقلة ليسهل التعامل معها دون الاعتماد على عملية الرسم البنوي .

ونماذج البيانات الاتجاهية ما هي إلا ترجمة رقمية مباشرة للخطوط والعلامات على الخريطة ، وهذا يعنى أن العمليات الحاسوبية الخاصة بهذه النماذج هي ايضا ترجمة مباشرة للعمليات الحاسوبية البنوية التقليدية ، وبالتالي يعتمد نجاح الباحث في تناول تلك النماذج على خبرته الشخصية في إجراء عمليات حاسوبية . والعيوب الرئيسية في نماذج البيانات الاتجاهية تتمثل في ضرورة تسجيل وحساب العلاقات المكانية بوضوح . ولما كان هناك عدد لا نهائى من العلاقات المكانية المحتملة فإنه يجب وضع إطار للأولويات الخاصة باختيار العلاقات الضرورية اللازمة فقط التحليل .

وعلى العكس من ذلك فإن العلاقات المكانية هي الأساس التي انشقت عليها نماذج البيانات الموزيكية . وتجاهد التقنيات الحديثة في تطوير زيادة سرعة وحدات الإدخال ووحدات الإخراج في معالجة البيانات الجغرافية بصفة عامة (عناصر وعلاقات) ، ويتفق هذا مع نماذج الأحداث وخسوط المسح . وبموجب تلك النماذج أنها غير مندمجة ، بمعنى أنها تستطيع تخزين ومعالجة كمية ضخمة من البيانات ، ولكن يتأتى ذلك عن طريق عدد كبير من الأسطوانات . ويمكن تقادى هذا العيب باستخدام واستحداث نوعيات من تقنيات التخزين . وهناك عيب شخصي — من وجهة نظر الباحث — يتمثل في قلة خبرة الجغرافيين في تناول ومعالجة العمليات الحسابية المتعلقة بهذه النماذج ، لكن يبدو أن هذا العائق سوف يتقلص بل ويتلاشى في النهاية بالتدريب والتعود على استخدام الحاسبات الآلية في البحث الجغرافي .

وتتميز نماذج البيانات الاتجاهية والموزيكية بعلاقات مضنية مزدوجة فيما بينها . فالعصر المنطقي الرئيسي في النموذج الاتجاهي هو الكيان المكاني spatial entity الذي يمكن تمثيله على سطح الأرض أو من داخل مضمون دراسة معينة ، والتنظيم المكاني لهذا الكيان هو ببساطة عملية تخزين منظم لصفات وخصائص هذا الكيان في النموذج . والعنصر المنطقي الرئيسي في النموذج الموزيكي هو الموقع في الفراغ locallon in space ، ووجود شيء معطى — بلغة الحاسب الآلي — أي بيانات عن هذا الموقع وهو ببساطة عملية تخزين منتظم لصفات وخصائص وعلاقات هذا الموقع في النموذج .

والخلاصة : يمكن للباحث القول أنه ليس هناك نموذج ونظام بيانات له خصائص جوهرية تجعله أفضل في تمثيل الواقع المدروس من غيره ، فأساليب التمثيل والحساب تنبع من طبيعة البيانات نفسها والتطبيقات المستهدفة من توظيفها ، حتى لو كان هذان الجانبان يتميزان نظرياً بالقدرة على التكيف مع نمط ما من البيانات أو العمليات .

المراجع الرئيسية

- 1 - Abdel, D.J. & Smith, J.H., 'A Data Structure and Algorithm Based on a Linear Key for a Rectangle Retrieval Problem'. *Computer Vision, Graphics and Image Processing*, Vol. 24, pp. 4-14.
- 2 - Ahuja, N., 'On Approaches to Polygonal Decomposition for Hierarchical Image Decomposition'. *Computer vision, Graphics and Image Processing*, Vol. 24, pp. 200-214, 1983.
- 3 - Bengtson, B. & Nordbeck, S., 'Construction of Isarithms and Isarithmic Maps by Computers'. *Nordisk Tidschrift for Informations Behandling*, Vol. 4, pp. 87-105, 1964.
- 4 - Bentley, J.L., 'Multidimensional Search Trees Used for Associative Searching'. *Communications of the ACM*, Vol. 18, pp. 509-517.
- 5 - Board, C. 'Maps as Models', in *Models in Geography*, ed. P. Hagget, pp. 671-725, Methuen & Co., Ltd., London, 1967.
- 6 - Boots, B.N., 'Weighting Thiessen Polygons'. *Economic Geography*, pp. 248-259, 1979.
- 7 - Bouille, F., 'Structuring Cartographic Data and Spatial Processing with the Hypergraph-Based Data Structure'. *Proceeding of the first International Symposium on Topological Data Structures for Geographic Information Systems*, Harvard Univ., Cambridge, 1978.
- 8 - Cederberg, R., 'Chain-link Coding and Segmentation for Raster Scan Devices'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. pp. 224-234, 1979.
- 9 - Chakravarty, I., 'A Single-Pass, Chain Generating Algorithm for Region Boundaries'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 15, pp. 182-193, 1981.
- 10- Chorley, R.J. & Hagget, P., 'Socio-Economic Models in Geography'. pp. 21-26, London, 1973.
- 11- Coxeter, H.S.M., 'Regular Polytopes'. Dover Publications Inc., New York, 1973.

- 12- Daucy, M. & Marble, D., 'Some Comments on Certain Technical Aspects of Geographic Information Systems'. Technical Report No. 2 of ONR Task No. 389, Office of Naval Research, Geography Branch, 1965.
- 13- Finkel, R.A. & Bentley, J.L., 'Quad-Tress: A Data Structure for Retrieval on Composite Keys'. *Acta Informatica*, Vol. 4, pp. 1-9, 1974.
- 14- Freeman, H., 'Computer Processing of Line-Drawing Images'. *Computing Surveys*, Vol. 6, pp. 57-97, 1974.
- 15- Freeman, H., 'Analysis and Manipulation of Line-Drawing Data'. *Proceedings of the Nato Advanced Study Institute on Map Data Processing*, Maratea, Italy, 1979.
- 16- Gibson, L. & Lucas, D., 'Vectorization of Raster Images Using Hierarchical Methods'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 20, pp. 82-89, 1982.
- 17- Hagget, P., 'Geography: A modern synthesis'. pp. 16-24, London, 1972.
- 18- Hunter, G.M., 'Efficient Computation and Data Structures for Graphics'. Princeton Univ. N.J., 1978.
- 19- I.G.U. Commission on Geographical Data Sensing and Processing, *Information Systems for Land Use Planning*, report prepared for Argonne National Laboratory, 1975.
- 20- I.G.U. Commission on Geographical Data Sensing and Processing, *Technical Supporting Report D.*, U.S. Dept. of the Interior, office of Land Use and Water Planning, 1976.
- 21- Jackins, C.L. & Tanimoto, S.L., 'Oct-tress and their Use in Representing Three-dimensional Objects'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 14, pp. 249-270, 1980.
- 22- Klinger, A., 'Patterns and Search Statistics'. in *Optimizing Methods in statistics*, ed. J.S., Rustagi, pp. 303-337, New York, 1971.
- 23- Klinger, A. & Dyer, C., 'Experiments on Picture Representation Using Regular Decomposition'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 5, pp. 68-105, 1976.
- 24- Klinger, A. & Fu, K.S. & Kunit, T.L., 'Data Structures'. *Computer Graphics & Pattern Recognition*, New York, 1977.

- 25- Knuth, D., 'The Art of Computer Programming, Vol. III: Sorting and Searching, Addison-Wesley, Reading, Mass., 1975.
- 26- Mark, D.M., 'Phenomenon -Based Data- Structuring and Digital Terrain Modelling'. Geo-Processing, Vol. 1, pp. 27-36, 1979.
- 27- Martin, J., 'Computer Data-Base Organization', Prentice Hall, 1975.
- 28- Morton, G.M., 'A Computer Oriented Geodetic Data Base, and New Technique in File Sequencing'. 1966.
- 29- Peucker, T. & Chriaman, N., 'Cartographic Data Structures'. The American Cartographer, Vol. 2, pp. 55-69, 1975.
- 30- Reddy, D.R. & Rubln, S., 'Representation of Three-dimensional Objects'. 1978.
- 31- Scholten, D.K. & Wilson, S.O., 'Chain Coding with a Hexagonal Lattice', IEEE Transactions on Pattern Analysis and Machine Intelligence, Vol. 5, pp. 526-533, 1983.
- 32- Tobler, W., 'Automation and Cartography'. Geographical Review, Vol. 49, pp. 626-234, 1959.
- 33- Tomlinson, R.F., 'A Technical Description of the Canada Geographic Information System'. report, 1973.
- 34- U.S. Dept. of Commerce, Bureau of Census., 'The DIME Geocoding System'. In Report No. 4, Census Use Study, 1969.
- 35- Ullman, J., 'Principles of Databases Systems'. Rockville, Md., 1983.

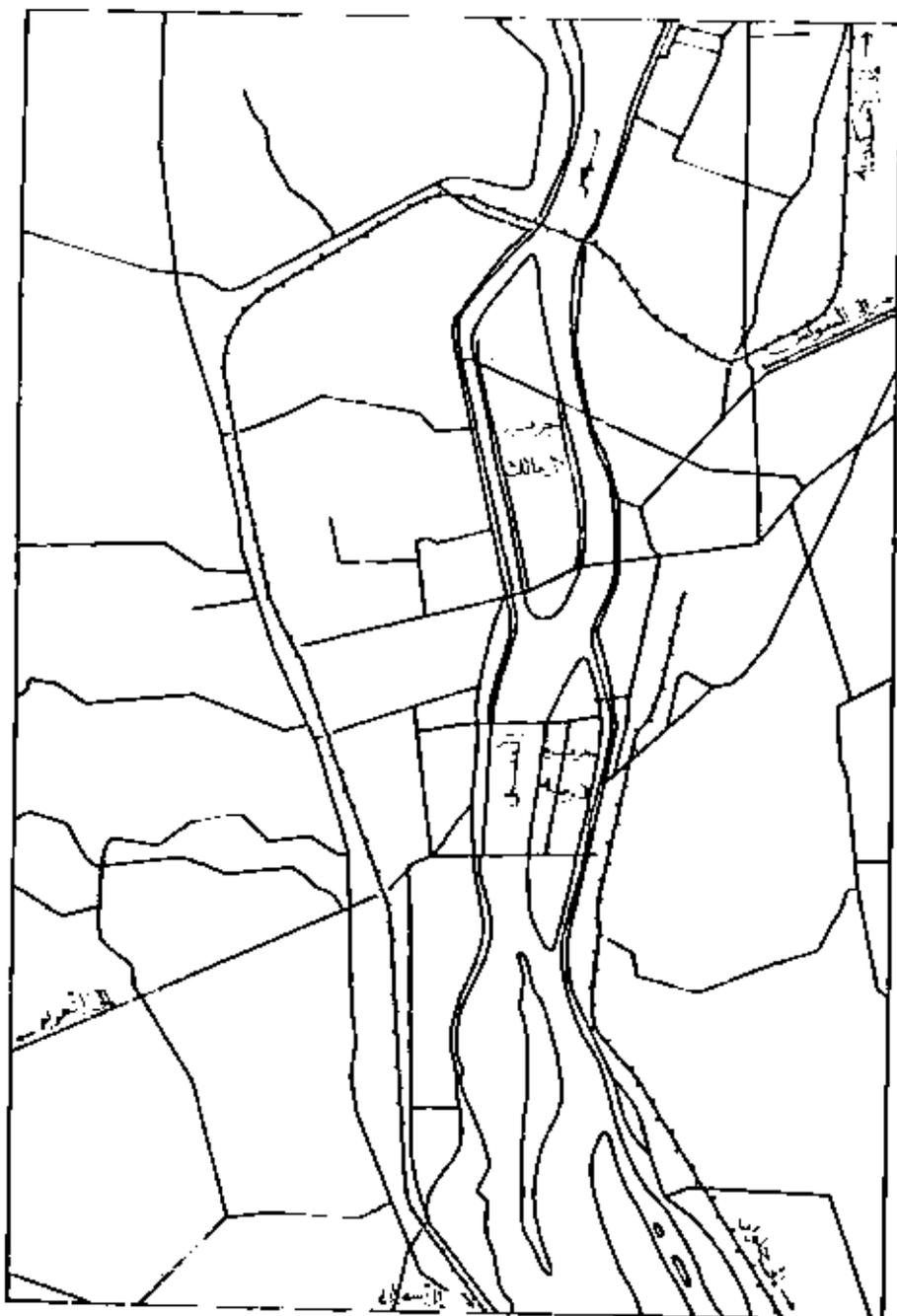


شكل (١)

جزء من لوحة حرب القاهرة الطبوغرافية مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ (تصير بنك معلومات)



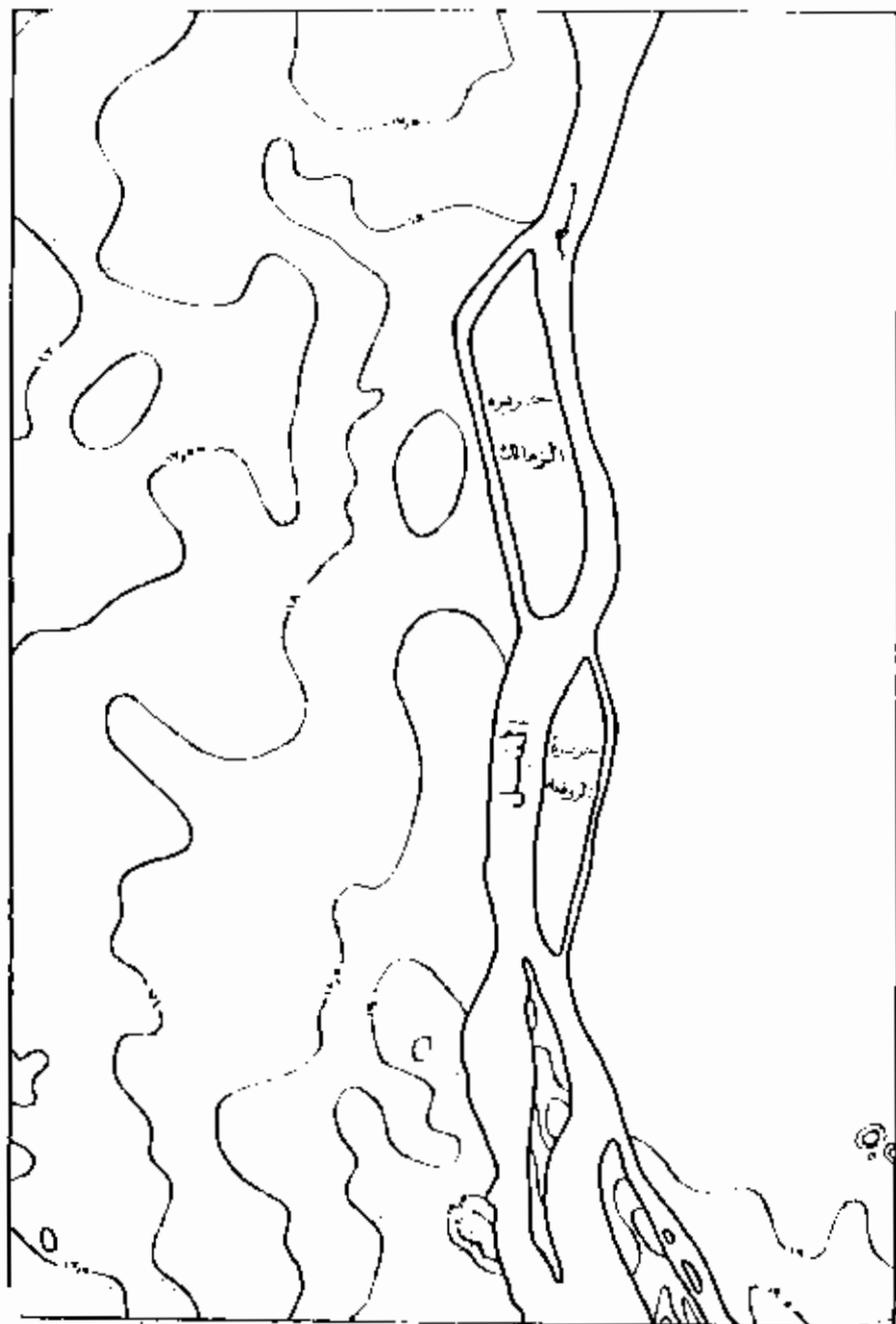
فصل النطاق السكنى لجزء من لوحة غرب القاهرة الطبوغرافية مقياس ١ : ١٠٠.٠٠٠
 تابع شكل (١)



تابع شكل (١)

فصل خطوط السكك الحديدية والطرق الرئيسية لجزء من لوحة شرب القاهرة الطبوغرافية

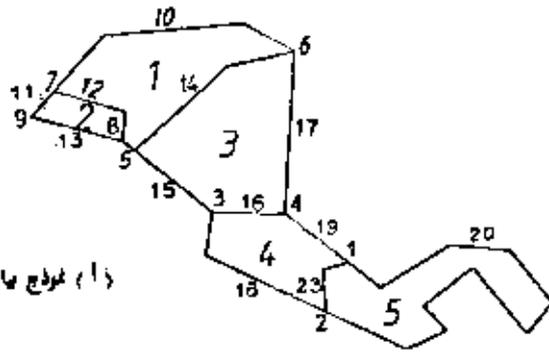
مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠



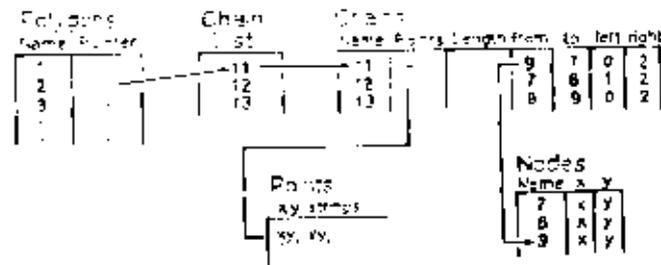
تابع شكل (١)

تصل بهرى نهر النيل وخطوط الكنتور لجزء من لوحة غرب القاهرة الطبوغرافية ملباس

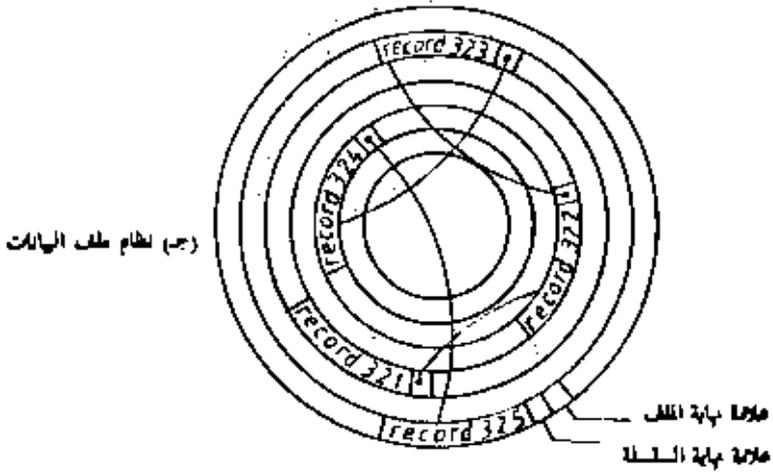
١ : ١٠٠.٠٠٠



(أ) نموذج بيانات



(ب) نظام بيانات



(ج) نظام ملف البيانات

شكل (٢) : مستعرضات قارن البيانات

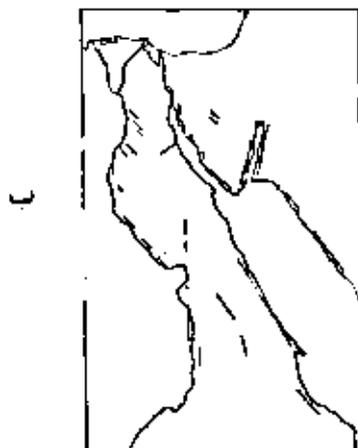
بيانات نقطية



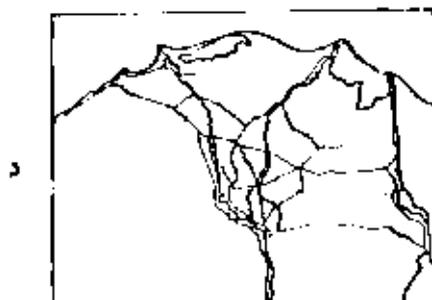
عواصم المراكز الادارية في الدنيا



خطوط تصريف بعض الأودية الجافة الرئيسية
في الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء
(بيانات خطية - عناصر في نظام معين)



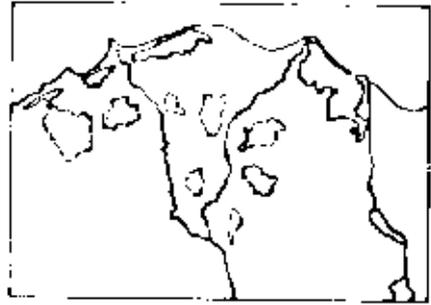
خطوط المواصل الرئيسية في الصحراء
الشرقية وشبه جزيرة سيناء
(بيانات خطية - خطوط منعزلة)



شبكة خطوط السكك الحديدية في الدنيا
(بيانات خطية ، نظام شبكة)

شكل (٣) الخاط البياني المكانية

هـ
بيانات المضلعات . مضلعات منفردة



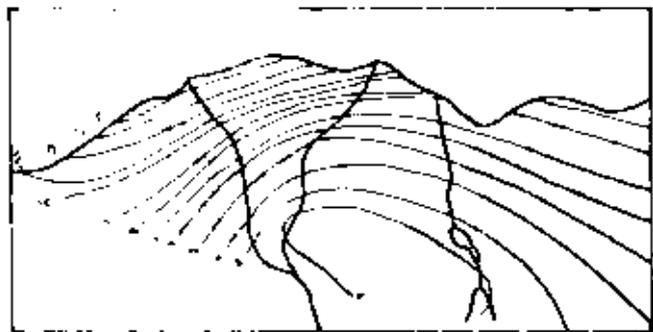
بعض المراكز الادارية في الدنكا

و
بيانات المضلعات . مضلعات متجاورة



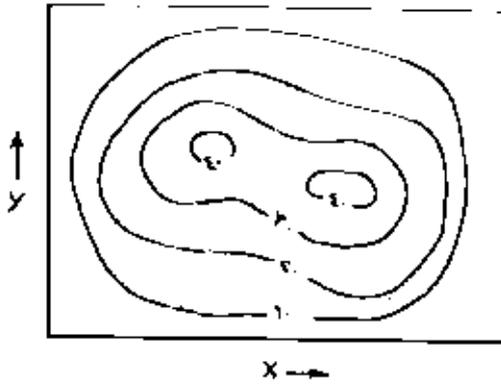
حدود المراكز الادارية في الدنكا

ز
بيانات المضلعات ،
مضلعات متشابهة

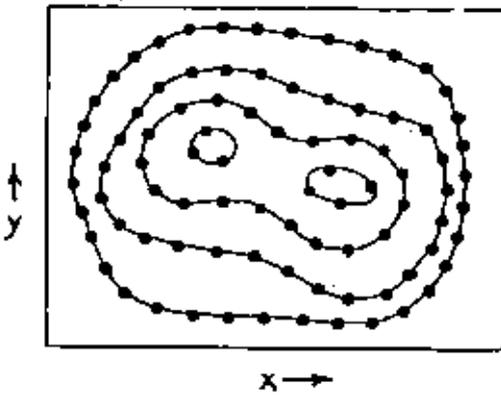


مخطوط تشارى كمية المطر السنوى بالمليمتير في الدنكا وشمال سيناء

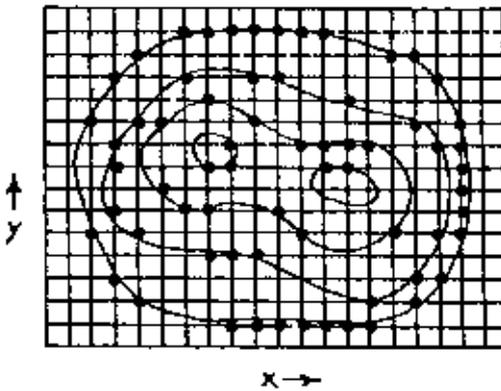
تابع شكل (٣) . الماط البيانات المكانية



الخريطة الكتونية الأصلية



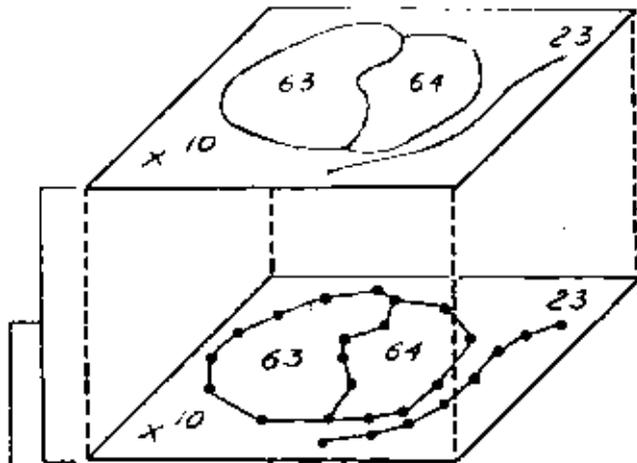
الخريطة الاتجاهية Vector



الخريطة الموزايقية Tessellation

شكل (٤) . الانحطاط الرئيسية نماذج الهياكل المكانية

الخريطة الأصلية

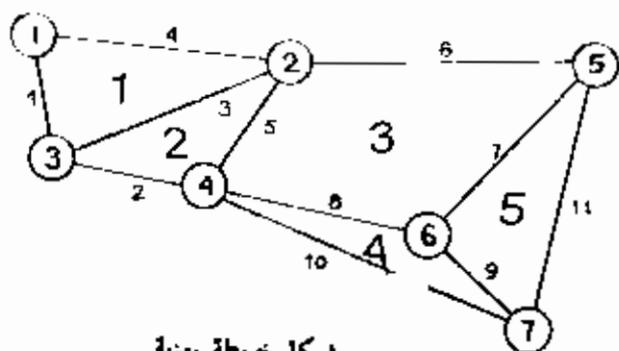


تمثيل الخريطة
بالاحداثيات الكارتيزية
(نموذج بيانات)

نظام بيانات

Feature	Number	Location
Point	10	X,Y (نقطة فردية)
Line	23	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_nY_n$ (سلسلة احداثيات)
Polygon	63	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_1Y_1$ (حلقة مغلقة)
	64	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_1Y_1$ (نظام بيانات)

شكل (8) : نموذج البيانات غير المنظم



شبكة خريطة رمزية

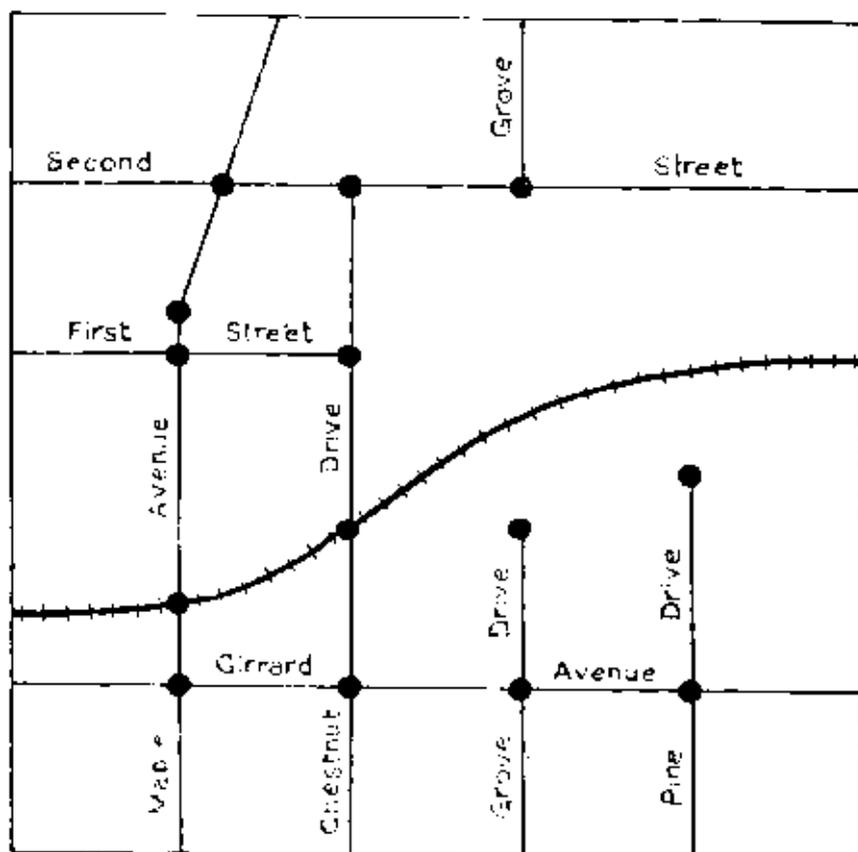
Link	Right Polygon	Left Polygon	Node 1	Node 2
1	1	0	3	1
2	2	0	4	3
3	2	1	3	2
4	1	0	1	2
5	3	2	4	2
6	8	0	2	5
7	5	3	5	6
8	4	3	6	4
9	5	4	7	6
10	4	0	7	4
11	0	5	5	7

شبكة رمزية طبولوجية + ملف المثلثات

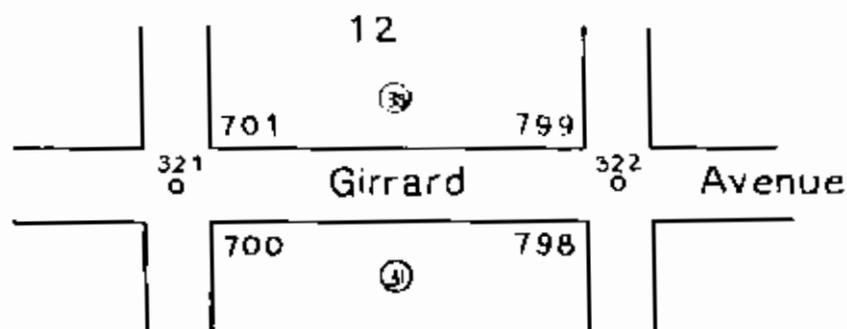
Node	X Coordinate	Y Coordinate
1	23	8
2	17	17
3	29	15
4	28	21
5	8	26
6	22	30
7	24	38

ملف الإحداثيات السوية والصادية للنقط العنقدة

شكل (٦) : نموذج البيانات الطبولوجي

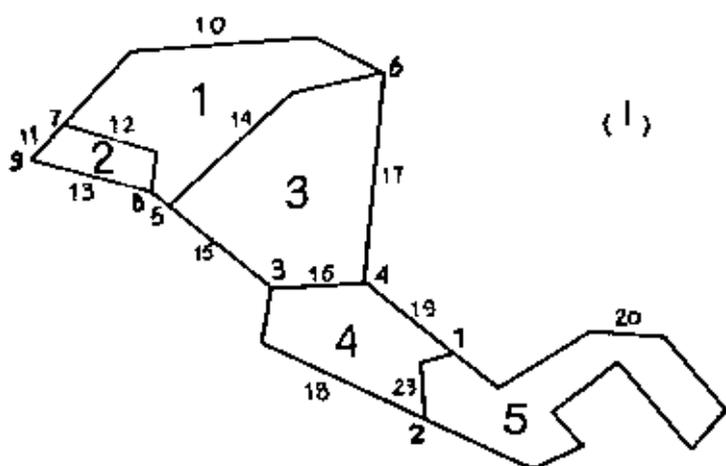


شكل (٧) : العناصر الهيكلية لملف الـ DIME

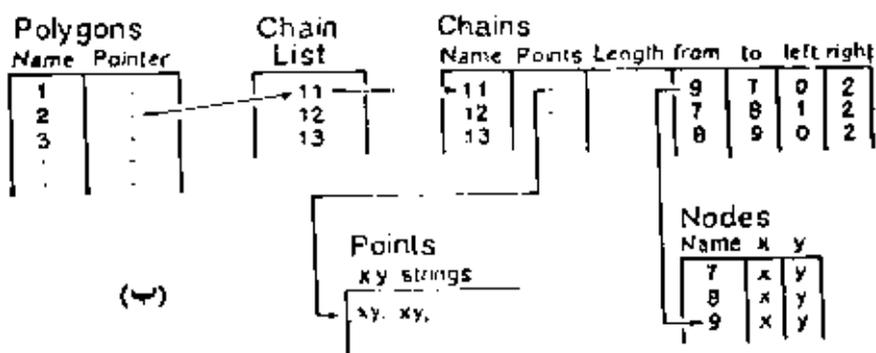


Street Name	GIRRARD
Street Type	Avenue
Left Addresses	701-799
Right Addresses	700-798
Left Block	38
Left Tract	12
Right Block	31
Right Tract	12
Low Node	321
X-Y Coordinate	155 000 - 232 000
High Node	322
X-Y Coordinate	156 000 - 234 000

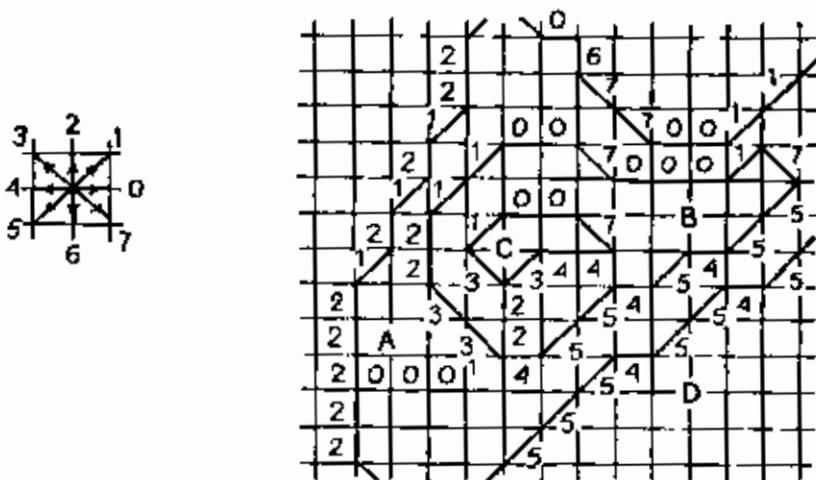
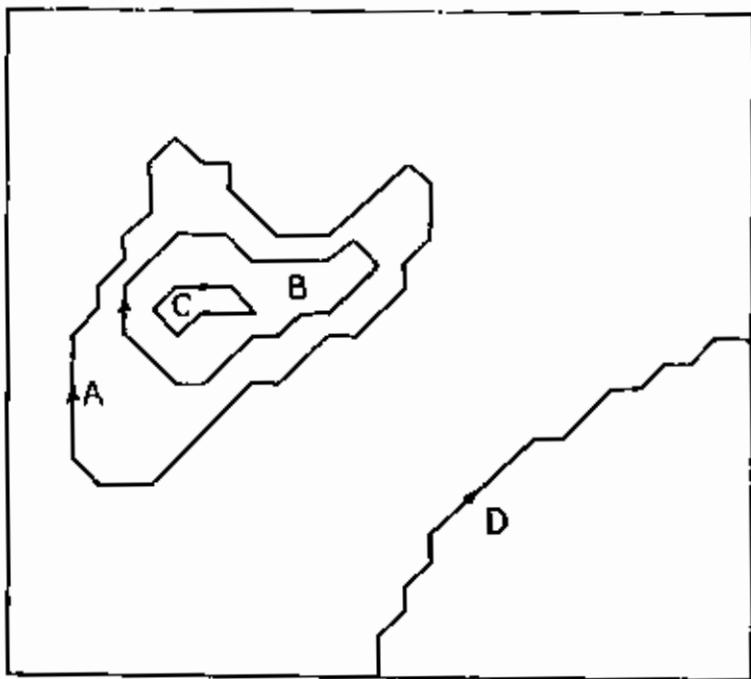
شكل (A) : مثال بين سجل ملف الـ DIME



(أ)

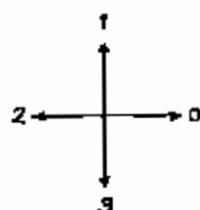


شكل (أ) : نموذج بيانات العاكس لوضع المضلعات
 (ب) نظام بيانات النموذج العاكس للمضلعات

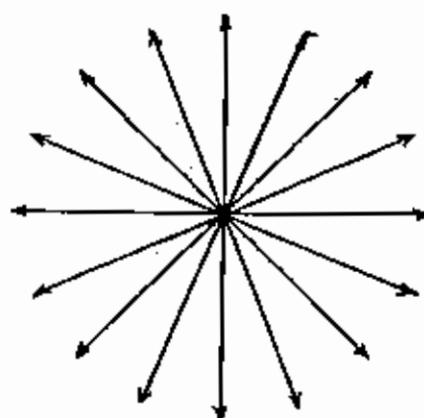


شكل (١٠) : مثال لخريطة كمعزبة باستخدام نموذج السلاسل المكزدة

		0	0	0										
	1				3									
	1				3	0	0	0	0					
	1												3	
	1												3	
	1	2											3	
		1	2										3	
			1	2	2	2	2	2	2	2	3			

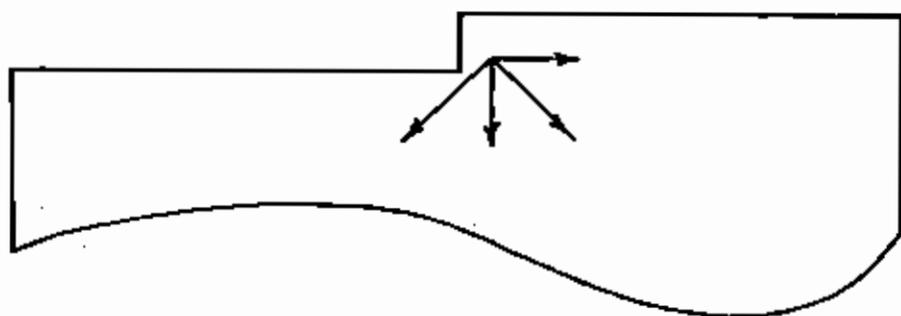
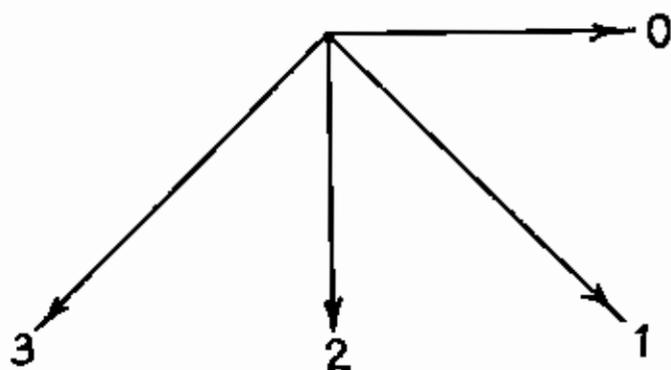


أربعة اتجاهات كودية (رمزية)

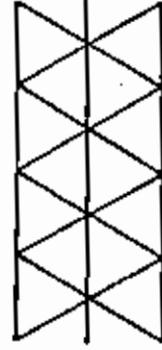
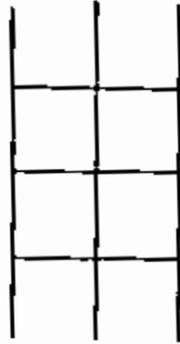


سعة عشر اتجاهاً كودياً (رمزياً)

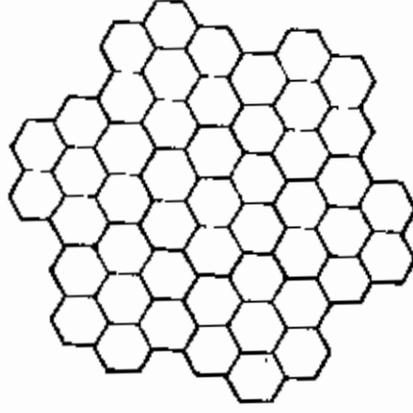
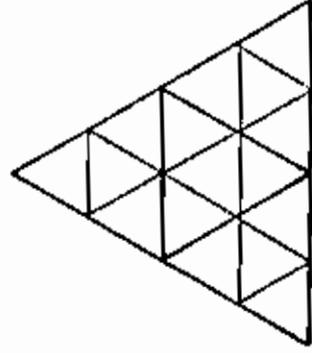
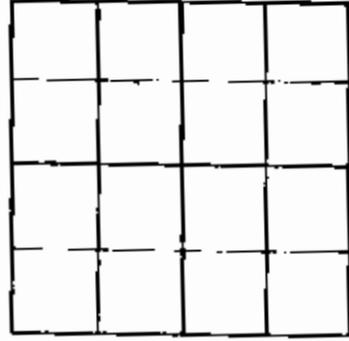
شكل (١١) : منقطع بين السلاسل المكثفة لـ ٤ ، ١٦ اتجاه



شكل (١٢) : مخطط سلاسل خط المسح raster المكثفة



شكل (١٣) : أشكال نماذج الهياكل المربكة العظيمة

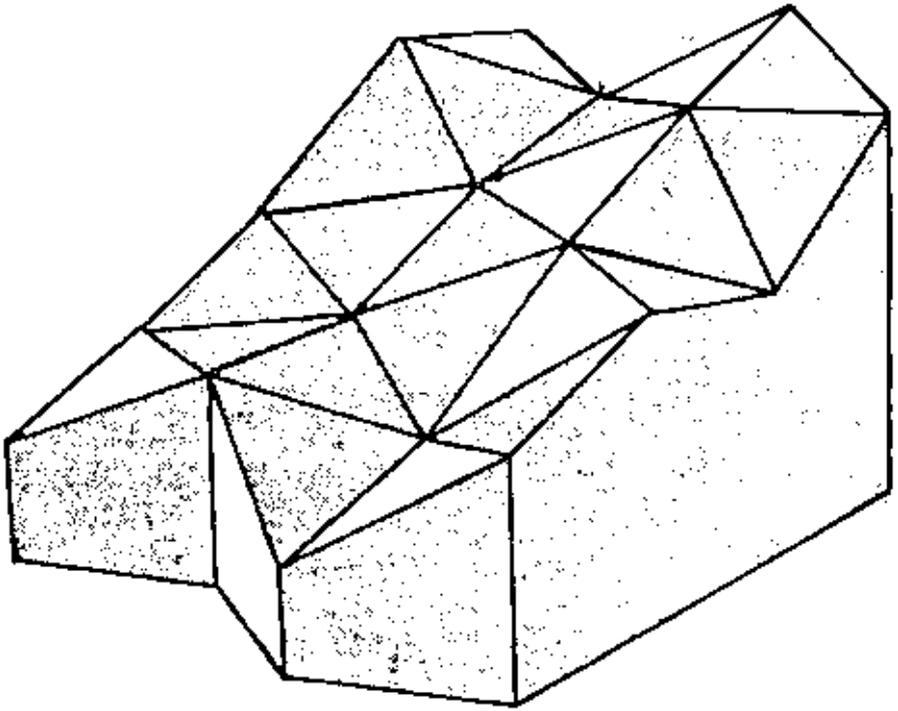


المربع

المثلث

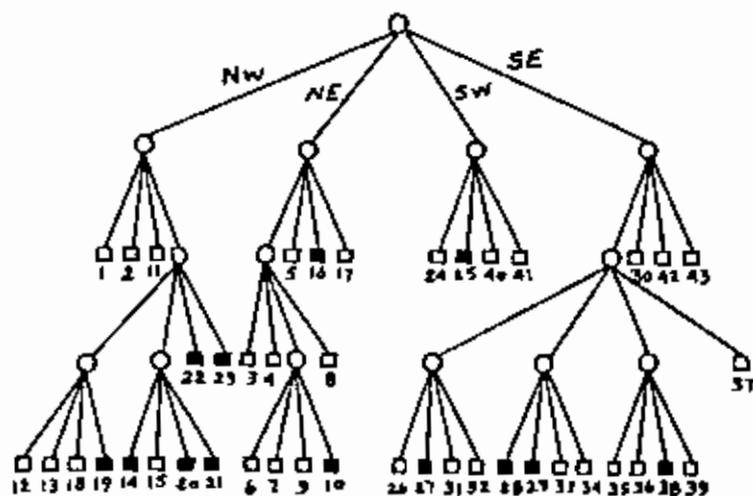
الوردة (الزهور)

شكل (١٤) : تقسيم شبكة المربك العظم الى خلايا أصغر ل المسوى البلاستيكي

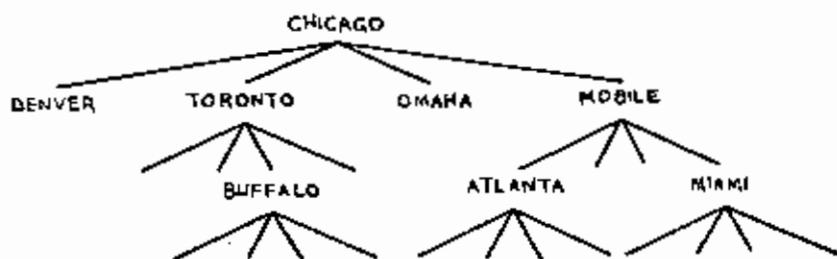
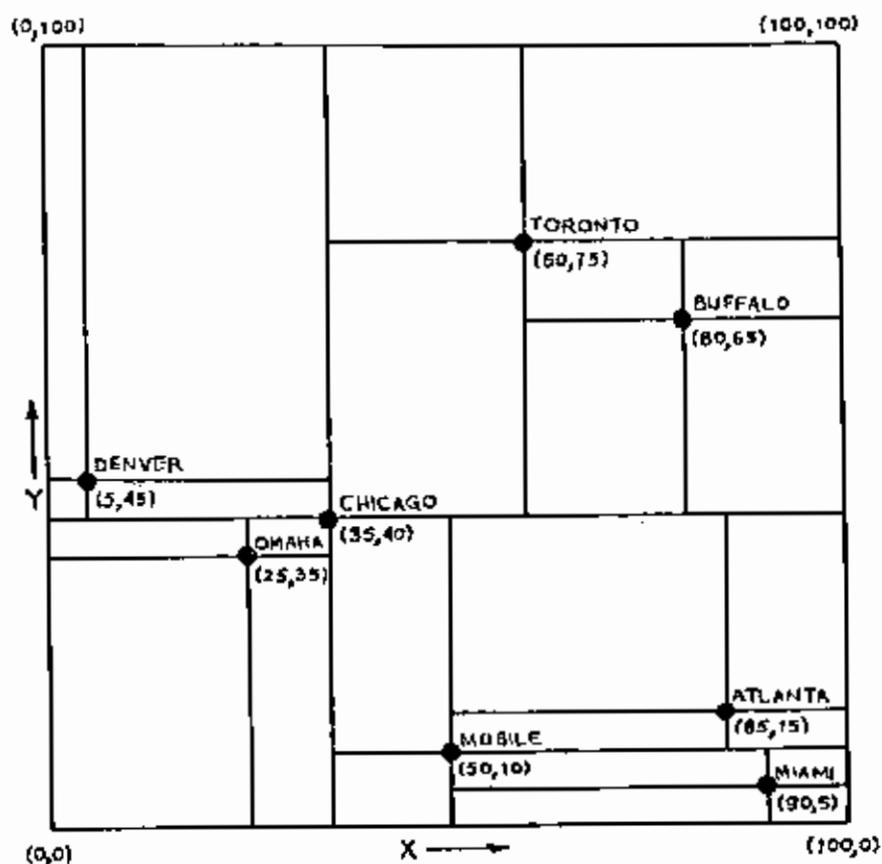


شكل (١٥) : تمثيل سطح الأرض بنموذج شبكة مكعبات مستطمة

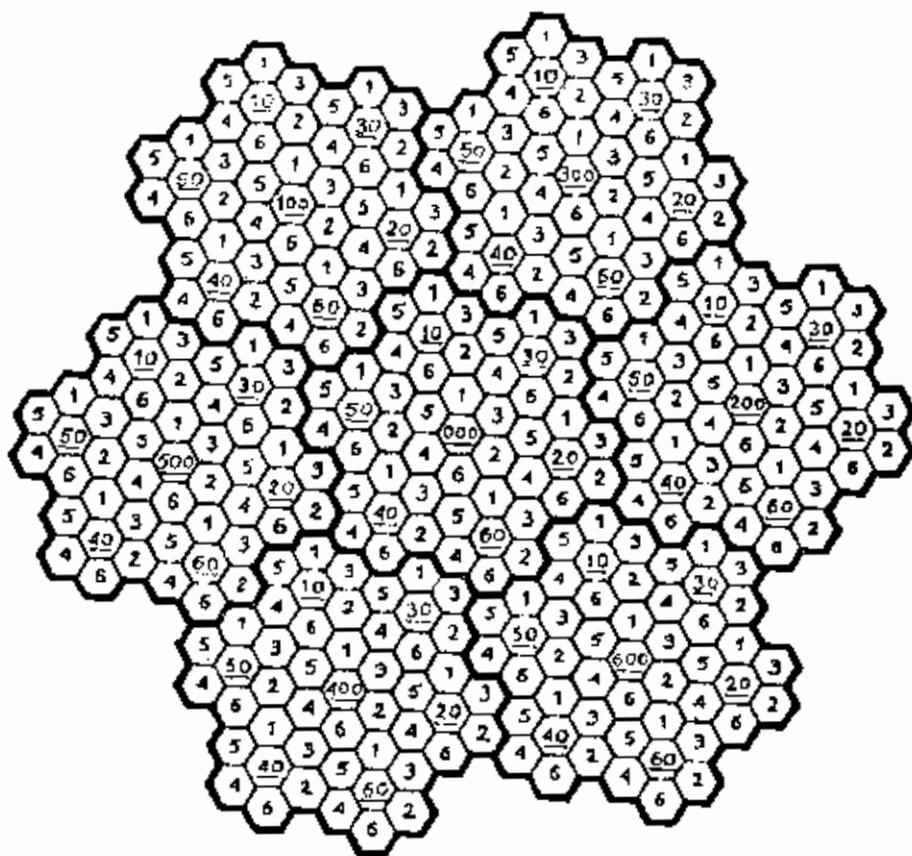
1	2	3	4	5
		6	7	
		8	9	10
11	12	13	14	15
	16	17	18	19
	20	21	22	23
24	25	26	27	28
		29	30	31
		32	33	34
		35	36	37
		38	39	
40	41	42	43	



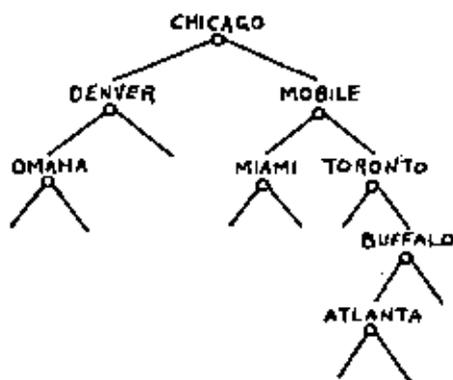
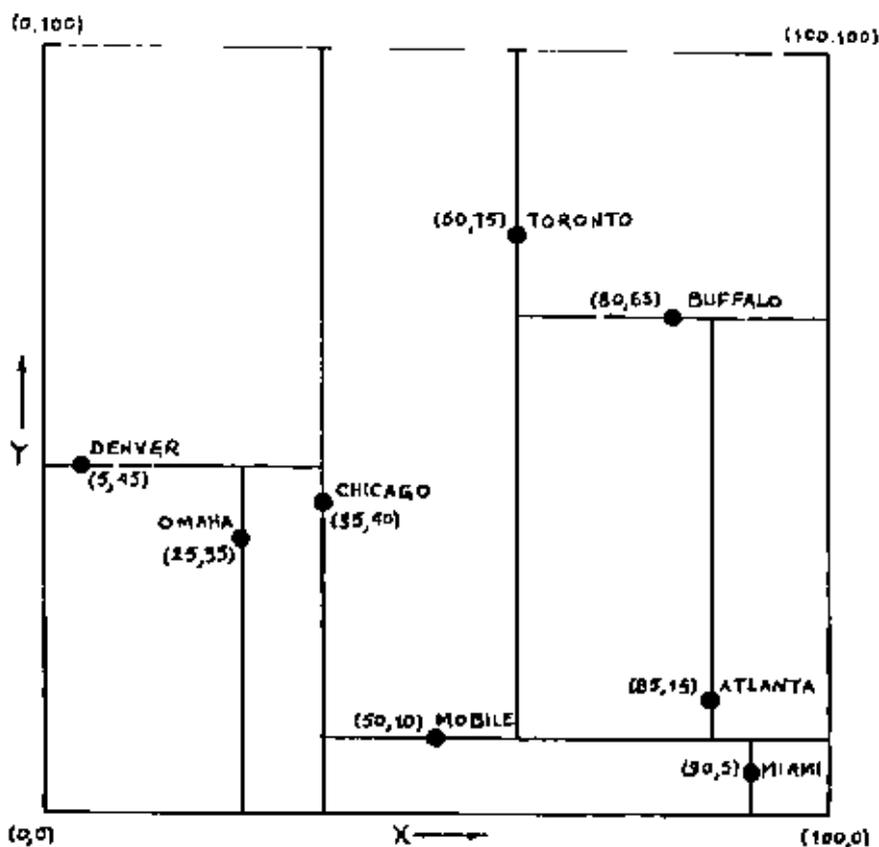
شكل (١٦) : نموذج بيانات الشجرة الرباعية Quadtree



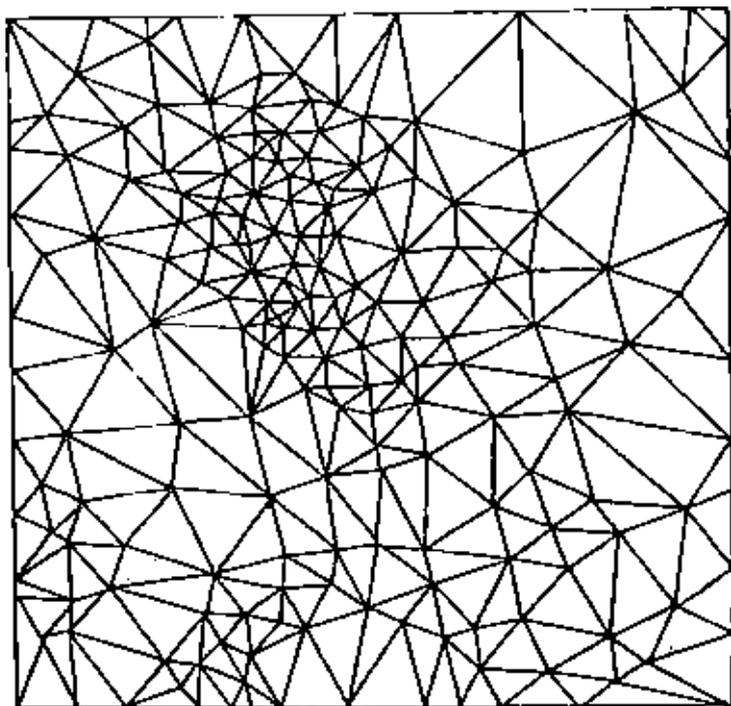
شكل (17) : نموذج بيانات نقطة التقسيم الرباعي Point quadtree



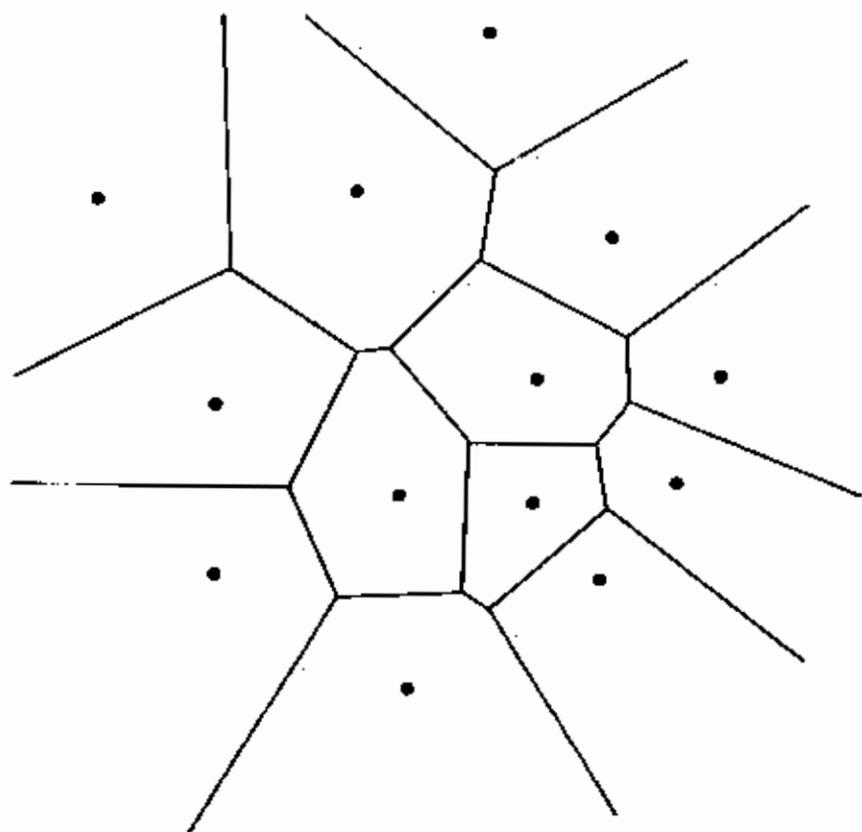
شكل (١٨) : شبكة معلومات سداسية لى تسميم هرمى يقوم على سبعة عناصر



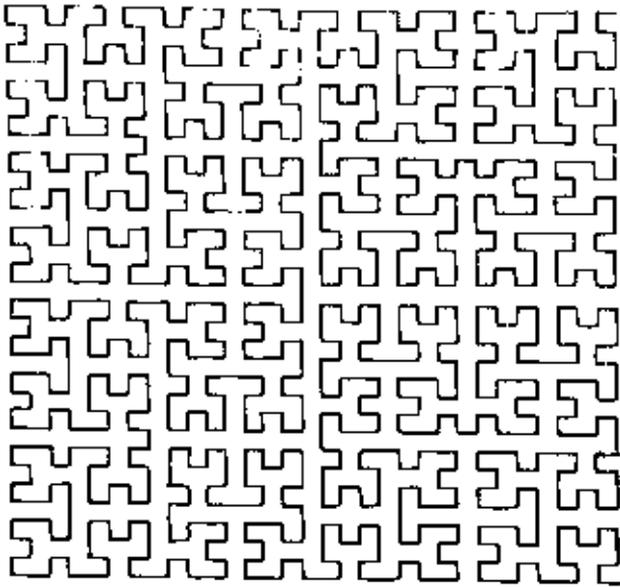
شكل (19) : نموذج بيانات من شجرة ثنائية



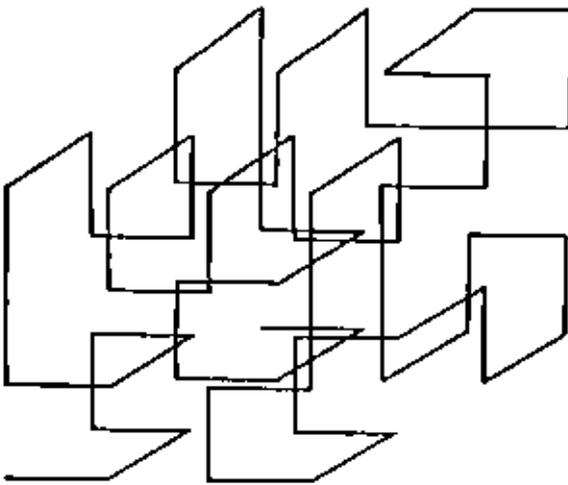
شكل (٢٠) : شبكة مكافئ غير منتظمة TIN



شكل (٢١) : مثال لتطابقات Thalesen



(١)

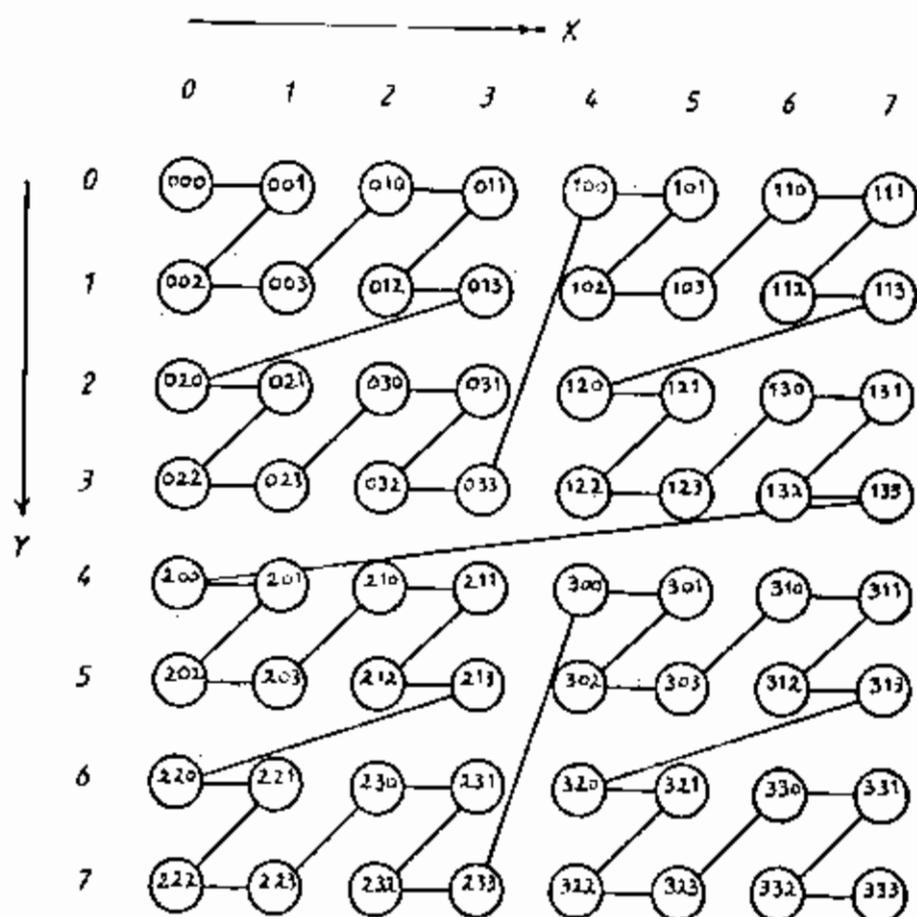


(٢)

شکل (٢٢) : منحیات یمنو (أ) ذات بعدین
(ب) ذات لثلاثة أبعاد

	0	1	2	3	X →			
0	0 0000	2 0010	8 1000	10 1010	32	34	40	42
1	1 0001	3 0011	9 1001	11 1011	33	35	41	43
2	4 0100	6 0110	12 1100	14 1110	36	38	44	46
3	5 0101	7 0111	13 1101	15 1111	37	39	45	47
Y ↓	16	18	24	26	48	50	56	58
	17	19	25	27	49	51	57	59
	20	22	28	30	52	54	60	62
	21	23	29	31	53	55	61	63

شكل (٢٣) : نقاط نظام معادلة مورزون Morton matrix

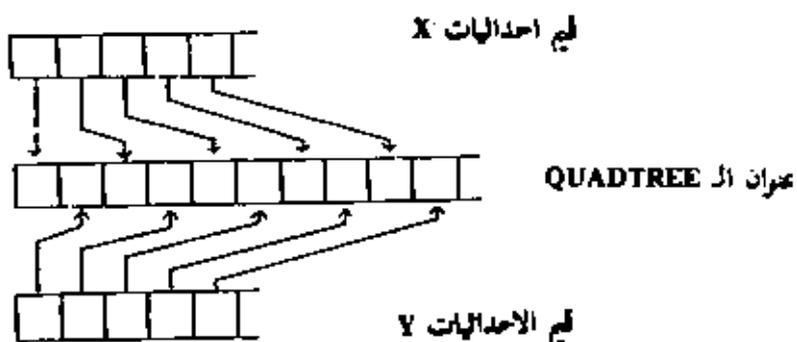


شكل (٢٤) : العلاقة بين نقاط مصفوفة مرزبون ومنحنيات بينو على شكل حرف Z

→ X

	000	001	010	011	100	101	110	111
000	000	001	010	011	100	101	110	111
001	002	003	012	013	102	103	112	113
010	020	021	030	031	120	121	130	131
011	022	023	032	033	122	123	132	133
100	200	201	210	211	300	301	310	311
101	202	203	212	213	302	303	312	313
110	220	221	230	231	320	321	330	331
111	222	223	232	233	322	323	332	333

↓ Y



شكل (٢٥) : مخطط الهرم المكاني بطريقة العنوان المؤشر وتطبيقها في فصل الاحداثيات السبية والصادية

→ X

	0	1	2	3	4	5	6	7
0	000	001	010	011	100	101	110	111
	00		01		10		11	
1	002	003	012	013	102	103	112	113
	02		03		12		13	
2	020	021	030	031	120	121	130	131
3	022	023	032	033	122	123	132	133
4	200	201	210	211	300	301	310	311
	20		21		30		31	
5	202	203	212	213	302	303	312	313
	22		23		32		33	
6	220	221	230	231	320	321	330	331
7	222	223	232	233	322	323	332	333

↓ Y

شكل (٢٦) : مخطط عناصر شجرة رباعية هرمية